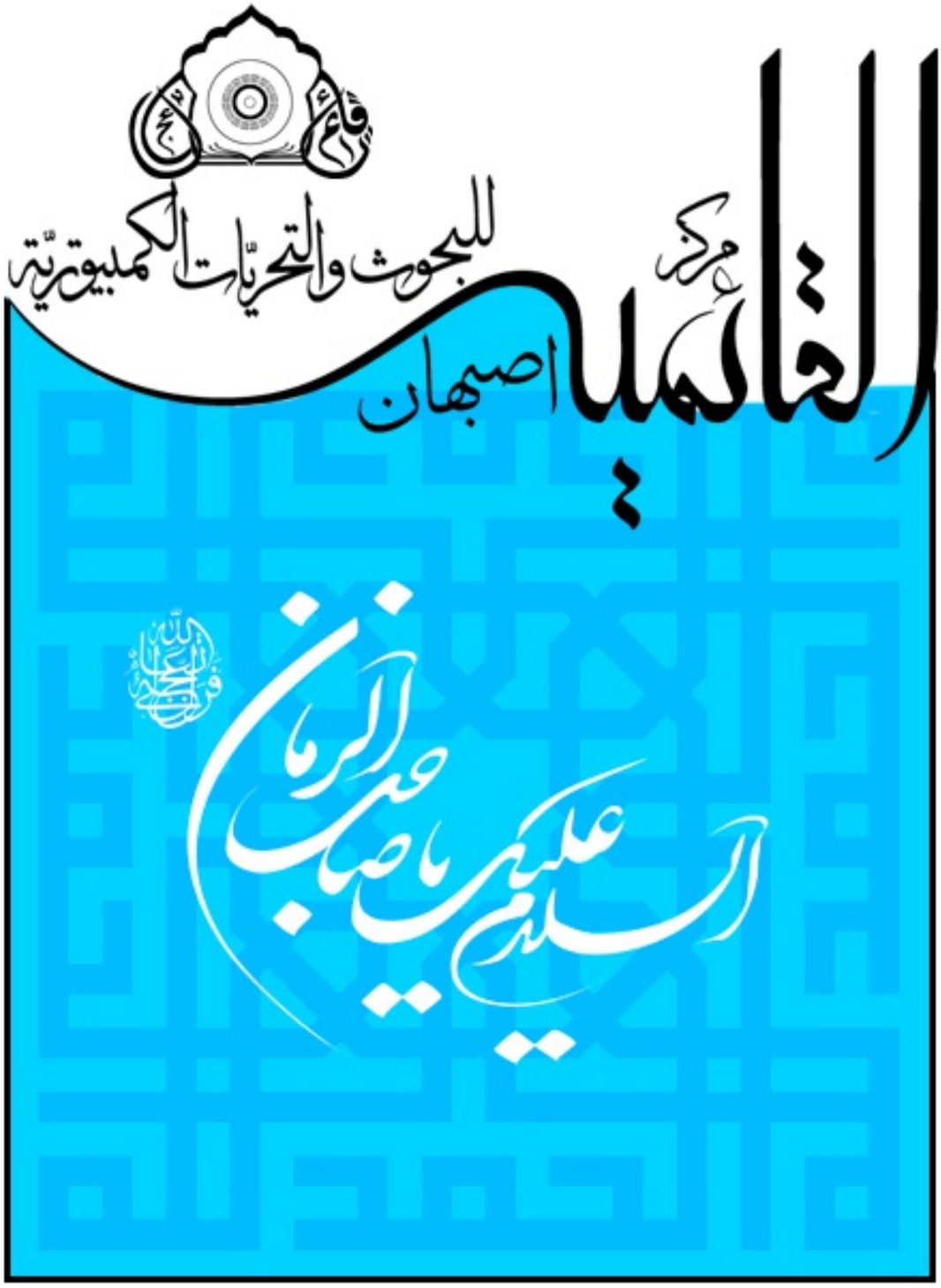

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الأستاذ الدكتور خالد عزب

شبهات حول القرآن وتفنيدها

دار ومكتبة الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

شبهات حول القرآن و تفنيدها

كاتب:

غازى عنايۀ

نشرت فى الطباعۀ:

دارو مكتبۀ الهلال

رقمى الناشر:

مركز القائميۀ باصفهان للتحريات الكمبيوتريۀ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
شبهات حول القرآن و تفنیدها ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
مقدمة الکتاب ----- ۲۰
الباب الأول شبهات حول الوحی بالقرآن، و تفنیدها «۱» ----- ۲۲
الشبهة الأولی: ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
تفنید هذه الشبهة: ----- ۲۲
الشبهة الثانیة: ----- ۲۳
اشارة ----- ۲۳
تفنید هذه الشبهة: ----- ۲۳
الشبهة الثالثة: ----- ۲۴
اشارة ----- ۲۴
أمثلة علی بعض المتقوّلین علی القرآن: ----- ۲۴
أولا: مسیلمة بن حبیب الکذاب: ----- ۲۴
اشارة ----- ۲۴
أمثلة علی أقوال مسیلمة الکذاب قوله: ----- ۲۵
ثانیا: سجاح بنت الحارث بنت سوید التمیمیة: ----- ۲۵
ثالثا- طلحة بن خویلد الأسدی: ----- ۲۵
رابعا: الأسود العنسی: ----- ۲۵
الشبهة الرابعة: ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
تفنید هذه الشبهة: ----- ۲۵

اشارة ----- ۲۵
أمثلة على هذه الحقائق: ----- ۲۶
الباب الثانی شبهات حول جمع القرآن، و تفنیدها «۱» ----- ۲۷
الشبهة الأولی: ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
تفنید هذه الشبهة: ----- ۲۷
الشبهة الثانیة: ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
تفنید هذه الشبهة: ----- ۲۷
الشبهة الثالثة: ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
تفنید هذه الشبهة: ----- ۲۸
الشبهة الرابعة: ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
تفنید هذه الشبهة: ----- ۲۸
الشبهة الخامسة: ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
تفنید هذه الشبهة: ----- ۲۸
الشبهة السادسة: ----- ۲۹
اشارة ----- ۲۹
تفنید هذه الشبهة: ----- ۲۹
الشبهة السابعة: ----- ۲۹
اشارة ----- ۲۹
تفنید هذه الشبهة: ----- ۲۹

الشبهة الثامنة: «۲» ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۰
الشبهة التاسعة: ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۱
الشبهة العاشرة: ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
خلاصة الدفاع: ----- ۳۱
الشبهة الحادیة عشرة: ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۱
الباب الثالث شبهات حول کتابة القرآن و رسمه، و تفنیدها. ----- ۳۲
الشبهة الأولی: ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۲
الشبهة الثانیة: ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۲
الشبهة الثالثة: ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۲

الشبهة الرابعة: ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۲
الشبهة الخامسة: ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۳
الشبهة السادسة: ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۳
الشبهة السابعة: ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۳
الباب الرابع شبهات حول تواتر القرآن، و تفنیدها ----- ۳۳
الشبهة الأولی: ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۳
الشبهة الثانیة: ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۳
الشبهة الثالثة: ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۴
الشبهة الرابعة: ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴

تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۴
الباب الخامس شبهات حول المکی و المدنی من القرآن، و تفنیدها ----- ۳۴
الشبهة الأولی: ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۴
الشبهة الثانیة: ----- ۳۵
اشارة ----- ۳۵
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۵
الشبهة الثالثة: ----- ۳۵
اشاره ----- ۳۵
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۵
الشبهة الرابعة: ----- ۳۵
اشارة ----- ۳۵
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۵
الشبهة الخامسة: ----- ۳۶
اشارة ----- ۳۶
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۶
الشبهة السادسة: ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۷
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۷
الشبهة السابعة: ----- ۳۷
اشارة ----- ۳۷
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۸
الشبهة الثامنة: ----- ۳۸

اشارة ----- ۳۸
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۸
اشارة ----- ۳۸
أ- فبالنسبة للإلهیات: ----- ۳۸
د- و بالنسبة للسمعیات: ----- ۳۹
ه- و بالنسبة للنبوات: ----- ۳۹
الشبهة التاسعة: ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
تفنید هذه الشبهة: ----- ۳۹
الشبهة العاشرة: ----- ۴۰
اشارة ----- ۴۰
تفنید هذه الشبهة: ----- ۴۰
الشبهة الحادیة عشرة: ----- ۴۰
اشارة ----- ۴۰
تفنید هذه الشبهة: ----- ۴۰
الشبهة الثانیة عشرة: ----- ۴۱
اشارة ----- ۴۱
تفنید هذه الشبهة: ----- ۴۱
الشبهة الثالثة عشرة: ----- ۴۱
اشارة ----- ۴۱
تفنید هذه الشبهة: ----- ۴۱
اشارة ----- ۴۱
معانی حروف التهجی: ----- ۴۴
الترجیح بین معانی حروف التهجی: ----- ۴۵

الباب السادس شبهات حول نزول القرآن على سبعة أحرف، و تفنيدها. ۴۶
الشبهة الأولى: ۴۶
اشارة ۴۶
تفنيد هذه الشبهة: ۴۶
الشبهة الثانية: ۴۶
اشارة ۴۶
تفنيد هذه الشبهة: ۴۶
الشبهة الثالثة: ۴۷
اشارة ۴۷
تفنيد هذه الشبهة: ۴۷
الشبهة الرابعة: ۴۸
اشارة ۴۸
تفنيد هذه الشبهة: ۴۸
اشارة ۴۸
الفرق بين الأحرف السبعة و القراءات السبع ۴۸
الباب السابع شبهات حول المتشابه فى القرآن، و تفنيدها «۱». ۴۹
الشبهة الأولى: ۴۹
اشارة ۴۹
تفنيد هذه الشبهة: ۴۹
الشبهة الثانية: ۴۹
اشارة ۴۹
تفنيد هذه الشبهة: ۵۰
الشبهة الثالثة: ۵۰
اشارة ۵۰

تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۰
الشبهة الرابعة: ----- ۵۰
اشارة ----- ۵۰
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۰
الشبهة الخامسة: ----- ۵۱
اشارة ----- ۵۱
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۱
الباب الثامن شبهات حول النسخ فی القرآن، و تفنیدها. ----- ۵۱
الشبهة الأولی: ----- ۵۱
اشارة ----- ۵۱
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۱
الشبهة الثانیة: ----- ۵۱
اشارة ----- ۵۱
تفنید الشبهة الثانیة: ----- ۵۱
الشبهة الثالثة: ----- ۵۱
اشارة ----- ۵۱
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۲
الشبهة الرابعة: ----- ۵۲
اشارة ----- ۵۲
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۲
الشبهة الخامسة: ----- ۵۲
اشارة ----- ۵۲
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۲
الشبهة السادسة: ----- ۵۲

اشارة ----- ۵۲
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۲
الشبهة السابعة: ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۳
الشبهة الثامنة: ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۳
الباب التاسع شبهات حول ترجمة القرآن، و تفنیدها ----- ۵۳
الشبهة الأولی: ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۳
الشبهة الثانیة: ----- ۵۳
اشارة ----- ۵۳
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۳
الشبهة الثالثة: ----- ۵۴
اشارة ----- ۵۴
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۴
اشارة ----- ۵۴
تعلیلات العلماء فی عدم جواز الترجمة الحرفیة للقرآن الکریم. ----- ۵۴
موقف الأزهر من ترجمة القرآن الکریم ----- ۵۶
حکم الصلاة بغیر اللغة العربیة ----- ۵۷
اشارة ----- ۵۷
الموقف الأول: ----- ۵۷

اشارة ----- ۵۷
المذهب المالکی: ----- ۵۷
المذهب الشافعی: ----- ۵۷
المذهب الحنبلی: ----- ۵۸
الموقف الثانی: ----- ۵۸
حکم الذکر بغیر العربیة فی الصلاة. للعلماء رأیان مختلفان. ----- ۵۸
الرأی الأول: ----- ۵۸
الرأی الثانی: ----- ۵۸
الباب العاشر شبهات حول إعجاز القرآن، و أسلوبه، و تفنیدها. ----- ۵۹
الشبهة الأولی: ----- ۵۹
اشارة ----- ۵۹
تفنید هذه الشبهة: ----- ۵۹
الشبهة الثانیة: ----- ۶۱
اشارة ----- ۶۱
تفنید هذه الشبهة: ----- ۶۱
الشبهة الثالثة: ----- ۶۲
اشارة ----- ۶۲
تفنید هذه الشبهة: ----- ۶۲
الشبهة الرابعة: ----- ۶۳
اشارة ----- ۶۳
تفنید هذه الشبهة: ----- ۶۳
الشبهة الخامسة: ----- ۶۵
اشارة ----- ۶۵
تفنید هذه الشبهة: ----- ۶۵

الشبهة السادسة: ---- ۶۶
اشارة ---- ۶۶
تفنید هذه الشبهة: ---- ۶۷
الشبهة السابعة: ---- ۶۸
اشارة ---- ۶۸
تفنید هذه الشبهة: ---- ۶۸
الشبهة الثامنة: ---- ۷۰
اشارة ---- ۷۰
تفنید هذه الشبهة: ---- ۷۰
الشبهة التاسعة: ---- ۷۱
اشارة ---- ۷۱
تفنید هذه الشبهة: ---- ۷۱
اشارة ---- ۷۱
الإعجاز القرآنی فی الدعوة إلی العلم «۱» ---- ۷۲
اشارة ---- ۷۲
الإعجاز القرآنی بنسبة العلم إلی خالقه: ---- ۷۲
التأصیل القرآنی بتکریم أهل العلم: ---- ۷۲
الإعجاز القرآنی بإقران العلم بالنظر فی مخلوقات اللّه: ---- ۷۳
الإعجاز القرآنی بإقران العلم بالتفکر و التعقل: ---- ۷۳
الإعجاز القرآنی بإقران العلم بآیات اللّه: ---- ۷۳
الإعجاز القرآنی بإقران العلم بالدعاء: ---- ۷۳
الإعجاز القرآنی بإقران العلم بالغیب: ---- ۷۳
الإعجاز القرآنی بإقران العلم بالإیمان: ---- ۷۳
الإعجاز القرآنی بإقران العلم بالحکمة: ---- ۷۳

الإعجاز القرآنی بإقران العلم بالتوحید: ----- ۷۳
الإعجاز القرآنی فی الحقائق العلمیة. «۴» ----- ۷۳
أمثلة علی الحقائق العلمیة فی القرآن: ----- ۷۴
الحقیقة العلمیة الأولی: ----- ۷۴
الحقیقة العلمیة الثانیة: ----- ۷۴
الحقیقة العلمیة الثالثة: ----- ۷۴
الحقیقة العلمیة الرابعة: ----- ۷۴
الحقیقة العلمیة الخامسة: ----- ۷۴
الحقیقة العلمیة السادسة: ----- ۷۴
الحقیقة العلمیة السابعة: ----- ۷۵
الحقیقة العلمیة الثامنة: ----- ۷۵
اشارة ----- ۷۵
دلائل تحریم شرب الدخان: ----- ۷۵
الدلیل الأوّل: ----- ۷۵
الدلیل الثانی: ----- ۷۶
الدلیل الثالث: ----- ۷۶
الدلیل الرابع: ----- ۷۶
الدلیل الخامس: ----- ۷۶
الدلیل السادس: ----- ۷۶
الحقیقة العلمیة التاسعة: ----- ۷۶
الحقیقة العلمیة العاشرة: ----- ۷۶
الحقیقة العلمیة الحادیة عشرة: ----- ۷۶
الحقیقة العلمیة الثانیة عشرة: ----- ۷۶
الحقیقة العلمیة الثالثة عشرة: ----- ۷۷

الحقیقة العلمیة الرابعة عشرة: ۷۷
اشارة ۷۷
تقسیم لآیات القرآن: ۷۸
اشارة ۷۸
النوع الأول: ۷۸
النوع الثانی من الآیات: ۷۹
اشارة ۷۹
أولا: علم الفلک: ۷۹
ثانیا: علم طبقات الأرض: ۷۹
ثالثا- علم الأغذیة: ۸۰
الشبهة العاشرة: ۸۳
اشارة ۸۳
تفنید هذه الشبهة: ۸۳
اشارة ۸۴
الحقیقة الأولی: ۸۵
الإعجاز الغیبی الماضی: ۸۵
الحقیقة الثانیة: ۸۵
الإعجاز الغیبی الحاضر: ۸۵
الحقیقة الثالثة: ۸۵
الإعجاز الغیبی المستقبلی: ۸۵
الباب الحادی عشر شبهات حول تطبیق القرآن، و تفنیدها ۸۹
الشبهة الأولی: ۸۹
اشارة ۸۹
تفنید هذه الشبهة: ۸۹

اشارة ----- ۸۹
أولا: إن القرآن الكريم ناسخ للكتب السماوية الأخرى: ----- ۸۹
الشبهة الثانية: ----- ۹۳
اشارة ----- ۹۳
تفنيد هذه الشبهة: ----- ۹۴
الشبهة الثالثة: فصل القرآن عن السياسة- أى فصل الدين عن السياسة ----- ۹۷
اشارة ----- ۹۷
تفنيد هذه الشبهة: ----- ۹۷
الشبهة الرابعة: فصل القرآن عن الزكاة: ----- ۱۰۰
اشارة ----- ۱۰۰
تفنيد هذه الشبهة: ----- ۱۰۰
اشارة ----- ۱۰۰
المطلب الأول تفنيد وحدة المفهوم بين الضريبة و الزكاة ----- ۱۰۰
اشارة ----- ۱۰۰
أولا: الفرضية المالية للضريبة و الزكاة: ----- ۱۰۱
ثانيا: الفرضية العمومية الحكومية للضريبة و الزكاة: ----- ۱۰۱
ثالثا: الفرضية القسرية للضريبة و الزكاة: ----- ۱۰۱
رابعا: الفرضية النهائية للضريبة و الزكاة: ----- ۱۰۲
خامسا: فرضية انتفاء النفع المقابل للضريبة و الزكاة: ----- ۱۰۲
سادسا: فرضية المقدرة التكليفية للضريبة و الزكاة: ----- ۱۰۲
سابعا: فرضية مقتضيات السياسة المالية العامة للدولة. ----- ۱۰۲
المطلب الثانى المفاهيم الذاتية للزكاة ----- ۱۰۳
اشارة ----- ۱۰۳
المفهوم الأوّل: ----- ۱۰۳

المفهوم الثانی: ---- ۱۰۴
المفهوم الثالث: ---- ۱۰۴
المفهوم الرابع: ---- ۱۰۴
المفهوم الخامس: ---- ۱۰۴
المفهوم السادس: ---- ۱۰۴
المطلب الثالث المبررات و النّظریات الذاتیة للزکاة ---- ۱۰۵
اشارة ---- ۱۰۵
أولا: نظریة الاستخلاف ---- ۱۰۵
ثانیا: نظریة التکالیف العامة ---- ۱۰۵
ثالثا: نظریة الإخاء ---- ۱۰۶
رابعا: نظریة التکلیف الاجتماعی ---- ۱۰۶
الباب الثانی عشر شبهات حول صلاحیة القرآن و تفنیدها. ---- ۱۰۶
[الشبهة] ---- ۱۰۷
اشارة ---- ۱۰۷
تفنید هذه الشبهة: ---- ۱۰۷
خاتمة الکتاب ---- ۱۱۳
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۱۳

شبهات حول القرآن و تفنيدها

اشارة

نام كتاب: شبهات حول القرآن و تفنيدها
نويسنده: غازى عناية
موضوع: پاسخ به شبهات قرآنى
تاريخ وفات مؤلف: معاصر
زبان: عربى
تعداد جلد: ۱
ناشر: دار و مكتبة الهلال
مكان چاپ: بيروت
سال چاپ: بى‌تا
نوبت چاپ: بى‌نا
شبهات حول القرآن وتفنيدها
shbhat houl alkra'n wtfnidha
تألیف: عنایه، غازی حسین
الناشر: دار ومکتبة الهلال
النوع: ورقی غلاف فنی، حجم: ۲۴×۱۷،
عدد الصفحات: ۴۴۰ صفحة
الطبعة: ۱
مجلدات: ۱
موضوع: قرآن - دفاعیه ها و ردیه ها = قرآن - تحریف
سال نشر۱۳۷۵ = ۱۹۹۶م.
رده کنگره: BP۸۹/۲ع۹ش۲
زبان‌عربی
نوع‌وزیری
مشخصات ظاهری۴۳۸ ص

مقدمة الكتاب

الحمد للّه لا- إله إلا- هو المتوحد فى الجلال بكمال الجمال تعظيما و تكبيرا، المتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل، و الإجمال تقديرا، و تدبيرا المتعالى بعظمته، و مجده. و صدق رسوله «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» تسليما كثيرا.

بلّغ الرسالة، و أدّى الأمانة و نصح الأمة، و كشف الغمّة، و جاهد فى اللّه حقّ جهاده حتى أتاه اليقين. و سلام على صحابته الميامين، و التابعين بإحسان إلى يوم الدين.

قرآن ربّنا هو موضوع دراستنا أعظم كتاب وجد على ظهر هذه البسيطة، سمت، و تعالت به معجزاته، فجعلته بترتيب سوره، و آياته فى الدنيا هى نفس ترتيبها، و بتمامه فى اللوح المحفوظ، بدء بكلمة الحمد للّه، و انتهاء بكلمة الناس. تجلت معالم عظمته بأن جعلت أول لفظ فيه- و هو الحمد للّه- يتلفظ بها النّاس آخر كلمة فى القرآن؛ تأصيلا لإيمانهم، و تكريسا لشواهد توحيدهم فى الألوهية، و الربوبية، و أسماء اللّه و صفاته. كلمة الحمد للّه أول كلمة فى قرآننا الكريم تتكون من ثمانية

حروف، و الجنة لها ثمانية أبواب، من قال الحمد للّه إيمانا، و احتسابا، دخل الجنة بإذن اللّه من أبوابها الثمانية.

هذا هو قرآن ربنا، معجزة رسولنا، و إعجاز آدميتنا، و هداية بشريتنا، و نور عالمنا، نؤمن بتنزيله، و نصدق بألوهيته، و نتعبد بتلاوته، و نخضع لأحقية نزوله، و ربنا يقول فيه: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ سورة الإسراء آية ۱۰۵. و ربنا يحق الحق، و يثبت أحقية إنزاله على أفضل أنبيائه خير سيد ولد آدم، و لا فخر، و بالتأكيد اللفظى المتكرر، و بالنص المعجز فى بيانه، و بلاغته. و هو يقول فيه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا سورة الإنسان آية ۲۳.

و هذا هو قرآن ربنا الذى فيه يمترون، نحمده تعالى على كمال إنزاله، و تمام نعمائه، و ربنا يقول فيه: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً سورة المائدة آية ۳.

قرآن ربنا موضوع كتابنا هذا تعالت شواهد سموه، و رفعته عن دنايا الآدمية، و أحقاد البشرية من حثالات الكفر، و الشرك؛ تعالت معالم هداياته و كراماته عن أن تنال منه بالتحريف، و التغيير خبائث الشرك من الصليبيين، و الشيوعيين، و ضلالات الكفر من الوثنيين، و الوجوديين، و جهالات الشيطنة من يهود، و صهاينة. و لنا، و للبشرية العقلانية أن نستجدى اللّه دوما على تمام نعمائه، و أن نركع له دوما على إنزاله لهداية قرآنه، و أن نسجد له دوما؛ عرفانا، و ثناء، و حمدا للّه تعالى على عنايته، و تكفل حفظه لنوره، و شفائه، و برهانه، و ذكر قرآنه العظيم مصداق قوله فيه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ سورة الحجر آية ۹.

هذا هو قرآننا، دستور عالم إيماننا، و نظام حياتنا، و معيار سلوكنا، و طريق هدايتنا، و سبيل آخرتنا. تنكرت لمعالمه، و أنظمته، و هداياته، و أنواره ألسنة الباطل فلقته بالطعن، و الدّس، و أفواه الشطأنة؛ فتقوّلت عليه بأخس الكلام، و أقذع السباب. إذ يتلقونه بألسنتهم، و يقولون بأفواههم ما ليس لهم به علم، إلا حقد الضغينة على الإسلام، و مكر

القلوب على المسلمين، لا يجدون مدخلا يدخلونه للطعن فى القرآن و الهدم فى جدار الإيمان إلّا دخلوه. جعلوا من الكفر منطلقا لهم، و من التقوّل على القرآن سلاحا لهم؛ و من الشرك هدفا لهم، و من التثليث مخلصا لهم، و من الإلحاد هداية لهم، و هم بذلك نصبوا من أنفسهم حماة لجاهليتهم، و حراسا لرفاهيتهم؛ و هم بذلك أطلقوا عنان شهواتهم، و رذائل أخلاقياتهم؛ و هم بذلك داسوا على كل فضيلة، و أشبعوا كلّ غريزة، و أحلوا كل حرام، و حرموا كل حلال. و هم بذلك أشهروا أسلحة حقدهم، و صوبوا وسائل قتلهم، و نفثوا سموم عداوتهم اتجاه كل من حال دونهم، و دون رذائلهم، و حتى لو كان إلهاً، حتى و لو كان سماويا ما دام ذلك جاء هاديا لهم. فتطاولوا على رمز الإسلام، دستور السماء فى الإيمان، و لم يرقبوا فيه إلّا و لا ذمة، و لم يرعوا له حقائق سمات إعجازه، و لم يقدروا فضائله، و لم يعقلوا علومه، و مفرداته، و لم يتدبروا سوره، و آياته، و لم يعوا موضوعاته، و عامه و خاصه، و محكمه و متشابهه و مطلقه و مقيده، و مجمله و مبينه، و منطوقه و مفهومه، و وجوه مخاطباته، و تقديمه و تأخيره و أمثاله، و أقسامه، و جدله، و مجازه، و استعاراته، و تمثيله، و كناياته، و مبهماته، و أسماءه، و كناته، و ألقابه، و ناسخه و منسوخه، و آياته، و بياناته، و بلاغته، و فصاحته.

هكذا تعامت عيون الكفر عن سماته فى إعجازه، فلم تر فى القرآن العظيم إلا- قيدا على شهواتهم، و حدا لرفاهياتهم، و منعا لتجاوزاتهم، فكالوا له الشتائم، و السباب، و أحاطوه بالشبهات، و هم لهم، و لن يستطيعوا كسر حصون مناعته، أو هدم أسوار حقائقه فى هدايته حتى لمن عاده من البشر، و قد نقلهم من الظلمات إلى النور، و من الضلال إلى الهداية، و من الشرك إلى التوحيد، و من الكفر إلى الإيمان، و من اليهودية إلى الإسلام، و من الصليبية فى التثليث إلى الوحدانية فى الألوهية، و من الوثنية فى البرهمية إلى الوحدانية فى الربوبية، و من البوذية فى عبادة الأصنام إلى التوحيد فى عبادة اللّه. هذا القرآن العظيم دستور المحبة فى الائتلاف، و المودّة فى التعاون، و الرحمة فى التكافل غيبه دعاة الكفر من

الشيوعيين، و الصليبيين، و اليهود، و دعاة الكفر من المسلمين الذين لا ينتسبون إلى الإسلام إلا اسما، أو بشهادة الازدياد، و قد تناسوا أن فى قرآنهم المخرج من متاهاتهم، و ضلالاتهم، و فتنهم.

و كما قال رسولنا المصطفى «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»: «تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسكتم بهما: كتاب اللّه، و سنّة نبيّه» رواه الإمام مالك، و أبو داود.

و قد تناسى دعاة الشطأنة قرآن ربنا مخرجهم من فتنهم، و فتنتهم، و هديهم إلى الصراط المستقيم. و كما

قال حبيبنا المصطفى «صلوات اللّه عليه و سلم»، و فيما رواه الترمذى، و الدارمى، و غيرهما من طريق الحارث الأعور عن على بن أبى طالب قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «ستكون فتن، قلت: فما المخرج منها يا رسول اللّه؟ قال: كتاب اللّه؛ فيه نبأ ما قبلكم، و خبر ما بعدكم، و حكم ما بينكم، و هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار، قصمه اللّه، و من ابتغى الهدى فى غيره أضله اللّه؛ و هو حبل اللّه المتين، و هو الذكر الحكيم، و هو الصراط المستقيم، و هو الذى لا- تزيغ به الأهواء، و لا- تلتبس به الألسنة، و لا تشبع منه العلماء، و لا يخلق على كثرة الرد، و لا تنقضى عجائبه. من قال به، صدق، و من عمل به، أجر، و من حكم به، عدل، و من دعا إليه، هدى إلى صراط مستقيم».

لقد تعدّى بابوات، و أهل، و قساوسة التثليث من الصليبيين، و أحبار الحقد، و السباب من يهود، و فلاسفة المتع، و الرذائل من الوجوديين، و أساتذة المادة من الملحدين على حكم القرآن، و تنكروا لمعارفه و علومه. و هم يعلمون، و لا يعلمون أنهم يتعدّون على شرف أقدس الكتب السماوية، و قد جمع علومها، و أنهم يتطاولون على شرف كتاب المعرفة، و الحكمة، و قد خصها اللّه تعالى لدارسى قرآنه، و العاملين بأحكامه، و العارفين لعلومه. قال تعالى: يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً سورة البقرة آية ۲۶۹.

أخرج ابن أبى حاتم، و غيره من طريق ابن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى: يُؤْتِى الْحِكْمَةَ قال: المعرفة بالقرآن: ناسخه و منسوخه، و محكمه و متشابهه، و مقدمه و مؤخره، و حلاله و حرامه، و أمثاله.

و هكذا تكاثفت أيدى الشر من أهل الكفر، و الشرك قديما، و حديثا، للطعن فى القرآن و من نزل عليه القرآن، يجمعهم هدف اللغو فى القرآن. مصداق قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ سورة فصلت آية ۲۶. و يوحدهم فى ضغائنهم جحود الكفر بآيات اللّه مصداق قوله تعالى: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ الأنعام آية ۳۳.

قال ابن عباس: «كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يسمى الأمين، فعرفوا أنه لا يكذب فى شى»، و لكنهم كانوا يجحدون، فكان أبو جهل يقول: ما نكذبك يا محمد، و إنك عندنا لمصدق، و إنما نكذب ما جئتنا به».

و هكذا رفضوا إلّا أن يعيشوا فى متاهات ضلالاتهم، و سراديب ظلماتهم، فعميت بصائرهم قبل أبصارهم عن حقائق كتاب اللّه النورانية، قتل الإنسان ما أكفره. و قتل أبو لهب، و هو يقول للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»: لا أقول لك إنّك كاذب، و إنما ما جئت به باطل. و هكذا تمادوا فى افتراءاتهم، و شبهاتهم، و أحاطوا بها سمات الإعجاز القرآنى، و النبوى ظلما و علوا، و هكذا رفعوا معاول الهدم الشيطانية، و تمادوا فى حملات النيل من القرآن، و حملات التشهير بمن نزل عليه القرآن، و بشكل ممتد، و على امتداد عصور التاريخ منذ فجر الإسلام. فقالوا عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»:

إنّه ساحر مصداق قوله تعالى: قالَ الْكافِرُونَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ مُبِينٌ سورة يونس آية ۲. و قالوا عن القرآن: إن هو إلا سحر يؤثر، و إن هو إلا قول بشر. مصداق قوله تعالى: فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (۲۴) إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سورة المدثر الآيتان ۲۴- ۲۵. و لكن اللّه قد زعمهم، و أنذرهم بالعذاب الأليم، و الشراب الحميم إن لم ينتهوا، و يرعووا، و أتى للكافرين أن ينتهوا، و أتى للمشركين أن يرعووا. قال تعالى: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ سورة يونس آية ۴. و قالوا عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»: إنه شاعر، و ما القرآن إلّا من خيالات شعره، و سبحات أفكاره. مصداق قوله تعالى: بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ

كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ سورة الأنبياء آية ۵. و لكن اللّه أنكر عليهم زعمهم، و أبطل شبهتهم، ففى عنه، و عن قرآنه صفة الشعر، فقال تعالى: وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ سورة الحاقة آية ۴۱. و قالوا عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»: إنه لمجنون، و ما القرآن إلا شطحات جنونه. مصداق قوله تعالى: ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ قالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ سورة الدخان آية ۱۴. و لكن اللّه أنكر عليهم افتراءهم، و نفى عنه صفة الجنون، و من اصدق من اللّه قولا، و من أصدق من حديث اللّه نفيا. قال تعالى: وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ سورة التكوير آية ۲۲. و قالوا عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»: إنه كاهن، و ما القرآن إلّا من ترانيم كهونته، و طقوس أفكاره. و لكن اللّه أبطل شبهتهم، و أثبت أحقية تنزيله لقرآنه. و أنه من رب العالمين. قال تعالى: وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ (۴۲) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ سورة الحاقة الآيتان ۴۲- ۴۳. و قالوا عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»: إنّه كذّاب، و ما القرآن إلا من سحرات كذبه. مصداق قوله تعالى: وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ سورة «ص» آية ۴. و لكن اللّه تعالى لم يغفل كذبهم، و أثبت شكهم، و ظنهم، فأذاقهم العذاب. قال تعالى: بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْ ذِكْرِى بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ سورة «ص» آية ۸. و قالوا عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»: إنّه شاعر مجنون. و ما القرآن إلّا من شعر جنونه، و خيالات شعره. مصداق قوله تعالى: وَ يَقُولُونَ آ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ سورة الصافات آية ۳۶. و لكن اللّه أبطل قولهم، و أكد صدق رسوله، و أحقية قرآنه. قال تعالى: بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ سورة الصافات آية ۳۷. و قالوا عن الرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلّم»: إنّه منقول، و ناقل للقرآن من غيره، و ما القرآن إلّا أساطير الأولين. مصداق قوله تعالى: وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا سورة الفرقان آية ۵. و لكن اللّه أبطل شبهتهم، و ثبت إنزاله من عنده. قال تعالى: قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً سورة الفرقان آية ۶. و هكذا جاء الرد الإلهى، و فى كل مرة مفندا لمزاعمهم، و مبطلا لشبهاتهم، مفحما لهم متحديهم أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين. فقد صدق تعالى، و هو يقول: الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلى وُجُوهِهِمْ

إِلى جَهَنَّمَ أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضَلُّ سَبِيلًا سورة الطور آية ۳۴. و لكن هل فعلوا قديما، و قد أعجزهم؟ و هل فعلوا حديثا، و قد أفحمهم؟ و لكن أما آن للكفر أن ينتهى عن تقولاته؟ و أما آن للشرك أن يقلع عن تفوهاته؟ و أما آن للصليبية، و اليهودية أن تعلما أن هذا القرآن المعجز فى بيانه، و علومه، و آياته، و حقائقه ما كان ليفترى من دون اللّه، و قد أخبرهم اللّه بهذه الحقيقة إذ يقول: وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ سورة يونس آية ۳۷.

و هكذا، و إن لم يقلع أهل الكفر، و الشرك عن تقولاتهم على القرآن، و على الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» و اللّه تعالى أكد عصمة قرآنه من أن ينالوا منه، و هم فى إصرارهم فى أباطيلهم، و شبهاتهم، فليحذروا من عذاب ربهم، و ليعلموا أن اللّه أعدّ لهم نارا وقودها الناس، و الحجارة. مصداق قوله تعالى: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ سورة البقرة آية ۲۴. و لكن- و الكفر عناد- ويكأن أهل الكفر أبوا بعداوتهم لخالقهم، و رسوله، و قرآنه إلا أن يجعلوا من أنفسهم وقودا لنار جهنم. و يا عجبا لأهل الشرك، و هم يصرون على كفرهم، و يا عجبا لهم، و قد جعلوا أصابعهم فى آذانهم، و استغشوا ثيابهم، و أصروا على كفرهم، و شركهم، و استكبروا استكبارا. و هكذا يتابع مسلسل الكفر و الشرك حلقاته تتقاسم أدوار البطولة فيها عناصر الكفر الغربية، و اليهودية، و أتباع إلحاد الشيوعية، و الوجودية، و عباد أصنام الوثنية تجمعهم شواهد وحدة الهدف فى مهاجمتهم للإسلام، و الطعن فى المسلمين، و اللّغو فى القرآن، و الشتم للرسول «صلى اللّه عليه و آله و سلّم». لا يردعهم عن غيهم رادع، و لا يؤنبهم على طعنهم ضمير. و قد جمعهم شمل الكفر، فكانوا فى عدائهم للّه و كتابه، و رسوله أولياء بعض. فصدق قول ربنا فيهم: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ سورة الأنفال آية ۷۳ و بعد أن منّ اللّه عليهم بنعمه، و سخّر لهم الكون بعطائه، و يسّر لهم العلم بتوفيقه، و رأوا بأدواته، و وسائله آيات ربهم، ازدادوا بعدا عن إلههم، و طعنا فى آياته، و تطاولا على معجزاته. فإننا نراهم اليوم قد أحكموا حلقات مسلسل طعنهم،

و مهاجمتهم للقرآن الكريم، آية ربهم الخالدة. و هم و بعد أن أبطل اللّه شبهاتهم حول سحر و كهنوت القرآن، و شعر، و جنون من نزل عليه القرآن نراهم قد ازدادوا شراسة فى عدائهم، و طعنهم، و قذفهم فى رموز الإسلام الخالدة. و أدخلوا أنفسهم فى متاهات القحة، و الضلالة، و ميادين البذاءة، و الدنايا، و كالوا الشتم، و السب، و القدح من غير أى تورع. و برعوا فى إنتاج أفكار الطعن و القذف، و تفننوا فى اختراع أساليب الهدم، و أبدعوا فى استعمال أخبث وسائل الإعلام من صحف، و كتب، و إذاعات، و تلفزيونات فى النيل من القرآن. و العجب فى الأمر أنهم فى كلّ ذلك أجبن من أن يقابلوا الفكر بالفكر، أو الحجة بالحجة. و أنهم عند ما أعيتهم حقائق الحقّ، و ألوهية التنزيل أصروا على عنادهم فى الكفر، و احتكموا إلى شياطينهم، و تحصنوا من وراء جدر الجبن، و الخبث، و الدناءة، و فحش القول؛ و أسندوا أداء أدوار البطولة فى مسلسلات الحقد، و الشتم، و الطعن إلى نفر من أمّة العرب، أمة الإسلام لا ينتسبون إليه إلّا اسما، أو بشهادة الميلاد، شهادة الازدياد. و جعلوا منهم أبواقا يرددون أقاويلهم، و شبهاتهم حول القرآن معجزة رسولنا الخالدة، و مقابل قليل من فتات المال، و الشهرة الزائفة يلتقطونها يإذلال من على موائد لئامهم الكفّار. و هذه شيمة الكفار فى مهاجمتهم للإسلام، و هذه أساليبهم فى الطعن فى القرآن طيلة عهود الزمان. فهم دوما يتطلقون من فراغ الحقيقة، و نبذ الهداية، و فقر الدلالة؛ و أدلتهم أن لا أدلة لهم إلا كفر العناد، و قفل الأذهان، و حقد قلوب الشرك على نورانية التوحيد، و ضغينة عقول الكفر على هدايات الإيمان؛ أو يهاجمون رموز الإسلام من وراء جدار.

و إننا نراهم اليوم يدفعون بأحد شياطينهم إلى ميدان القحة، و البذاءة.

و هو سلمان رشدى، و الذى أخلص لهم فى ترديد شبههم عن القرآن، و نبى القرآن؛ شبه الشتم، و القذف، و السب. فهو يؤلف كتاب آيات شيطانية، و يهاجم فيه رموز الإسلام، و يوسعها الطعن، و السباب. فهو يصف القرآن بأنه آيات شيطانية أملاها الشيطان على لسان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»، و هو يتهمه

بالهلوسة، و بأنه نبى الجاهلية، و يصف بيوت أزواجه بأمكنة الدعارة، و الصحابة بأنهم سكارى، و أن سلمان الفارسى كان غشاشا، و أنّ الكعبة بيت الجاهلية. و هو يبرر كل ذلك بأنّها محاولة جديدة لفهم الدين.

و أسياده الصليبيون، و اليهود يعذرون قباحته، و بذاءته، بأن ذلك من معالم الحرية الفكرية التى يجب أن يتمتع بها الجميع. و هم بأساليبهم الوقحة فى كيل الشتائم، و السباب، يلقون بأسلحتهم فى ميدان مقارعة الفكر بالفكر، و تتكشف خططهم أمام قوة نور إعجاز القرآن. و إزاء فشل محاولاتهم لإلغاء القرآن تراهم يستعينون ببعض حثالات البشر من المفكرين الذين هانت عليهم أنفسهم، و تنكروا

لدينهم، و أمتهم و هم الذين يعرفون بالعلمانيين، و يمدونهم بقمامات الفكر يشوهون بها أصالة القرآن الكريم.

فمرة ينادى هؤلاء العلمانيون بإلغاء لغة القرآن لغة الفصاحة، و البلاغة و البيان، و استبدالها باللغة العامية المحكيّة. و مرة ينادون بإلغاء ديانة الإسلام، و مرة ينادون بفصل القرآن عن الحياة، و مرة ينادون بفصل القرآن عن الدولة، و مرة ينادون بفصل القرآن عن السياسة، و مرة ينادون بفصل القرآن عن أركان الإسلام كالزكاة .. و هكذا.

فهذا عميد العلمانيين يوسف الخال- تشومبى الثقافة العربية- يجاهر بإلغاء لغة القرآن، و إلغاء ديانة الإسلام. فهو يكتب فى كتابه:

«دفاتر الأيام» و فى الصفحة ۱۰۶ أن اللغة العربية ميتة، و يدعو إلى:

الإقلاع عن استعمال اللغة الميتة. و يقول بالحرف الواحد: «و إنّنا شعوب لا لغة حيّة مكتوب لها، إذن لا أدب لنا و لها، و إذن لا قراء فيها، و لو لا اعتمادنا على معرفة اللغات الأجنبية، لكنا أيضا بدون ثقافة». و تراه يهاجم أهل اللغة العربية فى الصفحة ۱۳۹ و يقول بالحرف الواحد: «هؤلاء الموروبون الناعقون كالبوم، الجاثمون على صدورنا كالغربان، العاملون أنفسهم أتلجنسيس «۱» القومية العربية».

---

(۱) حسب ورودها فى كتاب يوسف الخال.

و فى الصفحة الحادية و الثلاثين يدعو العرب إلى تغيير دينهم، فهو يقول: «إذا كانت النظرة إلى الكون، و الحياة، و الفن هى ما نسميه الدين، و إذا كان لنا بعد هذا السقوط الذى حل بنا منذ ألف سنة أن ننهض من جديد، فعلينا أن ننقد نظرتنا الحاضرة، و نتبنى تعديلا لها، أو بدلا منها». و يذكر فى كتابه و فى أكثر من موقع- أنّه لا يعرف اللّه إلا بشخص السيد المسيح-. و هذا فارس الشرك «سلامة موسى» يجاهر بمعاداة الإسلام. فهو يذكر فى كتابه «اليوم و الغد» و بالحرف الواحد: «إنّ الرابطة الدينية وقاحة، و إننا أبناء القرن العشرين أكثر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا، و نحن فى حاجة إلى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان، و حكومة برلمانية كما هى فى أوروبا، و يحب معاقبة كل من يحاول أن يجعلها مثل حكومة هارون الرشيد، أو المأمون. و هذا مذهبى طول حياتى سرا، و جهرا، فأنا كافر بالشرق، و مؤمن بالغرب».

و هذا هو أحدهم و هو شاعر العربية يطعن فى رموز الإسلام بثوابته، و متغيراته. و هذا هو، و غيره كثير ممن يتزعم مدرسة استبدال لغة القرآن بلغة العوالم الدراجة. هذا نزار قبانى شاعر الجنس يعرى المرأة المسلمة فى شعره من تاج حيائها.

و هذا كاتب ياسين عميل الإلحاد فى المغرب المسلم يصف المؤذنين المسلمين بأنّهم كلاب الدوار. و يصف صومعة المسجد بالصاروخ الذى لا ينطلق (العدد ۷۷ من مجلة جزائر الأحداث يوم ۹ إبريل ۱۹۶۷ م). هذا بوق العلمانية الطبيب النفسى «فؤاد زكريا» يهاجم الشريعة الإسلامية فى كتابه: «الحقيقة و الوهم» و يقول بالحرف الواحد:

«أما التجارب التاريخية للإسلام فلم تكن إلا سلسلة طويلة من الفشل؛ و الاستبداد كان القاعدة، و الظلم هو أساس الحكم، و إن شخصية عمر بن الخطاب فذة فريدة لن تتكرر. و إنّ الانتشار الواسع للاتجاهات الإسلامية بشكلها الراهن إنّما هو مظهر صارخ من مظاهر نقص الوعى لدى الجماهير». و هذا متحذلق العلمانية «محمد أحمد خلف اللّه» يطعن فى

الإسلام و اللغة العربية بطريقته، فهو يصف اللّه بأنه عربى. و يقول فى مقالة له فى مجلة العربى عدد يونيو سنة ۱۹۸۴ ص ۴۳ و بالحرف الواحد:

«إن القرآن الكريم لم يجعل النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» ملكا، أو رئيس دولة. و إنما ظل دائما النبى الرسول» قاصدا بذلك، و عن سوء نيّة عدم ضرورة قيام الدولة الإسلامية، و عدم صلاحية القرآن، و الشريعة الإسلامية للحكم. و تقدم الصليبية بوقا آخر هو المطران «أغناطوس مبارك»، و الذى أبان عن حقده على المسلمين، و تحالفه مع الصهيونيين حيث يكتب فى جريدة «بالستاين بوست» فى السادس و العشرين من مارس سنة ۱۹۴۶ م بالحرف الواحد:

«إننا ندرك أن الصهيونية تأتى بالتمدن لفلسطين، و الشرق الأوسط كله، و إنى متحمس جدا للصهيونية، لأنى أحب الخير لفلسطين. و إذا أحببتم أن تماشوا رغبات العرب المسلمين، فهؤلاء يرغبون فى السيطرة على البلاد، و طرد المسيحيين منها، و إنّى أقول لكم بصراحة: إنّكم إذا قاومتم الصهيونية فى فلسطين، فإن ذلك يعنى إرجاع الشعب إلى حكم الهمجية، و إرجاع البلاد إلى حكم الفوضى، و البرطيل كما كانت أيام حكم سلاطين بنى عثمان».

و هكذا تكاتفت شياطين كفر الصليبية مع كفر اليهودية فى عدائهم للإسلام، و طيلة عهود التاريخ، و لذلك حذّرنا اللّه منهم إذ يقول فيهم:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ سورة المائدة آية ۵۱.

و لا عجب إذن- و هذه شيمهم دوما- أن يكيلوا التهم للإسلام، و يطعنوا فى القرآن، و يشتموا نبى القرآن، و أن يتفننوا فى اختراع الشبهات حول رموز الإسلام، و أن يستخدموا أحط، و أقذر وسائل الهجوم حتى و لو كانت سخف قول، أو بذاءة لسان، أو لغط كلام كما نشاهد اليوم من سب، و شتم، و قدح لا مبرر لهم فى كل ذلك إلّا الادعاء بحريّة الفكر و التعبير، و لا هدف لهم إلا القضاء على القرآن سر عظمة الإسلام و المسلمين. و لا حجة لهم إلا أنه دعاهم إلى الإيمان، و الإسلام، و أراد نقلهم من ظلمات التثليث، و الكفر إلى نور الهداية، و التوحيد. و إزاء

هجماتهم الشرسة هذه قمت بإعداد هذه الدراسة المتواضعة عن عدد من شبهاتهم الباطلة حول القرآن الكريم، و قمت بتفنيدها بالأدلة القاطعة، و البراهين الساطعة لا. أقصد بذلك الدفاع عن القرآن؛ فأصالته الألوهية، و أحقيته الربوبية تغنيه عن أى دفاع، و ما هذه الدراسة إلا كشف لطيف لهذه الأصالة، و تفنيد لشبهات حوله بلغت أربعا و سبعين شبهة.

و قد جعلت عنوان هذه الدراسة فى هذا الكتاب: «شبهات حول القرآن، و تفنيدها» و قد ضمنتها اثنى عشر بابا. و إنّى لأرجو أن تكون بيانا شافيا لشبهات الباطل، و قدرا موفقا فى تفنيدها، و الرد عليها. و أن تكون عونا لأهل العلم، و الإيمان فى دفاعهم عن قرآنهم.

و إنّى لأدعو اللّه أن يغفر لى تقصيرى، و أخطائى. و إنى لأرجو اللّه أن أكون قد وفّقت، و أن يوفقنى دائما فى نصرة دينه، و الدفاع عن قرآنه، و تفنيد الشّبه من حوله.

اللهم نسألك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، و نور صدورنا، و جلاء أحزاننا، و ذهاب همومنا، و غمومنا. اللهم اجعله حجة لنا لا حجة علينا، و حجة على أعدائك لا حجة لهم.

اللهم اجعلنا ممن يحل حلاله، و يحرم حرامه، و يقيم حدوده، و يعمل بأحكامه. اللهم اجعلنا من أهل القرآن المدافعين عن القرآن، المفنّدين لشبه الكفار حول القرآن. يا أرحم الراحمين.

قال عزّ من قائل: وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ سورة سبأ آية ۳۸.

المؤلف الأستاذ الدكتور غازى عناية ۱۴۱۶ ه- ۱۹۹۶ م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

قسنطينة- الجزائر.

الباب الأول شبهات حول الوحى بالقرآن، و تفنيدها «۱»

الشبهة الأولى:

اشارة

إن القرآن من تأليف محمد. صاغه بأسلوبه، و عبّر عنه ببيانه، و نقحه ببلاغته، و زخرفه بتهيؤاته، و دعمه بمعجزاته، ثم نسبه إلى خالقه، و ادعى أنّه وحيه؛ ليكسبه هالة قدسية، جذبا لاحترام، و ثقة النّاس فيه، ليصبوا به إلى مآربه الدنيوية فى التسلط، و السيادة، و الحكم، و الزعامة.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إذا كان القرآن من تأليف محمد، فحديثه الأضعف منه بلاغة، و فصاحة، و بيانا، يكذب ذلك. و لكان الأولى ألّا ينسب لنفسه حديثا، و أن يجعل كل كلامه قرآنا. فالتمايز بين القرآن، و الحديث النبوىّ

---

(۱) انظر فى مثل هذه الشبهة: دكتور غازى عناية: كتاب: هدى الفرقان فى علوم القرآن. ج ۱ ص ۶۵ و ما بعدها.

على درجة من الشدة، و الوضوح، بحيث لا يخفى على أحد، و على الأخص على فطاحل اللغة العربية. فالقرآن فى أسلوبه، و نمطه، و بيانه و تناسقه، و خصائصه الأخرى تجعله فريدا فى نوعه، مميزا عن كلام البشر؛ حيث جاء معجزا، متحدى به، لم يستطع أحد أن

يعارضه، أو يقلده، أو يضاهيه، أو يعيبه، أو يأتى بمثله، أو حتى يحرّفه. أمّا الحديث النبوى- و إن بلغ الضرورة فى فصاحته، و بيانه- فقد تناولته ألسنة المعارضة، و التقليد، و التحريف، فهو لم يجئ معجزا، و لم يتحد به؛ و لذا فقد مسته شواهد التحريف، فكان منه الحديث الصحيح، و الحسن، و الضعيف، و الموضوع. و أما ادعاء أعداء الإسلام أن لكلام محمد ضربين: الأول: و هو أن القرآن جاء به على انتظار، و تمهل، و ترتيب، و تحضير، فأكسبه مزيدا من التهذيب، و التنميق، و التحبير. و الثانى: و هو الحديث النبوى، فعبر عنه دون تريث، أو تفكير، أو تمهل، فجاء محررا من كل تنميق، أو تحبير. و يردّ عليهم: بأن هذا الادعاء يفقد كل أساس مسوغ لصحته. فالقرآن الكريم نزل معظمه مفاجأة، و على غير انتظار، أو تمهل، أو تريث، فجاء منمقا، مهذبا، ساميا فى لغته، و أسلوبه، و إعجازه. و نفس الشىء بالنسبة للحديث النبوى: فمنه ما جاء على انتظار، و تمهل و تريث، و منه ما جاء على غير ذلك، و مع ذلك فكلاهما ورد بنفس الأسلوب، و النمط، و الخصائص. و قلما نجد تفاوتا بينهما، و إنما يبقى التفاوت واضحا بين القرآن، و الحديث فى الأسلوب، و النمط، و البيان، و الخصائص؛ و يبقى بينهما كالتفاوت بين مقدور الخالق، و مقدور المخلوق لا يقلل من هذا التفاوت زعم، أو باطل، أو ادعاء، و إلى قيام الساعة.

ثانيا: إن القرآن الكريم لو كان من تأليف محمد، لكان قد نسبه إلى نفسه، و لادعى الألوهية فضلا على النبوة؛ فيحيطه بهالة أكثر قدسية؛ فيكسب مزيدا من ثقة الناس فيه، فتزيد قداسته فيهم، و بالتالى تتقوى زعامته فيهم، و يشتد تسلطه عليهم. فلو كان القرآن من تأليف محمد لكان الأولى ألا يفرق بينه و بين الحديث؛ و لا ينتظر أن ينسبه غيره إليه،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۳

و لكن كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً فالموكد تماما حتى عند أدعياء الكفر أنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» لم يدع جاها، و لا زعامة، و لا دنيا، و هو الذى

قال لأعرابى عند ما هالته عظمة النبوة: «هوّن عليك؛ فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة».

و من الثابت أيضا حتى بالنسبة لأدعياء الكفر أنّه لم يدّع كتابا، أو علما من عنده، و ما هذه الشبهات إلّا من قبيل الكفر، و الكفر عناد. و الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» هو الذى قال فيه ربه فى سورة العنكبوت: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ آية ۴۸.

ثالثا: إنّ القرآن الكريم لو كان من تأليف محمد لاستطاع أئمة الفصاحة، و البلاغة، و البيان من العرب أن يكتشفوا ذلك، و كان سهلا عليهم، فيدحضوا به زعم محمد أن القرآن يوحى إليه من عند اللّه من جهة، و يقلدونه- و هم قد عجزوا عن ذلك- من جهة أخرى. فالقرآن الكريم- و هم أهل الفصاحة، و البيان- أعجزهم فى لغتهم، و غزاهم فى عقر بلاغتهم، و تحداهم، و بأطلق لسان فيهم، و أعرب لغة بينهم، أن يجاروه، و لو بأقصر سورة منه تتكون من ثلاث آيات، و هى سورة الكوثر، و لكن هل استطاعوا؟ ... قال تعالى: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ سورة البقرة آية ۲۳ و قال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ سورة يونس آية ۳۸. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ سورة الطور آية ۳۴. و لكن هل استطاع هؤلاء العرب- و هم أصحاب الصناعة البيانية، و البلاغية الفائقة- أن يجاروا هذا القرآن، أو يعارضوه، أو يقلدوه؟ ... و هل قبلوا التحدى، و هم ملاك النّباهة، و الحسّ و الذوق الأدبى الرفيع؟ الجواب على ذلك أبدا: فقد عجزت أقلامهم، و خرست ألسنتهم، و سقطت شبهاتهم، و فَنّدت ادعاءاتهم، فهم المتقولون مصداق قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ سورة الطور آية ۳۳. و هم الخراصون، مصداق قوله تعالى:

إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ سورة الزخرف آية ۲۰. و قوله تعالى: قُتِلَ

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۴

الْخَرّاصُونَ سورة الذاريات آية ۱۰. و هم المجادلون مصداق قوله تعالى:

وَ يُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَ سورة الكهف آية ۵۶.

رابعا: إن القرآن الكريم لو كان من تأليف محمد، لكان أسرع الناس فى الرد على من حاجّه فى ادعائه، أو افترى على زعمه، أو اعتدى على حرماته. فهذه قصة الإفك التى نالت من شرف زوجته عائشة، و من كرم نبوته، فقد تأخر نزول الوحى بالقرآن تبرئة لها حوالى الشهر ذاق هو، و زوجته الأمرين طيلة هذه المدة، فلو كان القرآن من تأليفه، فما الذى يمنعه من الرد السريع القاطع لألسنة المتقولين فى شرفه؟ ... و لكن، و أنّى لرسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أن يتقول على اللّه، أو يتقول على الناس و إن فعل- و حاشا للّه أن يفعل- فحكمه إلى اللّه مصداق قوله تعالى: وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ (۴۴) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (۴۵) ثُمَ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ (۴۶) فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ سورة الحاقة الآيات ۴۴- ۴۷.

و هذه قصة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، حيث صلّى الرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم، و صحابته حوالى ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس بقى طيلة هذه المدة يقلب وجهه فى السماء راجيا من اللّه تعالى أن يحوّل القبلة إلى المسجد الحرام بمكة، فاستجاب له، مصداق قوله تعالى: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ سورة البقرة آية ۱۴۴. فلو كان القرآن من تأليفه فما الذى منعه من تحويلها- أى القبلة- من أول الأمر!!.

و هذه قصة أصحاب الكهف، و الذين سئل عنهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم، فأبطأ عليه الوحى حوالى مدة أربعين يوما بقى طيلتها فى حرج من يهود حيث سألوه عنهم، فلو كان القرآن من عنده فما الذى يمنعه من سرعة الرد عليهم؟!!.

خامسا: إنّ القرآن الكريم لو كان من تأليف محمد، فكيف نفسر عتاب اللّه له فى القرآن، و فى أكثر من موضع؟!! فهذا عتاب اللّه له فى

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۵

قبوله لأعذار المنافقين، و إذنه لهم بالتخلف عن غزوة تبوك، مصداق قوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتّى يَتَبَيَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكاذِبِينَ سورة التوبة آية ۴۳. فمن خلل الرأى، و فساد العزيمة، و نقص الادعاء أن يعتب مدع، أو صاحب فرية على نفسه، و بقوله الذى يدعيه. و لو صحت دعوى نسبة القرآن لنفسه، لما عاتب نفسه، و لما خطأ رأيه؛ لأنّ هذا من قبيل التناقض الذى يتحاشاه أصحاب الافتراءات، و الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كان أحوج إلى ادعاء الصحة فى أقواله و تصرفاته؛ جذبا للناس حوله، و لاعتناق قرآنه، و ليس تنفيرهم، و ليس بأن يناقض نفسه، و أن يعيب كتابه. إذن فلو كان القرآن من عنده لما كانت هناك ضرورات لأن يعاتب نفسه أكثر من مرة. و أيضا هذا عتاب اللّه له فى قبوله الفداء من أسرى بدر، مصداق قوله تعالى: ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيا وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۶۷) لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ سورة الأنفال آية ۶۷- ۶۸. فمن شطحات الأفكار، و تجنب الصواب أن يعتب صاحب فرية على نفسه فى تصرف سلكه، أو فى رأى أبداه، أو فى حكم قرره، و أن يخطئ نفسه، و ينذرها بالعذاب العظيم، و من غيره. و أيضا هذا عتاب اللّه له فى تولّيه عن أعمى هو عبد اللّه بن أم مكتوم جاءه يسأله عن دينه، فتولّى عنه اهتماما بأكابر من قريش كان يرجو أن يهديهم اللّه إلى الإسلام، و هم له كارهون، مصداق قوله تعالى:

عَبَسَ وَ تَوَلّى (۱) أَنْ جاءَهُ الْأَعْمى (۲) وَ ما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكّى (۳) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى (۴) أَمّا مَنِ اسْتَغْنى (۵) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّى (۶) وَ ما عَلَيْكَ أَلّا يَزَكّى (۷) وَ أَمّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى (۸) وَ هُوَ يَخْشى (۹) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّى (۱۰) كَلّا إِنَّها تَذْكِرَةٌ سورة عبس آية ۱- ۱۱.

الشبهة الثانية:

اشارة

إن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أخذ، و تعلم القرآن من أناس من البشر. فمرة ينسبون علم الرسول القرآنى إلى راهب نصرانى هو بحيرا، و مرة إلى غلام رومى يعمل قينا فى مكة، و مرة إلى ناسك مكى هو ورقة بن نوفل.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۶

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: فبالنسبة للراهب النصرانى «بحيرا»: فيكفينا الرد بالقول:

بأن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» لم يقابله إلا مرة واحدة فى حياته، و عمره اثنتا عشرة سنة، و مع عمه أبى طالب عند ما صحبه فى تجارة له إلى بصرى فى بلاد الشام؛ و كان ذلك فى فترة قصيرة جدا يستحيل معها أن يأخذ منه ما نسب إليه من علم، و من الثابت يقينا أنه لم يأخذ عنه شيئا من العلوم، فضلا عن أنّ «بحيرا» عاجز فى عقله، و علمه عن الإحاطة بأقل القليل من العلوم التى جاء بها القرآن؛ و كل ما هنالك، و تؤيده الروايات أن الراهب بحيرا تنبأ للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بالشأن العظيم، و هى النبوة التى شاهد أماراتها فيه. حيث قال «بحيرا» لأبى طالب: إنّ هذا الغلام سيكون له شأن عظيم، و حذره من يهود. و هذه القصة حجة للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» فى نبوته، و ليست حجة عليه؛ و إنما هى حجة على من افتراها بأنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أخذ القرآن من بحيرا.

ثانيا: و أمّا بالنسبة للغلام الرومى، فيكفينا الرد بالقول: بأنّه كان أعجميا، و غير ملم بالعربية، و كان حدادا فى مكة، و ليس له شأن بعلم العربية، أو تعلمها، فكيف يقبل العقل ادعاءهم بأنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» تعلم القرآن منه؟!! و قد تحدّى القرآن مزاعمهم،

و ادعاءاتهم بقوله تعالى: وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ سورة النحل آية ۱۰۳.

ثالثا: و أما بالنسبة للناسك المكي ورقة بن نوفل: فيكفينا الرد بالقول: بأنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» لم تكن له العلاقة الوثيقة بذلك الناسك، و لم يقابله إلّا بعد نزول الوحي عليه، حيث صحبته خديجة إليه، فشهد له ورقة بدلا من أن يعلمه،

فقال ورقة: هذا هو الناموس الذي أنزله اللّه على موسى؛ ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. قال: أو مخرجي هم؟! قال: نعم! لم يأت أحد قط بمثل ما جئت به إلا أوذي، و إن يدركني

يومك، أنصرك نصرا مؤزرا.

و يكفينا الرد بالقول أيضا بأنّ ورقة بن نوفل و لو أنه كان حنيفيا على دين إبراهيم إلّا أنّه، و من الثابت أنّه كان لا يملك العلم، و المعرفة التي جاء بها القرآن، و كما ورد في الرواية: ثم لم يلبث ورقة أن مات بعد المقابلة بفترة قصيرة.

الشبهة الثالثة:

اشارة

إنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» شاعر، أو ساحر، أو مجنون، أو كاهن. قالوا:

إنّه شاعر، و ما القرآن إلّا من خيالات شعره، و سبحات فكره مصداق قوله تعالى: بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ سورة الأنبياء آية ۵. و قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ سورة الطور آية ۳۰. و جاء الرد الإلهي مفندا لزعمهم، منكرا عليهم ادعاءهم، و من أصدق من اللّه حديثا، قال تعالى: وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ سورة الحاقة آية ۴۱. قالوا: إنّه ساحر، و ما القرآن إلّا سحر يؤثر، مصداق قوله تعالى: قالَ الْكافِرُونَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ مُبِينٌ سورة يونس آية ۲. و قوله تعالى: وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ سورة القمر آية ۲.

و قوله تعالى: فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (۲۴) إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سورة المدثر آية ۲۴- ۲۵. و جاء الرد الإلهي مفندا لزعمهم منذرا لهم بالعذاب الأليم، و الشراب الحميم، قال تعالى: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ سورة يونس آية ۴. و جاء الرد الإلهي أيضا بالتولي عنهم: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلى شَيْءٍ نُكُرٍ سورة القمر آية ۶. و جاء الرد الإلهي أيضا بصليانهم سقر. قال تعالى: سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (۲۶) وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ (۲۷) لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ (۲۸) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ سورة المدثر آيات ۲۶- ۲۹. قالوا: إنّه مجنون، و ما القرآن إلا من شطحات جنونه، و فلتات شذوذه، مصداق قوله تعالى: ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ قالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ سورة الدخان آية ۱۴. و قوله تعالى: وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ سورة القلم آية ۵۱. و جاء الرد الإلهي مدحضا لافترائهم مرة مشفوعا بالقسم في قوله تعالى: ن

وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ (۱) ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ سورة القلم الآيتان ۱- ۲ و مرة بأنهم للحق كارهون في قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ سورة المؤمنون آية ۷۰. و مرة بالنفي القاطع لصفة الجنون عنه في قوله تعالى: وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ سورة التكوير آية ۲۲. قالوا: إنه كاهن، و ما القرآن إلّا من طقوس خيالاته، و بنات أفكاره، و قدسيات كهونته. و جاء الرد الإلهي بالتذكير بأنّه ليس بكاهن، و أن القرآن تنزيل من رب العالمين في قوله تعالى: وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ (۴۲) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ سورة الحاقة الآيتان ۴۲- ۴۳. قالوا: إنّه شاعر مجنون، و ما القرآن إلّا من شعر جنونه، و خيالات ذهنه، مصداق قوله تعالى: وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ سورة الصافات آية ۳۶. و جاء الرد الإلهي مؤكدا صدقه، و بأن ما جاء به هو الحق بعينه في قوله تعالى: بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ سورة الصافات آية ۳۷.

قالوا: إنّه ساحر مجنون، و ما القرآن إلّا من سحر جنونه، مصداق قوله تعالى: كَذلِكَ ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ سورة الذاريات آية ۵۲. و جاء الرد الإلهي بالتولي عنهم: فإنّهم قوم طاغون، في قوله تعالى: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ سورة الذاريات آية ۵۴.

قالوا: إنّه ساحر كذاب، و ما القرآن إلا من سحر كذبه، مصداق قوله تعالى: وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ سورة ص آية ۴. و جاء الرد الإلهي بأنّهم في شك من ذكر الرحمن، و بأنهم لم يذوقوا العذاب بعد.

في قوله تعالى: بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ سورة ص آية ۸.

قالوا: إنّه كاهن مجنون، و ما القرآن إلّا من كهونات جنونه، و هذيان كهونته، و جاء الرد الإلهي بالتذكير لهم بأنّه ليس كما يدعون في قوله تعالى: فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ سورة الطور آية ۲۹. قالوا: إن هذا القرآن إلا أضغاث أحلام مفترى. مصداق قوله تعالى: بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ سورة الأنبياء آية ۵. و جاء الرد الإلهي بالتأكيد بأنّه منزل من عالم السر في السماوات، و الأرض في قوله تعالى: قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (۶) سورة الفرقان آية ۶. قالوا: إن هذا القرآن إلا قول تقوله محمد، و افتراه مصداق قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ سورة الطور آية ۳۳. و قد جاء الرد الإلهي مرة بالتحدي لهم أن يأتوا بحديث مثله مفترى، قال تعالى: فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ سورة الطور آية ۳۴، و مرة بالتحدي لهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، قال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ سورة هود آية ۱۳. و مرة بالتحدي لهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله، قال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ سورة يونس آية ۳۸. و قال تعالى: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ سورة البقرة آية ۲۳. و جاء الرد الإلهي مرة أخرى بالنفي القاطع أن في مقدورهم الاستجابة للتحدي، أو الإتيان بمثل هذا القرآن. قال تعالى: فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ سورة هود آية ۱۴.

و مرة أخرى بالتحذير لهم، و إفحامهم بأنهم لـ و لن يستطيعوا، و لم، و لن يفعلوا، قال تعالى: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ سورة البقرة آية ۲۴. و جاءت خاتمة الرد الإلهي باستحالة أن يكون هذا القرآن مفترى من دون اللّه، قال

تعالى: وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ سورة يونس آية ۳۷ و قد جاءت ذروة الرد الإلهي بالنفي القاطع لقدرة الإنس، و الجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن حتى و لو اجتمعوا له. قال تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً سورة الإسراء آية ۸۸.

و لما أسقط في أيديهم، و أيقنوا أن لا قبل لهم بتأييد مزاعمهم، و هم يعلمون أكثر من غيرهم بأنّ محمدا «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» ليس بشاعر أو مجنون، أو ساحر، أو كاهن عمدوا إلى افتراء الوحي من خارج النفس المحمدية.

و قد تناسوا أنّهم في الرهان خاسرون، و أمام التحدي الإلهي فاشلون، و مع ذلك أصروا، و عاندوا- و الكفر عناد- فادعى بعضهم، و شاركه البعض النبوة، و ادعى أنّه يوحى إليه، و عند ما حاول تأكيد افتراءه، و تقليد القرآن، جاءت عباراته- و هم أفصح العرب- على غير فصاحة، و على كل سخافة و تفاهة، و على كل ركاكة، و إسفاف، فكان قرآنهم حجة على تفاهتهم، و برهانا على سقط متاعهم، و فشل ادعاءاتهم.

أمثلة على بعض المتقولين على القرآن:

أولا: مسيلمة بن حبيب الكذاب:

اشارة

تنبأ باليمامة في بني حنيفة، و تقع شرق مدينة الرياض حاليا، و قد وفد على الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» و أعلن إسلامه، و كان أليفا مع الناس، و يجاهر بقبحه، و عند ما عاد إلى اليمامة كتب إلى الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» سنة ۱۰ للهجرة: أمّا بعد، فإني شوركت في الأرض معك و إنّما لنا نصف الأرض، و لقريش نصفها، لكن قريشا قوم يعتدون «۱».

و كان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» قد أرسل أحد المسلمين، و هو «نهار الرّجال»- و كان فقيها و قارئا للقرآن- إلى مسيلمة ليرده عن فتنته، فارتد هو الآخر عن

---

(۱) مصطفى صادق الرافعي: كتاب: إعجاز القرآن- ص ۱۷۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۱

الإسلام، و كان أعظم فتنة من مسيلمة على بنى حنيفة، إذ شهد

أنّه سمع الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» يقول: إن مسيلمة قد أشرك معه، فصدقوه.

و كان لا يقول شيئا إلا تابعه مسيلمة؛ و كان يستعين به على التعرف على أحوال الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم». فكان الرّجال شريكا لمسيلمة فى الارتداد عن الإسلام، و شريكا له فى النار بإذن اللّه ضرسه كجبل أحد فى النار بل و أعظم.

عن أبى هريرة «رضى اللّه» عنه قال: «جلست مع النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» فى رهط معنا الرّجال بن عنفوة، فقال: إن فيكم رجلا- ضرسه فى النار أعظم من أحد؛ فهلك القوم، و بقيت أنا و الرجال، فكنت متخوّفا لها حتى خرج الرجال مع مسيلمة، فشهد له بالنبوة» «۱»

. و قد قتل الرّجال مع مسيلمة فى حرب المرتدين فى اليمامة.

و قد زعم مسيلمة أنّ له قرآنا يوحى إليه عن طريق ملك يسمى رحمن. و كان قرآنه فصولا- و جملا- يترسل به فى أمر أو حادثة تعرض له، فكان أقرب إلى سجع الكهان، و كان يقلد بكلامه أوزان، و تراكيب القرآن.

امثلة على أقوال مسيلمة الكذاب قوله:

«الفيل ما الفيل، و ما أدراك ما الفيل، له ذنب و بيل، و خرطوم طويل». و قوله: «الشاة و ألوانها، و أعجبها السود و ألبانها، و الشاة السوداء، و اللبن الأبيض، إنه لعجب محض، و قد حرم المذق فما لكم لا تمجعون».

و قوله: «يا ضفدع بنت ضفدعين، نقى ما تنقين، نصفك فى الماء، و نصفك فى الطين، لا الماء تكدّرين، و لا الشارب تمنعين». و قوله:

«و المبذرات زرعا، و الحاصدات حصدا، و الذاريات قمحا، و الطاحنات طحنا، و العاجنات عجنا، و الخابزات خبزا، و الثاردات ثردا، و اللاقمات

---

(۱) مصطفى صادق الرافعي: كتاب: إعجاز القرآن- ص ۱۷۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۲

لقما، إهالة و سمنا ... لقد فضلتم على أهل الوبر، و ما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، و المعتر فآووه، و الباغى فناوئوه ...».

ثانيا: سجاح بنت الحارث بنت سويد التميمية:

كانت نصرانية من بنى تغلب فى شمال الجزيرة، و هم أخوالها، تنبأت فى خلافة أبى بكر، و تبعها بعض رؤساء القبائل، و كانت تقول لهم: «إنما أنا امرأة من يربوع، و إن كان ملك، فالملك ملككم».

و سارت بجيشها تريد قتال أبى بكر، و قد سمعت بقوة مسيلمة، فسارت إليه، و سألته عن وحيه، فقال: نعم. قالت: أسمعنى، قال: أ رأيت إن كنت حبلى، و فى بطنك حبة تسعى، قالت: صدقت، و تزوجته. فقال مسيلمة: لتأكل بقومى، و قومها العرب. و قد ذكر ابن جرير الطبرى فى كتابه «تاريخ الأمم و الملوك»: أنه عند ما عادت إلى قبيلتها سألها قومها:

هل أصدقك شيئا؟ قالت: لا. قالوا: ارجعى إليه، فقبيح بمثلك أن ترجع بغير صداق. فرجعت، فقالت له: أصدقنى صداقا. قال: من مؤذنك؟ قالت: شبث بن ربعى الرياحى. قال: على به. فجاء، فقال:

ناد فى أصحابك، إن مسيلمة بن حبيب رسول اللّه ... و قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد: صلاة العشاء الآخرة، و صلاة الفجر. و قد ذكر الكلبى أن مشيخة بنى تميم حدثوهم أن عامة بنى تميم لا يصلونها، و قالوا له: هذا حق لنا، و مهر كريمة منا لا نرده.

و كان مسيلمة عند ما سمع بقدوم سجاح إليه قد أمر بنصب سرادق كبير، و بفراش وثير مملو بالطيب، فاستقبلها به، و حادثها بشجون الأحاديث، و الشعر التى تثير غرائزها، إغراء لها على تصديقه، و من ثم زواجه منها. و كانت سجاح تزعم أنّه يوحى إليها، و تسجع بكلامها كقولها حين توجهت إلى مسيلمة:

«عليكم باليمامة، و رفوا رفيف الحمامة، فإنّها غزوة صرامة، لا يلحقكم بعدها ملامة». و كان لها قرآن قليل ذكر منه صاحب الأغانى:

«يا أيّها المؤمنون المتقون، لنا نصف الأرض، و لقريش نصفها، و لكن قريشا قوم يبغون».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۳

و ذكرت الروايات أن سجاح رجعت إلى الإسلام، و رجع قومها معها، و حسن إسلامها، و توفيت، و دفنت بالبصرة جنوب العراق.

ثالثا:- طلحة بن خويلد الأسدى:

قدم على النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» سنة تسع للهجرة على رأس وفد أسد بن خزيمة، و أعلن إسلامه، و كان شجاعا يعد بألف فارس، تنبأ بعد وفاة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و زعم أن ملكا اسمه ذو النون يأتيه بالوحى. و لم يكن له قرآن إلّا قليل جدا، و منه كما ذكره ياقوت فى معجم البلدان: «إن اللّه لا يصنع بتعفير وجوهكم، و قبح أدباركم شيئا، فاذكروا اللّه قياما، فإن الرغوة فوق الصريح». و قد أرسل إليه أبو بكر الصديق جيشا بقيادة خالد بن الوليد، و عند ما التقى الجمعان تزمل طلحة بكساء، انتظارا لنزول الوحى عليه، و لما أطال سأله عيينة بن حصن- و كان معه فى سبعمائة من بنى فزارة- هل أتاك بعد؟!! فقال طلحة من تحت الكساء: لا و اللّه. ما جاء بعد. فأعاد إليه مرتين، و هو يقول: لا. قال عيينة: لقد تركك أحوج ما كنت إليه. فقال طلحة. قاتلوا عن أحسابكم، فأما دين فلا دين.

و قد ذكر ابن الأثير فى كتابه. «أسد الغابة» أن عيينة قال له: تبا لك آخر الدهر ثم جذبه جذبة جاش منها، و قال: قبح اللّه هذا، و من تبعوه، فجلس طلحة، فقال عيينة: ما قيل لك؟!! قال طلحة: إن لك رحى كرحاه، و أمرا لا تنساه، فقال عيينة: قد علم اللّه أن لك أمرا لن تنساه. يا بنى فزارة، هذا كذاب، ما يوركم لنا و له فى ما يطلب. و قد انهزم طلحة، و هرب إلى الشام، و لكنه أسلم، و حسن إسلامه، و أبلى بلاء حسنا فى القادسية.

رابعا: الأسود العنسى:

و هو عبهلة بن كعب. يلقب بذى الخمار، لأنّه يدّعى أنّه يأتيه ملك

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۴

اسمه «ذو خمار». و كان فصيحا بليغا، معروف عنه بالكهانة، و السجع، و الخطابة، و الشعر، و النسب. تنبأ على عهد النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و معاذ بن جبل واليا على اليمن، و قد قتل الوالى المسلم، و تزوج من زوجته فيروز، و كان له حمار علّمه أن يأتى بحركات غريبة حتى يوهم الناس بصدق نبوته، و كان جبارا شقيا، بسط سلطانه على اليمن، و جنوب الجزيرة إلى أن قتله عم زوجته فيروز بتدبير منها، و قتل قبل وفاة النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بيوم و ليلة، و رجع الحكم إلى الإسلام.

الشبهة الرابعة:

اشارة

إنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كان يتمتع بوحى نفسى، و ما القرآن إلا من استنباطه العقلى، و إدراكه الوجدانى عبّر عنه محمّد بأسلوبه، و بيانه، و لغته، و مكنه من ذلك ذكاؤه، و فراسته، و قوة فطنته، و عمق تأملاته، و رفاهة أحاسيسه استخدمها كلها فى تلفيق الأخبار، و سرد الغيبيات، و تبيان الحقائق العلمية.

تفنيد هذه الشبهة:

اشارة

يمكننا تفنيد هذه الشبهة بعدة أمور هى:

أولا:- إن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» لم يعرف عنه أنّه كان يتمتع بالوحى النفسى، و قومه يعرفونه حق المعرفة، و القرآن الكريم يتعدى، و يتجاوز كل ما نسبوه إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم من صفات، و خوارق، بل يتعدى كل استنباط عقلى،

أو إدراک وجدانی.

و کذلک لم یعرف عن النبی «صلّی اللّه علیه و آله و سلم» قبل البعثة أنه أوتی خوارق الأخبار، و الغیبیات، و العلوم، کما أنه لم یحدّث عن أساطیر الأولین، و هو المشهور بصدق الحدیث الصادق الأمین.

شبهات حول القرآن و تفنیدها، ص: ۳۵

ثانیا: فبالنسبة لأخبار الأمم، و قصص الأنبیاء مع أقوامهم، فإن ما جاء به القرآن فوق طاقة العقل البشری، و مهما أوتی من ذکاء، أو فطنة، أو فراسة؛ مما یثبت أن تلک الأخبار، و القصص إنما وردت، و بکل یقین للنبی «صلّی اللّه علیه و آله و سلم» عن طریق التلقی، و التلقین، و الإیحاء ممن یعلم الغیب. و هذا مصداق قوله تعالی: تِلْکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَیْبِ نُوحِیها إِلَیْکَ ما کُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُکَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِینَ سورة هود آیة ۴۹.

و قد ربط اللّه تعالی بین التنزیل القرآنی، و سرد القصص علی مسامع النبی «صلّی اللّه علیه و آله و سلم» مصداق قوله تعالی: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَیْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَیْنا إِلَیْکَ هذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ کُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِینَ سورة یوسف آیة ۳.

و قد تناول القرآن قصص الأنبیاء، و الرسل، و أخبار الماضین بتفصیل لحقائقها، و تبیین لوقائعها بشکل واضح تعجز عنه العقول، و التبؤات، و بشکل یخرس الألسنة، و یسکت الأقلام، و یفند الافتراءات؛ فالقرآن یضرب فی أغوار التواریخ، و یخبر عن أقدم الأخبار فی خلق الأمم مما یتجاوز حدود إعمال الفکر بحیث یستحیل علی النبی «صلّی اللّه علیه و آله و سلم» أو غیره أن یعرفها، أو یطلع علی أخبارها. و القرآن نفی ذلک عن الرسول «ص».

فهذه آیات قرآنیة تفصل أحوال موسی، و فی أخباره مع أهل مدین.

قال تعالی: وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِیِّ إِذْ قَضَیْنا إِلی مُوسَی الْأَمْرَ وَ ما کُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِینَ (۴۴) وَ لکِنَّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَیْهِمُ الْعُمُرُ وَ ما کُنْتَ ثاوِیاً فِی أَهْلِ مَدْیَنَ تَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِنا وَ لکِنَّا کُنَّا مُرْسِلِینَ سورة القصص آیة ۴۴- ۴۵.

و هذه آیات قرآنیة تخبر عن کفالة زکریا لمریم، و ولادة المسیح منها کلمة من اللّه تعالی. قال تعالی: ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَیْبِ نُوحِیهِ إِلَیْکَ وَ ما کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَیُّهُمْ یَکْفُلُ مَرْیَمَ وَ ما کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یَخْتَصِمُونَ (۴۴) إِذْ

شبهات حول القرآن و تفنیدها، ص: ۳۶

قالَتِ الْمَلائِکَةُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللّهَ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ وَجِیهاً فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِینَ سورة آل عمران آیات ۴۴- ۴۵.

و هذه آیات قرآنیة تسهب فی سرد قصة یوسف مع إخوته. قال تعالی: ذلِکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَیْبِ نُوحِیهِ إِلَیْکَ وَ ما کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ یَمْکُرُونَ سورة یوسف آیة ۱۰۲.

و قد تناولت الحکمة الربانیة فی سرد القصص، و روایة الأخبار بین جمیع الأنبیاء، و الرسل أیضا. قال تعالی: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ إِلَّا رِجالًا نُوحِی إِلَیْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُری سورة یوسف آیة ۱۰۹. و قد أصّل القرآن الکریم عظمة الاعتبار من سرد القصص، و شواهد تثبیت معالم الألوهیة لهذا القرآن. قال تعالی: لَقَدْ کانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِی الْأَلْبابِ ما کانَ حَدِیثاً یُفْتَری وَ لکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَ تَفْصِیلَ کُلِّ شَیْءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ سورة یوسف آیة ۱۱۱.

و قد تناول الإعجاز الإلهی فی سرده للقصص أرقاما حسابیة و حقائق عددیة تثبت ألوهیة هذا القرآن، و تنفی عنه صفة الوحی النفسی البشری.

القرآن یذکر مدة مکث نوح- علیه السلام- فی قومه، و هی: ألف سنة إلّا خمسین عاما.

قال تعالی: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِیهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِینَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ سورة العنکبوت آیة ۱۴.

و القرآن یذکر مدة لبث أصحاب الکهف فی کهفهم، و هی: ثلاث مائة و تسع سنوات. قال تعالی: وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِینَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً سورة الکهف آیة ۲۵.

ثالثا: و بالنسبة للغیبیات المستقبلیة: فقد أعجزهم القرآن، و أثبت أن ذلک لیس فی مقدور البشر حتی و الأنبیاء منهم، فقد أخبر القرآن غیبیات کثیر من الأمور، و الحوادث التی ستقع مستقبلا، و منها:

شبهات حول القرآن و تفنیدها، ص: ۳۷

أ- انهزام المشرکین فی غزوة بدر، مصداق قوله تعالی: سَیُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ یُوَلُّونَ الدُّبُرَ سورة القمر آیة ۴۵. فسورة القمر مکیة، و انهزام المشرکین حصل فی بدر فی المدینة بعد هجرة النبی «صلّی اللّه علیه و آله و سلم» إلیها بسنتین.

ب- غیبة انتصار الروم علی الفرس فی بضع سنین مصداق قوله تعالی:

الم (۱) غُلِبَتِ الرُّومُ (۲) فِی أَدْنَی الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ (۳) فِی بِضْعِ سِنِینَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ یَوْمَئِذٍ یَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ سورة الروم آیات ۱- ۴.

ج- غیبة أداء عمرة القضاء، و دخول المسجد الحرام محلقین رءوسهم و مقصرین مصداق قوله تعالی فی سورة الفتح: لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْیا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللّهُ آمِنِینَ مُحَلِّقِینَ رُؤُسَکُمْ وَ مُقَصِّرِینَ لا تَخافُونَ سورة الفتح آیة ۲۷.

د- غیبة انشقاق القمر: مصداق قوله تعالی فی سورة القمر: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ (۱) وَ إِنْ یَرَوْا آیَةً یُعْرِضُوا وَ یَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ الآیة ۱- ۲.

رابعا: و بالنسبة للحقائق العلمیة فما ورد فی القرآن یؤکد ألوهیة التنزیل القرآنی. و الجمع علی علم بأمیة محمد «صلّی اللّه علیه و آله و سلم»، و لا شأن له بحقائق العلم الغیبیة، و التی أوردها القرآن، و التی لا یزال العلم یکتشفها، و یؤکد حقیقتها کآیات ربانیة تنفی عن النبی «صلّی اللّه علیه و آله و سلم» قرآنیة الاستحداث الغیبی، أو الافتراء العلمی، أو الإیحاء النفسی کما یزعمون.

أمثلة علی هذه الحقائق:

الأولی: حقیقة خلق الإنسان من طین. مصداق قوله تعالی فی سورة ص: إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَةِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ الآیة ۷۱.

الثانیة: حقیقة خلق الإنسان أطوارا، مصداق قوله تعالی فی سورة المؤمنون: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ

شبهات حول القرآن و تفنیدها، ص: ۳۸

خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ الآیتان ۱۳- ۱۴. و مصداق قوله تعالی فی سورة نوح: وَ قَدْ خَلَقَکُمْ أَطْواراً الآیة ۱۴.

الثالثة: حقیقة خلق کل شیء من ماء، مصداق قوله تعالی فی سورة الأنبیاء: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍ الآیة ۳۰.

الرابعة: حقیقة دوران النجوم، و الکواکب فی أفلاکها. مصداق قوله تعالی فی سورة یس: لَا الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ الآیة ۴۰.

و لنا القول: بأن شبهة تمتع الرسول «صلّی اللّه علیه و آله و سلم» بالوحی النفسی لا تقوم علی دلیل، و تفقد کل مسوغ. بل هی فی حد ذاتها من قبیل الهذیان النفسی الذی انتاب نفرا من الضعفاء الحاقدین من أهل الکفر الذین لم یستطیعوا بأی حال من الأحوال أن ینکروا نبوة محمد «صلّی اللّه علیه و آله و سلم»، أو الوحی الإلهی بالقرآن له مصداق قوله تعالی فی سورة الأعراف: وَ إِذا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآیَةٍ قالُوا لَوْ لا اجْتَبَیْتَها قُلْ إِنَّما أَتَّبِعُ ما یُوحی إِلَیَّ مِنْ رَبِّی الآیة ۲۰۳.

و الرسول «صلّی اللّه علیه و آله و سلم» بشر من الناس اختصه اللّه بالنبوة، فلم العجب، و الأنباء، و الرسل کلهم من البشر!! قال تعالی فی سورة الکهف: قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یُوحی إِلَیَّ أَنَّما إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ الآیة ۱۱۰. و إنه «صلّی اللّه علیه و آله و سلم» بشر لا یملک لنفسه نفعا، و لا- ضرا، و لا یعلم الغیب إلّا بإیحاء من اللّه تعالی مصداق قوله تعالی فی سورة الأعراف: قُلْ لا أَمْلِکُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللّهُ وَ لَوْ کُنْتُ أَعْلَمُ الْغَیْبَ لَاسْتَکْثَرْتُ مِنَ الْخَیْرِ وَ ما مَسَّنِیَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ الآیة ۱۸۸.

و إنه «صلّی اللّه علیه و آله و سلم» یشهد علی نفسه بالبشریة مصداق

ما رواه البخاری و مسلم و أصحاب السنن: «سمع رسول اللّه «صلّی اللّه علیه و آله و سلم» خصومة بباب حجرته فخرج إلیهم، فقال: إنما أنا بشر، و إنکم تختصمون إلیّ فلعل بعضکم أن یکون ألحن بحجته من بعض، فأحسب أنه صدق، فأقضی له بذلک؛ فمن قضیت له بحق مسلم، فإنما هی قطعة من النار، فلیأخذها، أو یترکها».

شبهات حول القرآن و تفنیدها، ص: ۳۹

و لعل من المفید أن نختم الرد علی هذه الشبهة بما قاله المفکر المسلم محمد عبد اللّه دراز فی کتابه «النبأ العظیم» حیث یقول: «هذا الرأی هو الذی یروجه الملحدون الیوم باسم «الوحی النفسی» زاعمین أنهم بهذه التسمیة قد جاءونا برأی علمی جدید، و ما هو بجدید، و إنما هو الجاهلی القدیم، لا یختلف عنه فی جملته، و لا فی تفصیله، فقد صوروا النبی «صلّی اللّه علیه و آله و سلم» رجلا ذا خیال واسع، و إحساس عمیق، فهو إذن شاعر، ثم زادوا، فجعلوا وجدانه یطغی کثیرا علی حواسه، حیث یخیل إلیه أنه یری و یسمع شخصا یکلمه. و ما ذاک الذی یراه و یسمعه إلا- صورة أخیلته و وجدانه، فهو إذن الجنون أو أضغاث الأحلام. علی أنهم لم یطیقوا الثبات طویلا علی هذه التعلیلات، فقد اضطروا أن یهجروا کلمة الوحی النفسی حینما بدا لهم فی القرآن جانب الأخبار الماضیة و المستقبلیة؛ فقالوا لعله تلقفها من أفواه العلماء فی أسفاره للتجارة، فهو إذن قد علمه بشر. فأی جدید تری فی هذا کله؟!! أ لیس کله حدیثا معادا یضاهون به قول جهال قریش!! و هکذا کان الإلحاد فی ثوبه الجدید صورة متسخة، بل ممسوخة منه فی أقدم أثوابه، و کان غذاء هذه الأفکار المتحضرة فی العصر الحدیث مستمدا من فتات الموائد التی ترکتها تلک القلوب المتحجرة فی عصور الجاهلیة الأولی مصداق

قوله تعالى فى سورة البقرة: كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ الآية ۱۱۸. و إن تعجب فعجب قولهم مع هذا كله إنّه كان صادقا أميّا، و إنّه كان معذورا فى نسبة رؤاه إلى الوحى الإلهى؛ لأن أحلامه القويمة صورتها له وحيا إليها، فما شهد إلا بما علم، و هكذا حكى اللّه لنا عن أسلافهم، حيث يقول فى سورة الأنعام: فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ الآية ۳۳. فإن كان هذا عذره فى تصوير رؤاه و سماعه، فما عذره فى دعواه أنّه لم يكن يعلم تلك الأنباء لا هو و لا قومه من قبل هذا، بينما هو سمعها بزعمهم من قبل.

فليقولوا إذن: إنّه افتراه، ليتم لهم بذلك محاكاة كل الأقاويل. و هم يدعون التعقل، ألا فقد قالوها من حيث لا يشعرون».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۰

الباب الثانى شبهات حول جمع القرآن، و تفنيدها «۱»

الشبهة الأولى:

اشارة

إن فى المصحف ما ليس بقرآن. و يمثلون على ذلك بفاتحة الكتاب و المعوذتين؛ و حجتهم فى ذلك أنّ الصحابى عبد اللّه بن مسعود أسقطها من مصحفه، و من ثم أنكرها كقرآن.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: عدم صحة النقل. فإن ما نسب إلى ابن مسعود غير صحيح، بل و مخالف لإجماع الأمّة. و لا يعقل، بل يستحيل أن يحصل إنكار مثل هذا من صحابى جليل كعبد اللّه بن مسعود صاحب رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» الذى كان لا يفارقه، و شهد كثيرا من نزول الوحى، و هو

---

(۱) أنظر فى مثل هذه الشبهة: دكتور غازى عناية- كتاب: هدى الفرقان فى علوم القرآن. ج ۱- ص ۲۹۱ و ما بعدها.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۲

الذى عاصر نزول الوحى فى معظمه، و هو الأعلم من غيره بما هو قرآن، و ما هو ليس بقرآن. و هو الصحابى الجليل الذى عرف عنه تقواه، و شدة غيرته على دينه، و على قرآنه؛ و بذلك فالمعقولية السليمة تقتضى بطلان ما نقل عن ابن مسعود فى هذا الشأن.

قال الإمام النووى فى «شرح المهذب»: «أجمع المسلمون على أنّ المعوذتين، و الفاتحة من القرآن، و أنّ من جحد شيئا منها كفر، و ما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح».

و قال الإمام ابن حزم فى كتاب «القدح المعلى»: «هذا كذب عن ابن مسعود، و موضوع».

و أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن عقبة بن عامر: «أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قرأهما فى الصلاة».

و أخرج ابن حبّان من وجه آخر عن عقبة بن عامر أيضا: «فإن استطعت ألا تفوتك قراءتهما فى صلاة، ففعل».

و أخرج أحمد بن حنبل من طريق أبى العلاء بن الشخير عن رجل من الصحابة: «بأنّ النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أقرأنا المعوذتين، و قال له: إذا أنت صليت، فاقرأ بهما».

و قد صح عند العلماء عن ابن مسعود نفسه قراءة عاصم، و فيها المعوّذتان و الفاتحة. و كذلك قرأ المعوّذتين حمزة، و الكسائى، و جميع القراء السبعة و العشرة، و غيرهم.

ثانيا: احتمال أن إنكار ابن مسعود كان قبل علمه بأنهما من القرآن. و بعد أن علم أنهما من القرآن آمن بهما، و أخذ بهما، و تمسك بهما. قال بعض العلماء: «يحتمل أن ابن مسعود لم يسمع المعوّذتين من النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم». و لم تتواتر عنده، فتوقف فى أمرهما، و إنما لم ينكر ذلك عليه؛ لأنّه بصدد البحث، و النظر، و الواجب عليه التثبت فى هذا الأمر».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۳

ثالثا: عدم صحة النقل عن ابن مسعود بأنّه أنكر قرآنية الفاتحة.

و حاشا أن تكون الفاتحة قد خفيت عليه، و هى أم القرآن، و السبع المثانى، و مثلها مستحيل أن يخفى على ابن مسعود. و كذلك لو صح أنّه أسقطها من مصحفه، فلا يعنى هذا أنّه ينكرها.

قال ابن قتيبة ما نصه: «و أما إسقاطه الفاتحة من مصحفه، فليس لظنه أنّها ليست من القرآن (معاذ اللّه)، و لكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب، و جمع بين اللوحين، مخافة الشك، و النسيان، و الزيادة، و النقصان».

رابعا: إن إنكار ابن مسعود لقرآنية الفاتحة، و المعوّذتين، لو صح، فإنّ هذا لا ينقض قرآنيتهما، و تواترهما، و لا يرفع العلم اليقينى بقرآنية ما صح قرآنيته؛ و ليس من شروط تواتر القرآن، و العلم اليقينى بثبوته ألا يخالفه مخالف حتى و لو كان من الصحابة، و إلّا لأمكن هدم كل تواتر، و إبطال كل علم يقينى قام عليه.

قال ابن قتيبة فى «مشكل القرآن»: «ظن ابن مسعود أنّ المعوّذتين ليستا من القرآن؛ لأنّه رأى النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» يعوذ بهما الحسن، و الحسين، فأقام على ظنه، و لا نقول إنّه أصاب فى ذلك، و أخطأ المهاجرون، و الأنصار».

الشبهة الثانية:

اشارة

إنّ فى المصحف آية هى من تأليف، و كلام أبى بكر، و هى قوله تعالى: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً سورة آل عمران آية ۱۴۴. و حجتهم فى ذلك: أنّه عند ما توفى الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» قال عمر بن الخطاب: «إنّ رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» توفى،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۴

و إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ما مات، و لكنه ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران؛ فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل:

مات. و اللّه ليرجعن رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كما رجع موسى، فليقطعن أيدى رجال، و أرجلهم، زعموا أنّ رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» مات». قالوا: فقام أبو بكر، ورد على عمر. فقال: على رسلك يا عمر، أنصت. فحمد اللّه، و أثنى عليه ثم قال: «أيّها الناس» من كان يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات و من كان يعبد اللّه، فإن اللّه حى لا يموت، ثم تلا الآية: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً سورة آل عمران آية ۱۴۴ و زعموا أنّها من كلام أبى بكر رد بها على عمر عند ما أنكر وفاة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم».

تفنيد هذه الشبهة:

إن مجرد تلاوة أبى بكر لهذه الآية فى رده على عمر، و تهدئة الناس لا يعنى مطلقا، و بهذه السذاجة، أنّها من كلام أبى بكر تفوّه بها، أو قالها، و ذلك من جهتين:

الأولى: إنّ جميع الصحابة، و منهم أبو بكر يحفظونها، و يعلمون أنّها من القرآن، و أنّها كلام اللّه تعالى، و ترتيبها فى سورة آل عمران، و نزلت قبل وفاة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» ببضع سنين.

الثانية: أنّ الكثير الكثير من الصحابة يعلمون سبب نزولها، و مكان، و تاريخ نزولها. و قد ورد فى الروايات الصحيحة أن الآية: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قد نزلت فى غزوة أحد، عتابا من اللّه تعالى على الصحابة، لفرارهم من القتال. حيث إنّه عند ما أصيب المسلمون فى غزوة أحد، و كسرت رباعية الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و شج وجهه، و جحشت ركبته، و شاع بين المقاتلة، أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قد قتل؛ هنالك قال بعض المسلمين: ليت لنا رسول إلى عبد اللّه بن أبى بن سلول، فيأخذ لنا أمانا من أبى سفيان. و بعضهم جلسوا. و ألقوا بأيديهم، و قال أناس من

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۵

المنافقين: إن كان محمد قد قتل، فالحقوا بدينكم الأوّل. فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك: إن كان محمد قتل، فإن رب محمد لم يقتل، و ما تصنعون بالحياة بعد رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فقاتلوا على ما قاتل عليه، و موتوا على ما مات عليه، ثم قال: «اللهم إنّى أعتذر إليك مما قال هؤلاء- يعنى المسلمين- و أبرأ إليك مما قال هؤلاء- يعنى المنافقين- ثم شد بسيفه، فقاتل حتى قتل. و روى أنّ أوّل من عرف رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» هو: كعب بن مالك فقد ورد أنّه قال: عرفت عينيه تحت المغفر تزهران، فناديت بأعلى صوتى: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم، فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه ينافحون عنه. ثم لام النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أصحابه على الفرار، فقالوا: يا رسول اللّه، فديناك بآبائنا، و أبنائنا، أتانا الخبر أنّك قتلت، فرعبت قلوبنا، فولّينا مدبرين. فأنزل اللّه تعالى هذه الآية:

وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلَ إلى آخر الآية.

الشبهة الثالثة:

اشارة

إن فى المصحف آية هى من تأليف و كلام عمر بن الخطاب، و هذه الآية وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى. و حجتهم فى ذلك: أن هذه من كلام عمر بن الخطاب خاطب بها الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و عرض عليه أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

تفنيد هذه الشبهة:

إن هذه الشبهة لا دليل لها، و لا سند إليها. و يرد عليهما ما رد على شبهة أبى بكر. هذا من جهة، و من جهة أخرى، فالمسلمون، و خاصة الصحابة يعلمون أنها من كلام اللّه، و يعرفون سبب نزولها، و مكان، و تاريخ نزولها، حيث قال عمر للنبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى» فنزلت الآية، قوله تعالى: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۶

إِبْراهِيمَ مُصَلًّى سورة البقرة آية ۱۲۵. و الفرق واضح بين لفظ عمر، و لفظ الآية. فالآية الكريمة جاءت بلفظ الأمر، و على سبيل الوجوب، أما كلام عمر فجاء بصيغة الماضى مقرونا بالتمنى، و الذى عبّر عنه بالحرف لو.

الشبهة الرابعة:

اشارة

إنّ الخلفاء الراشدين الثلاثة: أبو بكر، و عمر، و عثمان حرّفوا القرآن و غيروا، و بدلوا فيه، و أسقطوا كثيرا من آياته و سوره، و زعم بهذه الشبهة غلاة الشيعة، و قد استشهدوا فى تأييد اتهاماتهم بأمور كثيرة منها:

۱- ما رووه عن هشام بن سالم عن أبى عبد اللّه: «إنّ القرآن الذى جاء به جبريل إلى محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كان سبع عشرة ألف آية».

۲- ما رووه، و ما رواه محمد بن نصر عن هشام بن سالم عن أبى عبد اللّه: «أنّه كان فى سورة «لم يكن» اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم، و أسماء آبائهم».

۳- ما رواه محمد بن جهم الهلالى و غيره عن أبى عبد اللّه أن لفظ: «أئمّة هى أربى من أمة» فى سورة النحل ليس كلام اللّه، بل هو محرف عن موضعه، و حقيقة المنزل: «أئمة هى أزكى من أئمتكم».

۴- روى بعض غلاة الشيعة أنّ هناك سورة تسمى سورة الولاية كانت فى القرآن ثم أسقطت بتمامها.

۵- روى بعضهم: أنّ سورة الأحزاب كانت أكثر، و معظمها سقط إذ كانت طويلة على مثل سورة الأنعام، و أسقطوا منها فضائل أهل البيت.

۶- ادعى بعضهم أيضا: أن الصحابة أسقطوا لفظ «ويلك» من قبل، و أول آية: لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۷

۷- ادعى بعضهم أيضا أن الصحابة أسقطوا لفظ «عن ولاية على» من بعد الآية: وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ.

۸- ادعى بعضهم أيضا أنّ الصحابة أسقطوا لفظ «بعلى بن أبى طالب» من بعد وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ.

۹- ادعى بعضهم أيضا: أنّ الصحابة أسقطوا لفظ آل محمد من بعد:

وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا.

تفنيد هذه الشبهة:

يمكننا نقض هذه الشبهة من خمسة وجوه:

الأول: إن هذه اتهامات لا دليل لها، و لا سند إليها، اتهم بها الصحابة «رضوان اللّه عليهم» زورا و بهتانا، و ما تمّ عنه إلّا أن تكون مجرد حقد، و ضغينة، و دسائس، قصدوا بها تشويه أخلاقية، و سيرة الصحابة رضوان اللّه عليهم، و سنتهم، و التى قال فيها الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» «عضّوا عليها بالنواجذ».

الثانى: إن بعض علماء الشيعة أنفسهم تبرءوا من هذه الاتهامات.

قال الطبرسى، و هو من علماء الشيعة المفسرين، و المرموقين فى كتابه «مجمع البيان» ما نصه: «أما الزيادة فيه- أى فى القرآن- فمجمع على بطلانها، و أما النقصان فقد روى عن قوم من أصحابنا، و قوم من الحشوية، و الصحيح خلافه. و هو الذى نصره المرتضى، و استوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء».

و قال الطبرسى أيضا فى تفسيره «مجمع البيان»: «أما زيادة فى القرآن، فمجمع على بطلانها، و أما النقصان فهو أشد استحالة. و إن العلم بصحة نقل القرآن، كالعلم بالبلدان، و الحوادث الكبار، و الوقائع العظام، و الكتب المشهورة، و أشعار العرب المسطورة. فإن العناية اشتدت،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۸

و الدواعى توفرت على نقله، و حراسته، و بلغت إلى حد لم يبلغه شىء فيما ذكرناه؛ لأن القرآن مفخرة النبوة، و مأخذ العلوم الشرعية، و الأحكام الدينية، و علماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه، و حمايته الغاية، حتى عرفوا كل شىء اختلف فيه من إعرابه، و قراءته، و حروفه، و آياته، فكيف يجوز أن يكون مغيرا، أو منقوصا مع العناية الصادقة، و الضبط الشديد».

الثالث: إنّ التواتر قد قام، و الإجماع قد انعقد على أن الموجود بين دفتى المصحف هو كلام اللّه، هو القرآن من غير زيادة، و لا نقصان، و لا تغيير، و لا تبديل. و الإجماع سبيل من سبل الحق قويم: فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ.

الرابع: إنّ الإمام على- كرم اللّه وجهه- و هو الذى يزعمون أنّهم يتشيعون له صح النقل عنه أنّه حبذ جمع القرآن، بل و أثنى على جامعيه:

أبى بكر، و عثمان،

فقد قال على عن أبى بكر: «أعظم النّاس أجرا فى المصاحف أبو بكر، رحمة اللّه على أبى بكر هو أوّل من جمع كتاب اللّه»

. و

قال عن عثمان ما نصه: «يا معشر الناس، اتقوا اللّه، و إياكم و الغلو فى عثمان، و قولكم: حرّاق المصاحف، فو اللّه، ما حرّقها إلّا عن ملأ منا أصحاب رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»

». و

قوله أيضا: «لو كنت الوالى وقت عثمان، لفعلت فى المصاحف مثل الذى فعل عثمان».

الخامس: لو كانت ادعاءاتهم صحيحة، لقام على بن أبى طالب بعد أن استلم الخلافة، و صحح ما حرفه الخلفاء من قبله، و لكن هل فعل شيئا من هذا؟ هل اتهم أحدا منهم أنّه حرف، أو غير، أو أسقط شيئا من القرآن؟ أبدا أبدا.

سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (۱۸۰) وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (۱۸۱) وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ سورة الصافات آيات ۱۸۰- ۱۸۲.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۹

الشبهة الخامسة:

اشارة

إنّ هناك قرآنا سقط من المصحف. و يمثلون على ذلك بكلمة «متتابعات» الواردة فى مصحفى عبد اللّه بن مسعود، و أبى بن كعب «رضوان اللّه عليهما».

أ- ففى مصحف ابن مسعود وردت كلمة متتابعات فى آخر آية اليمين، و هى قوله تعالى: لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَيْمانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ سورة المائدة آية ۸۹. و فى مصحف ابن مسعود بزيادة. «متتابعات».

ب- و فى مصحف أبى بن كعب وردت هذه الكلمة متتابعات فى آية الصوم، و هى قوله تعالى. فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ سورة البقرة آية ۱۸۴. و فى مصحف أبى بن كعب بزيادة: «متتابعات».

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إنّ هذا مخالف لما ثبت نقله بالتواتر من القرآن. فإن ورود كلمة متتابعات فى مصحف ابن مسعود غير متواتر، و منقول بالشهرة. و إن ما نقل عن مصحف أبى بن كعب منقول بخبر الآحاد، و ليس بالتواتر.

ثانيا: إن ورود كلمة متتابعات فى مصحفى ابن مسعود، و أبى بن كعب هى من قبيل التفسير، و الإيضاح، و الشرح، و التفصيل للجمل باتفاق جميع العلماء.

ثالثا: عدم صحة الروايات المنسوبة إلى الصحابيين الجليلين.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۵۰

فلم يرد أبدا أنهما ادعيا أن كلمة متتابعات الموجودة فى مصحفيهما هى قرآن، و لم يثبت أنهما قصدا بنيتهما أن هذه الكلمة من القرآن.

رابعا: إنّ الادعاء بأن كلمة متتابعات من القرآن هو فى حد ذاته مخالف لإجماع الأمة. و لا يعقل أبدا أن ينفرد هذان الصحابيان بقرآن مثل هذا يدعيانه خروجا على إجماع الأمة و الصحابة.

الشبهة السادسة:

اشارة

إن الصحابى أبى بن كعب أسقط من المصحف دعاء كان يتلى.

و كان يتلوه، و كان يسميه سورة الخلع و الحفد، و هو: «اللهم إنّا نستعينك، و نستهديك، و نستغفرك، و نتوب إليك، و نؤمن بك، و نتوكل عليك، و نثنى عليك الخير كله، نشكرك، و لا نكفرك، و نخلع و نترك من يفجرك، اللهم إيّاك نعبد، و لك نصلى و نسجد، و إليك نسعى و نحفد، نرجو رحمتك، و نخشى عذابك، إنّ عذابك الجد بالكفار ملحق».

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: عدم صحة ما نقل عن أبى بن كعب أنه أثبت هذا الدعاء فى مصحفه على أنه قرآن. و كونه أنه أثبته فى مصحفه لا يعنى أنه اعتبره قرآنا، و لم تقم الحجة عليه أنه قرآن، و لو كان ذلك لكان أبى بن كعب أعلم به من غيره.

قال صاحب «الانتصار» ما نصه: «إن كلام القنوت المروى عن أبى بن كعب أثبته فى مصحفه، و لم تقم الحجة بأنه قرآن منزل، بل هو ضرب من الدعاء، و أنه لو كان قرآنا لنقل إلينا نقل القرآن، و حصل العلم بصحته».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۵۱

ثانيا: من المحتمل أن يكون دعاء القنوت كلاما من القرآن منزلا، ثم نسخ، و أبيح الدعاء به، و خلط بما ليس بقرآن. أما ما روى أنه أثبته فى مصحفه كقرآن، فهذا لا دليل له.

قال صاحب «الانتصار» ما نصه: «و يمكن أن يكون منه كلام كان قرآنا منزلا، ثم نسخ، و أبيح الدعاء به، و خلط بما ليس بقرآن، و لم يصح ذلك عنه، إنّ ما روى عنه أنه أثبته فى مصحفه».

ثالثا: إن الادعاء بأن أبى بن كعب أثبت دعاء القنوت فى مصحفه على أنه قرآن ادعاء باطل يعوزه الدليل، و تنقصه الحجة، و يفتقد إلى السند، فالصحابة- رضوان اللّه عليهم- أعلم من غيرهم بالقرآن، و ما أثبتوه أجمعوا عليه حفظا، و تلاوة، و كتابة، و تواترا فليس من العقلانية السليمة بشىء الاعتقاد أنّ صحابيا مثل أبى بن كعب قد خرج عن هذا، و انفرد دون الصحابة بالادعاء بأن دعاء القنوت قرآن، و حاشا أن يفعل ذلك صحابى جليل هو أبى بن كعب.

الشبهة السابعة:

اشارة

إن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» قد أسقط عمدا، أو أنسى آيات من القرآن الكريم. و حجتهم فى ذلك حديث شريف، و آية قرآنية. أمّا الحديث الشريف فهو ما رواه الشيخان فى صحيحيهما.

أ-

روى البخارى فى صحيحه عن هشام بن عروة عن عائشة رضى اللّه عنها قالت: «سمع النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» رجلا يقرأ فى المسجد، فقال: «يرحمه اللّه، لقد أذكرنى كذا و كذا آية من سورة كذا»، و زاد فى رواية أخرى، و قال: «أسقطتهن من سورة كذا و كذا».

ب-

روى مسلم فى صحيحه عن هشام عن أبيه عن عائشة أن النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» سمع رجلا يقرأ من الليل، فقال: «يرحمه اللّه، لقد أذكرنى كذا و كذا آية كنت أسقطها من سورة كذا و كذا».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۵۲

ج-

قال النووى فى كتابه «التبيان فى آداب حملة القرآن» ما نصه «و ثبت فى الصحيحين أيضا عن عائشة «رضى اللّه عنها» أن النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» سمع رجلا يقرأ، فقال: «رحمه اللّه، لقد أذكرنى آية كنت أسقطتها»

. و

فى رواية فى الصحيح: «كنت أنسيتها»

. و أمّا الآية القرآنية فهى قوله تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى (۶) إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ سورة الأعلى الآيات ۶- ۷. فالاستثناء الواقع فيه يدل على أن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» قد أسقط عمدا، أو أنسى آيات لم يتفق له من يذكره إياها.

تفنيد هذه الشبهة:

يمكننا معالجة هذه الشبهة من حيث تفسير الحديث و الآية.

أولا: من حيث الحديث:

أ- إنّ هذا الحديث لا يصلح حجة، و لا يستقيم سندا فى تأييد هذه الشبهة، و إنّما هو حجة عليها. فإن كلمة «أسقطتهن» التى وردت فى الحديث معناها الإسقاط نسيانا، و ليس عمدا. و ما يقوى معنى النسيان، و يؤكده هو مرادفها فى نفس الحديث، و هى كلمة: «أنسيتها».

ب- إن العقلانية السليمة، و شواهد الإيمان الحقة تقتضى استحالة أن يغير الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أو يبدل فى القرآن شيئا إلّا إذا أمره اللّه بذلك، أو كان بإيحاء من اللّه تعالى كالنسخ، و غيره و إلا لما بلغ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» الرسالة، و لما أدى الأمانة، و اللّه تعالى يشهد على أمانة رسوله، إذ يقول على لسانه: قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَ يونس آية ۱۵.

ج- إنّ نسيان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» الوارد فى الحديث ليس نسيان تبليغ، و إنما

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۵۳

هو نسيان غفلة، و غيبة، و تذكر. و هذا ما يتعرض إليه البشر عادة، و الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» من البشر ينسى، و يغفل، و يغيب عليه الأمر أحيانا.

فروايات الحديث لا تعنى أبدا أن الآيات القرآنية التى سمعها الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» من الرجل الذى كان يقرأها، و هو عباد بن بشار لا تعنى أنّها قد انمحت من ذهن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» و إنما غاية ما عنته: أن تلك الآيات كانت غائبة عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و كان لا يتذكرها فى تلك اللحظة، ثم ذكرها، و افتكرها بقراءة عباد بن بشار. و من المعلوم أنّ غيبة الشىء، و غفلة الذهن غير محوه. و الدليل على ذلك أنّ الإنسان بطبعه- و الرسول إنسان- قد يغيب عنه النص أحيانا إذا اشتغل الذهن بغيره، و هو يدرك فى نفس الوقت أن النص مخزون فى ذهنه سيستحضره إذا ما نبه إليه، و سيفتكره، و سيتذكره إذا ما ذكر إليه. أمّا النسيان التام المرادف لإيحاء الشىء من الذاكرة، فهذا مستحيل على الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و خاصة فيما يتعلق بمهام التبليغ للرسالة، و البيان للقرآن. فنسيان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» لم يكن نسيان تبليغ، أو نسيان بيان للقرآن أبدا، فهو قد أبلغ ما نزل عليه من قرآن، و أطاع أمر اللّه فى التبليغ، و اللّه تعالى يقول:

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ سورة المائدة آية ۶۷.

و اللّه تعالى قد تكفل ببيانه و تبليغه للناس على لسان رسوله. فهو يقول: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (۱۶) إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (۱۸) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ سورة القيامة الآيات ۱۶- ۱۹.

و ما دامت العناية الإلهية قد تكفلت ببيان القرآن، و تبليغه للناس على لسان نبيه، فكيف يعقل أن يكون الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» قد نسى شيئا من القرآن، أو أسقطه، و لم يبلغه للناس!!. و لا شك أنّ نسيان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و الذى ورد فى الحديث لم يكن نسيان تبليغ، أو بيان، أو تعليم، و إنما كان نسيان غفلة، و غيابا ذهنيا، و عدم تذكر ليس إلّا.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۵۴

و قد ذكر الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى فى كتابه «مناهل العرفان»: «و قال الجمهور: جاز النسيان عليه فيما ليس طريقة البلاغ، و التعليم، بشرط ألا يقر عليه، لا بد أن يذكره، و أما غيره فلا يجوز قبل التبليغ، و أما نسيان ما بلغه كما فى الحديث فهو جائز بلا خلاف» «۱».

د- إن نسيان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» الوارد فى الحديث ليس نسيان ضياع، أو فقد، و ليس إسقاطا للقرآن الكريم. و الدليل على ذلك: أنّ ما نسيه الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» من آيات قرآنيهٔ كان قد حفظها، و بلغها لأصحابه، و بينها لهم، فحفظوها و وعوها، و حفظوها فى صدورهم، و عقولهم، و قلوبهم؛ و كتبوها فى سطورهم، و فى كتبهم، و فى مصاحفهم. و ليس هناك ما يدل على أنّهم لم يبلغوها، أو لم يحفظوها، أو نسوها حتى يخاف عليها من الضياع، و الفقدان.

و القرآن كله بآياته، و التى بلغت حوالى ستة آلاف و مائتى آية و أكثر، تعهدته العناية الإلهية بالحفظ من الضياع مصداق قوله تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ سورة الحجر آية ۹.

ه- إن نسيان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» الوارد فى الحديث إنّما هو بمعنى غياب التذكر، و الذى يتنابه الإنسان من بعد غفلة، و لكن سرعان ما يضمحل الغياب، و يصفو التذكر.

فقد روى أبو منصور الأرجانى فى كتاب «فضائل القرآن» أن النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كان يقول عند ختم القرآن: «اللهم ذكرنى منه ما نسيت، و علمنى منه ما جهلت، و ارزقنى تلاوته آناء الليل و النهار، و اجعله حجة لى يا رب العالمين».

و لنا القول: بأن النسيان الوارد فى الحديث لا يعنى الإسقاط، كما لا يعنى نسيان التبليغ. و إنما هو نسيان غفلة، و غيبة، و عدم تذكر من

---

(۱) محمد عبد العظيم الزرقانى: مناهل العرفان. ص ۲۶۷.

بعد حفظ، و من بعد وعى، و من بعد تبليغ. و هذه صفات بشرية، و الرسول بشر، يصح منه النسيان، و يصح أن يغفل عما حفظ من القرآن سيتذكره فيما بعد؛ و لو حصل منه شىء من ذلك النسيان، أو الغفلة، فهذا لا يعنى إسقاطا، و لا امحاء، لأن القرآن سبق أن حفظ، و دون، و جمع من قبل الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» و صحابته.

ثانيا: و أما بالنسبة للآية القرآنية التى استندوا إليها فى تأييد شبهتهم: بأن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أسقط عمدا، أو أنسى شيئا من القرآن، فهى قوله تعالى فى سورة الأعلى: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى (۶) إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ سورة الأعلى آية ۶- ۷.

و أصحاب هذه الشبهة يرون أن ما جاء فى الآية يدل بطريق الاستثناء الواقع فيه على أن محمدا «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» قد أسقط عمدا، أو أنسى آيات لم يتوفر له من يذكره إياها.

و يرد عليهم: بأن الاستثناء الوارد فى الآية بجملة: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ معناه: أن عدم نسيان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» هو بفضل من اللّه تعالى، و مشيته، و لا يعنى النسيان بذاته، قوله تعالى: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ يعلق وقوع النسيان على مشيهٔ اللّه إياه، و المشيهٔ لم تقع، و النسيان لم يقع، و بالقاعدة: فإن عدم حصول المعلق عليه، «و هو مشيهٔ اللّه» يستلزم عدم حصول المعلق، و هو النسيان. و دليل ذلك أن العناية الإلهية، و المشيهٔ الربانية، اقتضتا جمع القرآن، و من ثم بيانه، و تبليغه على لسان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و هذا يتنافى مع وقوع النسيان مصداق قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (۱۸) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ. و من هنا يبقى الاستثناء الوارد فى الآية استثناء صوريا، و ليس حقيقيا، فاللّه تعالى وعد رسوله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، و على وجه التأييد.

قال الإمام محمد عبده فى تفسيره للاستثناء الوارد فى الآية ما نصه: «و لما كان الوعد على وجه التأييد، و اللزوم، ربما يوهم أن قدرة اللّه

لا تسع غيره، و أنّ ذلك خارج عن إرادته «جل شأنه» جاء بالاستثناء فى قوله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ، فإنّه إذا أراد أن ينسيك شيئا، لم يعجزه ذلك، فالقصد هو نفى النسيان رأسا. و قالوا: إن ذلك كما يقول الرجل لصاحبه: «أنت سهيمى فيما أملك إلا ما شاء اللّه» لا يقصد استثناء شىء و هو من استعمال القلة فى معنى النفى. و على ذلك جاء الاستثناء فى قوله تعالى فى سورة هود: وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ أى غير مقطوع، فالاستثناء فى مثل هذا المتنية على أنّ ذلك التأييد و التخليد إنّما هو بكرم من اللّه و فضل منه لا بإيجاب و إلزام عليه، و لو أراد عكس ذلك، أى أن يأخذ ما وهب، لم يمنعه من ذلك مانع» «۱».

الشبهة الثامنة: «۲»

اشارة

يقولون: روى عن هشام بن عروة عن أبيه أنّه قال: سألت عائشة عن لحن القرآن، عن قوله تعالى: إِنْ هذانِ لَساحِرانِ و عن قوله تعالى: وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ و عن قوله تعالى: «إِنَ الذين آمنوا و الذين هادوا و النصارى و الصَابئون». فقالت: يا بن أختى، هذا من عمل الكتّاب، قد أخطئوا فى الكتاب.

قال السيوطى فى هذا الخبر: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

و يقولون أيضا:

روى عن أبى خلف مولى بنى جمح أنّه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة فقال: جئت أسألك عن آية فى كتاب اللّه؛ كيف كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يقرؤها؟ قالت: أيّة آية؟ قال: وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا أو

---

(۱) لقد أفاض و أجاد شيخنا محمد عبد العظيم الزرقانى فى كتابه «مناهل العرفان» مناقشة مثل هذه الشبه، و تفنيدها.

(۲) محمد عبد العظيم الزرقانى- مناهل العرفان فى علوم القرآن. الجزء الأول- ص ۳۹۳- ۳۹۸ فيقول حرفيا. شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۵۷

(الذين يأتون ما آتوا). قالت: أيّهما أحبّ إليك؟ قالت: و الذى نفسى بيده، لإحداهما أحبّ إلى من الدّنيا جميعا. قالت: أيّهما؟ قلت: (و الذين يأتون ما آتوا) فقالت: أشهد أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم كذلك كان يقرؤها، و كذلك أنزلت، و لكن الهجاء حرف.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: بأن هذه الروايات مهما يكن سندها صحيحا، فإنّها مخالفة للمتواتر القاطع، و معارض القاطع ساقط مردود، فلا يلتفت إليها، و لا يعمل بها.

ثانيا: أنّه قد نص فى كتاب «إتحاف فضلاء البشر»، على أن لفظ «هذن» قد رسم فى المصحف من غير ألف و لا ياء، ليحتمل وجوه القراءات الأربع فيها، كما شرحنا ذلك سابقا فى فوائد رسم المصحف.

و إذن فلا- يعقل أن يقال أخطأ الكاتب، فإن الكاتب لم يكتب ألفا، و لا ياء. و لو كان هناك خطأ تعتقده عائشة ما كانت تنسبه للكاتب، بل كانت تنسبه لمن يقرأ بتشديد (إن)، و بالألف لفظا فى (هذان). و لم ينقل عن عائشة، و لا عن غيرها تخطئة من قرأ بما ذكر؛ و كيف تنكر هذه القراءة و هى متواترة مجمع عليها؟، بل هى قراءة الأكثر، و لها وجه فصيح فى العربية لا يخفى على مثل عائشة. ذلك هو إلزام المثنى الألف فى جميع حالاته. و جاء منه قول الشاعر العربى:

«واها لسلمى ثم واها واهايا ليت عيناها لنا وفاها

و موضع الخلخال من رجلاهابثمن يرضى به أباها

إنّ أباها و أبا أباهاقد بلغا فى المجد غاياتها» فبعيد عن عائشة أن تنكر تلك القراءة، و لو جاء بها وحدها رسم المصحف.

ثالثا: إن ما نسب إلى عائشة «رضى اللّه عنها» من تخطئة رسم

المصحف فى قوله تعالى: وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ بالياء، مردود بما ذكره أبو حيان فى البحر إذ يقول ما نصه: «و ذكر عن عائشة رضى اللّه عنها، عن أبان بن عثمان أن كتبها بالياء من خطأ كاتب المصحف. و لا يصح ذلك عنهما؛ لأنها عربيان فصيحان، و قطع النعوت مشهور فى لسان العرب. و هو باب واسع ذكر عليه شواهد سيبويه، و غيره. و قال الزمخشرى: «لا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه خطأ فى خط المصحف. و ربما التفت إليه من لم ينظر فى الكتاب «يريد كتاب سيبويه» و لم يعرف مذاهب العرب، و ما لهم فى النصب على الاختصاص من الافتنان؛ و خفى عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم فى التوراة، و مثلهم فى الإنجيل، كانوا أبعد همة فى الغيرة على الإسلام، و ذبّ المطاعن عنه، من أن يتركوا فى كتاب اللّه ثلمة يسدها من بعدهم، و خرقا يرفوه من يلحقهم».

رابعا: أنّ قراءة «الصابئون» بالواو، لم ينقل عن عائشة أنّها خطأت من يقرأ بها، و لم ينقل أنها كانت تقرأ بالياء دون الواو. فلا يعقل أن تكون خطأت من كتب بالواو.

خامسا: أنّ كلام عائشة فى قوله تعالى: يُؤْتُونَ ما آتَوْا لا يفيد إنكار هذه القراءة المتواترة المجمع عليها. بل قالت للسائل: أيهما أحبّ إليك؟ و لا تحصر المسموع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فيما قرأت هى به. بل قالت: إنّه مسموع و منزل فقط.

و هذا لا ينافى أن القراءة الأخرى مسموعة، و منزلة كتلك.

خصوصا أنها متواترة عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم. أما قولها: و لكن الهجاء حرف:

فكلمة حرف مأخوذة من الحرف بمعنى القراءة، و اللغة، و المعنى أن هذه القراءة المتواترة التى رسم بها المصحف، لغة، و وجه من وجوه الأداء فى القرآن الكريم. و لا يصح أن تكون كلمة حرف فى حديث عائشة مأخوذة من التحريف الذى هو الخطأ، و إلا كان حديثا معارضا للمتواتر، و معارض القاطع ساقط.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۵۹

الشبهة التاسعة:

اشارة

يقولون: روى عن خارجة بن زيد بن ثابت أنه قال: «قالوا لزيد يا أبا سعيد «أو همت»! إنما هى «ثمانية أزواج من الضأن اثنين «۱» اثنين، و من المعز اثنين اثنين، و من الإبل اثنين اثنين، و من البقر اثنين اثنين».

فقال: لا. إن اللّه تعالى يقول: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى فهما زوجان، كل واحد منهما زوج. الذكر زوج، و الأنثى زوج» اه.

قال أعداء الإسلام: فهذه الرواية تدل على تصرّف نساخ المصحف، و اختيارهم ما شاءوا فى كتابة القرآن، و رسمه.

تفنيد هذه الشبهة:

و الجواب: أن كلام زيد هذا لا يدل على ما زعموا. إنما يدل على أنّه بيان لوجه ما كتبه و قرأه سماعا، و أخذا عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم لا تصرّفا، و تشهيا من تلقاء نفسه.

و كيف يتصور هذا من الصحابة فى القرآن و هم مضرب الأمثال فى كمال ضبطهم و تثبتهم فى الكتاب و السنة، لا سيما زيد بن ثابت؛ و قد عرفت فيما سبق من هو زيد فى حفظه و أمانته، و دينه، و ورعه؟! و عرفت دستوره الدقيق الحكيم فى كتابة الصحف و المصاحف! «فأنّى يؤفكون»؟

الشبهة العاشرة:

اشارة

يقولون: إن مروان هو الذى قرأ «ملك يوم الدين» من سورة الفاتحة بحذف الألف من لفظ «مالك». و يقولون: إنّه حذفها من تلقاء نفسه دون أن يرد ذلك عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم فضلا عن أن يتواتر عنه قراءة، و لفظا، أو يصح كتابة، و رسما.

---

(۱) يريدون آية سورة الأنعام و نصها: «ثمانية أزواج من الضّأن اثنين و من المعز اثنين قل» الخ.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۶۰

تفنيد هذه الشبهة:

اشارة

و الجواب أن هذا كذب فاضح.

أولا: لأنه ليس لهم عليه حجة، و لا سند.

ثانيا: إن الدليل قام، و

التواتر تم، و الإجماع انعقد، على أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم قرأ لفظ «ملك يوم الدين»

بإثبات الألف و حذفها، و أخذ أصحابه عنه ذلك. فممّن قرأ بهما علىّ، و ابن مسعود، و أبى بن كعب.

و ممن قرأ بالقصر- أى حذف الألف- أبو الدرداء، و ابن عباس، و ابن عمر. و ممن قرأ بالمد- أى إثبات الألف- أبو بكر، و عثمان «رضى اللّه عنهم أجمعين». و هؤلاء كلهم كانوا قبل أن يكون مروان، و قبل أن يولد مروان، و قبل أن يقرأ مروان. و قصارى ما فى الأمر: أن مروان اتفق أن روايته كانت القصر فقط. و ذلك لا يضرنا فى شىء. كما اتفق أن رواية عمر بن عبد العزيز كانت المد فقط.

ثالثا: أن كلمة «مالك» رسمت فى المصحف العثمانى هكذا «ملك» كما سبق.

خلاصة الدفاع:

و الخلاصة أن تلك الشبهة و ما ماثلها، مدفوعة بالنصوص القاطعة، و الأدلة الناصعة، على أن جميع القرآن الذى أنزله اللّه و أمر بإثباته و رسمه؛ و لم ينسخه ناسخ فى تلاوته، و هو هذا الذى حواه مصحف عثمان بين الدفتين، لم ينقص منه شىء، و لم يزد فيه شىء، بل إن ترتيبه و نظمه كلاهما ثابت على ما نظمه اللّه سبحانه و تعالى، و رتبه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم من آى و سور. لم يقدم من ذلك مؤخر، و لم يؤخر منه مقدم. و قد ضبطت الأمة عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم ترتيب آى كل سورة، و مواقعها، كما ضبطت منه نفس القراءات، و ذات التلاوة على ما سبق و ما سيجىء فى الكلام على القراءات إن شاء اللّه.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۶۱

فليلاحظ دائما فى الرد على أمثال تلك الشبهات أمران:

أولهما: تلك القاعدة الذهبية التى وضعها العلماء: و هى أن خبر الآحاد إذا عارض القاطع سقط عن درجة الاعتبار، و ضرب به عرض الحائط، مهما تكن درجة إسناده من الصحة.

ثانيهما: خطّ الدفاع الذى أقمناه حصنا حصينا دون النيل من الصحابة، و اتهامهم بسوء الحفظ أو عدم التثبت، و التحرى، خصوصا فى كتاب اللّه و سنة رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

الشبهة الحادية عشرة:

اشارة

يقولون: إن كثيرا من المتعلمين لا يحفظون القرآن، و لا يحسنون قراءته فى المصحف، لعدم معرفتهم الرسم العثمانى. فلما ذا تتقيد بهذا الرسم، و لا نكتب المصاحف اليوم باصطلاح الكتابة المعروف، تسهيلا على الناشئة، و تيسيرا على الناس؟

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: أن للعلماء آراء فى ذلك بالجواز. بل قال بعضهم- و هو العز بن عبد السلام- بوجوب كتابة المصحف للعامة باصطلاح كتابتهم الحديث؛ خشية الالتباس، كما يجب كتابته بالرسم العثمانى محافظة على هذا التراث العزيز. و قد سبق شرح آراء العلماء قريبا. و ما هى منك ببعيد.

ثانيا: أن فى الرسم العثمانى مزايا، و فوائد ذكرناها سابقا.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۶۲

ثالثا: أن مذهب الجمهور قائم على أدلة متوافرة على وجوب التزام هذا الرسم عندهم. و قد تقدمت تلك الأدلة أيضا.

رابعا: أنّ مصطلح الخط و الكتابة فى عصرنا، عرضة للتغيير و التبديل. و من المبالغة فى قداسة القرآن حمايته من التغيير، و التبديل فى رسمه.

خامسا: أن إخضاع المصحف لمصطلحات الخط الحديثة، ربما يجرّ إلى فتنة، أشبه بالفتنة التى حدثت أيام عثمان، و حمله على أن يجمع القرآن. فربما يقول بعض الناس لبعض، أو بعض الشعوب لبعض، عند اختلاف قواعدهم فى رسم المصحف: رسمى خير من رسمك، أو مصحفى خير من مصحفك، أو رسمى صواب، و رسمك خطأ. و قد يجر ذلك إلى أن يؤثم بعضهم بعضا، أو يقاتل بعضهم بعضا.

و من المقرّر أن درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح.

سادسا: أن الرسم العثمانى أشبه بالرسم العام الذى يجمع الأمة على كتابة كتاب ربها فى سائر الأعصار و الأمصار، كاللغة العربية؛ فإنها اللسان العام الذى يجمع الأمة على قراءة كتاب ربها فى سائر الأعصار و الأمصار. و ما يكون لنا أن نفرط فى أمر هذا شأنه يجمع الشتات، و ينظم الأمة فى سلك واحد لا فرق بين ماض، و حاضر و آت!.

سابعا: أنّه يمكن تسهيل القراءة على الناس بإذاعة القرآن كثيرا إذاعة مضبوطة دقيقة، و بإذاعة فن التجويد فى المدارس، و فى أوساط المتعلمين، و أخيرا يمكن- كما قالت مجلة الأزهر- أن تنبّه فى ذيل كل صفحة من صفحات المصحف على ما يكون فيها من الكلمات المخالفة للرسم المعروف، و الاصطلاح المألوف. لا سيما أن رسم المصاحف العثمانية لا يخالف قواعدنا فى الخط و الإملاء

إلا قليلا، و فى كلمات معدودة، أضف إلى ذلك أن الفرق بين الرسمين لا يوقع القارئ اليقظ فى لبس عند تأمله، و إمعانه غالبا.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۶۳

الباب الثالث شبهات حول كتابة القرآن و رسمه، و تفنيدها.

الشبهة الأولى:

اشارة

إن فى القرآن لحنا، بدليل أنه روى عن عثمان بن عفان أنه حين عرض عليه المصحف بعد جمعه قال: «أحسنتم، و أجملتم، إن فى القرآن لحنا ستقيمه العرب بألسنتها». و يدعى أصحاب هذه الشبهة: أنه روى عن عكرمة أنه قال: «لما كتبت المصاحف عرضت على عثمان، فوجد فيها حروفا من اللحن، فقال: لا تغيروها؛ فإنّ العرب ستغيرها، أو قال: ستعربها بألسنتها. لو كان الكاتب من ثقيف، و المملى من هذيل، لم توجد فيه هذه الحروف». و هم يستدلون بالروايتين ليطعنوا بالمصحف العثمانى، و بأنه غير ثقة، و بأنه لا يستحق الاهتمام به، أو التعبد بتلاوته و قراءته فى الصلاة، و إن أجمعت عليه الأمّة الإسلامية- و على رأسها الصحابة- بالقبول؛ و ذلك لأنّ فيه لحنا.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۶۴

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: الروايتان عن عثمان- رضى اللّه عنه- غير صحيحتين و إسنادهما ضعيف، و فيهما انقطاع، و اضطراب. قال العلامة الألوسى فى تفسيره: «إن ذلك لم يصح عن عثمان أصلا».
ثانيا: الروايتان تتناقضان تماما مع ما عرف عن عثمان بن عفان من ورع، و دقة، و كمال، و شدة تحرى؛ و خاصة فيما يتعلق بالقرآن و جمعه. و يدلل على هذا ما أخرجه أبو عبيد عن عبد الرحمن بن هانئ مولى عثمان قال: «كنت عند عثمان- و هم يعرضون المصاحف- فأرسلنى بكتف شاة إلى أبى بن كعب فيها: «لم يتسنّ»، و فيها: «لا تبديل للخلق»، و فيها: «فأمهل الكافرين»، فدعا بدواة، فمحا أحد اللامين، و كتب لِخَلْقِ اللّٰهِ، و محا «فأمهل»، و كتب فَمَهِّلِ، و كتب لَمْ يَتَسَنَّهْ فألحق فيها الهاء. قال ابن الأنبارى: «فكيف يدعى عليه أنه رأى فسادا فأمضاه؟! و هو يوقف على ما يكتب، و يرفع الخلاف الواقع من الناسخين فيه، فيحكم بالحق و يلزمهم إثبات الصواب، و تخليده».
ثالثا: على فرض صحة الروايتين، فإننا يمكن أن نؤولها بما يتفق و يتلاءم مع الصحيح المتواتر عن عثمان فى كتابة المصاحف و جمعها؛ و من الدقة، و الضبط، و نهاية التثبت. فالمراد باللحن فى الروايتين المذكورتين وجه فى القراءة. فيكون المراد: أن فى القرآن و رسم مصحفه وجها فى القراءة لا تتقنه، و لا تجيده ألسنة العرب جميعا، و لكنها، و مع مرور الزمن ستلين ألسنتهم، و ستتقنه، و ستجيد قراءته، و تلاوته؛ بكثرة القراءة، و المران، و التلاوة بهذا الوجه. فاللحن المراد فى قول عثمان- إن صح- هو الوجه فى القراءة سيصعب على العرب التلاوة به فى أوّل الأمر ثم تستقيم القراءة به فى نهاية الأمر، و قد ضرب العلماء مثلا على ذلك، و هو كلمة «الصراط» بالصاد المبدلة من السين، فتقرأ العرب بالصاد عملا بالرسم، و بالسين عملا بالأصل.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۶۵

الشبهة الثانية:

اشارة

إنّ فى القرآن لحنا بمعنى خطأ، بدليل ما روى عن سعيد بن جبير أنّه كان يقرأ: وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ، و يقول: «هو من لحن الكتاب».

تفنيد هذه الشبهة:

على فرض صحة ما نقل عن سعيد بن جبير، فإن مراده باللّحن يستحيل أن يكون بمعنى الخطأ، بدليل أن سعيد بن جبير كان يقرأ بهذا الوجه من القراءة، وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ. فلو كان يعنى باللحن: الخطأ، لما رضى لنفسه أن يقرأ بالخطإ. و اللحن فى قوله تعالى: وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ يعنى اللغة و الوجه فى القراءة. و كلمة وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ، واردة فى آية فى سورة النساء، و فى قوله تعالى: لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً آية ۱۶۲. فكلمة وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وردت منصوبة بالياء فى قراءة الجمهور؛ و وردت مرفوعة بالواو فى قراءة أبى عمرو فى رواية يونس، و هارون عنه.
و القراءتان وجهان صحيحان فى التلاوة. فالنصب مخرج على المدح، و التقدير: «و امدح المقيمين الصلاة». و الرفع مخرج على العطف، و المعطوف عليه، و هو المؤمنون مرفوع.

الشبهة الثالثة:

اشارة

إن فى القرآن ما ليس منه. بدليل ما روى عن ابن عباس فى قوله تعالى حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا أنّه قال: إن الكاتب أخطأ، و الصواب: «حتى تستأذنوا».

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: يقول أبو حيان: «إن من روى عن ابن عباس أنّه قال ذلك
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۶۶
فهو طاعن فى الإسلام ملحد فى الدين، و ابن عباس برىء من ذلك القول».
ثانيا: أخرج ابن أبى حاتم، و ابن الأنبارى فى المصاحف، و ابن جرير، و ابن مردويه عن ابن عباس أنّه فسر تَسْتَأْنِسُوا فقال: أى تستأذنوا من يملك الاذن من أصحابها. أى أصحاب البيوت.
ثالثا: إن قراءة «تستأذنوا» لم تثبت عن ابن عباس؛ و لو كانت صحيحة، لنقلت عنه تلاوتها.
رابعا: على فرض صحة الخبر المنقول عن ابن عباس كما روى ذلك الحاكم، فإنّه يردّ بدعوى أنّه معارض للمتواتر فى القرآن و هو تَسْتَأْنِسُوا، و ليس تستأذنوا. و القاعدة المعمول بها: أن معارض المتواتر القطعى ساقط، و لا يؤخذ به، و لا يعتد به، و لا يتلى به. و أن الرواية متى خالفت رسم المصحف، فهى شاذة لا يلتفت إليها، و لا يعوّل عليها.

الشبهة الرابعة:

اشارة

إن فى القرآن تحريف. بدليل ما روى عن ابن عباس أنّه قرأ:
«أ فلم يتبيّن الذين آمنوا أن لو يشاء اللّه لهدى النّاس جميعا» فقيل له:
إنّها فى المصحف: «أ فلم ييأس الذين آمنوا» فقال: أظن الكاتب كتبها و هو ناعس.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: قال أبو حيان: «بل هو قول ملحد زنديق».
ثانيا: قال الزمخشرى: «و نحن ممن لا يصدق هذا فى كتاب اللّه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه. و كيف يخفى هذا؟!
حتى يبقى ثابتا بين دفتى الإمام- (أى المصحف الإمام)، و هو مصحف
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۶۷
عثمان- و كان متقلبا بين أيدى أولئك الأعلام المحتاطين لدين اللّه المهيمنين عليه، لا يغفلون عن جلالته و دقائقه، خصوصا عن القانون الذى إليه المرجع، و القاعدة التى أقيم عليها البناء، هذا و اللّه فرية، ما فيها مرية».
ثالثا: قال الفرّاء: «لا يتلى إلا كما أنزل: «أ فلم ييئس»».
رابعا: قال الزرقانى: «و على ذلك تكون رواية ذلك فى الدر المنثور و غيره عن ابن عباس رواية غير صحيحة. و معنى: «أ فلم ييئس الذين «امنوا» أ فلم يعلموا. قال القاسم بن معن: هى لغة هوازن.
و جاء بها الشعر العربى فى قول القائل:
أقول لهم بالشّعب إذ يأسرونني أ لم تيأسوا أنى ابن فارس (زهدم) أى أ لم تعلموا» «۱».

الشبهة الخامسة:

اشارة

إنّ فی القرآن تغییرا. بدلیل ما روی عن ابن عباس: «أنّه کان یقول فی قوله تعالی: وَ قَضی رَبُّکَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِیّاهُ: إنما هی: «و وصّی ربّک» التصقت الواو بالصاد. و کان یقرأ: و وصی ربک. و یقول: أمر ربک، إنهما واوان التصقت إحداهما بالصاد. و روی عنه أنّه قال: «أنزل اللّه هذا الحرف علی لسان نبیکم. و وصی ربک ألا تعبدوا إلا إیّاه.

فلصقت إحدی الواوین بالصاد، فقرأ الناس: وَ قَضی رَبُّکَ. و لو نزلت علی القضاء، ما أشرک أحد».

تفنید هذه الشبهة:

أولا: قال ابن الأنباری: «إن هذه الروایات ضعیفة».

---

(۱) قال فی القاموس: زهدم: کجعفر. فرس لعنترة. و فرس لبشر بن عمرو الریاحی.

شبهات حول القرآن و تفنیدها، ص: ۶۸

ثانیا: قال أبو حیان فی البحر: و المتواتر هو: «و قضی»، و هو المستفیض عن ابن عباس، و الحسن، و قتادة بمعنی أمر. و قال ابن مسعود و أصحابه: بمعنی «و وصی».

ثالثا: قال الزرقانی: «روایة «و قضی» هی التی انعقد الإجماع علیها من ابن عباس، و ابن مسعود، و غیرهما، فلا یتعلق بأذیال مثل هذه الروایة الساقطة إلا ملحد، و لا یرفع عقیرته بها إلا عدو من أعداء الإسلام».

رابعا: إنّ الروایات عن ابن عباس مخالفة للمتواتر القطعی. و هو قراءة: «و قضی» و المعارض للقاطع ساقط لا یعتد به. فتبقی: «و قضی» هی الصحیحة، و ما روی عن ابن عباس أنّها «و وصی» ساقط غیر صحیح، و لا یعتد بتلاوته.

الشبهة السادسة:

اشارة

إنّ فی القرآن اختلافا فی الرسم، و التلاوة. بدلیل ما روی عن ابن عباس أنّه قرأ قوله تعالی: وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسی وَ هارُونَ الْفُرْقانَ وَ ضِیاءً- سورة الأنبیاء آیة ۴۸- بدون الواو قبل کلمة ضیاء. و روی عنه أنّه قال:

خذوا هذه الواو، و اجعلوها فی الَّذِینَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إِنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَکُمْ. و روی عنه أیضا أنّه قال: انزعوا هذه الواو، و اجعلوها فی:

الَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ.

تفنید هذه الشبهة:

أولا: جمیع هذه الروایات ضعیفة، و لم یصح منها شیء عن ابن عباس.

شبهات حول القرآن و تفنیدها، ص: ۶۹

ثانیا: إنّها معارضة للقراءة المتواترة قطعیة الثبوت.

ثالثا: إنّ إعجاز القرآن البیانی، و البلاغی یقتضی وجود الواو قبل ضیاء، و لیس عدمها. فابن عباس نفسه فسر الفرقان فی الآیة المذکورة بالنصر. و علیه یکون الضیاء بمعنی التوراة أو الشریعة. فالمقام للواو لأجل هذا التغایر.

الشبهة السابعة:

اشارة

إن فی القرآن حذفا فی الرسم، و التلاوة. بدلیل ما روی عن ابن عباس فی قوله تعالی: مَثَلُ نُورِهِ کَمِشْکاةٍ أنّه قال: «هی خطأ من الکاتب، و هو أعظم من أن یکون نوره مثل المشکاة. إنّما هی: مثل نور المؤمن کمشکاة».

تفنید هذه الشبهة:

أولا: إنّها روایة معارضة للثابت المتواتر القاطع من القرآن.

ثانیا: یقول الزرقانی فی مناهل العرفان: «إنّه لم ینقل عن أحد من القرّاء أن ابن عباس قرأ: مثل نور المؤمن، فکیف یقرأ- رضی اللّه عنه- بما یعتقد أنّه خطأ، و یترک ما یعتقد أنّه صواب؟!! ألا إنّها کذبة مفضوحة!! و لو أنّهم نسبوها لأبی بن کعب لکان الأمر أهون؛ لأنّه روی فی الشواذ أنّ أبی بن کعب قرأ: مثل نور المؤمن. و الذی ینبغی أن تحمل علیه هذه الروایات أن أبیا- رضی اللّه عنه- أراد تفسیر الضمیر فی القراءة المعروفة المتواترة، و هی: مثل نوره. فهی روایات عنه فی التفسیر لا فی القراءة، بدلیل أنّه کان یقرأ: مَثَلُ نُورِهِ «۱».

---

(۱) محمد عبد العظیم الزرقانی- مناهل العرفان- ج ۱ ص- ۳۹۲.

شبهات حول القرآن و تفنیدها، ص: ۷۱

الباب الرابع شبهات حول تواتر القرآن، و تفنیدها

الشبهة الأولی:

اشارة

إنّ القرآن غیر متواتر جمیعه، و دلیل ذلک أن البسملة عند من یعتبرها قرآنا فی بدایة السور القرآنیة لم یجر التحدی بها، فی حین أن القرآن المتحدی به هو المتواتر. فالبسملة لا یتحدی بها، فهی غیر معجزة، و لا یتحقق فیها أنّها أصل لأحکام فکیف إذن تکون متواترة؟!!

تفنید هذه الشبهة:

أولا: إن التحدی بالقرآن لیکون معجزا هو ما یکون أقله ثلاث آیات أی سورة واحدة، و التحدی بالبسملة کقرآن إنّما یکون بإضافتها إلی آیتین أخریین لیتألف من الثلاثة قرآنا معجزا، و متحدی به، و هذا متواتر فی نقله و حفظه.

ثانیا: إنّ التحدی بالبسملة إنّما یتعلق بنظمها، و بذلک تتناولها

شبهات حول القرآن و تفنیدها، ص: ۷۲

الأحکام المعروفة بأنّ لتلاوتها- علی اعتبار أنّها قرآن- الأجر الکبیر، و الثواب العظیم.

الشبهة الثانیة:

اشارة

إن الاختلاف فی قرآنیة البسملة یخلخل، و یزعزع حقیقة تواتر القرآن و من ثم یؤدی إلی الاختلاف بین المسلمین، و من ثم یؤدی إلی تکفیر بعضهم البعض. فالقول بأن القرآن و بما فیه البسملة کله متواتر یؤدی إلی تکفیر من ینکرها کقرآن. و القول بأن القرآن- و البسملة لیست منه- کله متواتر یؤدی إلی تکفیر من یصنفها کقرآن.

تفنید هذه الشبهة:

إن قرآنیة البسملة فی بدایة السور لیست متواترة، و لیست مما علم من الدین بالضرورة. و إنما مختلف فی قرآنیتها، و هی قضیة اجتهادیة.

و کل ما کان من هذا القبیل لا یکفر منکره أو مثبته.

أما البسملة فی سورة النمل: إِنَّهُ مِنْ سُلَیْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ آیة ۳۰، فهذه محکوم بقرآنیتها عند الجمیع، و یکفر منکرها، و هی متواترة، و مما علم من الدین بالضرورة.

الشبهة الثالثة:

اشارة

إن إثبات تواتر القرآن بناء على حجية تواتر الدواعي لنقله ليس دليلا كافيا على تواتر القرآن. فإن تواتر الأسباب الداعية لحفظه و نقله إلى الآخرين، لا يعتبر دليلا شافيا يستند إليه لإثبات حجية تواتر القرآن- و دليل ذلك السنة النبوية- فقد توفرت الأسباب الداعية لنقلها، و مع ذلك فليست كلها متواترة- فمنها المتواترة، و منها خبر الآحاد. و مع أنها أصل للأحكام كالقرآن.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۷۳

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إن توافر أسباب و دواعي نقل القرآن متواترا لم يأت من ناحية أصالة الأحكام فقط، و إنما جاء منها، و من نواحي الإعجاز، و التحدي، و التعبد بتلاوته، و قراءته في الصلاة، و الرقية به، و التبرك به، و هذا كله لا يجتمع في السنة النبوية كلها، و إنّما في بعضها، فجاء بعضها متواترا، و بعضها غير متواتر.

ثانيا: إن المراد بأصالة الأحكام الفرد الكامل الذي لا يوجد إلا في القرآن؛ و ذلك لأن أصالة الأحكام، و كما يقول شيخنا الزرقاني «في القرآن ترجع الأصالة إلى اللفظ و المعنى جميعا. أما المعنى فواضح.

و أما اللفظ فمن ناحية الحكم بإعجازه، و بثواب من قرأه، و بالوعود الكريمة و العطايا العظيمة لمن حفظه، و بالوعيد الشديد لمن نسيه بعد حفظه؛ و لمن مسه أو قرأه جنبا إلى غير ذلك. و السنة النبوية ليس للفظها شيء من هذه الأحكام؛ و لذلك تجوز رواياتها بالمعنى.

أما معناها: فإن كان مما تتواتر الدواعي على نقله، وجب تواتره، و إلا فلا. و لهذا يقطع بكذب نقل الروافض ما نسبوه إلى الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» من أنّه نص على أن الإمامة العظمى من بعده محصورة في علي، و ولده. و بيان ذلك: أنّه لو صح ما زعموه، لنقل متواترا؛ فإنّه مما تتوافر الدواعي على نقله لتعلقه بأمر يتصل بمستقبل الحكم الأعلى، و الولاية العظمى في الإسلام لجميع بلاد الإسلام» «۱».

الشبهة الرابعة:

اشارة

إنّ تواتر القرآن منقوض بأنّ ابن مسعود لم يوافق على مصحف عثمان بن عفان، و دليل ذلك:

---

(۱) الزرقاني:- مناهل العرفان- ج ۱ ص- ۴۷۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۷۴

أ- ما رواه النسائي، و أبو عوانة، و ابن أبي داود أن شقيق بن سلمة قال: «خطبنا عبد الله بن مسعود على المنبر، فقال: وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ، غلوا مصاحفكم، (أي اخفوها حتى لا تحرق). و كيف تأمرونني أن أقرأ قراءة زيد بن ثابت، و قد قرأت من في رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» مثله؟!».

ب- ما رواه الحاكم من طريق أبي ميسرة قال: «رحت، فإذا أنا بالأشعري و حذيفة، و ابن مسعود، فقال ابن مسعود: «و اللّه، لا أدفعه- (يعني مصحفه)- أقرأني رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»»، فذكره.

ج- إن خير بن مالك يقول: «لما أمر بالمصاحف أن تغير، ساء ذلك عبد الله بن مسعود، فقال: من استطاع أن يغل مصحفه (أي يخفيه حتى لا يحرق)، فليفعل. و قال في آخره: أ فأترك ما أخذت من في رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»؟!!».

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إنّ هذه الروايات لا تنفي تواتر القرآن، و قراءته أبدا. و لا تدل على هذا النفي. فهي تدل على امتناع عبد الله بن مسعود عن إحراق مصحفه. و بهذا الامتناع لا ينقض تواتر القرآن في مصحف عثمان. فإنّه ليس من شرط التواتر إحراق المصاحف الأخرى، و منها مصحف ابن مسعود. فمن المؤكد توافر شروطها لتواتر القرآن في مصحف عثمان، و ليس منها شرط أن تحرق ما عداه من مصاحف. فإن ما جاء في مصحف عثمان كله مروي جماعة عن جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب.

ثانيا: إنّ هذه الروايات لا تفيد مطلقا أن ابن مسعود خالف ما جاء في مصحف عثمان بن عفان. و الدليل على ذلك قول ابن مسعود نفسه: «و قد قرأت من في رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» مثله». فكلمة «مثله» تفيد أن زيد بن ثابت قرأ القرآن نفسه من رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و دونه في مصحف عثمان.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۷۵

ثالثا: إن المصحف العثماني أجمعت الأمة على قبوله، و تواتره، و إنّه من الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» حتى و لو خالفه ابن مسعود أو غيره؛ حتى و إن احتج ابن مسعود بمصحفه، فهو ليس بحجة؛ فقد نقل بخبر الآحاد، و لم تجمع الأمة على قبوله. و تفيد الروايات أن ابن مسعود أحرق مصحفه أخيرا كما ورد في حديث شقيق من رواية ابن أبي داود عن طريق الزهري، و خاصة لما علم بكره الصحابة مخالفته لعثمان بن عفان عند ما دعا إلى إحراق الصحف الأخرى، و منها مصحفه أي مصحف ابن مسعود.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۷۷

الباب الخامس شبهات حول المكي و المدني من القرآن، و تفنيدها

الشبهة الأولى:

اشارة

إنّ أسلوبي القرآن المكي، و المدني متعارضان. فالأسلوب القرآني المكي يتسم بالعنف، و التشدد، و الحدة، و القسوة، و الغضب، و الوعد، و الوعيد، و التهديد، و الترهيب، بينما يتسم الأسلوب القرآني المدني بالليونة، و الصفح، و السماحة، و العفو، و الفضل، و الامتنانة.

تفنيد هذه الشبهة:

إن نظرة عقلانية فاحصة في أسلوبي القرآن المكي، و المدني تفند هذه الشبهة، و تدحض افتراءات التعارض بينهما. فالقرآن الكريم بقسميه المكي، و المدني يشتمل على الشدة، و العنف، و الليونة، و الصفح، و هو في دعوته إلى الحق، و الفضيلة، و الاقتناع، و الإفحام، و الشرح، و التوضيح، يستخدم شواهد الحكمة و التشدد، و العقلانية، و التسامح في

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۷۸

قسميه؛ و هو يستخدم أسلوب الترغيب و الترهيب، و الوعد و الوعيد، و الشدة و التسامح في مكيه، و مدنيه.

أولا: فالعنف، و الشدة، و الحدة، و القسوة ليس قصرا على القرآن المكي. فالقرآن المدني يتسم في كثير من آياته بمثل هذه الصفات و الشواهد.

فقد قال تعالى في سورة البقرة، و هي مدنية: وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَما آمَنَ النَّاسُ قالُوا أَ نُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ وَ لكِنْ لا يَعْلَمُونَ (۱۳) وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (۱۴) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ آية ۱۳- ۱۴- ۱۵.

و قال تعالى في سورة آل عمران، و هي مدنية: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ أُولئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (۱۰) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ (۱۱) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهادُ آية ۱۰- ۱۱- ۱۲.

و قال تعالى في سورة النساء، و هي مدنية: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالًا بَعِيداً (۱۶۷) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً (۱۶۸) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً آية ۱۶۷- ۱۶۹.

ثانيا: و كذلك فإن الليونة، و التسامح، و الصفح ليس قصرا على القرآن المدني. فالقرآن المكي تفيض آياته في الكثير من سوره بمثل هذه الصفات، و الشواهد. فقد قال تعالى في سورة الأنعام، و هي مكية:

وَ إِذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۷۹

الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ آية ۵۴.

و قال تعالى في سورة الأعراف، و هي مكية: وَ بَيْنَهُما حِجابٌ وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ آية ۴۶.

و قال تعالى فى سورة يونس، و هى مكية: أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۶۲) الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (۶۳) لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ آية ۶۲- ۶۴.

الشبهة الثانية:

اشارة

إنّ القسمين المكى، و المدنى منقطعا الصلة.

فالقرآن المكى تتسم سوره، و آياته بالقصر، أما المدنى فتتسم سوره و آياته بالطول.

تفنيد هذه الشبهة:

يمكننا تفنيد هذه الشبهة بأمرين اثنين.

الأول: إن القول بانقطاع الصلة بين القرآنين المكى، و المدنى استنادا إلى شواهد الطول، و القصر أمر تنقصه الدقة، و يحتاج إلى دليل.

و نحن نسأل: متى كان الطول و القصر معيارا صحيحا فى الحكم على نظم أعظم كتاب، و أعجز فرقان، إلا أن يكون السوء فى النية، و التطاول فى الكفر، و التمادى فى الباطل؟!!.

و مع الإقرار بصفة القصر للمكى، و الطول للمدنى، فإننا لا نشعر

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۸۰

بأى تفاوت أو انقطاع بينهما بل بكمال الصلة، و التناسق، و جمال الانسجام، و انتظام الأحكام.

و لو كان الأمر كما يدّعون، لما غاب ذلك عن أئمة الفصاحة و البيان من العرب؛ و الذى نزل فيهم، و تحداهم فلم يجرءوا- و على تماديهم فى التحدى- على القول بانقطاع الصلة بين قسميه المكى و المدنى. و على العكس من ذلك، فقد شهدوا له بقسميه المكى، و المدنى بمراعاة قانون التحكم فى قواعد البلاغة، و التناسق فى السرد، و التلاوة، و الانتظام فى النظم، و الأسلوب؛ و هو ينتقل من المكى إلى المدنى بالنسبة للسور، و من الآيات المكية فى السور المدنية، و الآيات المدنية فى السور المكية بالنسبة للآيات.

و ما القصر للمكى، و الطول للمدنى إلا شاهد بيانى، و بلاغى فى أسلوب المخاطبة، و التناسب مع الأحوال. فأهل مكّة اتسموا بالتمنع، و التشدد، و الغلظة، و الصلافة، فكان أسلوب الزجر المتسم بشواهد القصر مناسبا لهم. و على العكس من ذلك فأهل المدينة اتسموا باللين، و السماحة، و القبول، فكان أسلوب الإطناب، و الإسهاب المتصف بشواهد الطول مناسبا لهم. و هذه غاية التناسق، و التناسب فى التخاطب.

و هكذا اقتضت شواهد التناسب فى المخاطبة مع الأحوال أن يأتى القرآن المكى فى معظمه موجزا قصيرا، و المدنى فى معظمه طويلا مطنبا.

الثانى: إن القول بقصر المكى، و طول المدنى ليس مقبولا على إطلاقه بل هو على الغالب، و لذا فقد احتوى القسم المكى على سور طويلة كسورة الأنعام، و قد احتوى القسم المدنى على سور قصيرة كسورة النصر. و لو كان القول بقصر المكى، و طول المدنى على الأكثر و الأغلب، لكان صحيحا، و نحن نسلم به. أما القول بذلك على الإطلاق، فلا يمكن قبوله؛ و خاصة أن هذا مصحوب بسوء النية، و الافتراء على القرآن، و الكافر لا يعدم الوسيلة، و لو اتّصفت بالتفاهة، و السفاهة للنيل من قرآن ربنا؛ قرآننا.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۸۱

الشبهة الثالثة:

اشاره

إنّ القرآن المكّى تأثر بالبيئة. و دليل ذلك القسم فيه بالكثير من المحسوسات كالليل، و النهار، و الضحى، و الشمس، و القمر، و التين، و الزيتون، و طور سنين، و الرياح، و الخيل. و هذا عكس القرآن المدنى حيث خلا من كل ذلك.

تفنيد هذه الشبهة:

يمكننا تفنيد هذه الشبهة من خلال أمرين اثنين:

أولا: إنّ القسم بالأمور الحسية إنما هو من قبيل رعاية مقتضى الحال. و القرآن المكى- و هو يخاطب صناديد قريش، و أئمة الشرك، و جبابرة العناد- أجاد فى طرح دلائل الألوهية؛ و تفنن فى عرض أساليب الإفحام بالقسم بالأمور الحسية؛ و التذكير بشواهد الخلق، و النعم المحيطة بأهل مكة؛ لذا لعقائد الشرك من عقولهم، و طرحا لشواهد الجحود من أذهانهم سيما و أنهم يؤمنون بتوحيد الربوبية؛ و هى نسبة أفعال اللّه إليه تعالى: كالخلق، و الرزق، و الحياة، و الممات، و الشفاء، و المرض، و كل ذلك حتى يلفت أذهانهم إلى حقيقة الألوهية، و أنها الخالقة لكل، و لمثل هذه المخلوقات، و النعم، و الأمور الحسية التى أقسم اللّه بها.

و كما يقول أستاذنا المرحوم محمد عبد العظيم الزرقانى: بأن المصاب بداء الشرك لا سبيل لإنقاذه منه إلا بمثل الطريقة المثلى التى سلكها القرآن بعرض دلائل التوحيد من آيات اللّه فى الآفاق على أنظار المشركين. و هذا سبيل متعين فى خطاب كل مشرك، و لو كان واحد الفلاسفة، و وحيد العباقرة، و أستاذ المثقفين، و المستنيرين. فحلف القرآن بأمثال هاتيك المخلوقات و الحسيات، ليس سبيلا إلى الطعن فى القرآن «۱».

---

(۱) د. محمد عبد العظيم الزرقانى- مناهل العرفان. ج ۱ ص- ۲۲۲.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۸۲

ثانيا: إنّ القسم بالأمور الحسية يوحى، و ينبئ بوجود أسرار عظيمة أودعها اللّه تلك المخلوقات الحسية، و التى أقسم بها. و غنى عن البيان: أنّ هذه الأسرار لا يدركها، و لا يستشفها إلا أولو الألباب من الناس أصحاب العقول الكبيرة حيث إنّها لم تشرح، و لم تفسر فى القرآن الكريم. فاللّه تعالى عند ما أقسم بالتين، و الزيتون، و طور سنين، و هذا البلد الأمين، فهو يذكرنا بعظم الأسرار، و الحوادث، و الآثار المحيطة، و النازلة بنى البشر. قال العلامة المرحوم الشيخ محمد عبده فى تفسيره لسورة التين: «و قد يرجح أنّها (أى التين، و الزيتون) النوعان من الشجر.

و لكن لا لفوائدهما كما ذكروا، بل لما يذكران به الحوادث العظيمة التى لها الآثار الباقية فى أحوال البشر. فاللّه تعالى أراد أن يذكرنا بأربعة فصول من كتاب الإنسان الطويل، فإنّه كان يستظل فى تلك الجنة التى كان فيها بورق التين. و عند ما بدت له، و لزوجته سوآتهما، طفقا يخصفان عليهما من ورق التين. و الزيتون: إشارة إلى عهد نوح (عليه السلام) و ذريته. و ذلك أنّه بعد أن فسد البشر، و أهلك من أهلك منه بالطوفان، و نجى نوح فى سفينته، و استقرت السفينة نظر نوح إلى ما حوله، فرأى المياه لا تزال تغطى وجه الأرض، فأرسل بعض الطيور لعله يأتى إليه بخبر انكشاف الماء عن بعض الأرض، فغاب، و لم يأت بخبر.

فأرسل طيرا آخر، فرجع إليه يحمل ورقة من شجر الزيتون، فاستبشر، و سر، و عرف أن غضب اللّه قد سكن، و قد أذن للأرض أن تعمر، ثم كان منه و من أولاده تجديد القبائل البشرية العظيمة فى الأرض التى امحى عمرانها، فعبّر عن ذلك الزمن بزمن الزيتون. و الإقسام هنا بالزيتون للتذكير بتلك الحادثة، و هى من أكبر ما يذكر من الحوادث».

و طور سنين: «إشارة إلى عهد الشريعة الموسوية، و ظهور نور التوحيد فى العالم بعد ما تدنست جوانب الأرض بالوثنية، و قد استمر الأنبياء بعد موسى يدعون قومهم إلى التمسك بتلك الشريعة إلى أن كان آخرهم عيسى- عليه السلام- جاء مخلصا لروحها مما عرض عليه من البدع. ثم طال الأمد على قومه، فأصابهم ما أصاب من قبلهم من

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۸۳

الاختلاف فى الدين، و حجب نوره بالبدع، و إخطاء معناه بالتأويل، و إحداث ما ليس منه بسبيل. فمنّ اللّه على البشر ببداية تاريخ بنسخ جميع تلك التواريخ. و يفصل بين ما سبق من أطوار الإنسانية، و بين ما يلحق، و هو عهد ظهور النور المحمدى من مكة المكرمة. و إليه أشار بذكر البلد الأمين. و على هذا القول الذى فصلنا بيانه يتناسب القسم و المقسم عليه» «۱».

الشبهة الرابعة:

اشارة

إنّ القرآن المكى تأثر بكل الأوساط المنحطة. و دليل ذلك انفراده بالشدة، و العنف، و التقريع، و التوبيخ، و الغلظة، و القساوة. و دليل ذلك أيضا قصر آياته، و سوره، و خلوه من التشريع، و التفصيل، و الأحكام الشرعية العملية، و خلوه من الجمال الأسلوبى، و الفصاحة، و البيان.

تفنيد هذه الشبهة:

يمكننا تفنيد هذه الشبهة من خلال ثلاثة أمور:

أولا: إنّ الادعاء بتأثر القرآن المكى بكل الأوساط المنحطة بسبب انفراده بالشدة، و العنف، و الغلظة، ادعاء باطل، و متهور عقلا و دليلا و معنى.

فالعقلانية السليمة المبصرة، و العالمة تعلم أن الوسط الذى نزل فيه القرآن وسط عنف، و صلافة، و عناد؛ فكان أسلوبه مناسبا لمثل هذا الوسط فى المخاطبة. فجاء عنيفا ليعنف عقولهم، و جاء شديدا ليسفّه أحلامهم.

فهو لم يخرج عن جادة الصواب فى المخاطبة، فهذا هو الأسلوب المناسب لمخاطبتهم. و هو لم يخرج أبدا عن جادة الصواب فى الأدب، و الحشمة، و اللياقة. و هو لم يصدف عن جادة الحكمة فى إقامة الدليل

---

(۱) محمد عبد العظيم- مناهل العرفان. ج ۱- ص ۲۲۴- ۲۲۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۸۴

الواضح على سفاهة عقولهم، و دناءة أفهامهم، و أفكارهم. و نحن نتحداهم بالدليل القاطع، و بأن يأتوا بالدليل العابر على انحطاط هذا القرآن، و بقسميه المكى، و المدنى- و أهل مكة اتصفوا بصعوبة المراس، و شدة العناد، و الرغبة عن الانقياد لما ينقذهم من شفا جرف انهار بهم فى جهنم- فجاء القرآن مناسبا لمثل هذا الوسط العنيد شديد المراس. و هل يطمعون أن يأتى قرآن سماته الليونة، و التعطف فى المخاطبة، و الرجاء فى الانقياد؟ فهذا، و اللّه، ليس بالصالح لهم. و بذلك خاطبهم بالحكمة الجادة، و الموعظة الصادقة لعلهم يؤمنون، و لم يؤمنوا. فاللّه تعالى يقول:

ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ سورة النحل آية ۱۲۵.

و هذه سمة القرآن الكريم فى أسلوب التقريع، و بقسميه المكى، و المدنى، و ليس بالمكى فقط. فاللّه تعالى يقول فى سورة البقرة، و هى مدنية:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ آية ۶.

الثانى: إن تفسير الانحطاط بقصر الآيات و السور، أو الخلو من التشريع، و التفصيل، أمر لا يمكن أن يخطر للعقول السليمة، و لا يمكن أن يكون دليلا على الانحطاط المزعوم. فالقصر هو مظهر الإيجاز، و هو مظهر للرقى البلاغى، و البيانى فى التخاطب. و قديما قيل: خير الكلام ما قل، و دل. و لنا القول المفحم بالنقد: إن قصر القرآن المكى قصر رقى، و ليس قصر انحطاط. و هو قصر جاء فى محله، و وسطه، و قديما قيل:

لكل مقام مقال، و هو قصر جاء بمعناه، و دلالته، و خير الكلام ما كانت دلالته على معناه، فكان قصر بلاغة، و فصاحة، و بيان مناسبا لوسط أهل مكة المعروفين بالبلاغة، و الفصاحة، و البيان، فأين الانحطاط، و أين التسيب فى القول أو الدلالة؟ و أين الاختلال فى الأداء، و الشرح، و المعنى؟! و كذلك بالنسبة لخلو المكى من التشريع: فكيف يفسر بالانحطاط، و هو لم يخل من التشريع؟!! و كيف يفسر القرآن المكى بالانحطاط، و قد أجاد التنقل فى المخاطبة من وسط إلى وسط. و هل يعقل أن يبدأ القرآن فى مكة بتفصيل الأحكام، و بيان التشريع، و قبل أن يخاطب العقول، و يطهرها من عقائد الوثنية، و الكفر، و الشرك؟!!

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۸۵

الثالث: إن تفسير الانحطاط بفقدان الجمال الأسلوبى، و شواهد الفصاحة، و البيان يجعل من دعوى الادعاء بذلك ثالثة الأثافى. و الكل يعلم أن أهل مكة كانوا من أكثر القبائل علما بلغتهم بيانا، و فصاحة، و بلاغة؛ و أن القرآن الكريم تحداهم ببيانه، و فصاحته، و فى عقر دارهم فعجزوا؛ و هم الذين اعترفوا- و على كفرهم و شركهم- بجمال القرآن فى أسلوبه، و تناسقه بين آياته، و سوره، و إحكام نظمه، و ترابط نسقه. فكلمة القرآن، و هم يشهدون على ذلك، لم تهبط أبدا إلى مستوى الدارج فى التعبير، أو عدم النقاء فى التوضيح- و الإقرار حجة على المقر- و هذا زعيم فصحائهم، و كبير شعرائهم، و عالم بيانهم، و كبيرهم الذى علمهم السحر الوليد بن المغيرة يشهد على جمال أسلوب القرآن، و حلاوته، و طلاوته، فهو يقول- و قد سمع قرآنا مكيا من لسان المصطفى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»- «و اللّه، لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس، و لا من كلام الجن؛ إنّ له لحلاوة، و إن عليه لطلاوة؛ و إن أعلاه لمثمر، و إن أسفله لمغدق؛ و إنّه يعلو و لا يعلى» و لتكن هذه الشهادة شهادة على ادعاءاتهم، و دليلا واضحا على سفاهة أقوالهم، و انحطاط أفكارهم، و هم الخرّاصون فعلا، و الساهون حقيقة. و خير مصداق عليهم قوله تعالى فى قرآنه المكى، و فى سورة الذاريات و هى مكية: قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (۱۰) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ آية ۱۰- ۱۱.

الشبهة الخامسة:

اشارة

إن القرآن المكى اتسم بالبذاءة، و الشتم، و السباب، و فحش القول.

و دليلهم على ذلك ما جاء فى بعض السور مثل: سورة- تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَ و سورة- وَ الْعَصْرِ (۱) إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ. و سورة- «ألهيكم التكاثر» و قوله تعالى فى سورة الفجر: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ (۱۳) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۸۶

تفنيد هذه الشبهة:

يمكننا تفنيد هذه الشبهة من خلال أمرين اثنين:

الأول: إنّ من التناقض الغريب، و العجيب أن يتهم أعظم كتاب، و أسمح فرقان، أسهب فى الكلام عن فضائل الأخلاق، و الحض على أدب السلوك، و الكلام، أن يتهم بأنه اتّسم بالبذاءة، و السباب. و التحدّى قائم لهم أن يأتوا و لو بدليل واحد فقط يؤيد شبهتهم، و يثبت بذاءتهم، و تفاهتهم، و فحشهم فى أقوالهم؛ و أن القرآن فى أسلوبه، و نظمه، و كلامه، خرج عن أدب اللياقة فى التعبير، و الأدب فى القول، أو الكلام.

فقد صدق فيهم قوله تعالى: كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً سورة الكهف آية ۵. و نحن نتساءل: هل يعقل أن يأتى كتاب بأصول الآداب، و يدعو إلى فضائل الكلام، و فى نفس الوقت يخرج عن أصول الآداب، و يتحلى برذائل الكلام، و ينطق بمفردات السباب، و يتكلم بفحش الأقوال؟!! صحيح أنّه اتسم بالشدة فى أسلوبه، و التقريع فى إفحامه لكنه لم يخرج أبدا عن حدود اللياقة و الأدب. و هو فى شدته و تقريعه كان موفقا فى رعاية أحوال مخاطبيه؛ فهؤلاء اتسموا بشدة الضلالة، و بذاءة المكابرة، و فحش المعاندة؛ فجاء بكلماته، و مفرداته، و تعابيره، و أساليبه محاطة بشواهد الأدب الجم، شديدة فى دلالتها، مناسبة لأحوال مخاطبيها تحدوها الرعاية لهم، و هدايتهم، و تلقينهم معالم الإيمان، و مؤشرات الإسلام. و مع أنهم لم يؤمنوا، و مع أنهم لم يسملوا اتهموا القرآن بالشدة، و أفرغوا آياته من معانيها الأدبية، و كللوها بمعانى الاتهام بالبذاءة، و السباب، و الشتم؛ فخرجوا هم عن حدود اللياقة، و الأدب فى عنادهم و كبريائهم.

و أما إذا كانت الشدة بمعنى التسفيه لأحلامهم، و التقريع لترهاتهم، فهذا نقبل به. و فى نفس الوقت هو لصالحهم حتى لا تبقى لهم حجة لبقائهم على كفرهم، و عنادهم، و شركهم؛ فيسلموا، و يؤمنوا. و لكن هيهات

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۸۷

هيهات. و صدق فيهم قول ربنا فى كتابه الكريم: خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ سورة البقرة آية ۷.

و قوله تعالى: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ سورة البقرة آية ۱۸.

و قوله تعالى: أُولئِكَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ سورة يونس آية ۸.

الثانى: إنّ أدلتهم فى تأييد شبهتهم مردودة عليهم- و هى من الكلام الذى على عواهنه- فأدلتهم تحتاج إلى دليل، و شبهتهم تحتاج إلى تأييد.

فالسور التى استشهدوا بها على السباب، و الشتم هى على العكس حجة عليهم؛ لأنها خلت من كل سب، أو شتم، أو فحش قول:

أ- فسورة تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَ أقصى ما اشتملت عليه، و غاية ما جاءت به أنّه غلب على أسلوبها الوعيد العنيف، و الإنذار الشديد، و المصير المحتوم، و فى النار إلى أبد الآبدين جزاء ما اقترفوا من إساءات، و إهانات للرسول الكريم «صلّى اللّه عليه و آله و سلم».

فقد أخرج الإمام أحمد، و الشيخان، و الترمذى عن ابن عباس قال: لما نزلت وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ صعد النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» على الصّفا، فجعل ينادى: يا بنى فهر، و يا بنى عدى، لبطون قريش حتى اجتمعوا. فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج، أرسل رسولا لينظر ما هو. فجاء أبو لهب، و قريش. فقال «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: أ رأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أ كنتم مصدقى؟؟ قالوا: نعم. ما جربنا عليك إلا صدقا. قال: فإنى نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ. فقال أبو لهب: تبا لك، أ لهذا جمعتنا!! فنزلت.

و أخرج ابن أبى حاتم، و ابن جرير عن ابن زيد: أن امرأة أبى لهب كانت تأتى بأغصان الشوك تطرحها بالليل فى طريق الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۸۸

و روى عن مجاهد: أنها كانت تمشى بالنميمة.

فلهذه الأسباب نزلت هذه السورة مراعية أحوال المخاطبين بالإنذار، و الوعيد، و بأن أبا لهب، و زوجته حمالة الحطب سيصلون نارا ذات لهب، و جاءت السور بألفاظ اللياقة في الوعيد، و الأدب في التقريع دون قول دني،، أو تفوه منحط غير سليم؛ و ذلك تخويفا لهم، و لأمثالهم؛ و تسلية، و مؤازرة للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» و صحابته أجمعين. شبهات حول القرآن و تفنيدها ۸۸ تفنيد هذه الشبهة: ..... ص : ۸۶

الله عليك، كيف تطمع أحلام المتطعنين أن ينزل قرآن بغير هذا الأسلوب؟! فهو، و إن نزل بغير ذلك- و حاشا للّه- يكون قد خرج عن المألوف في رعاية مخاطبة الجاهلين. أ يطمع هؤلاء المتطعون أن ينزل القرآن بأسلوب الثناء، و المدح، و الرفق، و حسن الخاتمة لأبي لهب، و زوجته، و أمثالهم!! ب- و أما سورة: وَ الْعَصْرِ (۱) إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ: فقد خلت من كل سباب، أو شتم، أو مما يدّعون. و السورة واضحة في تلاوتها و ألفاظها؛ و بينة في تراكيبها، و مفرداتها فأين السباب، و أين البذاءة، و أين الانحطاط؟!! و هل خرجت هذه السورة في أسلوبها عن شواهد النقاء في التعبير، و الوضوح في التمثيل؟! فالسورة من الوضوح في اللفظ، و الدلالة، ما يسمو بألفاظها، و أسلوبها إلى غاية الفصاحة، و البيان في اللياقة، و الأدب؛ و إلى غاية الدلالة في الإفحام و الإقناع؛ و هذا مما دفع الإمام الشافعي «رحمة اللّه عليه» أن يقول: لو لم يأت القرآن بغير هذه السورة لكفى. أي لكفت البشرية إعجازا في اللفظ، و التعبير، و الدلالة، و المعنى، و التأصيل، و الإنذار، و الوعيد، و البشرى، و النذير.

ج- و أما سورة: «ألهيكم التكاثر»، فقد أبانت مصير هؤلاء الذين شغلتهم الدنيا عن آخرتهم، و قد أنذرت هؤلاء باليقين بالعذاب بالنار، و الجحيم إن لم يتوبوا، و يعودوا إلى بارئهم؛ و يتركوا شواغل الدنيا: كالتفاخر بالأموال، و الأولاد. و قد ذكرتهم أيضا،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۸۹

و تذكرنا، و هي تذكر كل صاحب لب نير، و مستقيم بعواقب السلوك، و التصرف بالأموال، و هي تنذر الجميع بسؤالهم عن النعيم، أي المال من أين اكتسبوه، و فيما أنفقوه؛ تخويفا للعباد بالاستقامة، و حسن التصرف، و السلوك في حياتهم، و أعمالهم.

د- أما قوله تعالى في سورة الفجر: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ (۱۳) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ. فغاية ما جاءت به مثل هذه الآيات هو التخويف لبني البشر حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب من تكلم عنهم هذه الآيات، و هم: أقوام ثمود، و عاد، و فرعون حيث طغوا في البلاد، و أكثروا فيها الفساد. و حتى يكون مصيرهم عبرة، و عظة لمن أراد أن يكون على طغيانهم، و استبدادهم، و عنادهم، و كفرهم، فيستعملون عقولهم، و ينقذوا نفوسهم من مصير هؤلاء الذين أهلكوا أنفسهم، و عصوا ربهم. و هكذا أسلوب القرآن الكريم بمكيه، و حتى بمدنيه، يستخدم أسلوب التخويف بألفاظ الشدة، و التقريع، و مفردات الإنذار و الوعيد، و الترغيب و الترهيب حتى يرتدع الجبابرة المعاندون، و يعودوا إلى رشدهم. و القرآن الكريم في كل هذا نأى عن ألفاظ السباب، أو البذاءة، أو الإقذاع متذرعا بالحكمة، و الموعظة الحسنة، و ضمن شواهد الأدب في الإرشاد، و الاقتناع، و من خلال معالم الإقامة حتى في التسفيه، و الردع للمعاندين.

الشبهة السادسة:

اشارة

إن القسم القرآني المكي خلا من التشريع، و الأحكام بينما اقتصر ذلك على القسم المدني. و بذلك فإن هذا يدل على تأثر القرآن بالوسط المدني، و بأهله، و بأن محمدا «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» هو الذي ألف القرآن من عنده، ناقلا و متعلما من مثقفي المدينة أهل الكتاب حيث يسكنون، و يقيمون.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۹۰

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إن القرآن المكي لم يخل تماما من التشريع، و الأحكام.

و إنما جاء بها على الإيجاز، و الإجمال، و الاقتضاب؛ حيث كان أهل مكة كفارا، فخاطبهم بأولوية العقيدة، و ليس بالتشريع، فهناك سور و آيات مكية عديدة ورد فيها تشريع، و أحكام، منها:

أ- سورة الأنعام- قوله تعالى: قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۱۵۱) وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۱۵۲) وَ أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الآيات ۱۵۱- ۱۵۳.

و هذه الآيات المكية تعرض لمقاصد الدين الإسلامي الخمسة، و لكن بإيجاز، و إجمال. و هذه المقاصد هي: ۱- الإيمان باللّه، و كتبه، و رسله، و اليوم الآخر، و القدر خيره و شره. ۲- حفظ النفس. ۳- حفظ العقل. ۴- حفظ النسل. ۵- حفظ المال.

ب- سورة المؤمنون- قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (۱) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ (۲) وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (۳) وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ (۴) وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ (۵) إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (۶) فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ (۷) وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ (۸) وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَواتِهِمْ يُحافِظُونَ الآيات ۱- ۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۹۱

ج- سورة المعارج- قوله تعالى: الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ (۲۳) وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (۲۴) لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ الآيات ۲۳- ۲۵.

و قوله تعالى: وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ (۲۹) إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (۳۰) فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ (۳۱) وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ (۳۲) وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ (۳۳) وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ الآيات ۲۹- ۳۴.

د- سورة المرسلات- و هي من أوائل السور المكية في النزول. قوله تعالى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ الآية ۴۸.

ثانيا: إن قلة ورود التشريع، و الأحكام في القرآن المكي، و كثرته في المدني هو من قبيل التدرج الموفق في النزول؛ و الأسلوب الحسن في التلقين؛ و الرعاية الجيدة لأحوال المخاطبين. و بقليل من التفكر، و التدبر تدرك العقول السليمة أن النزول القرآني الأول- و هو المكي- جاء مناسبا لأحوال الناس، فبدأ بالعقيدة قبل الأحكام، و التوحيد قبل التشريع، و الإيجاز في التفصيل قبل الإطناب. فمن البداهة بمكان أن ينزل القرآن متدرجا بأصول الايمان، و العقيدة، و التوحيد، و مظاهر البعث، و الجزاء، و معالم الحشر، و شواهد الحساب و العقاب، و ذكر الجنة و النار. و من البداهة بمكان أن يخاطب القرآن المكي الناس في عقائدهم حتى إذا خلصهم من عقائد الشرك، و الوثنية، و من ثم أصبحوا مؤمنين، قادهم إلى التكليف، ففصل لهم التشريع، و أوجب عليهم العمل بأحكام الحلال و الحرام. أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة- رضي اللّه عنها- قالت: «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة و النار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال، و الحرام. و لو نزل أول شيء: لا تقربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا. و لو نزل:

لا ترنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا». فإنّ قلة ورود التشريع و الأحكام في القرآن المكي يعتبر شهادة له في الألوهية العالمة بأحوال العباد، و ليس شبهة عليه أو حوله. فقد شاءت حكمة اللّه أن يتدرج مع هؤلاء المعاندين المكابرين في المخاطبة، فبدأ بخلخلة عقائدهم، و إبطال شركهم حتى

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۹۲

يفرغوا عقولهم منها، و يحلّوا محلها عقيدة الإيمان باللّه الواحد الأحد، و كان هذا حال النزول القرآني المكي. و بعد أن تمّ ذلك خاطبهم بالتكليف، و جاء بالأحكام، و فصّل التشريع. و كان هذا حال النزول القرآن المدني. و التساؤل يبقى واردا في الأذهان في هذا المقام: هل من العقلانية السليمة، أو كيف يتقبل العقل السليم أن يكلف القرآن في بدء نزوله- و هو المكي- أهل مكة بالتكليف، و يفصّل لهم التشريع، و يطبق عليهم الأحكام و هم لا يزالون على عقائد الشرك، و الكفر، و الوثنية، و الضلال؟!! إذن، و كذلك و من أجل ذلك خلا القرآن المكي من تفاصيل الأحكام و التشريع، و من أجل ذلك أكثر القرآن المدني من تفاصيل الأحكام و التشريع. و إذن فلترد هذه الشبهة على أصحابها؛ و ليرد كيدهم إلى نحورهم، و ليرد ارتيابهم إلى بطلانهم. و صدق فيهم قول ربنا وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ سورة العنكبوت الآية ۴۸.

الشبهة السابعة:

اشارة

إن القسم المكيّ خلا من ذكر أهل الكتاب، بينما اقتصر ذلك على المدني. و هم بذلك يدللون على زعمهم بأن محمدا «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» ألف القرآن من عنده، و تعلمه من أهل الكتاب متأثرا بالبيئة التي كان يعيش فيها؛ حيث جاء القرآن المدني يذكر

أهل الكتاب حيث يسكنون المدينة، و جاء القرآن المكى خاليا من ذكرهم حيث خلت مكة من وجودهم.

تفنيد هذه الشبهة:

أولاً: إن القول بأن القرآن المكى خلا من ذكر أهل الكتاب على الإطلاق قول باطل. و لو قيل: إن القرآن قلل من ذكر أهل الكتاب لكان صحيحا. و من الخطأ الادعاء بأن مكة كانت خالية تماما من أهل الكتاب. فقد وردت سور، و آيات مكية عديدة تذكر أهل الكتاب، و منها:

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۹۳

أ- سورة الأنعام- قوله تعالى: الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ الآية ۲۰.

و قوله تعالى: أَ فَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتابَ مُفَصَّلًا وَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ آية ۱۱۴.

ب- سورة الأعراف- قوله تعالى: فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذابٍ بَئِيسٍ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ الآية ۱۶۵.

و قوله تعالى: فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ ما نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ آية ۱۶۶.

و قوله تعالى: وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ الآية ۱۶۷.

ثانيا: إن إكثار القرآن المدنى من ذكر أهل الكتاب هو من قبيل التوفيق فى رعاية أحوال المخاطبين. حيث إنّ أهل الكتاب كانوا يسكنون المدينة أكثر من أى مكان آخر فى جزيرة العرب. و بذلك كان احتكاك الدعوة الإسلامية بهم كثيرا؛ و كانت مجابهاتهم، و مقابلاتهم، و تحدياتهم، و استفساراتهم، و أسئلتهم، و وقائعهم، و حوادثهم كثيرة مع الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم».

و لذلك؛ و مراعاة لمقتضيات أحوال أهل المدينة من أهل الكتاب أكثر القرآن المدنى من الذكر لهم، و مخاطبتهم. و هم قد أوقعوا مثل تلك الوقائع، و أحدثوا مثل تلك الحوادث فى مقر سكناهم فى المدينة، و ليس فى غير سكناهم كمكة. و لذلك فمن البداهة بمكان أن يكثر ذكرهم فى القرآن المدنى، و ليس المكى. و كان القرآن المدنى طيلة نزوله فى المدينة هو المؤثر فيهم، و المدحض لافتراءاتهم، و المفشل لتحدياتهم، و المعجز لتفاهاتهم، و المبطل لخرافاتهم و سحرهم حتى أعجزهم من أن يكذبوه، أو يتقولوا عليه، و حتى تثبت نبوة محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» عندهم، فلجئوا إلى محاربته، و الغدر به، و خيانته، و تأليب الأعداء عليه. فى كل هذه

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۹۴

الأحوال كان ينزل القرآن المدنى ينظم علاقة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و المسلمين الصحابة معهم. فكان لا بدّ من ذكرهم، و كان لا بدّ من مخاطبتهم لعلّهم يرعووا، و دون أى تأثير منهم. فكان القرآن المدنى ذاكرا لهم لا متأثرا بوسطهم كما أراد المبطلون، و المرجفون، و المستهزءون. و صدق فيهم قول ربنا وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ سورة الحجر آية ۱۱.

و صدق فيهم قول ربنا وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً آية ۸. و صدق فيهم قول ربنا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ سورة البينة آية ۶.

الشبهة الثامنة:

اشارة

إن القرآن المكى خلا من الأدلة، و البراهين، و الحجج بخلاف المدنى؛ فقد جاء مليئا بمثلها. و هذا يعنى أن القرآن قد تأثر بالوسط الذى كان فيه محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم».

تفنيد هذه الشبهة:

اشارة

إنّ هذه الفرية لا أساس لها من الصحة. و كلامنا ليس على عواهنه، و أدلتنا كثيرة، و على أن القرآن المكى عامر، و حافل بأقوى الأدلة، و البراهين و الحجج المتعلقة بالعقيدة، و على الأخص فى الإلهيات، و الايمان و السمعيات، و النبوات.

أ- فبالنسبة للإلهيات:

ففى سورة المؤمنون، و هى مكية يقيم الدليل على كذبهم، و أن من الاستحالة أن يكون للإله شريك، أو أن يكون لهذا الكون أكثر من خالق، و إلا لدب الخلاف بينهم، و اقتسموا ملكهم.

قال تعالى: بَلْ أَتَيْناهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (۹۰) ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۹۵

كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ الآيات ۹۰- ۹۱. و فى سورة الأنبياء، و هى مكية، يقيم الدليل على فساد السماء، و الأرض لو تعددت فيهما الآلهة:

قال تعالى: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا فَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ. آية ۲۲. و القرآن الكريم يقيم الدليل، و يأتى بالبرهان على صدق عقيدة الألوهية فى التوحيد، فهو يتحداهم أن يقيموا الدليل، أو يأتوا بالبرهان على صدق تخرصاتهم فى شركهم و كفرهم بتوحيد الألوهية.

قال تعالى فى سورة الأنبياء كذلك: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ هذا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ آية ۲۴.

و قال تعالى فى سورة النمل و هى مكية: أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ آية ۶۴.

و القرآن الكريم، و هو يفند أباطيلهم، و افتراءاتهم المتعلقة بالمشيئة الإلهية، و الوحدانية، فهو يطلب منهم الدليل؛ أو يقدموا العلم على صدق ما يدعون، و من ثم يفحمهم بأن الحجة البالغة لله وحده.

قال الله تعالى فى سورة الأنعام و هى مكية: سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (۱۴۸) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ. الآيات ۱۴۸- ۱۴۹.

ب- و بالنسبة لشواهد الإيمان: ففى سورة القلم، و هى من سورة المفصّل المكية يخاطب القرآن العقول، و بصيغة الاستفهام الإنكارى، بأن الله

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۹۶

لا يساوى بين المسلمين المؤمنين و بين المجرمين الكافرين. قال تعالى: أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (۳۵) ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (۳۶) أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (۳۷) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ (۳۸) أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ الآيات ۳۵- ۳۹.

و فى سورة لقمان، و هى مكية، يقيم الحجة أن يسلم وجهه إلى الله، و هو محسن، و يبشره بنجاته، و تمسكه بالعروة الوثقى- الإسلام- الإيمان- و يقيم الحجة على من كفر، و يبشره بالعذاب الغليظ:

قال تعالى: وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى وَ إِلَى اللَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ (۲۲) وَ مَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۲۳) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ الآيات ۲۲- ۲۴.

ج- و بالنسبة لتوحيد الربوبية: ففى سورة النمل، و هى مكية، يستدرجهم القرآن بصيغ الاستفهام، و مناقشة العقول، أن يتفكروا بأن شواهد التوحيد بالربوبية من خلق، و إنزال المطر، و إنبات الشجر، و خلق الأنهار، و الجبال، و كشف السوء، و الهداية فى ظلمات البر، و البحر.

بأن مثل هذه الشواهد هى براهين، و أدلة، و حجج دامغة لهم ليوحدوا الله تعالى، و يجعلوا الإيمان، و العبادة، و الخشوع، و الربوبية له وحده، و يكملوا إيمانهم بهذين النوعين من التوحيد:

توحيد الربوبية الذى آمنوا به، و توحيد الألوهية الذى لم يؤمنوا به.

قال تعالى: أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (۶۰) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۶۱) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ (۶۲) أَمَّنْ

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۹۷

بِهِدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (۶۳) أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ الآيات ۶۰- ۶۴.

و في سورة لقمان، و هي مكية يثبت لهم- و بدليل اعترافهم- توحيد الربوبية بشواهد الخلق. قال تعالى: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ آية ۲۵.

ه- و بالنسبة للسمعيات:

ففي سورة «ق» و هي مكية يثبت القرآن الكريم حجية البعث، و النشور يوم القيامة بدلائل الإحياء للموات في الدنيا.

قال تعالى: وَ نَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ (۹) وَ النَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ (۱۰) رِزْقاً لِلْعِبادِ وَ أَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذلِكَ الْخُرُوجُ الآيات ۹- ۱۱. و قال تعالى في نفس هذه السورة المكية أَ فَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ سورة ق آية ۱۵.

و في سورة «يس» و هي مكية يدحض القرآن الكريم جهالاتهم المنوه عنها باستفساراتهم عن كيفية إعادة الخلق من جديد لموات عظام أرمت، و فنيت، و ذلك بدليل و برهان خلقها أول مرة، و هو على اللّه أهون.

قال تعالى: وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ (۷۸) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الآيات ۷۸- ۷۹.

ثم يتابع في نفس السورة بقدرة الإله في الخلق للأكبر، و بالتالي فالدليل قاطع، و ثابت على قدرته في الخلق للأصغر. قال تعالى:

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۹۸

أَ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ الآية ۸۱.

و في سورة الإسراء، و هي مكية يقيم الدليل على قدرة الإله في إعادة الخلق، بأسلوب الدحض لتساؤلاتهم، و كفرهم، و تعجبهم، و بأن الذي خلق السموات و الأرض بقادر على أن يخلق مثلهم.

قال تعالى: ذلِكَ جَزاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآياتِنا وَ قالُوا أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (۹۸) أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ قادِرٌ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَ جَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً الآيات ۹۸- ۹۹.

و في نفس هذه السورة المكية، يضربون الأمثال، و عن إعادة خلق العظام و الرفات، فيتناولهم الرد الإلهي ببرهان الإعجاز و التحدي، و بأن قدرة اللّه في إعادة الخلق لا ليس فيها حتى و لو كانوا حجارة أو حديدا، و هو الذي فطرهم أول مرة؛ و هو القادر على إحيائهم ثانية. فهو يقول: وَ قالُوا أَ إِذا كُنَّا عِظاماً وَ رُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (۴۹) قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً (۵۰) أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتى هُوَ قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً.

الآيات ۴۹- ۵۱.

ه- و بالنسبة للنبوات:

ففي سورة العنكبوت، و هي مكية، تثبت الآيات القرآنية صدق نبوته «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و بدلائل الرسالة، و الكتاب المنزل، و الذي يتلى عليهم. أ ليس هذا الكتاب، و بمعجزاته البيانية، و العلمية، و الغيبة، و التشريعية، خير دليل و أعظم برهان على صدق نبوته و رسالته، و هو النبي الأمي كما يعلمون، و أنه يفتقد المعرفة كما يزعمون؟!! فاستمع إليه، و هو يقول: وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۹۹

إِنَّما الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (۵۰) أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ الآيات ۵۰- ۵۱.

و في سورة الأنبياء، و هي مكية يذكرهم اللّه تعالى بالكتاب الشاهد على نبوّة محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» و صدق شهادته تكمن في ذكره لهم، و ما نزل عليهم، و أخبارهم من قبل. فانظر إليه، و هو يقول: لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ آية ۱۰. و في سورة فصّلت إحدى سور الحواميم السبعة، و هي المكية يزكي اللّه تعالى كتابه العزيز، و بأنه المنزل على رسوله حقا لا يأتيه الباطل من بين يديه، و لا من خلفه فاسمعه يقول: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ (۴۱) لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (۴۲) ما يُقالُ لَكَ إِلَّا ما قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقابٍ أَلِيمٍ الآيات ۴۱- ۴۳.

و لعل أفضل برهان، و أعظم حجة يؤيد بهما اللّه صدق نبوة نبيه و صدق رسالته أن اللّه تعالى هو الشاهد على ذلك، و هو المنزل لذلك، و بالحق.

مصداق قوله تعالى في سورة الإسراء، و هي مكية: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (۱۰۵) وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا الآيات ۱۰۵- ۱۰۶. و مصداق قوله تعالى في سورة الزمر، و هي مكية: إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ آية ۲.

الشبهة التاسعة:

اشارة

إن القرآن المكي خلا من القصص، و إنّما انفرد بها القرآن المدني لتأثر الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بأهل الكتاب فيها، فأخذ عنهم قصص إبراهيم و علاقات الأنساب بين إسماعيل و الشعب العربي. و كما أورد المستشرق

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۰۰

«ماسيه» في كتابه «الإسلام»: أنه في مكة كانت الأساطير اليهودية و المسيحية في حالة تخطيط أولي «۱».

و كما أورد المستشرق «لامنز» في كتابه: «الإسلام- عقائده و نظمه».

أن محمدا لما اتصل باليهود في المدينة استطاع أن: «يؤلف قصص إبراهيم، و علاقات الأنساب بين إسماعيل، و الشعب العربي» «۲».

و كما أورد المؤلف نفسه، و المستشرق «أندريه» في كتابه: «محمد- حياته و دعوته»: «و لقد عاش في البداية، و هو يسيطر عليه، و هم جميل بأن دعواه- أي القرآن- تتفق تماما مع كتب اليهود، و المسيحيين المقدسة، و لكن معارضة اليهود المريرة أثبتت له العكس» «۳» «۴».

تفنيد هذه الشبهة:

لعلها من أسخف الشّبه التي ألصقها المستشرقون الكفرة بالقرآن المكي، و لعلها من أسخف براهينهم التي دللوا بها على سخف هذه الشبهة. حيث إنها، و بكل سهولة نستطيع أن نكذب دعواهم، و أن نفند شبهتهم بالرجوع إلى القرآن الكريم حيث نجد العكس تماما. فالسور المكية هي التي تعرض أطوار قصص التوراة بتفاصيلها الدقيقة. و لم تترك للسور المدنية إلا فرص استخلاص العبر و الدروس منها، و التي غالبا ما تأتي في صور تلميحية إيجازية.

و أما بالنسبة لإبراهيم: فمن المعروف أن العرب في الجزيرة العربية، و في مكة بالذات كانوا أحرص الناس على الوقوف بعلم الأنساب، و خاصة أولاد إسماعيل. سيما و هناك أماكن فيها تحمل، و ما

---

(۱) ماسيه- الإسلام- ص ۲۱.

(۲) لامنز- الإسلام- عقائده و نظمه. ص ۳۳.

(۳) أندريه- محمد- حياته، و دعوته. ص ۱۳۹. و لامنز- المرجع الآنف الذكر ص ۲۸.

(۴) دكتور محمد عبد الله دراز- المدخل إلى القرآن الكريم. ص ۱۵۶.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۰۱

تزال، أسماء إبراهيم، و إسماعيل، و من أولادهم، و بهذا و مما يدحض شبهتهم أن القرآن لم ينتظر انتقاله إلى المدينة لتوثيق هذه المعلومات، و الاهتمام بالقصص؛ حيث أفاضت السور و الآيات المكية بمثل قصص الأنبياء، و الرسل، و أقوامهم. بل نجد أن كثيرا منها دعت الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» إلى اتباع ملة إبراهيم- عليه السلام- فقد جاء في سورة النحل، و هي مكية قوله تعالى: ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ آية ۱۲۳.

و إكمالا للفائدة، و تحقيقا لمكية السور التي تتكلم عن القصص نوردها تباعا مع آياتها: سورة الأعراف عن آدم- الآيات: ۱۱- ۲۵. و عن موسى: ۱۰۲- ۱۷۶. و سورة يونس عن موسى: ۷۵- ۹۲. و سورة هود عن نوح: ۲۵- ۴۹. و عن إبراهيم و لوط: ۶۹- ۸۲. سورة يوسف عن يوسف.

و سورة الحجر عن آدم، و إبراهيم، و لوط: ۲۶- ۲۷. و سورة الإسراء عن بنى إسرائيل: ۴- ۸ و سورة الكهف عن أهل الكهف: ۹- ۲۵. و عن موسى: ۶۰- ۸۲ و سورة مريم عن زكريا، و يحيى، و مريم، و عيسى ...

الخ. من ۱- ۳۳. و سورة طه عن موسى: ۹- ۹۸. و سورة الأنبياء عن إبراهيم. ۵۱- ۷۰. و عن داود و سليمان. ۷۸- ۸۲. و سورة الشعراء عن موسى و إبراهيم و نوح ... ۱۰- ۱۸۹. و سورة النمل عن موسى، و داود، و سليمان: ۷- ۴۴. و سورة القصص عن موسى: ۴۳ و عن قارون:

۷۶- ۸۲. و سورة العنكبوت عن نوح، و إبراهيم، و لوط: ۱۴- ۳۵. و سورة سبأ عن داود و سليمان: ۱۰- ۱۴. و سورة ص عن داود، و سليمان، و أيوب: ۱۷- ۴۴. و سورة الذاريات عن إبراهيم: ۲۴- ۳۷.

الشبهة العاشرة:

اشارة

إن القرآن المكى خلا من ذكر الصلوات الخمس- حيث كان عددها فى العهد المكى صلاتين أضيف لهما صلاة ثالثة فى العهد المدنى- و هذا يعنى الاختلاف الجذرى بين القرآن المكى، و بين القرآن المدنى، و السبب فى ذلك يعزونه إلى تأثر الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و محاكاته لليهود فى المدينة كما

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۰۲

ورد فى كتاب: «النظم الإسلامية» لمؤلفه «ج. ديمومبين» و كما ورد فى كتاب «محمد» لمؤلفه: «أندرا» «۱» «۲».

تفنيد هذه الشبهة:

و تدحض صدق ما تزعمه بنفسها حيث إنّها تفتقد إلى أى أساس نقلى، أو عقلى، أو منطقى، أو تاريخى يسوغ تصديقها، أو يدعو إلى الإيمان بها. و لعل، بل إن أساس الخطأ بالنسبة لمثل هذه الشبهات أنها إنما تنطلق دائما من فراغ دليلى، أو أساس واه، فيصعب على أصحابها إثبات صحة دعواها. و نحن هنا نتساءل: متى كان عدد الصلوات التى نص عليها القرآن المكى فى اليوم، و الليلة أقل من خمس صلوات؟؟! و أى قرآن مكى نص على أن عددها كان اثنين ثم أضيفت لهما صلاة ثالثة فى المدينة؟؟! و هذه مشكلة المستشرقين أو النقاد الغربيين فى مهاجمتهم للإسلام دوما؛ حيث إنهم دائما يفتقدون إلى الدليل الذى يؤيد زعمهم، و من ثم يعزون شبههم من كل دليل نقلى أو مسوغ شرعى، أو تواتر تاريخى سليم.

فمن المسلّم به عندنا و عند غيرنا، و تواتر فى النقل، و التشريع و التطبيق أن عدد الصلوات المفروضة، و منذ فرضيتها، هى خمس صلوات مفروضة، و قد أشار إليها القرآن المكى قبل المدنى، و فصلتها السنة النبوية، و بينت أحكامها، و أركانها، و واجباتها، و بكل دقة. و لعله إذا جاز لنا أن نعذرهم فى شىء أن نقول فى هذا المقام: ربما كان منشأ خطأهم هو تفسيرهم المغلوط لكلمة، أو للفظ «الدلوك» الوارد فى آيات الصلوات الخمس فى سورة الإسراء «۳». و من السور و الآيات المكية التى نصت على الصلوات الخمس سورة الإسراء حيث يقول

---

(۱) ج. ديمومبين. النظم الإسلامية. ص: ۶۶.

(۲) أندريه. محمد- ص: ۸۱.

(۳)- د. محمد عبد اللّه دراز. المرجع المشار إليه آنفا. ص: ۱۵۶.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۰۳

تعالى: أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً آية ۷۸.

و سورة طه حيث يقول تعالى: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِها وَ مِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ أَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضى (۱۳۰) آية ۱۳۰.

و سورة الروم: حيث يقول تعالى: فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ (۱۷) وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ آية ۱۷- ۱۸.

و سورة هود حيث يقول تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ آية ۱۱۴.

الشبهة الحادية عشرة:

اشارة

إن القرآن الكريم بقسميه المكى، و المدنى تأثر بالمواقف السياسية للأمم الأخرى، و خاصة اليهود، و النصارى، مما جعله قابلا للتطور غير ثابت. و لهذا السبب شرع صوم يوم عاشوراء، ثم نسخ بصوم رمضان.

و لهذا السبب شرعت القبلة فى الصلاة نحو بيت المقدس ثم نسخت بالتوجه إلى الكعبة. و كما يقول المستشرق «أندريه» إن هذا كان سببه الموقف العدائى لليهود من المسلمين «۱». و هكذا و على حد زعم «ج. ديمومبين» يتأثر التشريع التعبدى بالتقلبات السياسية «۲» «۳».

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: بالنسبة لصوم يوم عاشوراء: فيكفينا الرد هنا بالقول: بأنه لم يرد ذكر فرضية صوم يوم عاشوراء لا فى القرآن المكى، و لا فى القرآن المدنى بتاتا. و يكفينا القول أيضا: إن علماء الحديث يقررون: إن

---

(۱) أندريه- محمد. ص ۱۳۷- ۱۳۸.

(۲) ج. ديمومبين. النظم الإسلامية. ص ۶۸.

(۳) د. محمد عبد اللّه دراز- المرجع الآنف الذكر. ص ۱۵۶.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۰۴

صوم يوم عاشوراء كان معروفا عند قريش قبل الإسلام، و أن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كان يصومه «۱» و كذلك هناك أحاديث كثيرة تحث على صوم يوم عاشورا «۲». أى أنه فرض بالسّنّة لا بالقرآن.

و من الثابت ما تقرره الأحاديث النبوية أن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» عند ما هاجر إلى المدينة وجد يهودا صائمين؛ فسألهم عن صومهم، فأخبروه أن هذا يوم نجّى فيه اللّه تعالى موسى، و قومه من فرعون. فأمر الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» صحابته بصيامه، و قال: نحن أولى بموسى منهم

. و بقى صوم عاشوراء فرضا يوما واحدا بالسّنّة إلى أن نسخه القرآن بصيام شهر رمضان مرة واحدة فى السنة، فأصبح صيام عاشوراء نفلا فمن شاء صامه، و من شاء أفطره- و كما ورد فى حديث أم المؤمنين عائشة «رضى اللّه عنها»: أخرج البخارى، و مسلم عنها قالت: «كان عاشوراء صياما فلما أنزل رمضان كان من شاء صام، و من شاء أفطر».

و أخرج الإمام البخارى عن ابن عمر «رضى اللّه عنهما» قال: «صام النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» عاشوراء، و أمر بصيامه، فلما فرض رمضان، ترك».

و قد ورد فى تفسير الإمام الطبرى لآية الصوم ما يفيد أن المسلمين كان عليهم أن يصوموا عاشوراء مرة واحدة فى السّنة؛ و أن يصوموا ثلاثة أيام من كل شهر صيام وجوب فرضا بالسّنّة؛ و لما نزلت آية الصيام فى سورة البقرة نسخت ما عداها من صوم، و أصبح صيام عاشوراء، و الثلاثة أيام من كل شهر مندوبا، و ليس فرضا.

ثانيا: و بالنسبة لتحويل القبلة: فقد حصل فعلا. فقد صلى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و صحابته نحو بيت المقدس حوالى ستة عشر شهرا؛ كان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أثناءها يقلب وجهه فى السماء راجيا اللّه أن تحوّل له القبلة إلى البيت الحرام بمكة. و هو تغيير اقتضته الحكمة الربانية فى التكليف؛

---

(۱) البخارى- صحيح البخارى- الكتاب الأول. باب الصوم. و مسلم. صحيح مسلم. باب ۱۹.

(۲) مسلم. صحيح مسلم. باب ۳۶.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۰۵

و هى حكمة اقتضتها العناية الإلهية فى الفرضية و الابتلاء و التصديق. و قد تخفى علينا الحكمة كما قد تظهر. و ليس فى تحويل القبلة صلة بمعاداة اليهود للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فالشرائع السماوية ليست خاضعة لأهواء البشر من المحبة، و المعاداة، و البغضاء؛ و إنما الشرع ما شرعه اللّه. و فضلا عن ذلك لا نجد علاقة بين تحويل القبلة، و بين التقلبات السياسية فى المدينة المنورة، أو فى الجزيرة العربية. و إلا لما اقتصر ذلك الأمر على تحويل القبلة فقط. و كذلك فإنّ تحويل القبلة لم يكن سببه معاداة اليهود

للمسلمين حيث إن الثابت أن عداوة اليهود بدأت سنة ۶۲۵ م في حين كان تحويل القبلة سنة ۶۲۳ م.

و لنا التساؤل في هذا المقام: أين العجب من تحويل القبلة من بيت المقدس أولى القبلتين، و ثالث الحرمين إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة، و إذا شاءت الإرادة الإلهية بذلك؟!! و لكن من فقد الإيمان و الهداية و الرشاد، و لا يؤمن بتوحيد الألوهية في المشيئة بالفرضية و التكليف، و التحويل، لا يعدم الوسيلة في إسداء الآراء، و بث الافتراءات، و إلقاء التساؤلات على عواهنها؛ قصده الوحيد الطعن في الإسلام ليس إلا- و لنا أن نؤكد، و الجميع يعلم- مسلمون و غير مسلمين- أن التوجه في الصلاة إلى بيت المقدس كان فرضا بالسّنة، و السّنّة وحي؛ حيث إن التوجه بالصلاة بادئ الأمر لم يكن معلوما بالقرآن، فصلى المسلمون نحو بيت المقدس حوالي ستة عشر شهرا فرضا بالسنة. و كانت الصلاة في بادئ الأمر بالتخيير إلى الجهة مصداق قوله تعالى: فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ سورة البقرة آية ۱۱۵. ثم نسخت هذه السّنّة بالقرآن مصداق قوله تعالى: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ سورة البقرة آية ۱۴۴.

و ما التوجه بالصلاة إلى القدس، و ما التحويل لها إلى مكة المكرمة إلا و قد جاء في النصوص، و للنصوص التشريعية النبوية، و الإلهية.

و أما التساؤل عن سر توجه المسلمين في بادئ الأمر إلى القدس

- و هي قبلة اليهود، و النصارى- و عن سر هذا التحول؟! فالإجابة عليه غاية في السهولة: إن الإرادة الإلهية لم تمنع الأول، و ارتضته، و عندنا القاعدة الشرعية القائلة: إنّ شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يخالف حكما شرعيا، أو ما لم يرد خلاف ذلك.

و كذلك فإن الإرادة الإلهية- و الأمر لها- اقتضت الأمر الثاني، و أمرت به. و ما المانع، و ما العجب في التحويل للقبلة إذا كانت الجهات كلها مشارقها و مغاربها لله تعالى: مصداق قوله تعالى: سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ سورة البقرة آية ۱۴۲. فلم يبق ما نقوله في هذا المقام: إلا أنه إذا كان هناك عجب، أو سر يستعجب أو يفشى فيما يتعلق بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام بمكة، فإنه لا يتعدى الحسد، و الحقد، و البغضاء من الكفار أنفسهم على المؤمنين الذين آمنوا بربهم، و اقتدوا بسنة نبيهم، و أطاعوا رسولهم؛ و خاصة إذا كان الأمر يتعلق بقبلة الصلاة، و التوجه بها إليها. و صدق الله تعالى حيث قال فيهم: وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ سورة البقرة آية ۱۰۹.

الشبهة الثانية عشرة:

اشارة

إن القرآن الكريم بقسميه المكي، و المدني تأثر بالمواقف الحربية مع الأمم الأخرى، خاصة اليهود، و النصارى، و الوثنيين؛ مما جعلته أكثر تطورا حتى بالنسبة لألفاظه، و مفاهيمه، و نصوصه عن الله تعالى، و صفاته. و كما ورد في كتاب: العقيدة، و التشريع في الإسلام: «فانضمت في الفترة المدنية صفة القوة، و الجبروت ضد الكفار المعاندين إلى صفة الرحمة» «۱».

---

(۱) د. محمد عبد الله دراز- المرجع الآنف الذكر. ص ۱۵۶.

و دليلهم في شبهتهم هذه: أن القرآن المكي كانت تغلب عليه صفة الرحمة، و الصفح، و الغفران، و هذا على عكس المدني حيث غلبت عليه الشدة في القتال، و الغلظة على الكفار؛ فكان الله كما يزعمون رحيما في القرآن المكي، شديدا في القرآن المدني.

تفنيد هذه الشبهة:

تالله، إنهم في سكرتهم يعمهون. إننا لا نناقشهم في صفات الله من الرحمة و الغفران، و الشدة، و العقاب؛ فهم كفروا بالله وحده، و بصفاته، و لكننا نرد شبهتهم بمناقشة أدلتهم. و لنا أن نسألهم: هل خلا القرآن المكي من آيات الشدة، و الغلظة إلى جانب الصفح و الغفران؟؟! و لنا أن نسألهم أيضا: و هل خلا القرآن المدني من آيات الصفح و الغفران إلى جانب آيات القتال، و الشدة على الكفار؟؟! فقد ورد في القرآن المكي ما يفيد العقاب، و الرحمة في آن واحد.

قال تعالى في سورة الأنعام، و هي مكية: إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ آية ۱۶۵ و قال تعالى في سورة هود، و هي مكية: وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ آية ۶۷. و قال تعالى في سورة يس: هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (۶۳) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ الآيات ۶۳- ۶۴.

و قال تعالى في سورة غافر، و هي مكية: غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ آية ۳.

و أيضا فقد ورد في القرآن المدني ما يفيد الرحمة، و العقاب في آن واحد.

قال تعالى في سورة الرعد، و هي مدنية: وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقابِ آية ۶. و قال تعالى في سورة الحج، و هي مدنية إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ آية ۶۵. و قال تعالى في

سورة النور، و هي مدنية إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۱۹) وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ الآيات ۱۹- ۲۰.

الشبهة الثالثة عشرة:

اشارة

إن القرآن المكي اشتمل على لغو من الكلام في كثير من فواتح السور مثل: الم، و الر، و المر، و المص، و كهيعص، و طه، و يس، و ص، و ق، و ن، و حم، و بذلك فإن القرآن لا يصلح أن يكون هدى و بيانا، و رحمة للناس؛ لأن اللغو لا يمكن أن يكون هدى، و بيانا.

و دليل شبهتهم: أن معاني أحرف التهجي هذه لا يفهم معناها حتى من قبل الراسخين في العلم. فالتلفظ بها، و الخطاب بها، و البدء بها في بداية السور القرآنية لا معنى له، و هي تحصيل حاصل، و هي كعدمها من حيث معناها، و مفهومها. و أيضا يزعم أصحاب هذه الشبهة كدليل لها:

أن مثل هذه الألفاظ، و التعابير، و الأحرف هي من اليهود، أخذها محمد «صلّى الله عليه و آله و سلم» من كتبتهم الذين كانوا يكتبون له القرآن ليستدل بها على انقطاع الكلام، و استئناف آخر. و يفسرون معناها: بأنه أو عز إلىّ محمد، أو أمرني محمد. و هم يشيرون بذلك إلى براءتهم من الإيمان بها، و الاعتقاد و التصديق بما يأمرهم محمد بكتابته .. أي يكتبون له هذه الأحرف، و يتبرءون من الإيمان، أو تصديقها. و يبررون تفاسيرهم لأحرف التهجي هذه بقول بعضهم: إن الحروف العربية المفتتح بها أوائل بعض السور إما أن يكون قصد منها التعمية، أو التحويل، أو إظهار القرآن في مظهر عميق مخيف؛ أو هي رمز للتمييز بين المصاحف المختلفة ثم ألحقها بمرور الزمن بالقرآن فصارت قرآنا.

تفنيد هذه الشبهة:

اشارة

إن خير رد على هذه الشبهة هو ما قام به أستاذنا، و شيخنا العلامة

المرحوم محمد عبد العظيم الزرقاني حيث أفاض و أجاد رد، و تفنيدا و بالأدلة المستفيضة، و المقنعة نستعين بها، و ننقلها كما وردت في كتابه:

«مناهل العرفان في علوم القرآن» «۱» فبدأ بقوله:

«و تنقض هذه الشبهة بأمور: (أولها) أنه لم يكن للرسول صلّى الله عليه و آله و سلم كتبة من اليهود أبدا. و ها هو التاريخ حاكم عدل لا يرحم، و لا يحابي.

فليسألوه إن كانوا صادقين. (ثانيها) أنه لا دليل لهم أيضا على أن فواتح هذه السور تستعمل في تلك المعاني التي زعموها؛ و هي (أوعز إلىّ محمد) أو (أمرني محمد)، لا عند اليهود، و لا عند غيرهم في أية لغة من لغات البشر. (ثالثها) أن اليهود لم يعرف عنهم الطعن في القرآن بمثل هذا. و لو كان هذا مطعنا عندهم لكانوا أول الناس جهرا به، و توجيها له؛ لأنهم كانوا أشد الناس عداوة للنبي «صلّى الله عليه و آله و سلم»، و المسلمين؛ يتمنّون أن يجدوا في القرآن مغمزا من أي نوع يكون؛ ليهدموا به دعوة الإسلام. كيف، و هم يكفرون به حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق؟! (رابعها) أن اشتمال القرآن على كلمات غير ظاهرة المعنى لا ينافي وصف القرآن بأنه بيان للناس، و هدى، و رحمة؛ فإن هذه الأوصاف يكفي في تحقّقها ثبوتها للقرآن باعتبار جملته؛ و مجموعه، لا

باعتبار تفصيله، و عمومه الشامل لكل لفظ فيه. و لا ريب أن الكثرة الغامرة فى القرآن كلها بيان للتعاليم الإلهية، و هداية للخلق إلى الحق، و رحمة للعالم من وراء تقرير أصول السعادة فى الدنيا و الآخرة.

و هذا الجواب مبنى على أحد رأيين للعلماء فى فواتح تلك السور، و هو أن المعنى المقصود غير معلوم لنا، بل هو من الأسرار التى استأثر اللّه بعلمها، و لم يطلع عليها أحد من خلقه. و ذلك لحكمة من حكمه تعالى السامية، و هى ابتلاؤه سبحانه، و تمحيصه لعباده؛ حتى يميز الخبيث من الطيب، و صادق الإيمان من المنافق، بعد أن أقام لهم أعلام

---

(۱) الشيخ عبد العظيم الزرقانى، مناهل العرفان فى علوم القرآن، الجزء الأوّل من ص ۲۲۶- ۲۳۶.

بيانه، و دلائل هدايته، و شواهد رحمته، فى غير تلك الفواتح من كتابه، بين آيات، و سور كثيرة، لا تعتبر الفواتح فى جانبها إلا قطرة من بحر، أو غيضا من فيض.

فأما الذين آمنوا فيعلمون أن هذه الفواتح حق من عند ربهم، و لو لم يفهموا معناها، و لم يدركوا مغزاها؛ ثقة منهم بأنها صادرة من لدن حكيم عليم، عمّت حكمته ما خفى، و ما ظهر من معانى كتابه، و وسع علمه كل شىء عرفه الخلق أو لم يعرفوه من أسرار تنزيله. وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ سورة البقرة آية ۲۵۵.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ سورة آل عمران آية ۷.

و نظير ذلك أن يكون لك أصدقاء تريد أن تعرفهم، أو تعرف منهم مدى صداقتهم لك، فتبتليهم بأمور يزلّ عندها المزيّفون، و يظهر الصادقون.

على حد قول القائل:

و على حدّ المثل القائل: «إنّ أخاك من واساك».

ابل الرّجال إذا أردت إخاءهم و توسّمنّ فعالهم و تفقد

فإذا ظفرت بذى اللّبانة و التقى فبه اليدين قرير عين فاشدد و نظير ذلك أيضا: أن تكون أستاذا معلما، و تريد أن تقف على مدى انتباه تلاميذك، و مبلغ ثقتهم فيك، و فى علمك بعد أن زوّدتهم منك بدراسات واسعة، و تعاليم واضحة؛ فإنك تختبرهم فى بعض الأوقات بكلمات فيها شىء من الألغاز، و الخفاء؛ ليظهر الذكىّ من الغبىّ، و الواثق بك الواثق لك، من المتشكك فيك المتردّد فى علمك، و فضلك.

فأما الواثق فيك فيعرف أن تلك الألغاز، و المعمّيات، صدرت عن علم منك بها، و إن لم يعلم هو تفسيرها، و يعرف أن لك حكمة فى

إيرادها على هذه الصورة من الخفاء، و هى الاختبار، و الابتلاء. و أما المتشكك فيك، فيقول: ما ذا أراد بهذا؟ و كيف ساغ له أن يورده؟ و ما مبلغ العلم الذى فيه؟ ثم ينسى تلك المعارف الواسعة الواضحة التى زوّدته بها من قبل ذلك، و كلها من أعلام العلم، و آيات الفضل.

و لا يفوتنك فى هذا المقام أن تعرف أن ابتلاء اللّه لعباده ليس المراد منه أن يعلم سبحانه ما كان جاهلا منهم «حاشاه حاشاه». فقد وسع كلّ شىء علما. إنما المقصود منه إظهار مكنونات الخلق، و إقامة الحجج عليهم من أنفسهم؛ فلا يتهمون اللّه فى عدله، و جزائه، إذا جعل من الناس أهلا لثوابه، و آخرين لعقابه. وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً سورة الكهف آية ۴۹.

(الرأى الثانى فى فواتح السور) أن لها معنى مقصودا معلوما.

قالوا: لأن القرآن كتاب هداية، و الهداية لا تتحقق إلا بفهم المعنى؛ خصوصا أننا أمرنا بتدبر القرآن، و الاستنباط منه، و هذا لا يكون إلّا إذا فهم المعنى أيضا.

غير أن أصحاب هذا الرأى تشعبت أقوالهم فى بيان هذا المعنى المقصود بفواتح تلك السور. فذهب بعضهم إلى أن فاتحة كل سورة اسم للسورة التى افتتحت بها، و استدلوا بآثار تفيد ذلك، منها ما

روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنه قال «يس قلب القرآن» و قوله «من قرأ الم السّجدة، حفظ إلى أن يصبح».

و منها اشتهار بعض السور بالتسمية بها. ثم إن ورودها فى فواتح سور مختلفة بلفظ واحد، ينافى كونها أسماء للسور. بل شأنها فى ذلك شأن الأعلام المشتركة اشتراكا لفظيا كلفظ محمد المسمى به أشخاص كثيرون. فيضمّ إلى اسم كل منهم ما يميز مسماه عن غيره، فيقال: محمد المصرى، و محمد الشامى مثلا. و كذلك فواتح السور يقال فيها: «الم البقرة، و الم آل عمران، و حم السجدة» و هلم جرا.

و بعضهم ذهب إلى أنها أسماء للحروف الهجائية التى وضعت بإزائها. و هؤلاء منهم من قال: إن المقصود من ذلك هو إفهام

المخاطبين أن الذى سيتلى عليهم من الكلام الذى عجزوا عن معارضته، و الإتيان بمثله، إنما تركب من مثل هذه الحروف التى فى الفواتح، و هى معروفة لهم، يتخاطبون بما يدور عليها، و لا يخرج عنها.

و منهم من قال: إن المقصود منها هو الدلالة على انتهاء سورة، و الشروع فى أخرى.

و منهم من قال: إن المقصود منها القسم بها لإظهار شرفها و فضلها؛ إذ هى مبنى كتبه المنزلة.

و منهم من قال: إن المقصود منها بيان نبوة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم من ناحية أنه ينطق بأسامى الحروف مع أنه أمىّ لم يقرأ، و لم يكتب. و المعروف أن النطق بأسامى الحروف من شأن القارئ وحده، لا سبيل للأمى إلى معرفتها، و لا النطق بها، فإتيانه بها، و ترديده لها، دليل مادىّ أمامهم على أنه لا يأتى بهذا القرآن من تلقاء نفسه، إنما يتلقّاه من لدن حكيم عليم.

و منهم من قال: إن المقصود منها هو تنبيه السامعين، و إيقاظهم.

و ذلك أن قرع السمع فى أول الكلام بما يعنى النفوس فهمه أو بالأمر الغريب، دافع لها أن تصغى، و تتيقظ، و تتأمل، و تزداد إقبالا: فهى كوسائل التشويق التى تعرض فى مقدمة الدرس على منهج التربية الحديثة فى التعليم.

و منهم من قال: إن المقصود منها سياسة النفوس المعرضة عن القرآن. و استدراجها إلى الاستماع إليه. و المعروف أن أعداء الإسلام فى صدر الدعوة كان يقول بعضهم لبعض: لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ. فلما أنزلت السّور المبدوءة بحروف الهجاء، و قرع أسماعهم ما لم يألفوا، التفتوا، و إذا هم أمام آيات بيّنات استهوت قلوبهم، و استمالت عقولهم، فآمن من أراد اللّه هدايته، و شارف الإيمان من شاء اللّه تأخيره، و قامت الحجّة فى وجه الطغاة المكابرين، و أخذت عليه الطرق فلا عذر لهم فى الدنيا، و لا يوم الدين.

و قال العلامة المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسيره لسورة آل عمران ما نصه:

«اعلم أن القرآن كتاب سماوىّ. و الكتب السماوية تصرح تارة، و ترمز أخرى. و الرمز، و الإشارة من المقاصد السامية، و المعانى، و المغازى الشريفة. و قديما كان ذلك فى أهل الديانات؛ أ لم تر إلى اليهود الذين كانوا منتشرين فى المدينة، و فى بلاد الشرق أيام النبوة كيف كانوا يصطلحون فيما بينهم على أعداد الجمل المعروفة اليوم فى الحروف العربية؟ فيجعلون الألف بواحد، و الباء باثنين، و الجيم بثلاثة، و الدال بأربعة؛ و هكذا مازين على الحروف الأبجديّة، إلى الياء بعشرة، و الكاف بعشرين؛ و هكذا إلى القاف بمائة، و الراء بمائتين؛ و هكذا إلى الغين بألف، كما ستراه فى هذا المقام.

كذلك ترى أن النصارى فى إسكندرية، و مصر، و بلاد الروم، و فى سوريا، قد اتّخذوا الحروف رموزا دينية معروفة فيما بينهم أيام نزول القرآن. و كانت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية فى مصر. و كانوا يرمزون بلفظ «إكسيس» لهذه الجملة: «يسوع المسيح بن اللّه المخلّص» فالألف من إكسيس هى الحرف الأول من لفظ. «إيسوس» يسوع. و الكاف منها هى الحرف الأول من «كرستوس» المسيح. و السين منها هى حرف الثاء التى تبدل منها فى النطق فى لفظ «ثيو» اللّه. و الياء منها تدل على «إيوث» ابن. و السين الثانية منها تشير إلى «ثوتير» المخلص. و مجموع هذه الكلمات: يسوع المسيح ابن اللّه المخلّص. و لفظ «إكسيس» اتفق أنه يدل على معنى سمكة، فأصبحت السمكة عند هؤلاء رمزا لإلههم.

فانظر كيف انتقلوا من الأسماء إلى الرمز بالحرف، و من الرمز بالحرف إلى الرمز بحيوان دلّت عليه الحروف. قال الحبر الإنجليزى «صموئيل مونج»: «إنه كان يوجد كثيرا فى قبور رومة صور أسماك صغيرة مصنوعة من الخشب، و العظم. و كان كل مسيحى يحمل سمكة إشارة للتعارف فيما بينهم».

فإذا كان ذلك من طبائع الأمم التى أحاطت بالبلاد العربية، و تغلغلت فيها، و نزل القرآن لجميع الناس من عرب، و عجم، كان لا بدّ أن يكون على منهج يلذّه الأمم، و يكون فيه ما يألفون. و ستجد أنه لا نسبة بين الرموز التى فى أوائل السور، و بين الجمل عند اليهود، و رموز النصارى، إلا كالنسبة بين علم الرجل العاقل، و الصبى؛ أو بين علم العلماء، و علم العامّة. و بهذا تبين لك أن اليهود، و النصارى كان لهم رموز، و كانت رموز اليهود هى حروف الجمّل.

قال ابن عباس «رضى اللّه عنهما»: مرّ أبو ياسر بن أخطب برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم، و هو يتلو سورة البقرة: الم (۱) ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ثم أتى أخوه حيىّ بن أخطب، و كعب بن الأشرف، فسألوه عن الم و قالوا: ننشدك اللّه الذى لا إله

إلا هو أحقّ أنها أتتك من السماء؟ فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم: نعم. كذلك نزلت. فقال حيىّ: إن كنت صادقا إنى لأعلم أجل هذه الأمة من السنين. ثم قالوا: كيف ندخل فى دين رجل دلّت هذه الحروف بحساب الجمل على أن منتهى أجل أمته إحدى و سبعون سنة، فضحك النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم. فقال حيىّ: فهل غير هذا؟

فقال: نعم المص. فقال حيىّ: هذا أكثر من الأول: هذا مائة و إحدى و ستون سنة. فهل غير هذا؟ قال: نعم الر فقال حيىّ: هذا أكثر من الأولى و الثانية، فنحن نشهد إن كنت صادقا ما ملكت أمتك إلا مائتين و إحدى و ثلاثين سنة. فهل غير هذا؟ فقال: نعم المر.

قال حيىّ: فنحن نشهد أنّا من الذين لا يؤمنون، و لا ندرى بأىّ أقوالك نأخذ. فقال أبو ياسر: أما أنا فأشهد على أن أنبياءنا قد أخبرونا عن ملك هذه الأمة، و لم يبيّنوا أنها كم تكون؟ فإن كان محمد صادقا فيما يقول، إنى لأراه سيجتمع له هذا كله. فقام اليهود، و قالوا اشتبه علينا أمرك كله فلا ندرى أبا لقليل نأخذ أم بالكثير؟

فهذا تعرف أيها الذكىّ أن الجمّل كانت للتعارف عند اليهود، و هو نوع من الرموز الحرفية، فكانت هذه الحروف لا بدّ من نزولها فى القرآن؛ ليأخذ الناس فى فهمها كل مذهب، و يتصرف الفكر فيها.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۱۵

و لأقتصر لك مما قرأته على ثلاث طرائق فيما ترمز إليه هذه الحروف:

(الطريقة الأولى) أن تكون هذه الحروف مقتطعات من أسماء اللّه، كما روى عن ابن عباس «رضى اللّه عنهما» أنه قال: الألف آلاء اللّه، و اللام لطفه، و الميم ملكه. و عنه أن الر و حم، و ن مجموعها الرحمن. و عنه أن الم معناه أنا اللّه أعلم، و نحو ذلك فى سائر الفواتح. و عنه أن الألف من اللّه، و اللام من جبريل، و الميم من محمد. أى القرآن منزل من اللّه بلسان جبريل على محمد «عليهما الصلاة و السلام» أقول: إنما أراد ابن عباس بذلك أن تكون الحروف مذكرة باللّه عز و جلّ فى أكثر الأحوال، و ذكر اللّه أجلّ شىء. و يرجع الأمر إلى أنها أسماء مرموز لها بالحروف كما تقدّم عن الأمم السالفة من النصارى فى إسكندرية، و رومة. و لكن لا بدّ أن يكون هناك ما هو أعلى، و أجلّ.

(الطريقة الثانية) أن هذه الحروف من أعجب المعجزات، و الدلالات على صدق النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم. و هذا مما ترضاه النفوس. أ لا ترى أن حروف الهجاء لا ينطق بها إلا من تعلم القراءة. و هذا النبى الأمى صلّى اللّه عليه و آله و سلم قد نطق بها. و الذى فى أول السور أربعة عشر حرفا منها، و هى كلها ثمانية و عشرون حرفا إن لم تعدّ الألف حرفا برأسه، فالأربعة عشر نصفها. و قد جاءت فى تسع و عشرين سورة، و هى عدد الحروف الهجائية إذا عدّت فيها الألف. و قد جاءت من الحروف المهموسة العشرة و هى: «فحثه شخص سكت» بنصفها، و هى الحاء، و الهاء، و الصاد، و السين، و الكاف.

و معلوم أن الحروف إما مهموسة- أى يضعف الاعتماد عليها- و هى ما تقدّم، و إما مجهورة، و هى ثمانية عشر، نصفها- و هو تسعة- ذكرت فى فواتح السور، و يجمعها «لن يقطع أمر».

و الحروف الشديدة ثمانية، و هى «أجدت طبقك» أربعة منها فى الفواتح، و هى «أقطك».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۱۶

و الحروف الرخوة عشرون، و هى الباقية؛ نصفها عشرة، و هى فى هذه الفواتح. يجمعها «حمس على نصره».

و الحروف المطبقة أربعة: الصاد، و الضاد، و الطاء، و الظاء، و فى الفواتح نصفها: الصاد، و الطاء.

و بقية الحروف- و هى أربعة و عشرون حرفا- تسمى منفتحة، نصفها، و هو اثنا عشر فى الفواتح المذكورة.

فانظر كيف أتى فى هذه الفواتح بنصف الحروف الهجائية، إن لم تعدّ الألف، و جعلها فى تسع و عشرين سورة عدد الحروف، و فيها الألف؟ و كيف أتى بنصف المهموسة، و نصف المجهورة. و نصف الشديدة، و نصف الرخوة، و نصف المطبقة، و نصف المنفتحة؟!!.

و لقد ذكرت لك قلّا من كثر مما ذكره العلماء فى هذا المقام، و لا أطيل عليك خيفة السآمة، و الملل، و كفاك ما أمليته عليك فى هذه الطريقة الثانية لتعرف كيف أتى بهذه الأوصاف؟ و كيف وضعت الحروف على هذا النظام؟.

و إنى موقن أن المتعلم لو طلب منه أن يأتى بهذه الحروف منضّمة على هذا الوجه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فإنه إن راعى نصف الحروف المطبقة، فكيف يراعى الحروف الشديدة؟! و كيف يراعى نصف المجهورة فى نفس العدد؟!.

إن ذلك دلائل على صدق صاحب الدعوة صلّى اللّه عليه و آله و سلم. ففائدة هذا الوجه أهمّ من الوجه الأول؛ فالأول فائدته تذكير الإنسان بأسماء اللّه تعالى.

و أما الوجه الثانى ففيه إعجاز للعقول، و حيرة. فيقال: كيف تنصّف الحروف الهجائية، و تنصّف أنواعها من مهموسة، و شديدة الخ. و هذه الأنواع لم يدرسها أحد فى العالم أيام النبوة. ثم لما ظهرت تلك الدراسات، وافقت تلك الحروف بأنصافها!

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۱۷

إن ذلك ليعطى العقول مثلا من الغرابة الدالة على أن هذا لا يقدر عليه المتعلمون فإذا هو من الوحى. و هذا الوجه على قوّته يفضله ما بعده.

(الطريقة الثالثة) أن اللّه تعالى خلق العالم منظما محكما، متناسقا متناسبا. و الكتاب السماوى إذا جاء مطابقا لنظامه، موافقا لإبداعه، سائرا على منهاجه، دلّ ذلك على أنه من عنده. و إذا جاء الكتاب السماوى مخالفا لنهجه، منافرا لفعله، منحرفا عن سننه كان ذلك الكتاب مصطنعا، مفتعلا، منقولا، مكذوبا؛ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً سورة النساء آية ۸۲.

و العالم المشاهد، فيه عدد الثمانية و العشرين. و ذلك فيما يأتى:

۱- مفاصل اليدين فى كل يد أربعة عشر.

۲- خرزات عمود ظهر الإنسان منها أربع عشرة فى أسفل الصلب، و أربع عشرة فى أعلاه.

۳- خرزات العمود التى فى أصلاب الحيوانات التامة الخلقة: كالبقر، و الجمال، و الحمير، و السباع، و سائر الحيوانات التى تلد أولادها، منها أربع عشرة فى مؤخر الصلب، و أربع عشرة فى مؤخر البدن.

۴- عدد الريشات التى فى أجنحة الطير المعتمدة عليها فى الطيران أربع عشرة ريشة ظاهرة فى كل جناح.

۵- عدد الخرزات التى فى أذناب الحيوانات الطويلة الأذناب: كالبقر، و السباع.

۶- عمود صلب الحيوانات الطويلة الخلقة: كالسمك، و الحيات، و بعض الحشرات.

۷- عدد الحروف التى هى فى لغة العرب التى هى أتمّ اللغات، ثمان و عشرون حرفا. منها أربعة عشر يدغم فيها لام التعريف، و هى: ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ل ن. و أربعة عشر لا تدغم اللام فيها، و هى: أ ب ج ح خ ع غ ف ق ك م ه و ى.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۱۸

۸- و الحروف التى تخط بالقلم قسمان. منها أربعة عشر معلمة بالنقط، و هى: ب ت ث ج خ ذ ز ش ض ظ غ ف ق ن، و أربعة عشر غير معلمة و هى: ا ح د ر س ص ط ع ك و ه ل م لا- و هذا الحرف هو الألف التى هى من حروف العلة. أما الأولى فهى الهمزة. فهذه أربعة عشر حرفا. و بقيت الياء، و هى تنقط فى وسط الكلمة، و لا تنقط فى آخرها؛ فأصبحت الحروف المعلمة أربعة عشر، و غير المعلمة أربعة عشر، و الحرف التاسع و العشرون معلم، و غير معلم؛ لتكون القسمة عادلة. و الفضل فى هذا العدل للحكيم الذى وضع حروف الهجاء العربية، فإنه كان حكيما، و الحكيم هو الذى يتشبه باللّه بقدر الطاقة البشرية. و هذا جعل ثمانية و عشرين حرفا مقسمة قسمين، كل منها أربعة عشر كما فى مفاصل اليدين، و فقرات بعض الحيوانات.

۹- منازل القمر ثمان و عشرون منزلة، فى البروج الشمالية أربعة عشرة و فى الجنوبية أربع عشرة. فهذا يفيد أن الموجودات التى عددها ثمانية و عشرون تكون قسمين كل منهما أربعة عشر. فهكذا هنا فى القرآن جاءت الحروف العربية مقسمة قسمين، قسم منهما أربعة عشر منطوق به فى أوائل السور، و قسم منهما أربعة عشر غير منطوق به فى أوائلها. و كأنه تعالى يقول: أى عبادى، إن منازل القمر ثمان و عشرون؛ و هى قسمان؛ و مفاصل الكف ثمانية و عشرون و هى قسمان، و هكذا. و الحروف التى تدغم فى حرف التعريف، و التى هى معلمة كلّ منها أربعة عشر. و ضدها أربعة عشر، فلتعلموا أن هذا القرآن هو تنزيل منى؛ لأنى نظمت حروفه على هذا النمط الذى اخترته فى صنع المنازل، و الأجسام الإنسانية، و الأجسام الحيوانية، و نظام الحروف الهجائية، فمن أين لبشر كمحمد أو غيره أن ينظم هذا النظام، و يجعل هذه الأعداد موافقة للنظام الذى وضعته، و السنن الذى رسمته، و النهج الذى سلكته؟ إن القرآن تنزيل منى.

و قد وضعت هذه الحروف فى أوائل السور لتستخرجوا منها ذلك،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۱۹

فتعلموا أنى ما خلقت السموات، و الأرض و ما بينهما باطلا؛ بل جعلت النظام فى العالم، و فى الوحى متناسبا. و هذا الكتاب سيبقى إلى آخر الزمان. و لغته ستبقى معه إلى آخر الأجيال. إن اللغات متغيّرة، و ليس فى العالم لغة تبقى غير متغيرة إلا- التى حافظ عليها دين. و هل غير اللغة العربية حافظ عليها دين؟!.

هذا- و لا- يخفى عليك أن ذاك الرأى الثانى فى فواتح السور أبلغ فى نقض الشبهة من الرأى الأول؛ لأنه ينفى ما زعموه من أساس الاتهام، و هو أنه ليس لهذه الفواتح معنى مفهوم؛ و يقرر أن معانيها مفهومة على ما تبين فى تلك الوجوه السابقة. و إذا كان بعض الناس لا- يفهم تلك المعانى، فليس ذلك عيبا فى القرآن إنما هو عيب فى استعداد بعض أفراد الإنسان. و كتاب اللّه خوطب به الخواصّ كما خوطب به العوام، فلا بدع أن يكون فيه ألفاظ لا يفهمها إلا الخاصّة دون العامة.

و على كلا هذين الرأيين يتّضح لك أن اشتمال القرآن على هذه الألفاظ، ليس من قبيل اشتماله على لغو الكلام، أو إظهار القرآن بمظهر عميق مخيف؛ و لا- يفهم منه أنها رموز للمصاحف ألحقها مرور الزمن بالقرآن، إلى غير ذلك من الهذيان. بل ثبوت هذه

الفواتح لا يقدح فى كون القرآن من عند اللّه، سواء أفادت معنى ظاهرا أم لم تفد على ما يبّناه من حكمة اللّه البالغة فى إيرادها. و اللّه هو الحكيم العليم.

معانى حروف التهجى:

ذهب العلماء مذاهب شتى فى تفسيراتهم لفواتح السور القرآنية من حروف التهجى دون أن يصل أحد منهم إلى معنى يقينى مانع لما ترمز إليه تلك الحروف.

و من تفسيرات العلماء:

۱- إنّها سر من أسرار القرآن- اختصها اللّه بعلمه، و هى من متشابه

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۲۰

القرآن الّذى لا يعلم تأويله إلّا هو. و هى مجرد فواتح افتتح اللّه بها كتابه، و له أن يضع لسوره ما يشاء محتفظا بسرها، و بعلمه لها؛ إعجازا للبشرية، و إلى قيام الساعة. و نقل عن مجاهد بن التابعين قوله: الم، الر، فواتح افتتح اللّه بها القرآن «۱» و ذلك بالتوقف عند هذا المعنى بالافتتاح، و بأنّه سر من أسرار هذا القرآن.

و قد نقل عن الخليفة أبى بكر الصديق قوله: «فى كلّ كتاب سر، و سره فى القرآن أوائل السور» «۲».

و نقل عن على «كرم اللّه وجهه» قوله: «إنّ لكلّ كتاب صفوة، و صفوة هذا الكتاب حروف التهجى» «۳».

و نقل عن ابن مسعود، و الخلفاء الراشدين قولهم: «إنّ هذه الحروف علم مستور، و سر محجوب استأثر اللّه به» «۴».

و نقل عن الشعبى أنّه سئل عن فواتح السور فقال: «إنّ لكلّ كتاب سر، و إنّ سر هذا القرآن فواتح السور» «۵».

۲- إنّها أسماء للّه تعالى: عبّر عنها بهذه الحروف.

عن ابن مسعود قال: «هو اسم اللّه الأعظم» «۶».

و عن ابن عباس قال: الم اسم من أسماء اللّه تعالى الأعظم» «۷».

---

(۱) السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۱۰.

(۲) محمد رشيد رضا- تفسير المنار- ج ۸- ص ۳۰۲.

(۳) محمد رشيد رضا- تفسير المنار- ج ۸- ص ۳۰۲.

(۴) محمد رشيد رضا- تفسير المنار- ج ۸- ص ۳۰۲.

(۵) السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹۶۸.

(۶) السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۷) السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۲۱

و نقل ابن عطية أنّ حروف التهجى هى الاسم الأعظم «۱».

و عن السدىّ قال: «فواتح السور أسماء من أسماء الرب جلّ جلاله فرقت فى القرآن» «۲».

۳- إنّها حروف تهجى مقطعه كلّ حرف مأخوذ من اسم للّه تعالى.

أخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله:

الم، و حم، و اسم مقطع» «۳».

و أخرج ابن أبى حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قوله:

«مايت»، حم، و ن، حروف الرحمن مفرقة» «۴».

و أخرج أبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى قوله. المص الألف من اللّه، و الميم من الرحمن، و الصاد من الصمد» «۵».

و أخرج الحاكم و غيره من طريق سعيد بن جبير عن عباس قوله:

«فى كهيعص الكاف من كريم، و الهاء من هاد، و الياء من حكيم، و العين من عليم، و الصاد من صادق» «۶».

و أخرج ابن أبى حاتم من طريق السدّى عن أبى مالك، و أبى صالح عن ابن عباس و ابن مسعود فى قوله: كهيعص: «قال هو هجاء مقطع: الكاف من الملك، و الهاء من اللّه، و الياء و العين من العزيز، و الصاد من المصور» «۷».

---

(۱)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۲)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۳)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۴)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۵)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۶)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۷)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۲۲

و أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة فى قوله: طسم قال: «الطاء من ذى الطول، و السين من القدوس، و الميم من الرحمن» «۱».

و أخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير فى قوله: حم قال:

«حاء اشتقت من الرحمن، و ميم اشتقت من الرحيم» «۲».

و أخرج ابن أبى حاتم عن محمد بن كعب فى قوله: حم (۱) عسق قال: «الحاء، و الميم من الرحمن، و العين من العليم، و السين من القدوس، و القاف من القاهر» «۳».

و أخرج ابن أبى حاتم عن طريق أبى الضحى عن ابن عباس فى قوله الم قال: «أنا اللّه أعلم، و فى قوله: المص قال: أنا اللّه أفصل، و فى قوله: الر قال: أنا اللّه أرى» «۴».

و أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة فى قوله: كهيعص قال:

«أنا الكبير أنا الهادى، على أمين صادق» «۵».

و أخرج سعيد بن منصور و ابن مردويه عن سعيد عن ابن عباس فى قوله كهيعص قال «كبير، هاد، أمين صادق» «۶». و حكى الكرمانى فى قوله: ق إنّه حرف من اسمه قادر، و قاهر «۷».

«و حكى الكرمانى فى قوله: ن أنّه مفتاح اسم اللّه تعالى نور، و ناصر» «۸».

---

(۱)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۲)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۳)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۴)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۵)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۶)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۷)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

(۸)- السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۲۳

۴- إنّها قسم أقسم اللّه به- حيث إنّ كلّ فاتحة منها اسم للّه تعالى:

أخرج ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن عباس قال:

«الم، و طسم، و ص و أشباهها قسم أقسم اللّه به» «۱».

۵- إنّها أسماء للقرآن- كالفرقان، و الذكر- و قيل إنّها أسماء للسور القرآنية.

أخرج ابن أبى حاتم: «أنّ كلّ هجاء فى القرآن هو اسم من أسماء القرآن» «۲». و قيل هى أسماء للسور أيضا.

يذكر ابن جرير الطبرى فى تفسيره، و ابن كثير فى تفسيره أيضا أنّ هذه الحروف أسماء علمية للقرآن بوجه عام، أو لبعض سور القرآن المفتتحة بها بوجه خاص.

و نقل الماوردى عن زيد بن اسلم أنّها أسماء للسور «۳».

۶- إنّها للحساب.

يقول السهيلى: «لعل عدد هذه الحروف التى فى أوائل السور مع حذف المكرر للإشارة إلى بقاء الأمة» «۴».

و يقول الخويّى: «و قد استخرج بعض الأئمة من قوله تعالى:

الم (۱) غُلِبَتِ الرُّومُ أنّ البيت المقدس يفتحه المسلمون فى سنة ثلاث و ثمانين و خمسمائة، و وقع كما قال» «۵».

---

(۱)- السيوطى- الإتقان- ج ۲- ص ۱۰.

(۲)- السيوطى- الإتقان- ج ۲- ص ۱۰.

(۳)- السيوطى- الإتقان- ج ۲- ص ۱۰.

(۴) السهيلى هو أبو القاسم بن عبد اللّه السهيل توفى بمراكش سنة ۵۸۱ له كتاب مبهمات القرآن.

(۵) الخويّى هو الفقيه أحمد بن خليل بن سعادة صاحب الإمام فخر الرازى توفى سنة ۶۳۷ ه.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۲۴

و أخرج ابن جرير، و ابن أبى حاتم عن أبى العالية فى قوله:

الم قال: هذه الأحرف الثلاثة من الأحرف التسعة و العشرين دارت بها الألسن ليس منها حرف إلّا و هو مفتاح اسم من أسمائه تعالى، و ليس منها حرف إلّا و هو من آلائه، و ليس منها حرف إلّا و هو فى مدة أقوامهم و آجالهم: فالألف مفتاح اسم اللّه، و اللّام مفتاح اسمه لطيف، و الميم مفتاح اسمه مجيد، فالألف آلاء اللّه، و اللّام لطف اللّه، و الميم مجد اللّه، فالألف سنة، و اللام ثلاثون، و الميم أربعون».

و يروى العز بن عبد السلام أنّ عليا «كرم اللّه وجهه» استخرج واقعة معاوية من حم (۱) عسق.

و يذكر الألوسى «۱» فى تفسيره أنّ بعض الشيعة يفسرون مجموعة هذه الفواتح إذا حذف فيها ما يفيد أنّ «صراط على حق تمسكه»، فيرد عليهم بعض السنيين بخطاب مستنبط من الفواتح نفسها بحروف ذاتها غير المكررة «صحح طريقك مع السّنة».

و لقد أنكر جمهور علماء السّنة معنى الحساب لفواتح السور، و نسبوه إلى ما يعرف بعدّ أبى جاد. حيث قال ابن حجر العسقلانى «۲»: «إنّ هذا باطل لا يجوز الاعتماد عليه، فقد ثبت عن ابن عباس «رضى اللّه عنه» الزجر عن عدّ أبى جاد، و الإشارة إلى أنّ ذلك من جملة السحر، و ليس ذلك ببعيد، فإنّه لا أصل له فى الشريعة» «۳».

۷- إنّها أدوات تنبيه.

يقول الخويّى: «القول بأنّها تنبيهات جيد؛ لأنّ القرآن كلام عزيز،

---

(۱) الألوسى هو ابن عربى محمد بن على بن محمد الحاتمى الطائى الأندلسى الملقب بالشيخ الأكبر له أربعمائة كتاب- توفى سنة ۶۳۸ ه.

(۲) ابن حجر العسقلانى هو أحمد بن على بن محمد شهاب الدين أبو الفضل من أئمة الحديث و حفاظه.

(۳) السيوطى- الإتقان- ج ۲- ص ۱۱.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۲۵

و فوائده عزيزة، فينبغى أن يرد على سمع متنبه؛ فكان من الجائز أن يكون اللّه قد علم فى بعض الأوقات كون النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» فى عالم البشر مشغولا، فأمر جبريل بأنّ يقول عند نزوله: الم، الر، حم؛ ليسمع النبى صوت جبريل، فيقبل عليه، و يصغى إليه. قال:

و إنّما لم يستعمل الكلمات المشهورة فى التنبيه كألا، و أما، لأنّها من الألفاظ التى يتعارفها النّاس فى كلامهم، و القرآن كلام لا يشبه الكلام، فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد؛ لتكون أبلغ فى قرع سمعه» «۱».

و لكن الإمام رشيد رضا صاحب تفسير المنار يستبعد هذا التأويل، و جعل التنبيه للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»، فهو يقول: «كان ينتبه، و تغلب الروحانية على طبعه الشريف بمجرد نزول الروح الأمين عليه، و دنوه منه. كما يعلم مما ورد فى نزول الوحى من الأحاديث الصحيحة، و لا يظهر فيه وجه تخصيص بعض السور بالتنبيه».

و يذكر رشيد رضا بعد ذلك: «أنّ التنبيه إنّما كان أولا و بالذات للمشركين فى مكة، ثمّ لأهل الكتاب فى المدينة» «۲». و قد قال بعض العلماء: إنّه تنبيه للعرب حيث كانوا يلغون بالقرآن، فإذا سمعوا هذه الأحرف، استمعوا له تعجبا.

۸- إنّها الحروف التى يتكون منها القرآن- فتدل على أنّ القرآن يتكون، و يتألف من هذه الحروف التى جاء بعضها مقطعا، منفردا، و جاء تمامها مؤلفا مجتمعا؛ و ذلك إعجازا للعرب بأنّه نزل بالحروف التى يعرفونها، و التى تتكون منها لغتهم، و يتخاطبون بها، و يظهر بها بيانهم، و تتجلى بها فصاحتهم، و مع ذلك أعجزهم، و أقرعهم، و أفحمهم.

---

(۱) السيوطى- الإتقان- ج ۲- ص ۱۱.

(۲) محمد رشيد رضا- تفسير المنار- ج ۸- ص ۳۰۳.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۲۶

و قد قال بهذا الرأى الزمخشرى «۱» و البيضاوى «۲»، و ابن تيمية «۳»، و الحافظ المزى «۴».

۹- إنّها الحروف التى يتكون منها الكلام- حيث ذكر منها أربعة عشر حرفا هى نصف جميع الحروف فى اللغة العربية. حيث ذكرها اللّه حروفا مفردة، و حرفين حرفين، و ثلاثة ثلاثة، و أربعة، و خمسة، لأنّ تراكيب الكلام على هذا النمط، و لا زيادة «۵».

۱۰- إنّها أمارة لأهل الكتاب بأنّه سينزل كتاب على محمد أول سور منه حروف مقطعة «۶».

الترجيح بين معانى حروف التهجى:

لنا القول: بالجمع بين المعنى الأول، و السابع حيث لا تناقض بينهما.

فبالنسبة للمعنى الأول: فلا يزال القرآن، و سيظل معجزا بفواتح بعض سوره، حيث إنّها سرّ من أسرار القرآن اختص اللّه بها علما و حكمة. و هذا ما أخذ به الخلفاء الراشدون استنادا إلى أزلية القرآن

---

(۱) الزمخشرى هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمى الزمخشرى ولد فى زمخشر ۴۶۰ ه و توفى فى خوارزم عام ۵۳۸ ه.

(۲) البيضاوى هو ناصر الدين أبو سعيد عبد اللّه بن عمر البيضاوى صاحب تفسير البيضاوى توفى سنة ۶۸۵ ه.

(۳) ابن تيمية هو الإمام المصلح المجدد تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى الدمشقى توفى سنة ۷۲۸ ه.

(۴) الحافظ المزى هو يوسف بن عبد الرحمن أبو الحجاج المزى نسبة إلى المزة بدمشق و هو تلميذ ابن تيمية توفى سنة ۷۴۲ ه.

(۵) السيوطى- الإتقان- ج ۲- ص ۱۱.

(۶) السيوطى- الإتقان- ج ۲- ص ۱۱.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۲۷

بحروفه، و حيث يقول الخليفة الصديق: «فى كلّ كتاب سرّ، و سرّه فى القرآن أوائل السور» «۱».

و حيث يقول الإمام على بن أبى طالب «كرم اللّه وجهه»: «إنّ لكلّ كتاب صفوة، و صفوة هذا الكتاب حروف التهجى» «۲».

و حيث نقل عن ابن مسعود، و الخلفاء الراشدين: «إنّ هذه الحروف علم مستور، و سرّ محجوب استأثر اللّه بها» «۳».

و استنادا بالأخذ بهذا المعنى فله دلالته السليمة، و الممتدة و إلى قيام الساعة، حيث و مهما تعددت التفاسير للحروف فهى على ضعف سندها لا تقوى على مناقشة أو الحط من قوة معنى الاستدلال بالحروف على أنّها سرّ هذا القرآن المعجز للبشرية دوما.

و أمّا بالنسبة للمعنى السابع: فلا يزال القرآن، و سيظل الكتاب المعجز بتنبيهاته للنّاس إلى قيام الساعة، فهو فى كلّ لحظة، و فى كلّ آية، و فى كل سورة، بل و فى كل تلاوة متيه، و مؤثر، و حافز، تزداد تنبيهاته حدّة، و أثرا، و تأثيرا، بسماع أو بتلاوة حروف التهجى التى تفتتح بها بعض السور ناقلا المرء إلى ملكوت الروحانية مفكرا، و متأملا، و متّعظا، و ثمّ واعيا لما يسمع، أو يتلو.

و لعل قول الإمام المفسر رشيد رضا فى هذا المعنى ما يعطى المقصود حقه حيث يقول: «من حسن البيان، و بلاغة التعبير، التى غايتها إفهام المراد مع الإقناع، و التأثير أن ينبه المتكلم المخاطب إلى مهمات كلامه و المقاصد الأولى بها، و يحرص على أن يحيط علمه بما يريده هو منها، و يجتهد فى إنزالها من نفسه فى أفضل منازلها، و من ذلك التنبيه

---

(۱) محمد رشيد رضا- تفسير المنار- ج ۸- ص ۳۰۲.

(۲) محمد رشيد رضا- تفسير المنار- ج ۸- ص ۳۰۲.

(۳) محمد رشيد رضا- تفسير المنار- ج ۸- ص ۳۰۲.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۲۸

لها قبل البدء بها لكيلا يفوته شىء منها. و قد جعلت العرب منه هاء التنبيه، و أداة الاستفتاح، فأى غرابة فى أن يزيد عليها القرآن الذى بلغ حدّ الإعجاز فى البلاغة، و حسن البيان. و يجب أن يكون الإمام المقتدى، كما أنّه هو الإمام فى الإصلاح و الهدى؟! و منه ما يقع فى أثناء الخطاب من رفع الصوت، و تكييفه بما تقتضيه الحال من صيحة التخويف و الزجر، أو غنّة الاسترحام و العطف، أو رنة النعى

و إثارة الحزن، أو نغمة التشويق و الشجو، أو هيعة الاستصراخ عند الفزع، أو صخب التهويش وقت الجدل، و منه الاستعانة بالإشارات، و تصوير المعاني بالحركات، و منه كتابة بعض الكلمات أو الجمل بحروف كبيرة، أو وضع خط فوقها أو تحتها» «۱».

و لنا القول: بالتوافق بين حكمة التنبيه، و حكمة أسرار القرآن؛ حيث إنّ التنبيه القرآني بمثل حروف التهجي هذه سرّ من أسرار إعجازه في مخاطبته لأهل مكّة من المشركين، أو لأهل المدينة من أهل الكتاب.

---

(۱) محمد رشيد رضا- تفسير المنار- ج ۸- ص ۲۹۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۲۹

الباب السادس شبهات حول نزول القرآن على سبعة أحرف، و تفنيدها.

الشبهة الأولى:

اشارة

إن في القرآن اختلافا، و تناقضا تثبته أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف. و دليل ذلك أنّ هذه الأحاديث تفيد الاختلاف في القرآن.

و هذا يتناقض مع نفي القرآن لأي اختلاف مصداق قوله تعالى: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً سورة النساء آية ۸۲.

و سؤال أصحاب الشبهة يتمثل في: كيف توفق بين نفي القرآن لأي اختلاف فيه، و بين تأكيد و تثبيت أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف لذلك الاختلاف؟ فهذا هو عين التناقض. فلو نزل القرآن على حرف واحد، لما كان هناك اختلاف!!.

تفنيد هذه الشبهة:

في الحقيقة لا توجد شواهد تناقض أو معالم اختلاف. و ما مصدر

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۳۰

هذه الشبهة إلا عدم الفهم لتلك الأحاديث، و معنى الآية القرآنية.

فالاختلاف الذي تثبته الأحاديث تلك هو غير الاختلاف الذي ينفيه القرآن. فالاختلاف الذي تثبته أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف هو اختلاف تعددي، و سردي، و ليس اختلاف تضاد، و تناقض، سواء بالنسبة للمراد من، و ما تعنيه الأحرف السبعة، أو سواء بالنسبة لما يعنيه القرآن من عدم وجود الاختلاف فيه.

فالأحاديث تلك تثبت الاختلاف التعددي لمعاني الأحرف السبعة، و ما تدل عليه. أي الاختلاف في المعاني، و التنويع في طرق أداء القرآن و النطق بألفاظه، و التنويع في أوجه قراءاته؛ و في حدود السبعة معاني، أو السبعة أوجه، أو السبعة أحرف، و بشرط الصحة لها؛ و أنها منقولة كلها عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»، و بشكل متواتر. أما الاختلاف الذي ينفيه القرآن فهو بمعنى التناقض، و التعارض، و التدافع بين معاني القرآن الكريم، و تعاليمه و أحكامه، فليس في القرآن شيء من ذلك، و إن اختلفت طرق أدائه، و أوجه قراءته، و هي التي تسمى بالأحرف السبعة، فهذه الأحرف كلها صحيحة، و لا تناقض بينها، و بين القرآن الصحيح في نزوله، و معانيه و تواتره. و كما يقول شيخنا محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه مناهل العرفان «۱»: «و معنى ذلك أن نزول القرآن على سبعة أحرف لا يلزم منه تناقض، و لا تخاذل، و لا تضاد، و لا تدافع بين مدلولات القرآن، و معانيه و تعاليمه، و مراميه، بعضها مع بعض. بل القرآن كله سلسلة واحدة، متصلة الحلقات، محكمة السور و الآيات، متآخذة المبادي، و الغايات، مهما تعددت طرق قراءته، و مهما تنوّعت فنون أدائه».

و كما يقول الإمام ابن الجزري: قد تدبرنا اختلاف القرآن، فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال: إحداهما: اختلاف اللفظ لا المعنى. و الثانية:

اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد. الثالثة: اختلافهما

---

(۱) الزرقاني- مناهل العرفان- ج ۱- ص ۱۸۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۳۱

مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، لكن يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

فأما الأول: فكالاختلاف في ألفاظ «الصراط، و عليهم، و يؤده، و القدس، و يحسب»، يطلق عليه أنه لغات فقط.

و أما الثاني: فنحو لفظ «مالك و ملك» في الفاتحة؛ لأن المراد في القراءتين هو اللّه تعالى لأنّه مالك يوم الدين و ملكه .. و كذا ننشزها بالزاي، و ننشرها بالراء؛ لأنّ المراد بهما هو العظام. و ذلك أن اللّه تعالى أنشرها أي أحياها، و أنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت، فضمن اللّه المعنيين في القراءتين.

و أما الثالث: فنحو قوله تعالى: وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا قرئ بالتشديد، و التخفيف في لفظ «كذبوا» المبنى للمجهول. فأما وجه التشديد، فالمعنى: و تيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم. و أما وجه التخفيف، فالمعنى: و توهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم (أي كذبوا عليهم) فيما أخبروهم به. فالظن في الأولى يقين، و الضمائر الثلاثة المرسل. و الظن في القراءة الثانية شك، و الضمائر الثلاثة للمرسل إليهم.

و من هذا القبيل قوله تعالى: وَ إِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ بفتح اللام الأولى، و رفع الأخرى في كلمة: «لتزول» و بكسر الأولى و فتح الثانية فيها أيضا. فأما وجه فتح الأولى، و رفع الثانية من «لتزول» فهو أن تكون كلمة «إن» مخففة من الثقيلة، أي و إن مكرهم كامل الشدة تقتلع بسببه الجبال الراسيات من مواضعها، و في القراءة الثانية «إن» نافية أي ما كان مكرهم، و إن تعاظم، و تفاقم؛ ليزول منه أمر محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»، و دين الإسلام. ففي الأولى: تكون الجبال حقيقة، و في الثانية تكون مجازا. ثم قال أيضا: «فليس في شيء من القرآن تناف، و لا تضاد، و لا تناقض. و كل ما صح عن النبي «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» من ذلك، فقد وجب قبوله، و لم يسع أحدا من الأمة رده، و لزم الإيمان به؛ و أنّه كله منزل من عند اللّه، إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۳۲

الإيمان بها كلها، و اتباع ما تضمنته علما، و عملا، و لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن هذا تعارض».

إلى ذلك أشار عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه بقوله: «لا تختلفوا في القرآن» «۱».

الشبهة الثانية:

اشارة

إن في القرآن شكا، و ريبة سببها أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف. فبعض الروايات تفيد معنى التخيير للمرء بأن يأتي باللفظ من عنده و ما يرادفه، أو باللفظ و ما لا يضاده في المعنى كحديث أبي بكرة، و فيه: «كلها شاف كاف، ما لم تختم آية عذاب برحمة. أو آية رحمة بعذاب. نحو قولك: تعال، و أقبل، و هلم، و اذهب، و أسرع، و عجّل».

و هذا اللفظ جاء من رواية أحمد بإسناد جيد. و مثل هذا الحديث جاء من رواية أبي بن كعب. و جاء أكثر من ذلك حيث روى أكثر من ذلك أبو عبيد في فضائله: إن عبد اللّه بن مسعود أقرأ رجلا: إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (۴۳) طَعامُ الْأَثِيمِ فقال الرجل: «طعام اليتيم»، فردها عليه، فلم يستقم بها لسانه. فقال: أ تستطيع أن تقول: طعام الفاجر. قال نعم.

قال: فافعل.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إن الحروف السبعة كلها من عند اللّه تعالى نزولا، و تواترا، و تلاوة. و ما دام الأمر كذلك فكيف يعقل أن يؤدي تعددها، و اختلافها في أوجه التلاوة إلى الشك، و الريبة؟!! إلا إذا كان شك الطبيعة في الإسلام، و الريبة في القرآن، و عن سوء نية من أعداء الإسلام لا فهم لهم لمعنى اختلاف الأحرف السبعة، أو تعددها، و لا دليل لهم على شك أو ريبة قد يسببها تعدد أوجه القراءة أي نزول القرآن على سبعة أحرف!

---

(۱) محمد عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن. الجزء الأول.

ص ۱۸۶.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۳۳

ثانيا: بالنسبة لحديث أبي بكرة فإنه من الاستحالة بمكان أن يعني جواز تبديل شيء من القرآن بما لا يضاده كما يزعمون. أو أنه يعني التخيير للشخص بأن يأتي من تلقاء نفسه باللفظ و ما يرادفه، أو باللفظ و ما لا يضاده في المعنى.

فروايات نزول القرآن على سبعة أحرف إنما تعنى فقط التوسعة على الناس بقراءة القرآن بمترادفات من اللفظ الواحد مع ملاحظة أن جميع هذه المترادفات قد نزلت فعلا من عند اللّه تعالى. و بمعنى آخر فإن تلك الأحاديث إنما جاءت لتوسع على الناس، فيقرءون القرآن على أكثر من وجه، أى يقرءون المعنى الواحد بأكثر من لفظ، و كل يقرأ بالوجه أو اللفظ الذى يسهل عليه التلفظ به. مع العلم أنّ هذه الأوجه أى هذه الألفاظ التى تدلّ على المعنى الواحد كلها نزلت من عند اللّه تعالى، و كلها مما وردت به الأحاديث المذكورة، و هو من معانيها، و ما تعنيه و تدل عليه.

و يدل على ذلك، و أن جميع مترادفات اللفظ الواحد للمعنى الواحد نازل من عند اللّه هو قول الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» لكل من تنازع فيها من الصحابة:

«هكذا أنزلت». و كذلك قول كل من اختلف من الصحابة فيها لأخيه:

«أقرأنيها رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم». و كذلك قوله تعالى لرسوله جوابا لمن سأله تبديل القرآن: قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ سورة يونس آية ۱۵.

روى البخارى فى صحيحه، و أحمد فى مسنده، و الطبرى فى تفسيره، و الزركشى فى برهانه، و مسلم فى صحيحه، و أبو داود فى سننه، و النسائى فى سننه، و الترمذى فى سننه عن عمر بن الخطاب- رضى اللّه عنه- قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»، فكدت أساوره فى الصلاة، فانتظرته حتى سلم؛ ثم لببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» قلت له: كذبت؛ فو اللّه، إن رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» أقرأنى هذه

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۳۴

السورة التى سمعتك تقرؤها. فانطلقت أقوده إلى رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»، فقلت:

يا رسول اللّه، إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها!! و أنت أقرأتنى سورة الفرقان. فقال الرسول «صلّى اللّه عليه و سلّم»: «أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام؟ فقرأ هذه القراءة التى سمعته يقرؤها. فقال رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»: هكذا أنزلت.

ثم قال رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف. فاقرءوا ما تيسر منها».

ثالثا: و أيضا بالنسبة لحديث أبى بكرة هذا، و الذى نصه ما

رواه أحمد، و الطبرانى من حديث أبى بكرة: «أن جبريل قال: يا محمد، اقرأ القرآن على حرف. قال ميكائيل: استزده حتى بلغ سبعة أحرف.

قال:

كلها شاف كاف ما لم تختط آية عذاب برحمة، أو رحمة بعذاب» «۱».

فلا يدل أبدا على جواز تبديل لفظ القرآن بما لا يضاده، و إنما هو من قبيل ضرب الأمثال التى يضربها الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» للحروف التى نزل عليها القرآن؛ ليفيد أن تلك الحروف على اختلافها ما هى إلا ألفاظ متوافقة مفاهيمها كما يقول شيخنا الزرقانى «و إنّها متساندة معانيها لا تخاذل بينها، و لا تهافت، و لا تضاد، و لا تناقض، ليس فيها معنى يخالف معنى آخر على وجه ينفيه، و يناقضه: كالرحمة التى هى خلاف العذاب، و ضدها.

و تلك الأحاديث بهذا الوجه، تقرير؛ لأن جميع الحروف نازلة من عند اللّه. قال تعالى: وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً.

و أيضا، كما

يقول صاحب التبيان فى مثل هذا المقام إذ يقول: «إن النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» علّم البراء بن عازب دعاء فيه هذه الكلمة: «و نبيك الذى أرسلت» فلما أراد البراء أن يعرض ذلك الدعاء على الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»، قال:

«و رسولك الذى أرسلت» فلم يوافقه النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» على ذلك؛ بل قال له:

لا «و نبيك الذى أرسلت».

و هكذا نهاه الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» أن يضع لفظة رسول موضع لفظة نبى مع أن كليهما حق لا يحيل معنى؛ إذ هو «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»

---

(۱) الإمام السيوطى- الإتقان- ج ۱ ص ۴۸.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۳۵

رسول، و نبى معا. ثم قال: فكيف يسوغ للجهّال المغفلين أن يقولوا:

إنّه «عليه الصلاة و السلام» كان يجيز أن يوضع فى القرآن الكريم مكان عزيز حكيم غفور رحيم أو سميع عليم، و هو يمنع ذلك فى دعاء ليس قرآنا؛ و اللّه يقول مخبرا عن نبيه «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي و لا تبديل أكثر من وضع كلمة مكان أخرى «۱».

رابعا: و أما بالنسبة للرواية المنسوبة إلى ابن مسعود من أنه أقرأ الرجل بكلمة «الفاجر» بدلا من كلمة الْأَثِيمِ فى قوله تعالى:

إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (۴۳) طَعامُ الْأَثِيمِ فتفسيرها: أن ابن مسعود سمع الروايتين عن رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» و لما سمع الرجل لا يستطيع النطق بالقراءة الأولى، أشار إليه أن يقرأ ثانية، و كلاهما منزل من عند اللّه تعالى. و إلا، و حاشا أن يبدل صحابى مثل عبد اللّه بن مسعود، و هو أحفظ الناس للقرآن، و أكثرهم تلاوة له، و أعلمهم بنزوله أن يبدله، أو يبدل لفظا مكان لفظ.

الشبهة الثالثة:

اشارة

إن نزول القرآن على سبعة أحرف يتنافى مع ما هو مقرر، و معروف من أن القرآن نزل بلغة واحدة هى لغة قريش. فمن المتفق عليه أن القرآن نزل على حرف واحد هو لغة، و لسان قريش، و لذلك فإن ما جاءت به الأحاديث من أنه نزل على سبعة أحرف يتنافى، و يتناقض مع القول السابق. و بذلك، و بتعدد الأحرف و الألسنة التى نزل عليها القرآن تنتفى وحدة الأمة الإسلامية بسبب عدم تلاوتها للقرآن بلسان واحد.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إنّه من الخطأ الفاحش تفسير أو حصر معنى الحرف بأنه

---

(۱) الزرقانى- مناهل العرفان- ج ۱ ص ۱۸۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۳۶

لغة، و بالمعنى الجامد لها. فالعلماء فسروا الأحرف السبعة بأنها أوجه التغاير السبعة، و ليس اللغة أو اللهجة. و هذه الأوجه على الأرجح هى:

الوجه الأول: اختلاف الأسماء إفرادا، و جمعا. مثل قوله تعالى:

وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ سورة المؤمنون آية ۸ و سورة المعارج آية ۳۲.

فقد قرئ «لأماناتهم» بالجمع، و قرئ «لأمانتهم» بالإفراد. و قد رسمت فى المصاحف العثمانية «لأمنتهم» و أضيف فوقها ألف صغيرة لتفيد القراءتين بالجمع، و الإفراد.

الوجه الثانى: اختلاف تصريف الأفعال. مثل قوله تعالى:

يَعْكُفُونَ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ سورة الأعراف آية ۱۳۸. فقد قرئ اللفظ «يعكفون» بكسر الكاف، و ضمها.

الوجه الثالث: اختلاف وجوه الإعراب- مثل قوله تعالى: وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ سورة البقرة آية ۲۸۲. فقد قرئ باللفظ «يضار» بفتح الراء و ضمها.

الوجه الرابع: الاختلاف بالنقص، و الزيادة. مثل قوله تعالى:

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ. فقد قرئت الآية بمن و بدون من نحو:

«جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ».

الوجه الخامس: الاختلاف بالتقديم، و التأخير- مثل قوله تعالى:

فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ سورة التوبة آية ۱۱۱.

فقد قرئت بتقديم الفعل الثانى المبنى للمجهول، و تأخير الفعل الأوّل المبنى للمعلوم نحو: «فيقتلون و يقتلون» و كلاهما صحيح.

الوجه السادس: الاختلاف بالإبدال. مثل قوله تعالى: وَ انْظُرْ

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۳۷

إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها سورة البقرة آية ۲۵۹. فقد قرئت: كيف ننشرها بالراى، و كيف ننشرها بالراء.

الوجه السابع: الاختلاف فى اللهجات بالتضخيم، و الترقيق، و الإمالة، و الإدغام، و الإظهار ... الخ. مثل قوله تعالى: وَ هَلْ أتاكَ حَديثُ مُوسى سورة طه آية ۹.

فقد قرئت أتاكَ «بالإمالة نحو «أتيكَ» و «موسى» نحو «موسى».

ثانيا: إن نزول القرآن على سبعة أحرف لا يتنافى مطلقا مع ما هو متفق عليه أنّ القرآن نزل بلسان قريش؛ لأن الأحرف السبعة كلها فى لغة قريش. و لذلك لا داعى للبكاء على ضياع وحدة الأمة. و مما هو معروف أن معظم القرآن نزل بلغة قريش. و إذا كان قليل منه نزل بغير لغة قريش: كلغة هذيل، و كنانة، و قيس، و ضبّة، و تيم، و أسد، فإن هذه اللغات احتوتها لغة قريش، و هذبتها، و صهرتها، و صقلتها؛ فكانت معروفة لدى قريش؛ و أصبحت من لغة قريش بحكم أنها سيدة القبائل؛ و لغتها سيدة لغات قبائل الجزيرة، و كلها عربية. فلم يعد هناك لفظ أو قول يصعب على قريش فهم معناه حتى و لو كان من لغة قبيلة أخرى، و كلهم من قبيلة مضر.

الشبهة الرابعة:

اشارة

إن الأحرف السبعة هى القراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة المعروفين فى القرنين الثانى، و الثالث الهجريين، و هم: نافع المتوفى سنة ۱۶۹ ه و ابن كثير، و أبو عمرو البصرى سنة ۱۵۴ ه و ابن عامر الشامى ۱۱۸ ه، و عالم الكوفى سنة ۱۲۷ ه، و حمزة الكوفى سنة ۱۵۶ ه، و الكسائى ۱۸۹ ه.

و يقصد أصحاب هذه الشبهة- و عن سوء نية- الطعن فى القرآن، و إنكار حروفه السبعة، و إثبات الزيادة، و التحريف فيه؛ و من ثم إنكار أحاديث الأحرف السبعة ليأ بألسنتهم، و طعنا فى الدين. و صدق فيهم

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۳۸

قول ربنا: وَ يَقُولُونَ سَمِعْنا وَ عَصَيْنا وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَ راعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْناً فِي الدِّينِ سورة النساء آية ۴۶.

تفنيد هذه الشبهة:

اشارة

أولا: إن هذه الشبهة تتنافى تماما مع ما هو متفق عليه بين العلماء على أن الأحرف غير القراءات السبعة. و كما يقول «أبو شامة» فى كتابه: «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز»: «ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث؛ و هو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، و إنما يظن ذلك بعض أهل الجهل» «۱». و يقول:

«من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع، و عاصم هى الأحرف السبعة التى فى الحديث، لقد غلط غلطا عظيما» «۲».

ثانيا: إنّ أحاديث الأحرف السبعة متواترة عن النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»، بينما القراءات السبع، فهى متواترة عن الصحابة. يقول الإمام الزركشى فى البرهان عن القراءات السبع: «و التحقيق أنّها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» ففيه نظر؛ فإنّ إسنادهم بهذه القراءات السبع موجود فى كتب القراءات، و هى نقل الواحد عن الواحد» «۳».

ثالثا: إنّ الأحرف السبعة أعم من القراءات السبع عموما مطلقا.

فالقراءات أخص من الأحرف السبعة النازلة خصوصا مطلقا. فإن وجوه الأحرف السبعة، و التى أنزل اللّه عليها كتابه تشمل، و تنظم كل وجه قرأ به النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»، و أقرأه لأصحابه. فالأحرف السبعة تنتظم القراءات السبع، و العشرة، و الأربع عشرة.

---

(۱)- السيوطى- الإتقان- ج ۱ ص ۸۲.

(۲)- السيوطى- الإتقان- ج ۱ ص ۸۲.

(۳)- السيوطى- الإتقان- ج ۱ ص ۸۲.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۳۹

رابعا: إنّ أحاديث الأحرف السبعة أسبق من القراءات السبع، و لا يعقل أن النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» أمر بتأجيل القراءة بالأحرف السبعة حتى القرن الثانى و الثالث الهجريين حيث وجدت القراءات السبع.

الفرق بين الأحرف السبعة و القراءات السبع

. يجمع العلماء على أنّه من الخطأ القول بأن الأحرف السبعة هى القراءات السبع. يقول أبو شامة فى كتابه: «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز»: «ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث، و هو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، و إنما يظن ذلك بعض أهل الجهل» «۱».

و يقول مكى: «من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع، و عاصم هى الأحرف السبعة التى فى الحديث، فقد غلط غلطا عظيما» «۲». و يمكننا تأصيل الفوارق الأساسية بين الأحرف السبعة، و القراءات السبع فيما يلى:

أولا: الأحرف السبعة قرآن، وحى نزل من عند اللّه على محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» للبيان، و الإعجاز، منقولة إلينا بالتواتر، متعبد بتلاوتها جميعا، فى حين أن القراءات السبع هى اختلاف لفظ الحروف، أى اختلاف لفظ الوحى المذكور فى الحروف، أى اختلاف فى كيفية النطق بالأحرف السبعة أى بالقرآن، و كيفية أدائها من تخفيف، و ترقيق، و تثقيل، و تشديد، و إمالة، و إدغام، و إظهار، و مد، و قصر، و إشباع، و حركات إعراب ... الخ. فالقراءات مذاهب أئمة فى كيفية أداء القرآن، أى الأحرف السبعة.

و أما الأحرف السبعة: فهى قرآن ليعبر عن معنى واحد بألفاظ

---

(۱)- السيوطى- الإتقان- ج ۱ ص ۸۲.

(۲)- السيوطى- الإتقان- ج ۱ ص ۸۲.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۴۰

متعددة تصل أحيانا إلى السبعة- فتكون هى الأحرف السبعة- و أحيانا ينزل القرآن بلفظ واحد أو اثنين أو ثلاثة حسب ما تقتضيه اختلاف و تعدد لغات العرب، و يؤدى المعنى المطلوب. و ذلك ضمن ما يحتمله اللفظ أو النص القرآنى من وجوه التغاير، و الاختلاف فيه من إفراد، و تثنية، و جمع و تذكير، و تأنيث مثل: لفظ «أمنتهم» فى قوله تعالى: وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ سورة المؤمنون آية ۸. فقد ورد رسمها هكذا فى المصحف فهى تحتمل الإفراد مثل أمانتهم، و الجمع مثل أماناتهم؛ و ذلك لأن رسمها جاء دون ألف فهى لفظان يفيدان معنى واحدا: فقراءتها بالإفراد يعنى الجنس الدال على الكثرة، و قراءتها بالجمع يعنى الاستغراق الدال على الجنسية. و كذلك يقصد بالأحرف السبعة الاختلاف فى وجوه الإعراب مثل قوله تعالى: ما هذا بَشَراً سورة يوسف آية ۳۱. و «ما هذا بشر» بالنصب و الرفع. و كذلك الاختلاف فى التصريف فى الأفعال و الأسماء مثل قوله تعالى: فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا سبأ آية ۱۹.

و ذلك بنصب ربنا لأنها منادى مضاف، و تسكين باعد لأنها فعل أمر مبنى على السكون أو «فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا» بضم ربنا لأنها فاعل، و فتح باعد لأنها فعل مبنى على الفتح. و ذلك الاختلاف فى التقديم و التأخير مثل قوله تعالى: فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ سورة التوبة آية ۱۱۱.

بناء الفعل الأول للمعلوم، و الثانى للمجهول/ أو «فيقتلون و يقتلون» بناء الفعل الأول للمجهول و الثانى للمعلوم. كذلك الاختلاف بالزيادة، و النقص مثل قوله تعالى: وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ سورة التوبة آية ۱۰۰. بنقص (من) و «أعدّ لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار» بزيادة (من) و هما قراءتان متواترتان.

و بالنسبة للقراءات: فالاختلافات فى معظمها تدور حول:

۱- مخارج الحروف: كالترقيق و التفخيم، و الميل إلى المخارج المجاورة:

كنطق الصراط بإمالة الصاد بالزاى.

۲- الأداء: كالمد، و القصر، و الوقف، و الوصل، و التسكين، و الإمالة، و الإشمام.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۴۱

۳- الرسم: كالتشديد، و التخفيف مثل: يغشى، و يغشى. و فتحت و فتّحت بتشديد التاء.

۴- الإدغام، و الإظهار: مثل: تذكرون و تتذكرون.

۵- الهمز و مد الألف: مثل: ملك و مالك، و مسجد و مساجد، لتحمل الرسم النطقين.

۶- التنقيط و الحركات النحوية مثل: يفعلون و تفعلون، و يغفر و تغفر، و فتبينوا، و تثبتوا، و ييأس و يتيبن، و أرجلكم و أرخلكم ...

ثانيا: الأحرف السبعة متواترة عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بينما القراءات متواترة عن الصحابة «رضوان اللّه عليهم»، و منها المشهورة.

يقول الزركشى فى البرهان عن القراءات السبع: «و التحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبى «صلّى اللّه عليه و آله و

سلم» ففيه نظر، فإن إسنادهم بهذه القراءات السبع موجود فى كتب القراءات، و هى نقل الواحد عن الواحد» «۱».

و بالنسبة للأحرف السبعة: فقد أورد السيوطى فى إتقانه أسماء واحد و عشرين صحابيا شهدوا الحديث مما قطع بتواتره عند العلماء، و منهم أبو عبيد القاسم بن سلام «۲».

ثالثا: الأحرف السبعة وردت فى السنة النبوية على سبيل الحصر، بينما القراءات السبع ورد عددها اجتهادا، و هى ليست على سبيل الحصر. فهناك القراءات العشر، و هناك القراءات الأربع عشرة، و كل قراءة يتحقق فيها ضابط الصحة الثلاث.

فبالنسبة للأحرف السبعة وردت بها الأحاديث النبوية حصرا.

عن

---

(۱)- السيوطى- الإتقان- ج ۱ ص ۸۲.

(۲)- السيوطى- الإتقان- ج ۱ ص ۴۷. شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۴۲

ابن عباس «رضى اللّه عنهما» قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده، و يزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف» «۱».

و قد أورد ابن جرير الطبرى أحاديث كثيرة عن نزول القرآن على سبعة أحرف. أمّا بالنسبة لعدد القراءات السبع لم ترد به السنة النبوية، و توافقه مع عدد الأحرف السبعة إنّما جاء مصادفة، و ليس تحقيقا. و عليه فكل قراءة غير السبع تحقق فيها ضابط الصحة تعتبر صحيحة، و يعتد بها. قال ابن الجزرى فى أول كتابه: «النشر فى القراءات العشر»: «كل قراءة وافقت العربية و لو بوجه، و وافقت أحد المصاحف العثمانية، و لو احتمالا، و صح سندها، فهى قراءة صحيحة التى لا يجوز ردها، و لا يحل إنكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، و وجب على الناس قبولها سواء أ كانت عن الأئمة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين» «۲».

و يقول القراب فى الشافى: «التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر و لا سنة، إنّما هو من جمع بعض المتأخرين» «۳».

---

(۱) السيوطى- الإتقان- ج ۱ ص ۴۷.

(۲) السيوطى- الإتقان- ج ۱ ص ۷۷.

(۳) السيوطى- الإتقان- ج ۱ ص ۸۳.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۴۳

الباب السابع شبهات حول المتشابه فى القرآن، و تفنيدها «۱».

الشبهة الأولى:

اشارة

إنّ القول بأن اللّه لا جهة له، و أنه ليس فوقا، و لا تحتا، و لا يمينا و لا شمالا يستلزم أنّ اللّه غير معبود؛ لأنّ هذه من صفات المعدوم؛ و إنّ التجرد من الإتصاف بهذه المتقابلات جملة أمر لا يوسم به إلا المعدوم، و من لم يتشرف بشرف الوجود.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: من الخطأ الفادح أن يشبه اللّه بمخلوقاته، و أن يوضع موضع المخلوق من حيث النسبة. فاللّه تعالى لا يشبه خلقه حتى نحكم عليه بما نحكم على مخلوقاته فى وجوب أن تكون له جهات ما دام

---

(۱) انظر فى مثل هذه الشبهة: محمد عبد العظيم الزرقانى- مناهل العرفان فى علوم القرآن. ج ۲ ص ۲۹۳- و ما بعدها.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۴۴

موجودا. فوجود اللّه غير وجود المخلوق. فاللّه ليس مجسما، و ليس ماديا. و من الخطأ أن يقاس المجرد عن المادة بما هو مادى.

فالمادى هو الذى يجب أن يتصف بشىء من هذه المتقابلات بأن تكون له جهات ست أو جهة منها. أما غير المادى فترتفع عنه مثل هذه الصفات، و لا يمكن أن تكون له جهة من هذه الجهات. فالخالق لا يستوى أبدا مع خلقه فى جريان أحكام الخلق على الخالق.

و نظير ذلك يمكننا القول: إذا صح، و اتصف إنسان بأنه عالم أو جاهل، فإنّ الجماد كالجبل مثلا لا يصح أن يتصف بالعلم أو الجهل، و هما مرتفعان عنه، بل و ممتنعان عليه؛ لأنّ طبيعته تختلف عن طبيعة الإنسان. و كذلك لا يصح وصف الأرض بأنّها بكر، أو متزوجة، أو أرملة؛ و كذلك لا يصح وصف السماء بأنها سميعة أو بصيرة، أو خرساء؛ و كذلك لا يصح وصف البحر بأنه بالغ أو راشد، أو محلف.

و هكذا تنتفى المتقابلات كلها بانتفاء قابلية المحل لها أيا كانت هذه المتقابلات. و هكذا فإن لكل محل، و لكلّ مخلوق طبيعة خاصة به تتصف بصفات خاصة، و لائقة بها. و هذه مخلوقة، و مادية فما بالك لو كان الأمر يتعلق بما هو خالق، و غير مخلوق، و غير مادى، و هو اللّه تعالى، فقياس الغائب على الشاهد فاسد، و مغلوط.

ثانيا: إذا كان أنصار هذه الشبهة يقررون ضرورة أن يكون للّه جهات حتى يكون معبودا، فإن السؤال الذى يطرح ذاته هذا: أين كان اللّه قبل أن يخلق العرش، و الكرسى، و السماء، و الأرض، و قبل أن يخلق الزمان، و المكان، و قبل أن تكون هناك جهات؟؟. فإن قالوا: لم يكن له جهة، و لا مكان، فقد اعترفوا بخطإ ادعائهم، و ناقضوا أنفسهم، و اعترفوا بحقيقة أن اللّه لا تحده جهة، و لا مكان، و لا زمان، و هو حى باق موجود يدبر أمور الحياة فى السماء، و الأرض. و إن قالوا: إن العالم قديم بقدم اللّه تعالى، فقد ناقضوا أنفسهم، و استجاروا من الرمضاء بالنار، و هنا يقتضى الحال الانتقال بهم إلى إثبات حدوث العالم.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۴۵

ثالثا: لا يجوز الأخذ بظواهر النصوص على حقيقتها كما يبدو عند أنصار هذه الشبهة مما أوقعهم فى لبس، تناقض غريب. فهم لا يستطيعون أن يوفقوا بين قوله تعالى:

أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ مع قوله: وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ.

فهل هو فى السماء حقيقة، أم فى الأرض حقيقة، أم فيهما معا حقيقة؟!!. فإن قالوا: إنّه فى الأرض وحدها حقيقة، فكيف تكون له جهة فوق؟! و إذا كان فى السماء وحدها حقيقة، فكيف تكون له جهة تحت؟! و إن قالوا: إنّه فى السماء، و الأرض معا حقيقة، فلما ذا يقال: إنّ له جهة فوق، و لا يقال له جهة تحت؟!! و لما ذا يشار إليه فوق، و لا يشار إليه تحت؟!! ناهيك عن التذكير بأنّ الجهات أمور نسبية، فما هو فوق بالنسبة إلينا قد يكون تحت بالنسبة لغيرنا.

رابعا: إنّ الأخذ بظواهر النصوص على حقيقتها أعجز أنصار هذه الشبهة عن تفسير كثير من التساؤلات. فإذا كان اللّه تعالى يقول: يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ بإفرادها، و يقول: لما خَلَقْتُ بِيَدَيَ بتثنيتها، و يقول:

و السماء بنيناها بأييد بجمعها، فهم يعجزون عن الإجابة على ما يوجه إليهم من التساؤلات، و التى منها: هل له يد واحدة بناء على الآية الأولى؟! أم له يدان اثنتان بناء على الآية الثانية؟!! أم له أيد كثيرة بناء على الآية الثالثة؟!! خامسا: إنّ الأخذ بظواهر النصوص على حقيقتها أعجز أنصار هذه الشبهة عن تفسير كثير من الوقائع، و الظواهر، و أدّى بهم إلى شواهد البلبلة، و التناقض.

فقد روى البخارى، و مسلم، و غيرهما أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول:

من يدعونى، فأستجيب له؟ من يسألنى، فأعطيه؟ من يستغفرنى، فأغفر له؟».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۴۶

فكيف يؤخذ بظاهر هذا الخبر مع أن الليل مختلف فى البلاد باختلاف المشارق، و المغارب؟!! و إذا كان اللّه ينزل لأهل كل أفق نزولا حقيقيا فى ثلث ليلهم الأخير فمتى يستوى على عرشه حقيقة كما يقولون؟!! و متى يكون فى السماء حقيقة كما يقولون؟!! مع أنّ الأرض لا تخلو من الليل فى وقت من الأوقات، و لا ساعة من الساعات كما هو ثابت، و أكيد.

سادسا: يرد على أنصار هذه الشبهة بما قاله حجة الإسلام أبو حامد الغزالى: «نقول للمتشبث بظواهر الألفاظ: إن كان نزوله من السماء الدنيا ليسمعنا نداءه، فأى فائدة فى نزوله؟! و لقد كان يمكنه أن يناديا كذلك، و هو على العرش أو على السماء العليا. فلا بدّ أن يكون ظاهر النزول غير مراد، و أنّ المراد به شىء آخر غير ظاهره. و هل هذا إلّا مثل من يريد، و هو بالمشرق، إسماع شخص فى المغرب، فتقدم إلى المغرب بخطوات معدودة، و أخذ يناديه، و هو يعلم أنه لا يسمع نداءه، فيكون نقله الأقدام عملا باطلا، و سعيه نحو المغرب عبثا صرفا فلا فائدة فيه، و كيف يستقر مثل هذا فى قلب عاقل» «۱».

الشبهة الثانية:

اشارة

إنّ القول بالمتشابه يؤدى إلى الترجيح بين الآيات القرآنية ترجيحا مذهبيا يشوبه التعصب، و ينتابه الضعف، و الخفاء.

نقل السيوطى عن الإمام فخر الدين الرازى أنّه قال: «من الملحدة من طعن فى القرآن لأجل اشتماله على المتشابهات»، و قال: إنّكم تقولون: إنّ تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة، ثمّ إنّا نراه بحيث يتمسّك به صاحب كلّ مذهب على مذهبه. فالجبرى متمسك

---

(۱) الزرقانى- مناهل العرفان- ج ۱ ص ۲۹۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۴۷

بآيات الجبر: كقوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً سورة الكهف آية ۵۷.

و القدرى يقول: هذا مذهب الكفار بدليل أنّه تعالى حكى عنهم ذلك فى معرض الذم فى قوله تعالى: وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ فِي آذانِنا وَقْرٌ.

و فى موضع آخر: وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ سورة البقرة آية ۸۸. و منكر الرؤية متمسك بقوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ سورة الأنعام آية ۱۰۳. و مثبت الجهة متمسك بقوله تعالى: يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ سورة النحل آية ۵۰. الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى سورة طه آية ۵. و الثانى متمسك بقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ سورة الشورى آية ۱۱. ثم يسمى كل واحد الآيات الموافقة لمذهبه محكمة، و الآيات المخالفة متشابهة، و إنما آل فى ترجيح بعضها على بعض إلى ترجيحات خفية، و وجوه ضعيفة، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذى هو المرجوع إليه فى كلّ الدين إلى يوم القيامة هكذا؟!!.

تفنيد هذه الشبهة:

إنّ نسبة بعض أفعال الجوارح للّه تعالى كالبصر، و الإدراك، و الاستواء، و الرؤية، لا تعنى تشبيه اللّه الخالق بمخلوقاته أو تجسيمه، و إنما الغرض من ذلك التقريب للأفهام، و التنبيه للعقول، و التأنيس للقلوب.

و يمكن تفنيد هذه الشبهة بالقول: بأنّ لوقوع المتشابه فوائد منها:

أنّه يوجب مزيدا من المشقة فى الوصول إلى المراد، و زيادة المشقة توجب مزيد الثواب.

و يمكن تفنيد هذه الشبهة بما ذكره ابن اللبان فى مقدمة كتابه: «رد الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات» إذ قال ما خلاصته: «ليس فى الوجود فاعل إلا اللّه و أفعال العباد منسوبة الوجود إليه تعالى بلا

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۴۸

شريك، و لا معين؛ فهى فى الحقيقة فعله، و له بها عليهم الحجة مصداق قوله تعالى: لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ. و من المعلوم أنّ أفعال العباد لا بدّ فيها من توسط الجوارح مع أنّها منسوبة إليه تعالى، و بذلك يعلم أنّ لصفاته تعالى فى تجلياتها مظهرين: مظهر عبادى منسوب لعباده، و هو الصور، و الجوارح الجثمانية. و مظهر حقيقى منسوب إليه، و قد أجرى عليه أسماء المظاهر العبادية المنسوبة لعباده. على سبيل التقريب لأفهامهم، و التأنيس لقلوبهم. و لقد نبه فى كتابه تعالى على القسمين، و أنه منزّه عن الجوارح فى الحالين، فنبه على الأول بقوله:

قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ. فهذا يفيد أن كل ما يظهر على أيدى العباد، فهو منسوب إلى اللّه تعالى. و نبه على الثانى بقوله فيما أخبر عنه نبيه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» فى صحيح مسلم: «لا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته، كنت سمعه الذى يسمع به، و بصره الذى يبصر به، و يده التى يبطش بها، و رجله التى يمشى بها».

و قد حقّق اللّه ذلك لنبيه بقوله: إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ، و بقوله: وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى.

و بهذا يفهم ما جاء من الجوارح منسوبا إليه تعالى، فلا يفهم من نسبتها إليه تشبيه، و لا تجسيم؛ و لكن الغرض من ذلك التقرب للأفهام، و التأنيس للقلوب. و الواجب سلوكه إنّما هو رد المتشابه إلى المحكم على القواعد اللّغوية، و على مواضعات العرب، و على ما كان يفهمه الصحابة، و التابعون من الكتاب و السنة «۱».

الشبهة الثالثة:

اشارة

إنّ القول بالمتشابه يؤدى إلى التساؤل عن ماهية الحكمة فى إنزال المتشابه ممن أراد لعباده البيان، و الهدى؟!!

---

(۱) الزرقانى- مناهل العرفان- ج ۲- ص ۲۹۸.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۴۹

تفنيد هذه الشبهة:

إنّ الحكمة من القول بالمتشابه موجودة قطعا. و هنا يفرّق بين المتشابه الذى يمكن علمه، و المتشابه الذى لا يمكن علمه. فالمتشابه الذى يمكن علمه، فالحكمة من وجوده يتمثل فى حفزه العلماء، و الفقهاء، و الدارسين على التبحر فى العلم، و الوقوف على موضوعاته، و جزئياته، و الغوص فى دقائقه، و الإحاطة بخواصه.

و تتمثل حكمة المتشابه أيضا فى إظهار منازل الناس، و تكريس شواهد التفاضل، و تبيين درجات التفاوت منهم؛ نظرا لأنه لو كان القرآن كلّه محكما، لما احتاج إلى التأويل، و البحث، و من ثم لاستوت منازل الناس، و درجاتهم، و من ثم لم يظهر فضل العالم الباحث المفسّر المؤول عن غيره من العوام. أمّا المتشابه الذى لا يمكن علمه أى الذى استأثره اللّه بعلمه، فحكمته تتجلى فى ابتلاء العباد بالاستسلام للّه، و الأخذ به، و التفويض، و التوقف فيه للّه تعالى، و من ثم التعبد به تلاوة كالمنسوخ حكما دون التلاوة؛ فقد بقى قرآنا يتعبد به تلاوة ثناب عليها، و بالتالى فإنّ حكمة هذا المتشابه تتمثل فى أمر آخر هو إثبات إعجاز القرآن البيانى حيث إنّه أعجز من نزل القرآن بلغتهم، و بيانهم، و مع ذلك أفحمهم، فعجزوا عن فهم معناه، و الوقوف على حقيقته، مما يوصل بالتالى حقيقة الألوهية للقرآن، و أنه كلام اللّه العربى المعجز، و فى أقصر سورة منه.

الشبهة الرابعة:

اشارة

إن القول بالمتشابه يقود إلى السؤال التالى: «هل للمحكم مزية على المتشابه أولا؟! فإن قلتم بالثانى، فهو خلاف الإجماع، و إلّا فقد نقضتم أصلكم فى أنّ جميع كلامه سبحانه سواء، و أنه منزل بالحكمة».

تفنيد هذه الشبهة:

و قد أجاب أبو عبد الله النكرباذى على هذه الشبهة بقوله: بأن

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۵۰

المحكم كالمتشابه من وجه، و يخالفه من وجه، فيتفقان فى أن الاستدلال بهما لا يمكن إلا بعد معرفة حكمة الواضع، و أنه لا يختار القبيح.

و يختلفان فى أنّ المحكم بوضع اللغة لا يحتمل إلا الوجه الواحد، فمن سمعه، أمكنه أن يستدل به فى الحال. و المتشابه يحتاج إلى فكرة و نظر ليحمله على الوجه المطابق؛ و لأن المحكم أصل، و العلم بالأصل أسبق؛ و لأن المحكم يعلم مفصلا، و المتشابه لا يعلم إلا مجملا.

و قد ردّ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى على هذه الشبهة بقوله:

و يمكن دفع هذه الشبهة بوجه أقرب: و هو أنّ المحكم له مزية على المتشابه؛ لأنّه بنص القرآن هو أم الكتاب؛ و الاعتراض بأنّ هذا ينقض الأصل المجمع عليه، و هو أنّ جميع كلامه سبحانه سواء، و أنّه منزل بالحكمة: الاعتراض بهذا ساقط من أساسه؛ لأنّ المساواة بين كلام اللّه إنّما فى خصائص القرآن العامة: ككونه منزلا على النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بالحق و بالحكمة، و كونه متعبدا بتلاوته، و متحديا بأقصر سورة منه، و مكتوبا فى المصاحف، و منقولا بالتواتر، و محرما حمله، و مسّه على الجنب، و نحو ذلك. و المساواة فى هذه الخصائص لا تنافى ذلك الامتياز الذى امتازت به المحكمات. و كيف يتصور التنافى على حين أن كلا من المحكم و المتشابه له حكمه، و له مزاياه؟! فمزية المحكم أنّه أمّ الكتاب إليه ترد المتشابهات، و مزية المتشابه أنّه محك الاختبار، و الابتلاء، و مجال التسابق و الاجتهاد، إلى غير ذلك من الفوائد الأخرى.

ثم كيف يتصور هذا التنافى، و القرآن كلّه مختلف باختلاف موضوعاته و أحواله، فمنه: عقائد، و أحكام، و أوامر، و نواهى، و عبادات، و قصص، و تنبؤات، و وعد، و وعيد، و ناسخ، و منسوخ. و لا ريب أنّ كلّ نوع من هذه الأنواع له مزيته، أو خاصته التى غاير بها الآخر، و إن اشترك الجميع بعد ذلك فى أنّها كلّها أجزاء للقرآن، متساوية فى القرآنية، و خصائصها العامة.

و خلاصة الجواب: «أن امتياز المحكم على المتشابه فى أمور،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۵۱

و مساواته إيّاه فى أمور أخرى، فلا تعارض، و لا تناقض، كما أنّ كلّ عضو من أعضاء جسم الإنسان له مزيته، و خاصته التى صار بها عضوا، و الكل بعد ذلك يساوى الآخر فى أنه جزء للإنسان فى خصائصه العامة من حسن، و حياة» «۱».

الشبهة الخامسة:

اشارة

إن القول بالمتشابه يؤدى إلى التأويل، و هو اتباع المتشابهات بالتأويل. فإن الناظر فى موقف السلف، و الخلف من المتشابه، يجزم بأنّهم جميعا مؤولون لأنّهم صرفوا ألفاظ المتشابهات عن ظواهرها؛ و صرفها عن ظواهرها تأويل لها. و بذلك فإنّهم مؤولون وقعوا جميعا فيما نهى اللّه عنه، و هو اتباع المتشابهات بالتأويل، حيث وصفهم اللّه تعالى بأنّ فى قلوبهم زيغا، فقال تعالى فى الآية السابقة: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ سورة آل عمران آية ۷. شبهات حول القرآن و تفنيدها ۱۵۱ تفنيد هذه الشبهة: ..... ص : ۱۵۱

تفنيد هذه الشبهة:

و ننقل هنا ما قاله الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى فى الرد على أصحاب هذه الشبهة.

أولا: إنّ القول بكون السلف، و الخلف مجمعين على تأويل المتشابه قول له وجه من الصحة لكن بحسب المعنى اللغوى، أو ما يقرب من المعنى اللغوى. أمّا بحسب الاصطلاح السائد فلا؛ لأنّ السلف، و إن وافقوا الخلف فى التأويل، فقد خالفوهم فى تعيين المعنى المراد باللفظ بعد صرفه عن ظاهره، و ذهبوا إلى التفويض المحض بالنسبة إلى هذا التعيين. أمّا الخلف فركبوا متن التأويل إلى هذا التعيين.

ثانيا: إنّ القول بأنّ السلف، و الخلف جميعا وقعوا بتصرفهم

---

(۱) الزرقانى- مناهل العرفان- ج ۲ ص ۳۰۰.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۵۲

السابق فيما نهى اللّه عنه قول خاطئ، و استدلالهم عليه بالآية المذكورة استدلال فاسد؛ لأنّ النهى فيها إنّما هو عن التأويل الآثم الناشئ عن الزيغ، و اتباع الهوى بقرينة قوله سبحانه: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ أى ميل عن الاستقامة، و الجنوح إلى الهوى، و الشهوة. أمّا التأويل القائم على تحكيم البراهين القاطعة، و اتباع الهداية الراشدة، فليس من هذا القبيل الذى حظره اللّه تعالى، و حرمه. و كيف ينهانا عنه، و قد أمرنا به ضمنا بإيجاب ردّ المتشابهات إلى المحكمات؛ إذ جعل هذه المحكمات هى أم الكتاب على ما سبق بيانه، ثمّ كيف يكون مثل هذا التأويل الراشد محرما، و قد دعا به الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، فقال فى الحديث المشهور: «اللهم فقهه فى الدين، و علّمه التأويل».

و خلاصة هذا: أنّ اللّه أرشدنا فى الآية إلى نوع من التأويل، و هو ما يكون به ردّ المتشابهات إلى المحكمات، ثمّ نهانا عن نوع آخر منه، و هو ما كان ناشئا عن الهوى، و الشهوة لا على البرهان، و الحجة قصدا إلى الضلال و الفتنة، و هما لونان مختلفان، و ضربان بعيدان بينهما برزخ لا يبغيان.

إذن، فمن لم يصرف لفظ المتشابه عن ظاهره الموهم للتشبيه أو المحال، فقد ضلّ كالظاهرية، و المشبهة. و من فسّر لفظ المتشابه تفسيرا بعيدا عن الحجة، و البرهان قائما على الزيغ، و البهتان، فقد ضلّ أيضا:

كالباطنية، و الإسماعيلية، و كلّ هؤلاء يقال فيهم: إنّهم متبعون للمتشابه، ابتغاء الفتنة. أمّا من يؤول المتشابه أى يصرفه عن ظاهره بالحجة القاطعة لا- طلبا للفتنة؛ و لكن منعا لها، و تثبيتا للناس على المعروف من دينهم و ردّا لهم إلى محكمات الكتاب القائمة، و أعلامه الواضحة، فأولئك هم الهادون المهديّون حقا. و على ذلك درج سلف الأمة، و خلفها، و أئمتها، و علماؤها.

روى البخارى عن سعيد بن جبير أنّ رجلا قال لابن عباس: «إننى أجد فى القرآن أشياء تختلف علىّ. قال: ما هو؟ قال: فَلا أَنْسابَ شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۵۳

بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ و قال: وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ.

و قال: وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً. و قال: قالُوا وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ.

قال ابن عباس: «فلا أنساب بينهم فى النفخة الأولى، و لا يتساءلون. ثم فى النفخة الثانية أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ... فأمّا قوله: وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ فإنّ اللّه يغفر لأهل الإخلاص من ذنوبهم، فيقول المشركون: تعالوا نقول ما كنا مشركين. فيختم اللّه على أفواههم، فتنطق جوارحهم بأعمالهم، فعند ذلك لا يكتمون اللّه حديثا. إلى آخر الحديث» «۱».

---

(۱) الزرقانى- المرجع السابق- ص ۳۰۱- ۳۰۲.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۵۵

الباب الثامن شبهات حول النسخ فى القرآن، و تفنيدها.

الشبهة الأولى:

اشارة

إنّ وقوع النسخ فى القرآن يستلزم القول بالجهل، و العبث على اللّه تعالى، بدليل أنّه لو جاز و صح أن ينسخ اللّه تعالى حكما من أحكامه، فإن ذلك إما أن يكون لحكمة ظهرت للّه تعالى حيث كانت خافية عليه؛ و هذا يعنى، و يستلزم البداء، و الجهل بالعواقب على اللّه تعالى، و هذا مستحيل. فإذن يستحيل وقوع النسخ. و إن كان النسخ لغير حكمة، فإن هذا يستلزم العبث على اللّه تعالى، و هذا مستحيل أيضا. فإذن يستحيل وقوع النسخ فى الحالتين؛ لأن الجهل، و العبث مستحيلان على اللّه تعالى بالأدلة النقلية، و العقلية.

تفنيد هذه الشبهة:

إن نسخ اللّه تعالى لحكم من أحكامه أساسه حكمة ظاهرة، و معلومة للّه تعالى، و يستحيل أن تخفى عليه. و غاية الأمر أن اللّه تعالى عند ما ينسخ

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۵۶

حكما بحكم آخر فإن الحكم الناسخ يأتى بحكمة غير الحكمة التى أتى بها الحكم الأول المنسوخ؛ و على اعتبار أن هناك مصلحة جديدة للعباد اقتضتها عملية النسخ، و جاء بها الحكم الناسخ. فمصالح العباد تتجدد بتجدد الأزمان، و تختلف باختلاف الأشخاص، و الأحوال. و لذا فإن النسخ يعنى أن هناك مصلحة جديدة، فيأتى اللّه بحكم جديد يتضمنها، و ينسخ به الحكم السابق الذى يتضمن المصلحة السابقة؛ و اللّه تعالى أحاط بكل شىء علما. فلا يستلزم النسخ إذن الجهل، أو العبث على أو من اللّه تعالى.

الشبهة الثانية:

اشارة

إن وقوع النسخ يستلزم تحصيل الحاصل، أى جهالة اللّه تعالى، و هذا باطل. و دليل ذلك: إمّا أنّه يعلم اللّه أنّ الحكم المنسوخ مؤبدا أو يعلمه مؤقتا. فإذا علم اللّه تعالى الحكم المنسوخ مؤبدا ثم نسخه و منع من استمراره، انقلب علمه جهلا، و هذا محال على اللّه تعالى. إذن النسخ لا يقع. و إذا علم اللّه تعالى الحكم المنسوخ مؤقتا بوقت معين ثم نسخه عند ذلك الوقت، و إذا ما علم أن للمؤقت ينتهى بمجرد انتهاء وقته، فإنهاؤه بالنسخ تحصيل للحاصل، و هذا باطل. إذن النسخ لا يقع.

تفنيد الشبهة الثانية:

إنّ اللّه تعالى يعلم تمام العلم أن الحكم المنسوخ مؤقت لا مؤبد.

و لكنه علم بجانب ذلك أن توقيته إنما هو بورود الناسخ لا بشىء آخر:

كالتقييد بغاية فى دليل الحكم الأول. و لذا فإن علم اللّه تعالى بانتهاء الحكم المنسوخ بالناسخ لا يمنع النسخ بل يوجبه؛ و ورود الناسخ محقق لما فى علمه لا مخالف له.

الشبهة الثالثة:

اشارة

إن النسخ يستلزم التناقض، و تحصيل الحاصل. و دليل ذلك: إما أن يكون الحكم المنسوخ محددا بغاية معينة؛ فإنه ينتهي بمجرد تحقق

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۵۷

هذه الغاية، و لهذا فالنسخ في هذه الحالة يكون تحصيلا للحاصل. و إما أن يكون الحكم المنسوخ مؤبدا، ففي هذه الحالة فإن النسخ يعني التناقض؛ لأن التأبيد يقتضي بقاء، و ديمومة الحكم في حين أن النسخ يقتضي الرفع و عدم البقاء.

تفنيد هذه الشبهة:

إنّ القول بأنّ نسخ الحكم المؤبد يؤدّي إلى التناقض ينقض من عدة وجوه:

الأول: إنّ من الخطأ القول: بأنّ الحكم المؤبد لا ينسخ.

الثاني: إن التكاليف الشرعية مقيدة من أول الأمر بألا يرد ناسخ.

كما أنها مقيدة بأهلية المكلف، و ألّا يطرأ عليه جنون، أو عقلة، أو موت. و من هذا فإنّ النسخ لا يفضي إلى تناقض بين الناسخ، و المنسوخ.

الثالث: إن الحكم للمنسوخ قد لا يكون مؤبدا، و لا يكون مؤقتا، بل أحيانا يأتي خارجا عن التأبيد، و التأقيت؛ و لذا فإنه قد يخضع للنسخ.

و نسخ الحكم ليس من المحالات فقد يكون مستمرا بحسب الظاهر.

الشبهة الرابعة:

اشارة

إنّ النسخ يقتضي اجتماع الضدّين، و هذا محال. و توضيح ذلك:

أن اللّه إذا أمر بحكم، فيعني هذا أنه حسن، و مرغوب فيه، و إذا نهى عنه، فيعني أنه خبيث، و غير مرغوب فيه. و لذا فالأمر بالشيء، و النهي عنه معناه اجتماع الصفات المتضادة في الحكم الواحد أو الفعل الواحد الذي تعلق به الأمر، و النهي.

تفنيد هذه الشبهة:

إنّ الحسن، و القبح ليسا من صفات الفعل الذاتية حتى يكونا ثابتين فيها لا يتغيران؛ بل هما تابعان لتعلق أمر اللّه، و نهيه بالفعل. و على هذا

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۵۸

يكون الفعل حسنا، و مرغوبا فيه ما دام مأمورا به من اللّه تعالى. و كذلك يكون هذا الفعل نفسه قبيحا، غير مرغوب فيه عند اللّه تعالى ما دام منهيا عنه منه تعالى. و القائلون بالحسن، و القبح العقليين هم المعتزلة.

و هم يعترفون أن الحسن، و القبح يختلفان باختلاف الأشخاص، و الأحوال و الأوقات. و بهذا التأصيل ينتفي اجتماع الضدّين؛ لأنّ الوقت الذي يكون فيه الفعل حسنا غير الوقت الذي يكون فيه ذلك الفعل قبيحا، فلم يجتمع الحسن، و القبح في فعل واحد، و في وقت واحد.

الشبهة الخامسة:

اشارة

شبهة العنانية، و الشمعونية من يهود: و تتمثل شبهتهم في أن التوراة التي أنزلها اللّه تعالى على موسى (عليه السّلام) لم تنسخ، و أنّها باقية. و هي منقولة إليهم بالتواتر؛ و يستندون إلى نصوص في التوراة تفيد عدم النسخ، و منها: «هذه شريعة مؤبدة ما دامت السموات و الأرض».

و منها أيضا: «الزموا يوم السبت أبدا» و يرون أن مثل هذه النصوص تعني امتناع النسخ؛ لأن نسخ أحكام في التوراة: كتعظيم يوم السبت إبطال لما هو من عند اللّه تعالى، و هذا متعذر.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إن لفظ التأبيد لا يصلح دليلا يستند إليه اليهود في القول بعدم النسخ؛ لأنّ التأبيد كثيرا ما يستعمله اليهود معدولا عن حقيقته.

و من ذلك ما جاء في البقرة التي أمروا بذبحها: «هذه سنة لكم أبدا».

و ما جاء في القربان: «قربوا كل يوم خروفين قربانا دائما» و هذان الحكمان منسوخان باعتراف اليهود أنفسهم، رغم التصريح بأنهما مؤبدان.

ثانيا: إنّ التواتر الذي نعتوه للتوراة لا يصلح دليلا يستند إليه في القول بعدم النسخ؛ لأنّ التوراة غير منقولة بالتواتر؛ و بشهادة، و اعتراف

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۵۹

الكثير من أحبار اليهود، و منهم الذي أسلم: كعبد الله بن سلام، و كعب الأحبار. و لو كانت التوراة متواترة، لعارضوا بها خاتم الأنبياء محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و لنقل و اشتهر لدى الناس.

ثالثا: إنّ ادعاء يهود أن شريعة موسى لم تنسخ لم يمنعهم من الاعتراف بأنّ الشرائع السابقة نسخت بشريعة موسى؛ فكيف نفسر إذن إنكارهم لوقوع النسخ سمعا؟!! أي شرعا؟!!.

رابعا: إنّ ادعاء يهود بأنّ توراة موسى لم تنسخ، و أنّها لا تزال موجودة إلى الآن ادعاء باطل ليس له دليل عقلاني أو نقلي سليم.

و ما ورد في نصوص كتب التوراة الموجودة لديهم الآن ما يناقض بعضه بعضا. فطائفة السامريين في مدينة نابلس بفلسطين تدعي أن النسخة الأصلية للتوراة موجودة فقط عندهم؛ و هي تزيد في عمر الدنيا نحوا من ألف سنة على ما جاء في النسخة الموجودة عند طائفة العنانيين. و النسخة التي عند النصارى تزيد في عمر الدنيا نحوا من ألف و ثلاثمائة سنة. و قد ورد في بعض نسخ التوراة ما يفيد أن نوحا أدرك جميع آبائه إلى آدم، و أنه أدرك من عهد آدم نحوا من مائتي سنة، في حين ورد في نسخ أخرى ما يفيد أن نوحا أدرك من عمر إبراهيم ثمانيا و خمسين سنة.

و ما ورد في نسخ التوراة الموجودة حاليا يؤكد بطلانها، و يؤكد أنّها محرفة، و أنّ التوراة الأصلية فعلا لم يكن لها وجود حيث يستحيل أن يرد فيها من أقوال منكرة نسبوها إلى اللّه و رسله. و منها على سبيل المثال: أنّ اللّه ندم على إرسال الطوفان إلى العالم، و أنه بكى حتى رمدت عيناه، و أنّ النبيّ يعقوب صارع اللّه تعالى، و أنّ إبراهيم كان يجلس تحت ظل شجرة بلوط في قرية «نمرة» قرب القدس، و أنّه رأى اللّه قادما عليه بين ملكين، فنهض إليه إبراهيم، و قال: لو أن عبدك يجد نعمة بين عينيك، فاقبل طعامي، و ذبح له، و أكلوا جميعا. و من ذلك أيضا: أنّ لوطا شرب الخمر حتى ثمل، و زنى بابنتيه. و من ذلك أيضا: أن هارون

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۶۰

هو الذي اتخذ العجل لبني إسرائيل و دعاهم إلى عبادته. و أن يوسف النجار خطيب مريم العذراء زنى بها، و أنجبت عيسى (عليه السّلام).

و تكفي الدلالة على فساد ادعائهم بأنّ التوراة الأصلية لا تزال موجودة هو ارتداد اليهود مرات عديدة عن ديانتهم، و قتلهم الأنبياء، و المصلحين؛ و خرافاتهم التي تملأ توراتهم المحرفة، و التي تنأى التوراة الأصلية عن قبولها.

الشبهة السادسة:

اشارة

شبهة العيسوية من اليهود: و تتمثل شبهتهم في أن شريعة موسى «عليه السّلام» لم تنسخها شريعة محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و أنّ شريعة موسى باقية أبدية، و دليلهم:

نصوص التوراة التي منها: «هذه شريعة مؤبدة عليكم ما دامت السموات، و الأرض»

و ما شريعة محمد إلا شريعة للعرب فقط، و ليست للناس كافة. و هم يعترفون بصحة، و صدق شريعة محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم».

تفنيد هذه الشبهة:

إنّ اعترافهم بصدق شريعة محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أكبر رد عليهم في تفنيد شبهتهم، فالاعتراف يقتضي أن يكون كاملا، و من التناقض أن يعترفوا بجزء أو ببعض دون بعض، و شريعة محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» ورد فيها أنّها عامة لجميع الناس، و أنّها ناسخة للشرائع السماوية السابقة، و منها شريعة موسى (عليه السّلام) حيث قال تعالى: وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ.

سورة آل عمران آية ۸۵.

حيث قال: «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «لو كان أخي موسى حيّا ما وسعه إلا اتّباعي».

فإيمان اليهود العيسوية بشريعة محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و تكذيبهم لنسخها لشريعة موسى هو تناقض يصلح أساسا يبنى عليه تفنيد شبهتهم هذه.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۶۱

الشبهة السابعة:

اشارة

شبهة النصارى: و تتمثل شبهتهم في أن شريعة عيسى مؤبدة، و لم تنسخ؛ و يستندون إلى نصوص في الإنجيل منها: «أنّ المسيح (عليه السلام) قال: السماء، و الأرض تزولان، و كلامي لا يزول» و هذا يدل على امتناع النسخ سمعا. أي شرعا.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إن ما يستندون إليه في الإنجيل لا يدل على امتناع النسخ مطلقا، و إنّما يدل على امتناع نسخ شيء من شريعة المسيح (عليه السلام) فقط.

ثانيا: إن قول المسيح ذلك، و الذي ورد في الإنجيل لا علاقة له بالنسخ نفيا أو إثباتا؛ و إنّما يدل على أنّ تنبؤاته ستقع لا محالة ليس إلا.

و ذلك أن المسيح حدّث أصحابه بأمور مستقبلية، و بعد أن انتهى من حديثه قال هذه الجملة: «السماء، و الأرض تزولان، و كلامي لا يزول».

ثالثا: لقد ورد في الإنجيل لنصوص منها: ما ورد في إنجيل «متّى»: «إلى طريق أمم لا تمضوا، و مدينة للسامريين لا تدخلوا؛ بل اذهبوا بالحري إلى خراف بني إسرائيل الضّالة». و هذا اعتراف بخصوصية رسالة المسيح (عليه السلام) لبني إسرائيل. و قد ورد ما ينسخ مثل هذه النصوص كما في إنجيل مرقص: «اذهبوا إلى العالم أجمع، و اكرزوا بالإنجيل للخليقة». فالقول الثاني هذا ناسخ للقول الأوّل.

رابعا: إنّ جمهور المسلمين قاطبة ينكرون أنّ إنجيل عيسى الأصيل هو الذي بين أيدي النصارى اليوم، بل إن النصارى أنفسهم لم يستطيعوا إقامة الدليل على صحة ادعائهم بأنّ الذي بين أيديهم هو إنجيل عيسى؛ حيث ثبت بطلان السند، و روايته شذوذا، و انقطاعا، و خرافة فيما يتعلق بعقيدة الصلب، و الأقانيم الثلاثة؛ و بالتالي فإنّه ينكر الاستناد على ما

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۶۲

ورد في أناجيلهم من أقوال نسبوها إلى المسيح (عليه السلام) زورا و بهتانا، و منها عالمية رسالته، و عدم نسخها، و تأبيدها.

الشبهة الثامنة:

اشارة

شبهة أبي مسلم الأصفهاني من المسلمين: و تتمثل شبهته في عدم وقوع النسخ في القرآن استنادا إلى قوله تعالى:

لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ. سورة فصلت آية ۴۲. و شبهته في الاستدلال أن هذه الآية تفيد أنّ أحكام القرآن لا تبطل أبدا، و النسخ فيه يعني إبطالا لحكمٍ سابق. و هو يسمى النسخ تخصيصا.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إنّ تفسير أبي مسلم الأصفهاني للآية خاطئ. و إنّه من الخطأ الفادح تفسير الباطل بالنسخ؛ فهذا من قبيل تحميل النص فوق ما يحتمل لتأييد ادعاء تشبث به صاحبه، و هو أبو مسلم؛ و مخالفا به تفسير جمهور المسلمين. فمعنى الآية هو: أنّ عقائد القرآن موافقة للعقل، و أحكامه مسايرة للحكمة؛ و أخباره مطابقة للواقع؛ و ألفاظه محفوظة من التغيير و التبديل، و الخطأ لا يمكن أن يتطرق إلى ساحته مصداق قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ سورة الحجرات آية ۹. يعني الباطل في الآية ما خالف الحق. و النسخ حق.

ثانيا: إنّ إطلاق التخصيص على النسخ هو من قبيل تسمية الشيء بغير مسماه. فالتخصيص شيء، و النسخ شيء آخر، و الفرق بين النسخ و التخصيص كبير.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۶۳

الباب التاسع شبهات حول ترجمة القرآن، و تفنيدها

الشبهة الأولى:

اشارة

إنّ ترجمة القرآن ترجمة حرفية و من لغته العربية إلى لغة أخرى جائزة، و غير متعذرة. و هم يقصدون بترجمة القرآن التعبير عن معاني ألفاظه العربية، و مقاصدها بألفاظ غير عربية مع الوفاء بجميع هذه المعاني و المقاصد.

و دليلهم: أنّ القرآن الكريم لم ينزل للعرب وحدهم فقط؛ و لذا يجب تبليغه للأمم الأخرى الإسلامية عن طريق ترجمته إلى لغاتهم.

و تبليغ الإسلام واجب، و ما لا يتم الواجب إلّا به، فهو واجب.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إنّ ترجمة القرآن ترجمة حرفية مستحيلة. فإنّه يستحيل أن يترجم القرآن بألفاظ أخرى غير عربية تقوم مقام ألفاظه، و تعبر عن نفس

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۶۴

معانيه و مقاصده. و بذلك فكلّ ترجمة من هذا القبيل لا تسمى قرآنا، و إلا كان محرفا، و لا يستقيم التعبد به، و الصلاة به و يكون في هذه الحالة ترجمة تفسير أو معاني، و لا يكون بل لا يسمى قرآنا.

ثانيا: إنّ تبليغ القرآن يمكن أن يتم من خلال ترجمة معانيه، و هو تفسيره بغير لغته. فينقل إلى الشعوب الإسلامية غير العربية، و بلغاتهم، فيفهمون علومه، و تكاليفه، و أحكامه، و عقائده، و شرائعه ..

إلخ.

ثالثا: إنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» لم يترجم القرآن، و لم يأمر بترجمته إلى لغة أخرى حتى و في دعوته للأمراء، و الملوك، و الشعوب غير العربية؛ و إنّما كان يدعوهم إلى اعتناق الإسلام بتوضيحه لهم عقائده، و علومه و أحكامه.

رابعا: و كذلك الصحابة (رضوان اللّه عليهم) لم يقوموا بترجمة القرآن حرفيا، و هم الحريصون على تبليغ الإسلام، و القرآن، و السنة النبوية للآخرين؛ و هم الذين

قال فيهم الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «أيهم اقتديتم، اهتديتم».

الشبهة الثانية:

اشارة

إنّ ترجمة القرآن حرفيا واجبة، و أمر مفروض. و دليلهم: أنّ حماية القرآن من التحريف تقتضي ذلك؛ و أنّ الواجب يقتضي ألّا تترك ترجمة القرآن إلى غير العرب حتى تبقى ترجمتنا هي الأصل الصحيح، و المعتمد عليه كقرآن مترجم.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إنّ القضية بالنسبة لموضوع الترجمة لا تكمن في من هو الذي يقوم بالترجمة. فالقضية هنا: أن الترجمة مستحيلة سواء قمنا نحن

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۶۵

بها، أو قام غيرنا؛ لأنّه يستحيل أن يعبر عن معاني القرآن بألفاظ غير عربية، و غير ألفاظه. فلا توجد هناك بين لغات العالم لغة تشبه مفرداتها و ألفاظها، و تراكيبها نظيرتها في اللغة العربية، أو يمكن أن تعبر عن معاني و مقاصد القرآن الكريم نفسها. و لتكن الترجمة إذن ترجمة تفسير للمعاني القرآنية، و هذه لا تسمى قرآنا. و لذلك فمهما أوتينا من حرص في ترجمة القرآن، و التعبير عن معانيه بألفاظ، و مفردات، و تراكيب تأتي بها لغات أخرى، فإننا لا نستطيع أن نحقق المراد المقصود من الترجمة، و أن نأتي بقرآن ألفاظه، و مفرداته، و تراكيبه غير عربية.

ثانيا: إنّ العناية الإلهية اقتضت أن يكون هذا القرآن، و أن يبقى عربيا لحكمة عدم إمكانية ترجمته أو لحكم أخرى لا يعلمها إلا اللّه. فقد تظهر لنا بعض حكم القرآن، و قد يخفى علينا الكثير منها. حتى الذى يظهر لنا من الحكم قد لا يكون هو المقصود. و كما قال الإمام السيوطى فى الإتقان: «إنّ تحت كل حرف من حروف القرآن الكريم معان لا يعلمها إلا اللّه تعالى».

و غنى عن البيان القول: إنّ اللّه تعالى لم ينزل القرآن، و لم يجعله عربيا إلّا لحكمة هو ارتضاها، و إذا قال هو عربى، سيظل عربيا، و علينا، و لعلنا نعقل ما فيه، و لما نزل لأجله. قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ سورة يوسف آية ۲.

و قال تعالى: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. سورة الزخرف آية ۳.

الشبهة الثالثة:

اشارة

إنّ ترجمة القرآن حرفيا إلى لغة أخرى اقتضتها السّنّة النبوية.

و دليلهم: قال «الشرنبلالى» فى كتابه: «النفحة القدسية»: «روى أن أهل فارس كتبوا إلى سلمان الفارسى أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكتب

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۶۶

لهم: «بسم اللّه الرحمن الرحيم- به نام يزدان بخشايند) فكانوا يقرءون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم. و بعد ما كتب عرضه على النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كذا فى المبسوط. قاله فى النهاية، و الدراية».

تفنيد هذه الشبهة:

اشارة

أولا: إنّ هذا الحديث خبر مجهول الأصل، و فى متنه، و سنده، و لذا لا يجوز الاعتماد به. و لو كان صحيحا لتواتر، لأهميته.

ثانيا: إنّ هذا الخبر يحمل فى طياته علامات نقضه. لأنه لو صح، فإنّ المعلوم أن سلمان الفارسى لم يجبهم إلى طلبهم، و أنّه لم يترجم لهم الفاتحة، و إنّما ترجم البسملة فقط كما هو مستفاد من الحديث نفسه. زد على ذلك أن ترجمة البسملة أيضا لم تأت كاملة.

و إنّما نقصت ترجمة «الرحمن».

ثالثا: إنّ الاختلاف فى روايات هذا الحديث بالزيادة، و النقصان فى لفظه يقتضى الحكم برده، و عدم الأخذ به. فالإمام النووى مثلا نقله فى المجموع شرح المهذب بلفظ آخر نصه: «إنّ قوما من أهل فارس طلبوا من سلمان أن يكتب لهم شيئا من القرآن، فكتب لهم الفاتحة بالفارسية». فهذه الرواية تذكر الفاتحة، و الأولى تذكر البسملة، و هذا اضطراب يوهن الحديث و يضعفه.

رابعا: يترتب على ما سبق عدم ثبوت صحة هذا الحديث.

و كذلك تناقضه. و حتى على فرض صحته، فالظاهر، بل و الثابت أنّه يعارض الأدلة الأكيدة، و المتفق عليها من قبل العلماء على عدم جواز و صحة ترجمة القرآن ترجمة حرفية؛ و أنّه قد يكون المقصود فى حديث سلمان الفارسى هو الترجمة اللغوية التفسيرية ليس إلّا.

و اللّه أعلى، و أعلم.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۶۷

تعليلات العلماء فى عدم جواز الترجمة الحرفية للقرآن الكريم.

و المقصود بها نقل القرآن من لغته العربية إلى لغة أخرى، أى التعبير عن معانى ألفاظ القرآن العربية، و مقاصدها بألفاظ غير عربية مع الوفاء بجميع هذه المعانى، و المقاصد. و بعبارة أخرى يقصد بالترجمة الحرفية للقرآن الكريم النقل الحرفى لألفاظه، و مفرداته، و تراكيبه العربية إلى أخرى مشابهة لها فى اللغات الأخرى. بحيث يكون النظم موافقا للنظم، و الترتيب موافقا للترتيب. أمّا إذا لم يلاحظ النقل الحرفى، و لم يكن النظم موافقا للنظم، و الترتيب موافقا للترتيب، و كان هناك نقل لمعانى القرآن بألفاظ يختارها المترجم من لغة أخرى، فهذه هى الترجمة التفسيرية غير العربية للقرآن، و ليس الترجمة الحرفية له.

و يقرر العلماء: أنّ حكم الترجمة النقلية الحرفية للقرآن الكريم غير جائز شرعا، بل و مستحيل، بل و حرام شرعا.

فالقرآن الكريم إلهى و لو أنّه نزل بلغة عربية، فهو ينفرد بمفرداته، و ألفاظه، و تراكيبه، و بلاغته، و أسلوبه، و لطائف معانيه. و هو جميعه متواتر متعبد بتلاوته أعجز العرب أن يحاكوه. و قد نزل بلغتهم، فكيف يمكن ترجمة مثل هذا الكتاب- هذه خصائصه اللغوية- إلى لغة أخرى غير عربيّة. و تأصيلا لحكم تحريم، و استحالة الترجمة الحرفية للقرآن الكريم توصل جملة تعليلات نستند إليها فى توضيح، و تأصيل حكم هذه الاستحالة، و هى:

التعليل الأوّل: «إنّ الترجمة الحرفية للقرآن تستلزم وجود مفردات و تراكيب، و نظم، و تراتيب، و روابط لغوية، و ضمائر فى اللغة المترجم إليها مساوية لتلك التى فى القرآن حتى تحل محلها، و يحاط بها تماما بجميع معانى القرآن. و هذا مستحيل، و غير ممكن. و من ثم فليس هناك لغة على وجه هذه البسيطة تضاهى اللغة العربية فى مفرداتها، و تراكيبها،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۶۸

و اشتقاقاتها، و ألفاظها حتى يمكن إحلالها محل اللغة العربية لغة القرآن.

و من المعروف بداهة، و عند أهل اللغة قديما، و حديثا، و فى الشرق و الغرب أنّ اللغة العربية لغة القرآن تنفرد بخصائصها اللغوية، و النحوية، و الاشتقاقية؛ و مع ما يحمله السياق اللفظى من بلاغة، و فصاحة، و تقديم و تأخير، و تذكير، و تأنيث، و إفراد، و تثنية، و جمع، و استعارة، و كناية، و تشبيه، و تمثيل، و تورية، و وجوه إعراب، و مجاز، و ترتيب مفردات الجملة: كتقديم الفعل على الفاعل، و المضاف على المضاف عليه، و شبه الجملة الخبر على المبتدأ، و حذف جملة الابتداء، أو حذف جملة الخبر؛ و غيرها من الخصائص اللغوية الأخرى، و التى تجعل لغة القرآن العربية لها استقلاليتها عن لغات العالم الأخرى. و بحيث يستحيل أن تضاهيها، أو تحل محلها لغة أخرى تحافظ على الأصل اللغوى لألفاظ القرآن، و تحيط بجميع معانيه. و ذلك لأن الترجمة النقلية الحرفية تقتضى إحلال اللغة إليها بوجوه السياق اللفظى، و النحوى، و البلاغى محل لغة القرآن العربية، و تحيط بجميع معانيه، و هذا مستحيل مستحيل.

التعليل الثانى: إنّ الترجمة الحرفية للقرآن تستلزم الوفاء بجميع معانى القرآن الكريم الأصلية الأولية، و الثانوية التابعة، و هذا مستحيل، و غير ممكن.

أولا: فبالنسبة لمعانى القرآن الأصلية الأولية: فإنّ الترجمة الحرفية لها مستحيلة، و ممنوعة، و ذلك لأنّ ألفاظ، و مفردات القرآن فى دلالتها على معانيها الأصلية لها سماتها اللغوية، و خصائصها النحوية بحيث تجعلها ذات سياق بلاغى، و لغوى خاص بها تنفرد بها عن نظيراتها فى اللغات الأخرى. و بحيث لا- يمكن أن يكون لها شبيه فى تلك اللغات الأخرى، أو مضاء لها، و بالتالى يستحيل إحلالها محلها، و الدلالة على نفس معانى ألفاظ، و مفردات القرآن العربية. و كذلك: فإذا كان العلماء قد أجازوا الترجمة التفسيرية المعنوية بغير العربية للقرآن الكريم، فإن تلك الإجازة أحاطوها بقيود، و مستلزمات أساسية أهمها:

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۶۹

غير العربية للقرآن ليس أو ليست نقلا- حرفيا له. و لم يقصد بها إحلال اللغة المترجم إليها محل لغة القرآن المترجمة، و إنّما تتم بمفردات و ألفاظ يختارها المترجم من اللغة المترجم إليها، و يعبّر بها عن المعنى الذى فهمه من السياق اللفظى القرآنى. و هى بالتالى- أى الترجمة التفسيرية- ليست ترجمة حرفية للقرآن، و أيضا، فإنه، و حتى بالنسبة للترجمة التفسيرية بغير العربية لمعانى القرآن الأصلية قد تعوزها الدقة و الوضوح فى التعبير، و الدلالة على المعانى المقصودة فى اللفظ القرآنى.

فعلى سبيل المثال: فإنّ اللفظ القرآنى الواحد قد يحتمل معنيين أو أكثر تحتملها الآية الواحدة. فيأتى المترجم بلفظ من اللغة المترجم إليها ليدل على معنى واحد فقط، و قد لا يكون هو المعنى المقصود فى الآية.

و كذلك فقد ترد الآية بمعنى مجازى، فيأتى المترجم بلفظ آخر من اللغة المترجم إليها، فيضعه فى معناه الحقيقى. و بذلك فالعلماء أجازوا الترجمة التفسيرية المعنوية غير العربية لمعانى القرآن الأصلية تحت قيد الضرورة، و بقدر الحاجة فقط. و أما الترجمة الحرفية لمعانى القرآن الأصلية، فقد حرّمها العلماء.

ثانيا: و أما بالنسبة لمعانى القرآن الثانوية التابعة: فإنّ الترجمة الحرفية لها مستحيلة، و ممنوعة أيضا؛ و ذلك لأنّ المعانى الثانوية هى من خواص نظم القرآن، و التى ينفرد بها كلام اللّه القرآنى، و بها يكون معجزا. فهى دلالات خصائصه السامية فى البلاغة، و الإعجاز، و التى يستحيل أن يحاكيها أى كلام بشرى، و إلا لا يتحقق ذلك الإعجاز.

و بالتالى لا ترتقى إلى لغة القرآن فى دلالة ألفاظها على معانيها الثانوية أيّة لغة من لغات العالم، و كلها بشرية. و من هنا فإن العلماء لم يمنعوا الترجمة الحرفية لمعانى القرآن الثانوية فقط، و إنّما منعوا الترجمة التفسيرية غير العربية لها أيضا.

التعليل الثالث: إنّ الترجمة الحرفية للقرآن تستلزم الوفاء بمقاصد القرآن الكريم الرئيسية، و هذا مستحيل، و غير ممكن، و هى: كونه هداية للجن و الإنس، و كونه آية للنبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و كونه متعبدا بتلاوته.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۷۰

أولا: فكونه هداية للجن، و الإنس: فإنّه يستحيل تحقيق هذا المقصد القرآنى عن طريق الترجمة الحرفية للقرآن؛ و ذلك لأنّ الكلام

الربانى فى مفرداته، و تراكيبه، و تناسقه، و تعبيراته، و استعاراته، و كناياته، و مجازه، و توريته، و سياقه اللفظى يحمل فى طياته أسس، و معالم، و حوافز تقريب شواهد الهداية لخلق اللّه من الجن، و الإنس. و من ثمّ فليس هناك كلام بشرى له نفس تلك الخصائص اللغوية، و يمكن ترجمة القرآن إليه؛ و من ثم يمكن إحلاله محل الكلام الربانى، و فى الوقت نفسه يحمل فى طياته شواهد الهداية للخلق من الجن، و الإنس. و أيضا: إذا افترض أن هذا المقصد- و هو الهداية- يمكن تحقيقه بالترجمة لمعانى القرآن الأصلية، فإنّه يستحيل تحقيقه بالنسبة لترجمة معانى القرآن الثانوية.

و بعبارة أخرى: فإنّ ما يمكن تحقيقه فى الترجمة بالنسبة إلى كل ما يفهم من معانى القرآن الأصلية، فهو لا يمكن تحقيقه إلى كل ما يفهم من معانى القرآن الثانوية التابعة؛ لأنها كما قلنا مدلولة لخصائص القرآن العليا التى هى مناط إعجاز البلاغى.

ثانيا: و كونه آية: فإنّه يستحيل تحقيق هذا المقصد القرآنى عن طريق الترجمة الحرفية للقرآن. فبالكلام البشرى المترجم إليه القرآن عربيا كان أو أعجميا، يستحيل أن تتحقق به معجزة القرآن الخالدة، و هى كونه آية النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» سمت بدلالاتها، و مفاهيمها، و هدايتها، و أحكامها، و مناهجها عن غيرها من آيات الأنبياء الحسية الوقتية. فمقصد كون القرآن آية يخرج أن مقدور البشر تحقيقه حتى و إن سما كلام البشر فى بيانه و فصاحته، و بلاغته؛ لأنه سيبقى بخصائصه هذه عاجزا تماما أن تتحقق به معجزة انفرد بتحقيقها الكلام الربانى القرآنى، بل و لا يقدر عليها إلا اللّه وحده.

ثالثا: و كونه متعبدا بتلاوته: فإنّه يستحيل تحقيق هذا المقصد القرآنى عن طريق الترجمة الحرفية للقرآن. فأى ترجمة للقرآن إلى لغة أخرى غير لغته ليست قرآنا، و بالتالى لا تحمل خصائصه فى ألفاظه،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۷۱

و أساليبه، و مفرداته، و تراكيبه، و تناسقه، و انسجام آياته، و بالتالى لا يمكن أن تحل محل القرآن، و بالتالى لا يتعبد بتلاوتها.

و لنا أن نزيد هذا الأمر وضوحا فنقول: إنّ مقصد التعبد بتلاوة القرآن لا يتحقق حتى بالنسبة لكلام اللّه الآخر، و هو الحديث القدسى، و القرآن المنسوخ تلاوة، فباللّه كيف يمكن تحقيقه بالكلام البشرى المترجم إليه القرآن؟!! فالشرعية اللغوية، و الدينية تأبى ذلك، و تأبى بمدلولاتها السليمة أن يترجم كلام اللّه حرفيا إلى لغة أخرى، و فى نفس الوقت يتحقق بتلك الترجمة مقصد التعبد بالتلاوة. و لذا يبقى تحققه بالقرآن، بالكلام الربانى، بالوحى النازل على خاتم الأنبياء المصطفى «صلوات اللّه عليه».

التعليل الرابع: إنّ الترجمة الحرفية للقرآن تستلزم أن يكون هناك مثل القرآن الكريم، و هذا مستحيل، و غير ممكن؛ و ذلك لأن الترجمة الحرفية للقرآن تقتضى التعبير عن معالجة ألفاظه العربية، و مقاصدها بألفاظ غير عربية مع الوفاء بجميع هذه المعانى، و المقاصد، و بحيث تصبح الترجمة صورة مطابقة للأصل القرآنى تحل محله، و تتمتع باستقلالية يستغنى بها من أصلها، و قد تحمل اسمه، و فى نفس الوقت تتضمن الترجمة عرفا دعوى الاطمئنان إلى أنّ جميع المعانى الأصلية، و الثانوية للقرآن قد ترجمت، و تم نقلها بذاتها. و أنّها هى نفسها المرادة، و المقصودة فى أصلها القرآنى، و هذا مستحيل، و لا يمكن تحققه، و لا يمكن قبوله، بل و لا يمكن تصديقه، و لم تمكن القدرة عليه سواء على الواقع النظرى، أو الواقع العملى.

أولا: فبالنسبة للواقع النظرى: فيكفينا القول: إنّه لا توجد لغة بشرية تماثل، و تشابه لغة القرآن العربية فى مفرداتها، و تعبيراتها، و تراكيبها، و اشتقاقاتها، و ضمائرها، و روابطها، و خصائصها اللغوية الأخرى، حتى يمكن أن تساويها، أو تحل محلها، أو يستغنى بها عنها. و نزيد الأمر وضوحا بالقول: بأنّ لغات البشر الوضعية، و إن تحققت وحدة عناصر

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۷۲

التشابه، و التماثل فيما بينها إلى حد بعيد إلّا أنّ هذا التشابه، و التماثل نسبى، و ليس على إطلاقه؛ و بحيث تبقى هذه اللغات دوما على درجة من الاستقلالية، و الاختلاف عن بعضها؛ نظرا لاختلاف خصائصها اللغوية.

و من ثم يبقى التماثل، و التشابه فيما بينها نسبيا، و لا يمكن تحققه على الواقع النظرى. و لذلك يصرح الكثير من المتمكنين فى اللغات البشرية أنّ ترجمة النصوص الأدبية من لغة إلى أخرى بصورة دقيقة أمر مستحيل، و ما يتداوله النّاس من ترجمات النصوص أدبية أو ثقافية، هى فى حدّ ذاتها ليست دقيقة، و ليست ترجمة بالمعنى الدقيق؛ و إنّما يسمونها ترجمة من قبيل التسامح فى ميدان نقل المعانى من الأصل المترجم إلى الفرع المترجم إليه. نقول: إذا كان ذلك التشابه، و إذا كان التماثل متعذرا بين لغات البشر الوضعية، و التى تجمعها شواهد وحدة عناصر التماثل و المتشابه إلى حدّ بعيد فما بالك بالنسبة للغة القرآن العربية، و التى نرى، و باعتراف الجميع من اللغويين، و العلماء، تمايزها، و انفرادها اللغوى تماما، بحيث يبقيها فى منأى عن وحدة عناصر، و شواهد التماثل و التشابه مع اللغات البشرية، الوضعية، حتى العربية منها. و بالتالى تتعذر الترجمة الحرفية لها، و التى يشترط فيها وجود مثل هذا التشابه، و التماثل بين اللغات، و إلى أى من تلك اللغات البشرية فى الواقع النظرى.

ثانيا: و بالنسبة للواقع العملى: فيكفينا القول: إنّ القرآن، و للآن، لم يحصل أن ترجم ترجمة حرفية. بل لم يستطع، و لم تكن القدرة على ترجمته حرفيا رغم المحاولات العديدة، و رغم الترجمات الكثيرة التى تمت، و حصلت للقرآن الكريم. فجلّ هذه الترجمات هى من قبيل التفاسير لمعانى القرآن بلغات أخرى غير عربية، و هى ليست بقرآن، و ليست ترجمة حرفية له. و نزيد الأمر وضوحا بالقول: إنّ استحالة، و عدم حصول ترجمات حرفية، إلى لغات أخرى للقرآن الكريم فى الواقع العملى لا تتعلق باللّغات غير العربية، أو الشعوب غير العربية فقط؛ و إنّما تكرّست، و تأكدت شواهد تلك الاستحالة بالنسبة للعرب أنفسهم،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۷۳

و هم أهل لغتهم العربية، فقد أثبت هؤلاء عجزهم عن محاكاة القرآن و الإتيان بمثله حتى و بمثل أقصر سورة منه، و تكون من ثلاث آيات، و كل ذلك لأنّ معارضة القرآن، و محاكاته تقتضى الإحاطة بجميع معانيه و مقاصده، و يعنى هذا الإتيان بمثله، أى الإتيان بقرآن بشرى وضعى أرضى. و هذا ما لم يحصل، و لن يحصل حتى بالنسبة للعرب الفصحاء البلغاء و الّذين لغتهم هى نفسها لغة القرآن العربية. نقول: إن كان هذا لم تحصل القدرة عليه من قبل أهل لغة القرآن، فيكف يتسنى أو يعقل أن يحصل من أو يقدر عليه غير العرب من أصحاب اللغات الأعجمية الأخرى؟!! فقد تحدّى القرآن العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا، و لم يستطيعوا، مصداق قوله تعالى: فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ الطور آية ۳۴.

و قد تحدّاهم أن يأتوا بعشر سور مثله، فعجزوا، و لم يستطيعوا، مصداق قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ سورة هود آية ۱۳. و قد تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله فعجزوا أيضا، و لم يستطيعوا، مصداق قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ سورة يونس آية ۳۸.

و قد حذّر اللّه العرب، و فى تحذيره لهم تحذير لغيرهم من الأعاجم أو كلّ من تسوّل له نفسه الافتراء على هذا القرآن، أو الادعاء أنّ فى مقدوره الإتيان بمثله، قال تعالى: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ سورة البقرة آية ۲۴. و فى هذا التحذير الربانى نفى، و أى نفى للإتيان بمثل هذا القرآن. و فيه نفى، و أى نفى لاستطاعة الإتيان بأية ترجمة للقرآن إلى لغة أخرى يدّعى أنّها ترجمة حرفية له، تقوم مقامه، أو تحل محله، و فى الواقعين النظرى، و العملى معا.

التعليل الخامس: إنّ الترجمة الحرفية للقرآن تستلزم طلب المستحيل العادى، و هو حرام. فطلب الاستحالة العادية حتى و لو بطريق

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۷۴

الدعاء حرام شرعا، و أيّا كان هذا المستحيل ترجمة، أو غير ترجمة؛ لأنّه ضرب من العبث، و نوع من اللهو الممقوت، و هلاك للنفس أى هلاك، و اللّه تعالى يقول: وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ سورة البقرة آية ۱۹۵.

و طلب المستحيل هو فى حد ذاته غفلة، و جهل بسنن اللّه الكونية، و بحكمته فى ربط الأسباب بمسبباتها العادية؛ تطمينا لخلقه، و رحمة بعباده. و من ثمّ فإنّ ترجمة القرآن حرفيا هو ضرب من الجهل، و العبث لا عذر لفاعله، و اللّه تعالى أخبر أن ذلك مستحيل على الجن، و الانس جميعا، فهو يقول: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً سورة الإسراء آية ۸۸. و اللّه تعالى أنذر بعد أن أخبر بالعذاب بالنّار لمن افترى، و ادعى الترجمة الحرفية للقرآن، أو أنّها قرآن، يقول: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ سورة البقرة آية ۲۴. و تتأصل حرمة الترجمة الحرفية للقرآن الكريم وضوحا فى مخالفة، و تكذيب القرآن ذاته، فادعاء الإتيان بمثل للقرآن فيه للآية السابقة، و لقوله تعالى: وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلّا ما يُوحى إِلَيَّ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ سورة يونس آية ۱۵.

ففى الآية السابقة أمر إلهى للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بأن ينفى قدرته على تبديل هذا القرآن. و هو أمر إلهى لكل إنسان ألّا يحاول تبديل هذا القرآن بترجمة أو غير ترجمة؛ لأنّ ذلك هوى شيطانى، و عصيان للرّب، فهو حرام، و عاقبته العذاب العظيم.

و نزيد الأمر وضوحا بالقول: بأنّه إذا كان النص القرآنى ينفى عن الرسول قدرته على تبديل القرآن، و الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» حبيب الرحمن، و عليه أنزل القرآن، و هو أعلم النّاس بأسراره، و لغته، و هو أفصح العرب لسانا، و أعلمهم بمعانى القرآن، و مقاصده، نقول: فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، فما بالك بالنسبة لتجار اللّغات من البشر، و هم أقل

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۷۵

النّاس شأنا بالنسبة للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» و فى ميدان العلم، و اللغة، فهل يستطيعون أن يصدقوا فى افتراءاتهم، و فى أن يأتوا بمثل لهذا القرآن؟!! فلعمرك، إنّ هذا لهو المستحيل، و طلب المستحيل حرام، و من ثم فطلب الترجمة الحرفية للقرآن، و إلى لغة أخرى، لهو الحرام بعينه.

التعليل السادس: إنّ الترجمة الحرفية للقرآن تستلزم رواية القرآن بالمعنى، و هو حرام، بل، و لا يجوز. فترجمة القرآن بالمعنى الحرفى العرفى تساوى روايته بالمعنى تماما، فكلتاهما صيغة مستقلة وافية بجميع معانى الأصل، و مقاصده لا فرق بينهما إلّا فى القشرة اللفظية. فالرواية بالمعنى لغتها لغة الأصل، و الترجمة الحرفية للقرآن لغتها غير لغة الأصل، و هى مساوية للرواية بالمعنى، فإن جاز ترجمة القرآن حرفيا، فمعنى ذلك يجوز روايته بالمعنى، و هذا باطل، و غير ممكن. و بذلك إذا كانت رواية القرآن بالمعنى ممنوعة، و غير جائزة، فيجب أن تكون ترجمته الحرفية ممنوعة، و غير جائزة. بل، و الأحرى، و الأولى أن تكون كذلك، و أن تكون أحرى بالمنع؛ نظرا للاختلاف بينها و بين لغة الأصل، و هى لغة القرآن العربية.

التعليل السابع: إن الترجمة الحرفية للقرآن تستلزم ضياع الأصل العربى القرآنى، و هذا ممنوع، و غير ممكن، و حرام. فإنّ ترجمة القرآن الحرفية إلى غير لغته لو جازت، و صحت، فمعنى ذلك أنّ هذه الترجمة غير العربية يمكن أن تحل محل الأصل العربى للقرآن، بل، و تنتحل اسمه، و ذلك لأنّ مستلزمات الترجمة الحرفية الحلول محل الأصل، و الاستغناء عنه، و من ثم انتحال اسمه، و بالتالى تصبح الترجمة غير العربية للقرآن قرآنا بديلا يفترض أنّه يفى بجميع معانى، و مقاصد القرآن الأصيل؛ و هذا يعنى بالتالى ضياع القرآن الإلهى العربى كما ضاع الأصل العبرى للتوراة، و الأصل السريانى أو الآرامى للإنجيل. و هذا كلّه حرام، و خيانة لكتاب الرب العزيز، و إهمال لقرآن الإله الكريم، و رفض لهدايته، و نوره، و هداه، و شفائه. و نزيد الأمر وضوحا، فنقول: لو جازت الترجمة الحرفية للقرآن إلى غير لغته العربية، فإنّ ذلك يؤدى لا محالة

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۷۶

إلى وجود ترجمات عديدة للقرآن الكريم، و مع مرور الوقت سيذهب عنها اسم الترجمة، و تبقى كلمة أو اسم القرآن وحده علما عليها؛ فيصبح عند النّاس اعتقاد على مدى الأزمان، و الأجيال أنّ هذا هو القرآن الأصيل، و ليس المترجم، و بالتالى تصبح عند الناس كتب قرآن عديدة، فيكون هناك قرآن بالانجليزية، و آخر بالفرنسية، و آخر بالألمانية، و آخر بالروسية ... الخ و بالتالى يتعدد القرآن بتعدد اللغات، و الشعوب، و ينتهى مصيره إلى ما آلت إليه الكتب السماوية الأخرى من حيث التعدد:

كالتوراة، و الإنجيل. و هذا يعنى فى نهاية الأمر ضياع القرآن الإلهى العربى، و بانصراف النّاس إلى الترجمات الحرفية له اعتقادا منهم أنّها قرآن ربانى، و كتاب سماوى.

التعليل الثامن: إنّ الترجمة الحرفية للقرآن تستلزم تفككك، و انهيار وحدة المجتمع الإسلامى، و هذا ممنوع شرعا، و غير جائز تحققه، و حرام وقوعه، و ذلك لأنّ وجود ترجمات متعددة للقرآن الكريم يؤدى بلا شك إلى ضياع الأصل أولا، و من ثم إلى اختلاف المسلمين، و تخطئة بعضهم البعض ثانيا كلّ يتعصب إلى قرآنه، فتتفككك أواصر وحدة الأمة الإسلامية، و يدب الشقاق، و الخلاف بينهم، و يتفرقون كما تفرق اليهود، و النصارى، كلّ ذلك لأنّهم فقدوا أهم عناصر الوحدة بينهم، الجامع لهم فى لغتهم، و دينهم، و مبدأهم، و منهجهم، ألا و هو القرآن الكريم. و نزيد الأمر وضوحا فنقول: و لنا فى قرآننا العظة و العبرة، و فى سنتنا الهداية الحقة، و فى تاريخنا الذكر، و الشهادة، و يوم أن كان القرآن دستورنا، و السّنة النبوية طريقنا، و اللغة العربية علمنا، و أدبنا، أكرمنا اللّه بعزته، و نصره، و هدانا إلى صراطه، و حقه، و وازرنا بنصره، و عونه؛ فسدنا العالم، و غمرناه هداية، و نورا، و علما.

و يوم أن تخلينا عن قرآننا، و سنتنا، و لغتنا، ساءت أحوالنا، و تفككت أواصر وحدتنا، و ضعفت هيبتنا، فما بالك لو اقتنعنا باستبدال قرآننا العربى الأصيل بترجمة حرفية دخيلة، و لو باركنا ترك كلام ربنا العربى المعجز المتعبد بتلاوته بكلام بشرى وضعى فاقد لكلّ أسس

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۷۷

الإعجاز؛ سندها التقليد الأعمى، و الاقتداء الضال بمفاهيم، و لغات الكفر من إلحاد، و وجودية، و يهودية، و نصرانية، و بوذية، فانظر كيف سيصبح حالنا!! و كيف أنه لا سبيل لنا إلا بالتمسك، و المحافظة على جامع وحدتنا، و علم لغتنا، و شاهد نهضتنا؛ ألا، و هو قرآننا، كتاب ربنا.

و صدق نبينا إذ يقول: «لقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا:

كتاب اللّه و سنتى».

قال الإمام الشافعى فى كتابه الرسالة ما خلاصته: «إنّه يجب على غير العرب أن يكونوا تابعين للسان العرب. و هو لسان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» جميعا- كما يجب أن يكونوا تابعين له دينا؛ و إنّ اللّه قضى أن ينذروا بلسان العرب خاصة» ... ثم قال: «فعلى كلّ مسلم أن يتعلّم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد أن لا إله إلّا اللّه، و أنّ محمدا عبده، و رسوله؛ و يتلو به كتاب اللّه، و ينطق بالذكر فيما افترض عليه عن التكبير، و أمر به من التسبيح، و التشهد، و غير ذلك. و كلما ازداد من العلم باللّسان الذى جعله اللّه لسان من ختم به نبوّته، و أنزل به آخر كتبه، كان خيرا له».

و جاء فى كتابه الرسالة للشافعى أيضا: «أنّ المسور بن مخرمة رأى رجلا أعجمى اللسان أراد أن يتقدّم للصلاة، فمنعه المسور بن مخرمة، و قدم غيره، و لما سأله عمر «رضى اللّه عنه» فى ذلك قال له: إنّ الرجل كان أعجمى اللسان، و كان فى الحج، فخشيت أن يسمع بعض الحجاج قراءته، فيأخذ بعجمته، فقال له عمر: أصبت. و قال الإمام الشافعى: لقد أحببت ذلك» «۱».

و قال الإمام الشاطبى من علماء المالكية فى كتابه الموافقات فى الصفحة الثانية و الأربعين ما نصه: «إنّ القرآن أنزل بلسان العرب، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة. ثم قال: فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهمه، لا سبيل إلى تفهمه من غير هذه الجهة».

---

(۱) محمد عبد العظيم الزرقانى- مناهل العرفان- ج ۲ ص ۱۵۲.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۷۸

و قد ذكر حجة الإسلام الإمام الغزالى من علماء الشافعية فى كتابه المستصفى فى الصفحة ۱۶۹ ما نثبته بتصرف: أنّ ما تعبدنا اللّه فيه باللفظ لا تجوز روايته بالمعنى. و على هذا لا يجوز أن يترجم إلى لغة أخرى غير عربية بالأولى.

و القرآن الكريم معروف أنّه متعبد بتلاوته، و لفظه، فلا تجوز روايته بالمعنى، و بالتالى لا تجوز ترجمته.

و قال الإمام الزركشى فى البحر المحيط: «لا يجوز ترجمة القرآن بالفارسية، و غيرها بل تجب قراءته على الهيئة التى يتعلق بها الإعجاز؛ لتقصير الترجمة عنه، و لتقصير غيره من الألسن عن البيان الذى خص به دون سائر الألسن» «۱».

موقف الأزهر من ترجمة القرآن الكريم

أجاز جامع الأزهر الشريف ترجمة تفسير القرآن الكريم إلى اللغات غير العربية الأخرى. و قد تألفت لجنة خاصة من كبار العلماء، و أساتذة وزارة المعارف المصرية، و برئاسة مفتى مصر الأكبر، و على اجتماعات عديدة، أقرت هذه اللجنة ضرورة وضع تفسير عربى دقيق للقرآن الكريم تمهيدا لترجمته ترجمة دقيقة بواسطة لجنة فنية مختارة، و قد وضعت هذه اللّجنة أيضا دستورا تلتزم به فى ترجمتها للقرآن، ثمّ بعثت نسخة من هذا الدستور إلى كبار العلماء، و الجماعات الإسلامية فى الأقطار العربية و الإسلامية الأخرى، لاستجلاء رأيها. و هذه هى أهم قواعد ذلك الدستور «۲»:

---

(۱) محمد عبد العظيم الزرقانى- مناهل العرفان- ج ۲ ص ۱۶۱.

(۲) مجلة الأزهر- مجلد ۷- ۶۴۸- ۶۴۹. و الزرقانى، مناهل العرفان، ج ۲ ص ۱۷۰.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۷۹

أولا: أن يكون التفسير خاليا ما أمكن من المصطلحات، و المباحث العلمية إلا ما استدعاه فهم الآية.

ثانيا: ألّا يتعرض فيه للنظريات العلمية. فلا يذكر مثلا التفسير العلمى للرعد، و البرق عند ذكر آية فيها رعد، و برق. و لا يذكر أيضا رأى الفلكيين فى السماء، و النجوم عند آية فيها سماء، و نجوم، إنّما تفسر الآية بما يدل عليه اللفظ العربى، و يوضح موضع العبرة، و الهداية فيها.

ثالثا: إذا اقتضت الضرورة التوسع فى تحقيق بعض المسائل، وضعته اللجنة فى حاشية التفسير.

رابعا: عدم التقيد بمذهب من المذاهب فى التفسير سواء أ كانت مذاهب فقهية، أو مذاهب كلامية.

خامسا: تدوين، و تفسير ما تدل عليه الآية فقط، و عدم المبالغة، و التعسف فى تأويل المعجزات، و أمور الآخرة، و نحو ذلك.

سادسا: أن يفسر القرآن برواية حفص، و عدم التعرض لتفسير قراءات أخرى إلا عند الحاجة إليها.

سابعا: تجنب التكلف فى ربط الآيات، و السور بعضها ببعض.

ثامنا: أن يذكر من أسباب النزول ما ثبت، و صح بعد البحث، و أعان على فهم الآية.

تاسعا: يوضع فى أوائل كلّ سورة ما تقتنع به اللّجنة مكية أم مدنية، و الآيات المكية فى السور المدنية، و الآيات المدنية فى السور المكية.

عاشرا: عند التفسير تذكر الآية كاملة، أو الآيات إذا كانت كلّها مرتبطة بموضوع واحد. ثمّ تحرّر معانى الكلمات بدقة. ثمّ تفسر معانى الآية، أو الآيات مسلسلة فى عبارة واضحة قوية، و يوضع سبب النزول، و الربط، و ما يؤخذ من الآيات فى الوضع المناسب.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۸۰

أحد عشر: ألا يصار إلى النسخ، و لا يؤخذ به إلّا عند تعذر الجمع بين الآيات.

اثنا عشر: توضع للتفسير مقدمة فى التعريف بالقرآن، و بيان مسلكه فى كلّ ما يحتويه من فنونه: كالدعوة إلى اللّه، و التشريع، و القصص، و الجدل .... و نحو ذلك.

ثالث عشر: توضع فى مقدمة التفسير المنهج الذى سارت عليه اللجنة فى تفسيرها.

رابع عشر: وضع قواعد واضحة تتبعها اللجنة فى طريقتها فى تفسير معانى القرآن الكريم، و هذه القواعد هى:

أ- تبحث أسباب النزول، و التفسير بالمأثور، فتفحص مروياتها، و تنقد، و تدون الصحيح منها بالتفسير مع بيان وجه قوة القوى، و ضعف الضعيف من ذلك.

ب- تبحث مفردات القرآن الكريم بحثا لغويا، و كذلك خصائصها للتراكيب القرآنية بحثا بلاغيا ثم تدوّن.

ج- تبحث آراء المفسرين بالرأى، و التفسير بالمأثور، و يختار ما تفسر الآية به مع بيان وجه المردود، و قبول المقبول.

د- و بعد ذلك كلّه يصاغ التفسير مستوفيا ما نص على استيفائه فى الفقرة الثانية من القواعد السابقة، و تكون هذه الصياغة بأسلوب مناسب حتى يفهمه جمهور المتعلّمين خال من الأعراب، و الصنعة.

حكم الصلاة بغير اللغة العربية

اشارة

يتفق جمهور علماء السّنة أنّ قراءة القرآن بغير اللغة العربية فى الصلاة أو خارجها لا تجوز. و بذلك فهم منعوا الصلاة بالقرآن المترجم

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۸۱

إلى لغة غير عربية، و بصورة مطلقة، و سواء أ كان المصلى يتقن اللغة العربية أم لا. و دليلهم: أنّ ترجمة القرآن إلى غير العربية ليست قرآنا.

فالقرآن الذى تصح الصلاة به هو كلام اللّه العربى المعجز الموحى به من عند اللّه تعالى باللفظ، و المعنى. و ترجمة القرآن ليست كلام اللّه كما أنّها ليست معجزة، و ليست عربية، بذلك لا تصح الصلاة بها. و بالمقابل فإن للمذهب الحنفى رأيا يجيز فيه قراءة القرآن بغير العربية فى الصلاة، و ذلك فى حالة العجز، و عدم القدرة على الصلاة بالعربية. و يمكننا حصر موقف العلماء إزاء حكم الصلاة بغير العربية فى اثنين:

الأول: عدم جواز الصلاة بغير العربية إطلاقا.

الثانى: جواز الصلاة بغير العربية فى حالة العجز.

الموقف الأول:

اشارة

عدم جواز الصلاة بغير اللغة العربية إطلاقا. و يأخذ بهذا الرأى علماء، و مذاهب جمهور السنة الثلاثة: المالكية، و الشافعية، و الحنابلة.

المذهب المالكى:

أولا: ورد فى حاشية الدسوقى على شرح الدردير «۱» ما يفيد منع جواز قراءة القرآن بغير العربية فى الصلاة حيث ورد فيها: «لا تجوز قراءة القرآن بغير العربية. بل لا يجوز التكبير فى الصلاة بغيرها، و لا بمرادفه من العربية، فإن عجز عن النطق بالفاتحة بالعربية وجب عليه أن يأتم بمن يحسنها؛ فإن أمكنه الائتمام، و لم يأتم، بطلت صلاته. و إن لم يجد إماما سقطت عنه الفاتحة، و ذكر اللّه، و سبحه بالعربية. و قالوا على كل مكلف أن يتعلم الفاتحة بالعربية، و أن يبذل وسعه فى ذلك، و يجهد نفسه فى

---

(۱) حاشية الدسوقى على شرح الدردير- ج ۲ ص ۲۳۲- ۲۳۶.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۸۲

تعلمها، و ما زاد عليها إلا أن يحول الموت دون ذلك، و هو بحال الاجتهاد، فيعذر».

ثانيا: ورد فى المدونة ما نصه «۱»: «سألت ابن القاسم عمن افتتح الصلاة بالأعجمية، و هو لا يعرف العربية. ما قول مالك فيه؟!: سئل مالك عن الرجل يحلف بالعجمية، فكره ذلك، و قال: أ ما يقرأ؟! أ ما يصلى؟! إنكارا لذلك. أى ليتكلم بالعربية لا بالعجمية قال: و ما يدريه الذى قال أ هو كما قال؟! أى الذى حلف به أنه هو اللّه!! ما يدريه أنه هو أم لا!! قال مالك: «أكره أن يدعو الرجل بالعجمية فى الصلاة، و لقد رأيت مالكا يكره العجمى أن يحلف، و يستثقله. قال ابن القاسم:

و أخبرنى مالك: أن عمر بن الخطاب «رضى اللّه عنه» نهى عن رطانة الأعاجم، و قال: إنّها خب. أى خبث، و غش» «۲».

ثالثا: ورد عن القاضى أبى بكر بن العربى، و هو من فقهاء المالكية، قوله فى التفسير، أى فى تفسير قوله تعالى: وَ لَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْ لا فُصِّلَتْ آياتُهُ ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌ سورة فصلت آية ۴۴. قال علماؤنا: هذا يبطل قول أبى حنيفة: «رضى اللّه عنه»: إنّ ترجمة القرآن بإبدال اللغة العربية منه بالفارسية جائز؛ لأنّ اللّه تعالى قال: وَ لَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْ لا فُصِّلَتْ آياتُهُ ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌ. نفى أن يكون للعجمية إليه طريق، فكيف يصرف إلى ما نفى اللّه عنه؟!! ثم قال: إنّ البيان و الإعجاز إنّما يكون بلغة العرب، فلو قلب إلى غير هذا لما كان قرآنا، و لا بيانا، و لا اقتضى إعجازا «۳».

المذهب الشافعى:

أولا: قال فى المجموع: «مذهبنا- أى الشافعية- أنّه لا تجوز

---

(۱) المدونة- ج ۱ ص ۶۲. و الزرقانى- مناهل العرفان. ج ۲ ص ۱۶۱.

(۲) محمد الخضر حسين- كتاب: بلاغة القرآن- ص ۱۵.

(۳) المجموع. ج ۳. ص ۳۷۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۸۳

قراءة القرآن بغير لسان العرب، و سواء أمكنته العربية أم عجز عنها، و سواء أ كانت فى الصلاة أم فى غيرها. فإن أتى بترجمة فى صلاة بدلا عنها لم تصح صلاته، سواء أحسن القراءة أم لا. و به قال جماهير العلماء، منهم: مالك، و أحمد، و أبو داود» «۱».

ثانيا: و جاء فى حاشية ترشيح المستفيدين: «من جهل الفاتحة لا تجوز له أن يترجم عنها، لقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا، و العجمى ليس كذلك، و للتعبد بألفاظ القرآن» «۲».

ثالثا: و قال الإمام السيوطى فى الإتقان: «لا تجوز قراءة القرآن بالمعنى؛ لأنّ جبريل أدّاه باللفظ، و لم يبح له إبحاءه بالمعنى» «۳».

رابعا: و قال الحافظ ابن حجر، و هو من فقهاء الشافعية فى فتح البارى: إن كان القارئ قادرا على تلاوته باللسان العربى فلا يجوز له العدول عنه، و لا تجزئ صلاته (أى بقراءة ترجمته)، و إن كان عاجزا.

ثمّ ذكر: أن الشارع قد جعل للعاجز عن القراءة بالعربية بدلا، و هو الذكر «۴».

خامسا: و قال الإمام الشافعى:- رحمه اللّه- فى كتاب الأم:

«و إذا ائتموا به، فإن أقاما معا أمّ القرآن، و لحن، أو نطق أحدهما بالأعجمية، أو لسان أعجمى فى شىء من القرآن غيرها، أجزأته، و من خلفه صلاتهم إذا كان أراد القراءة لما نطق به من عجمة و لحن، فإن أراد به كلاما غير القراءات، فسدت صلاته» «۵».

قالوا فى مراد الشافعى من كلمته هذه: «و مراده أنّ الإمام، و المؤتم

---

(۱) حاشية ترشيح المستفيدين ج ۱ ص ۵۲.

(۲) الإمام السيوطى- الإتقان.

(۳) الإمام السيوطى- الإتقان.

(۴) الحافظ ابن حجر. فتح البارى- و محمد الخضر حسين. بلاغة القرآن. ص ۱۵.

(۵) الإمام الشافعى. كتاب الأم. ج ۱ ص ۱۴۷.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۸۴

إذا أحسنا قراءة الفاتحة ثمّ لحن، أو نطق أحدهما بلهجة أعجمية فى شىء من القرآن غير الفاتحة لا- تبطل صلاتهما. و المراد من الأعجمية:

اللهجة، و من اللسان: اللغة. كما هو استعماله فى هذه المواطن. فهذا النص يدل على أنّ اللسان الأعجمى بعد قراءة المفروض عدده، و هو الفاتحة، لا يبطل الصلاة، و هو موافق للحنفية فى هذا».

و يذكر الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى فى كتابه «مناهل العرفان» تعليقا على تفسير مراد الإمام الشافعى بقوله: «أمّا الذى ذكروه من أن هذا هو مراد الشافعى- رحمه اللّه- فسلم به، بيد أنّه يحتاج إلى تكملة لا بد منها، و هى: أنّ عدم بطلان الصلاة فى هذه الصورة مشروط بأن تقصد القراءة. أمّا إذا كان المقصود كلاما غير القراءة، فإنّها تبطل. ثمّ إنّ منشأ عدم البطلان ليس هو جواز قراءة غير الفاتحة بالأعجمية كما فهموا، إنّما منشؤه أنّ هذه القراءة بالأعجمية وقعت فى غير ركن، و فى غير واجب للصلاة لما هو مقرر فى مذهب الشافعية من أن ما زاد على الفاتحة ليس واجبا فى الصلاة بحال. و هذا لا ينافى أن القراءة بالأعجمية محرمة كما سبق فى نصوص الشافعية، و كما عرف من كلام الشافعى نفسه، و لهذه المسألة نظائر منها: الصلاة فى الأرض المغصوبة. فإنّها محرّمة، و مع حرمتها، فإنّها صحيحة. و يؤيد حرمة القراءة بالأعجمية أنّ الشافعى فى كلامه هنا قد سوى بين اللحن، و القراءة بالأعجمية، و نظمها فى سلك واحد مع ما هو معلوم من أنّ اللحن فى القرآن حرام بإجماع المسلمين» «۱».

المذهب الحنبلى:

أولا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «و أما الإتيان بلفظ يبين المعنى كبيان لفظ القرآن فهذا غير ممكن أصلا. و لهذا كان أئمة الدين

---

(۱) محمد عبد العظيم الزرقانى. مناهل العرفان. ج ۲. ص ۱۶۵.

على أنه لا يجوز أن يقرأ بغير العربية لا مع القدرة عليه، و لا مع العجز عنها؛ لأنّ ذلك يخرجه أن يكون هو القرآن المنزل» «۱».

ثانيا: قال ابن قدامة فى المعنى: «و لا تجزئة القراءة بغير العربية، و لا إبدال لفظ عربى سواء أحسن القراءة بالعربية أم لم يحسن. ثم قال: فإن لم يحسن القراءة بالعربية، لزمه التعلم، فإن لم يفعل مع القدرة عليه، لم تصح صلاته» «۲».

ثالثا: قال الإمام ابن حزم الحنبلى فى كتابه المحلى: «من قرأ أم القرآن أو شيئا منها، أو شيئا من القرآن فى صلاته مترجما بغير العربية، أو بألفاظ عربية غير الألفاظ التى أنزل اللّه تعالى، عامدا لذلك، أو قدّم كلمة، أو أخرها عامدا لذلك، بطلت صلاته، و هو فاسق، لأنّ اللّه تعالى قال: قُرْآناً عَرَبِيًّا. و غير العربى ليس عربيا، فليس قرآنا. و إحالة عربية القرآن تحريف لكلام اللّه. و قد ذم اللّه تعالى من فعلوا ذلك، فقال:

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ. و من كان لا يحسن العربية، فليذكر اللّه تعالى بلغته، لقوله تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها. و لا يحل له أن يقرأ أم القرآن، و لا شيئا من القرآن مترجما على أنه الذى افترض عليه أن يقرأه؛ لأنّه غير الذى افترض عليه كما ذكرنا، فيكون مفتريا على اللّه» «۳».

الموقف الثانى:

جواز الصلاة بغير العربية فى حالة العجز: و يأخذ بهذا الرأى علماء المذهب الحنفى، و على رأسهم: الإمام أبو حنيفة، و صاحباه: أبو يوسف، و محمد بن الحسن الشيبانى. و قد أجازوا جميعا قراءة القرآن

---

(۱) محمد الخضر حسين- كتاب: بلاغة القرآن. ص ۱۵.

(۲) ابن قدامة- المغنى- ج ۱ ص ۵۲۶.

(۳) الإمام ابن حزم الظاهرى الحنبلى. كتاب: المحلى. ج ۱. ص ۲۵۴. و الزرقانى مناهل العرفان ج ۲ ص ۱۶۲.

بغير العربية فى الصلاة فى حالة العجز عن قراءتها بالعربية. و دليلهم فى ذلك هو: أنّ القرآن اسم للمعانى الذى تدلّ عليها ألفاظه العربية، و المعانى واحدة فى جميع اللغات، و لا تختلف باختلاف الألفاظ الدالة عليها. المهم ألّا يخل المعنى.

قال فى «معراج الدراية»: «إنّما جوزنا القراءة بترجمة القرآن للعاجز إذا لم يخل بالمعنى؛ لأنّه قرآن من وجه اعتبار اشتماله على المعنى. فالإتيان به أولى من الترك مطلقا، إذ التكليف بحسب الوسع» «۱».

و قد ورد: أن أبا حنيفة أجاز القراءة للقرآن فى الصلاة بالفارسية.

و أجاز بعض أصحابه قياسا على رأيه الصلاة باللغات الأخرى:

كالترجمة، و الهندية، و غيرها.

و نلخّص رأى المذهب الحنفى كما ورد فى مجلة الأزهر الشريف بقلم أحد علمائهم الكبار: إنّ أئمة المذهب الحنفى أجمعوا على أنّه لا تجوز قراءة القرآن بغير العربية خارج الصلاة. و يمنع فاعل ذلك أشدّ المنع؛ لأنّ قراءته بغيرها من قبيل التصرف فى قراءة القرآن بما يخرجه عن إعجازه، بل بما يوجب الركاكة. و أما القراءة فى الصلاة بغير العربية فتحرم إجماعا للمعنى المتقدم. لكن لو فرض، و قرأ المصلى بغير العربية أ تصح صلاته أم تفسد؟!! ذكر الحنفية فى كتبهم: «أنّ الإمام أبا حنيفة كان يقول أولا: «إذا قرأ المصلى بغير العربية مع قدرته عليها اكتفى بتلك القراءة». ثمّ رجع عن ذلك، و قال: «متى كان قادرا على العربية، ففرضه قراءة النظم العربى، و لو قرأ بغيرها، فسدت صلاته، لخلوها من القراءة مع قدرته عليها، و الإتيان بما هو من جنس كلام الناس حيث لم يكن المقروء قرآنا» «۲».

و رواية رجوع الإمام هذه تعزى إلى الأقطاب فى

---

(۱) محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن. و مناع القطان مباحث فى علوم القرآن.

(۲) مجلة الأزهر الشريف- مجلد ۳- ص ۳۲- ۳۳- ۶۶- ۶۷. و الزرقانى- مناهل العرفان. ج ۲ ص ۱۶۳.

المذهب، و منهم: نوح بن مريم، و هو من أصحاب أبى حنيفة، و على بن الجعد، و هو من أصحاب أبى يوسف، و أبو بكر الرازى، و هو شيخ علماء الحنفية فى عصره فى القرن الرابع الهجرى.

و ينوه محمد عبد العظيم الزرقانى فى كتابه مناهل العرفان: بأنّه لا داعى أبدا للتمسك بالقول الأوّل للإمام أبى حنيفة، فالمجتهد إذا رجع عن قوله، فيعنى هذا أنّه ظهر له أنّه ليس بصواب. و لذلك لا يكون فى المذهب الحنفى إلّا الرأى القائل: إنّ القادر على قراءة القرآن فى الصلاة لا يجوز له أن يؤديها بغير العربية. أمّا العاجز عن قراءة القرآن بالعربية فهو كالأمى فى أنّه لا قراءة عليه. لكن إذا فرض أنّه خالف، و أدى القرآن بلغة أخرى: فإن كان ما يؤديه قصة، أو أمرا أو نهيا، فسدت صلاته؛ لأنّه متكلّم بكلام، و ليس ذكرا. و إن كان ما يؤديه ذكرا أو تنزيها لا تفسد صلاته؛ لأنّ الذكر بأى لسان لا يفسد الصلاة؛ لا لأن القراءة بترجمة القرآن جائزة، فقد أجمع على أنّها محظورة، و ممنوعة.

حكم الذكر بغير العربية فى الصلاة، للعلماء رأيان مختلفان.

الرأى الأول:

إباحة الذكر بغير العربية فى الصلاة. و هو رأى الشافعى، و أبى يوسف و محمد بن الحسن صاحبى أبى حنيفة. و سواء أ كان الذكر واجبا كتكبيرة الإحرام، أو غير واجب كسائر التكبيرات فى الصلاة.

الرأى الثانى:

عدم إباحة الذكر بغير العربية فى الصلاة. و هو رأى الإمام مالك، و إسحاق، و الإمام أحمد بن حنبل، و سواء أ كان الذكر واجبا أو غير واجب.

و لنا القول: و بما أخذ به جمهور العلماء بعدم جواز الصلاة بغير العربية مطلقا. فالصلاة لا تجوز إلّا بالقرآن، و الكلام المترجم ليس قرآنا، و قد خرج عن خصوصية الكلام الالهى، و النظم العربى، يسعفنا فى ذلك أقوال جمهور العلماء، و منها قول شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاب: «اقتضاء الصراط المستقيم» «أمّا القرآن فلا يقرؤه بغير العربية سواء قدر عليها أو لم يقدر عند الجمهور». و هذا هو الصواب الذى لا ريب فيه. بل قد قال غير واحد إنّه يمتنع أن يترجم سوره، أو مما يقوم به الإعجاز. و يقول أيضا: «فإنّ نفس اللغة العربية من الدين، و معرفتها فرض واجب. فإن فهم الكتاب، و السنة فرض، و لا يفهمان إلّا بفهم اللغة العربية، و ما لا يتم الواجب إلّا به، فهو واجب».

و لنا القول أيضا: إنّ إباحة المذهب الحنفى للصلاة بغير العربية على الغالب ليس مطلقا، و قيدوه بالعجز عن الصلاة بالعربية، و اعتبروه رخصة عند الحاجة فقط.

و الأحناف يتفقون مع الجمهور على أنّ الترجمة ليست قرآنا. و إنّما هي رخصة لغير القادر تجزئة عن قراءة العربية في الصلاة كذكر اللّه في الصلاة عند غير الأحناف.

و هناك قول: إنّ الإمام أبا حنيفة رجع عن إباحته بالصلاة بغير العربية بصفة مطلقة.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۸۹

الباب العاشر شبهات حول إعجاز القرآن، و أسلوبه، و تفنيدها.

الشبهة الأولى:

اشارة

إنّ إعجاز القرآن لا يكمن في سر بلاغته، و بيانه، و فصاحته، أو في عدم قدرة العرب على معارضته، فهو لم يتجاوز في بلاغته، و فصاحته حدود طاقاتهم اللغوية، و البلاغية، و إنّما يكمن إعجازه في عدم توفر الأسباب الداعية لمعارضته، و لو توفرت لاستطاع العرب معارضته؛ و لو فعلوا، لأعجزوا، و أفحموا، و عارضوا، و أتوا بمثله؛ فليس كل ما لم يفعله الإنسان يكون خارجا عن حدود قدرته. و لذلك فقد زعموا أن القرآن لم يصل في بلاغته بعد الإعجاز الذي لا تسمو إليه قدرة البشر عادة، و إنّما انصرف العرب عن معارضته، فيخيل للناس أنّه أعجزهم، أو أنّه معجز لأنّه الباقي وحده في الميدان ميدان التحدي، و الإعجاز. و قد أرجعوا أسباب عدم معارضة العرب للقرآن لأمور عدة أهمها ثلاثة:

الأمر الأول: عدم توفر أسباب، و بواعث المعارضة.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۹۰

الأمر الثاني: حدوث عارض فجائي عاق قدراتهم البلاغية، و عطل مواهبهم البيانية، و طمس فصاحتهم اللغوية، و أقعدهم عن تعاطي أسباب المعارضة رغم توافر الدوافع، و البواعث لها.

الأمر الثالث: وجود مانع إلهي، و قدرة إلهية صرفت العرب عن معارضته، و سلبتهم القدرة على المعارضة، و هم قادرون عليها؛ و لو لا هذه الصرفة الإلهية لعارضوه، و لجئوا بمثله. و هذا الأخير هو المعبر عنه بالقول بالصرفة، و الذي اشتهر عن النظّام من المعتزلة. و لم يتابعه عليه تلميذه الجاحظ، و حتى أي أحد من علماء العربية. و يعزى أيضا القول بالصرفة إلى أبي إسحاق الأسفراييني من السنة، و إلى المرتضى من الشيعة.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: بالنسبة للأمر الأول- و هو حجة عدم توفر أسباب، و بواعث المعارضة- فهذه الحجة مردودة على أصحاب هذه الشبهة.

فيقينا، و بالدليل التاريخي، و العلمي، و اللغوي، أنّ أسباب، و بواعث المعارضة كانت موجودة، و موفورة، و متضافرة، و دوافعها كانت قائمة.

و قد حفز القرآن بواعث المعارضة فيهم، و أكثر من مرة، و في أكثر من مناسبة، و في أكبر زمن؛ و لما لم يستطيعوا، تذرعوا بعدم توافر دواعي، و بواعث المعارضة في زمنهم. و تفنيدا لهذه الشبهة، و تأكيدا على تفاهتها، فقد تحدّاهم القرآن بالنسبة لأهم، و أعظم مجالات المعارضة، و هي الأسلوب، و العقيدة.

أ- فبالنسبة للأسلوب في البلاغة، و البيان، و الفصاحة، فقد تحدّاهم أكثر من مرة أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فعجزوا مصداق قوله تعالى: فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ سورة الطور آية ۳۴.

أ ليس في هذا تقريع مثير لهم في المعارضة، و هم أهل الحديث و البلاغة كما يدعون. وردا على تخرصاتهم، و إمعانهم في التذرع

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۹۱

بالأسباب و الأعذار قطع عليهم آمالهم في تخرصاتهم و احتجاجاتهم، و شتى ما يتذرعون به في عدم قدرتهم على المعارضة؛ و طمأنهم إفحاما لهم أنّهم لم، و لن يستطيعوا أن يعارضوا القرآن حتى و لو توفرت دواعي معارضته لديهم. أ فليس في هذا استثارة لحمية أذهانهم، و دافعا و محركا لمشاعرهم و ألسنتهم، و هم أهل صناعة تحدّاهم القرآن بها!! فقال تعالى:

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً سورة الإسراء آية ۸۸.

و قد أكمل القرآن إعجازه البياني بتحديه لهم أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه كسورة الكوثر، فعجزوا. قال تعالى: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ سورة البقرة آية ۲۳.

و بذلك فقد أحالهم القرآن، و أحاط شبهتهم بكل تفنيد، و كل زعزعة و خلخلة لكل ما يدعون. فهم سيظلون عاجزين عن معارضة القرآن حتى و لو توافرت لهم دواعي ذلك. و من هنا، و قطعا لدابرهم، و عنادهم، فقد حذرهم من تماديهم في افتراءاتهم و معاذيرهم، فيقون بلا- حجة، و يتنهون إلى غير مبرر؛ فأصبحوا بلا- عذر لهم على كذبهم، و ادعاءاتهم، و إلّا و إن لم يتقوا اللّه و يكفوا، فالنار مثواهم. فاللّه تعالى يقول لهم: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ سورة البقرة آية ۲۴.

ب- و بالنسبة للعقيدة- فقد تحدّاهم أكثر من مرة، و في أكثر من مناسبة أن يثبتوا صدق عقائدهم في الوثنية، و الكفر، و الشرك، بل و سفه أحلامهم، و أحط من عقائدهم، و دياناتهم، و عقائد آبائهم و أجدادهم. و كل ذلك بأساليب الترغيب، و الترهيب. أو ليس فيها دافع يثير حماسهم، و يوقظ عصبياتهم، و يستفزّ حميتهم حمية

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۹۲

الجاهلية، و هم أهل الحمية، و الأنفة، و إباء الضيم. أو ليس فيها، و قد نعى عليهم جهلهم، و شركهم بواعث تحرك هممهم، فيتحركوا، و يعارضوا، و يحاولوا أن يأتوا بمثل ما تحدّاهم به.

و لكن هل فعلوا، و هل استطاعوا، و أسباب المعارضة موفورة قائمة؟!! لا، و لن حتى و لو تذرعوا بعدم توافرها، فهم كاذبون.

ثانيا: أما بالنسبة للأمر الثاني: و هو حجة تعطل مواهبهم، فالواقع التاريخي، و أخبار التواتر، أنّهم، و حين تحداهم القرآن كانوا متمتعين بمواهبهم البيانية، و قدراتهم البلاغية، و عنفوان أدبياتهم؛ و لم يعرض لهم عارض، و لم يفاجئهم حابس حبس مواهبهم، أو سلب قدراتهم، أو طمس على بيانهم. و بالأدلة التاريخية، و العقلانية السليمة، و البراهين المنطقية أنّهم كانوا على ما هم عليه من قدرة في التفكير، و سلامة في التعبير، و سلاطة في المجادلة، و بلاغة في المخاطبة؛ و لكنهم عند ما خوطبوا بالقرآن، اقتنعوا بعجزهم، و قعدوا عن تحدياتهم، و يئسوا من معارضاتهم؛ و هم لم يمنعهم مانع من ترهاتهم في المعارضة، و التحدي، اللهم إلّا العجز، فقالوا، و ادعوا أن عارضا ألمّ بهم، و أفقدهم بلاغتهم، و إن هم إلّا يخرصون. فهم لم يتركوا وسيلة إلّا استخدموها؛ و هم لم يتركوا بابا إلّا سلكوه؛ و هم لم يتركوا منهجا إلّا اتّبعوه، و لا ذريعة إلّا تذرعوا بها؛ ليردوه عن دينه، و يسلبوا منه قرآنه، و يعطلوا دليله. فهم ساوموه بالمال، و هم ساوموه بالملك؛ و هم ساوموه بالعزة الدنيوية؛ و هم ساوموه بالسلطان، و حبسوا عنه الزاد، و الطعام، فقاطعوه، و عشيرته في شعب بني هاشم. حيث تحالفت قريش، و كنانة على مقاطعة بني هاشم و عبد المطلب بألّا يناكحوهم، و لا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كما روى الشيخان عن الزهري. و

حيث يرويان أيضا أن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» قال بشأن هذا التحالف في غزوة الفتح، و في حجة الوداع: «منزلنا غدا إن شاء اللّه بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر».

فأي عارض هذا الذي عطل مواهبهم، و سلبهم قدراتهم في التحدي، و هم الذين ساوموا رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» حتى في عقيدته، حيث

روى ابن مردويه

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۹۳

بسند جيد: «جاء رجال من قريش إلى النبي «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» فقالوا له: يا محمد، تعال تمسح بآلهتنا، أو ألمّ بآلهتنا، و ندخل معك في دينك، فنزل قوله تعالى: وَ إِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَ إِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا سورة الإسراء آية ۷۳.

و قوله تعالى في السورة نفسها: وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا آية ۷۴. و أي سبب هذا الذي ألمّ بقدراتهم في التحدي، و هم الذين ألصقوا به كل صفات الطعن، و خصال الشبهات، فوصفوه مرة بالساحر، و مرة بالكاهن، و مرة بالشاعر، و مرة بالمجنون.

مصداق قوله تعالى: وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ سورة الصافات آية ۳۶. و رد عليهم شبهتهم، و فنّد مطعنهم: فقال: بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ سورة الصافات آية ۳۷.

و قد قادهم مطعنهم، و أوصلهم حقدهم، و سار بهم عجزهم، و ألّيهم مكرهم في محاربة القرآن إلى أن جعلوا أصابعهم في آذانهم، و استغشوا ثيابهم، و غشّوها على أعين فتياتهم، فمنعوهم حتى من سماعه حتى لا ترق لحلاوة طلاته. و لم يطق أشراف قريش أن يستعلن أبو بكر بقراءة القرآن في فناء داره، إذ كانت تهوى إليه أفئدة من أبنائهم، و نسائهم و عبيدهم، يستمعون لقراءته، فخشي المشركون أن يفتنوا. و إن ابن الدّغنة قد أجاب أبا بكر، فأمروه أن يسترد جواره منه إذا أصر على الإعلان بقراءته. و قد فعل- و هذا ما رواه

البخارى.

ثمّ أ لم يمكروا، و يطعنوا، و يكيدوا، ليثبتوه، أو يقتلوه، أو يخرجوه. و فى هذا صدق قول ربنا فيهم إذ يقول: وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ سورة الأنفال آية ۳۰.

و لقد مكروا، و كادوا، و قاتلوا، و أخرجوا المسلمين من ديارهم و نفوهم من مهجة حبه مكة أحب البقاع إلى اللّه، و رسوله، و من ثم، و بعد هذا يدعون، و يزعمون أن شاغلا شغلهم عن معارضة القرآن، و ما

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۹۴

قتلوا، و ما أخرجوا إلا بعد أن أفحموا، فعجزوا عن المعارضة للقرآن.

و لعل مكرهم، و كفرهم، و عنادهم، لم يكن موجها إلى القرآن فى الصدور كما يقول شيخنا محمد عبد اللّه دراز، و إنّما إلى هدف واحد هو إعلان هذا القرآن، و نشره بين العرب. و

فى ذلك يروى أبو داود و الترمذى: أن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» حينما كان يعرض نفسه على الناس فى الموقف يقول: «أ لا رجل يحملنى إلى قومه؟!! فإنّ قريشا منعونى أن أبلغ كلام ربى»

فهو لم يقل: منعونى أن أتلو كلام ربى، أو أن أحفظه، و إنّما قال: منعونى أن أبلغ كلام ربى، فهو فى إعلانه، و تبليغه للناس، و نشره بينهم، أشد وطئا، و أكبر حملا عليهم. فمانعوا، و عاندوا، و كادوا، و قتلوا، و بعد أن عجزوا، قالوا: شغلنا شاغل عنه، و عرض لنا عارض، فمنعنا أن نعارضه، و أن نفحم معلنه، و أن نمنع رسوله، و أن نحاربه بسلاحنا. و إنه، و لو لا هذا لقلنا مثله إن هذا إلّا أساطير الأوّلين.

قال تعالى: وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ سورة الأنفال آية ۳۱.

و قالوا: فهذا القرآن ليس بحق، و إن ما جاء به من فصاحة أسلوبه، أو بلاغة بيان، و إن ما جاء فيه من ألوهية توحيد، أو ربوبية تأليه، أو نورانيّة هداية، أو موعظة، أو رحمة، أو شفاء إن هذا إلّا اختلاق، و يا عجبا لهذا!! فاشره ساحر كذاب. مصداق قوله تعالى: وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ (۴) أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ (۵) وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ (۶) ما سَمِعْنا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ سورة «ص» الآيات ۴- ۷.

و قادهم كفرهم إلى أن أعمى اللّه بصيرتهم، فدعوا على أنفسهم بالعذاب إن كان هذا الذى يدعيه محمد حقا مصداق قوله تعالى: وَ إِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ سورة الأنفال آية ۳۲.

أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قتل النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» يوم بدر صبرا عقبة بن أبى معيط، و طعيمة بن عدى، و النضر بن الحارث- و كان المقداد أسر النضر- فلما أمر بقتله،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۹۵

قال المقداد: يا رسول اللّه، أسيرى! فقال رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «إنه كان يقول فى كتاب اللّه ما يقول» قال: و فيه نزلت هذه الآية: وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا الآية.

و أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى: وَ إِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ الآية. قال: نزلت فى النضر بن الحارث.

و روى الواحدى: «قال أهل التفسير: نزلت فى النضر بن الحارث.

و هو الذى قال: إن كان ما يقوله محمد حقا، فأمطر علينا حجارة من السماء».

و روى البخارى و مسلم عن أنس بن مالك قال: «قال أبو جهل:

اللهم، إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. فنزل: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ سورة الأنفال آية ۳۳. فهذه أحوالهم، و هذه مكابراتهم، و هذه عنجهيّتهم؛ و هذا هو ضلالهم، و هذا هو جهلهم. و لو كانوا أصحاب عقول نيرة لما دعوا على أنفسهم بالعذاب الأليم أو إسقاط الحجارة عليهم من السّماء، و لدعوا لأنفسهم بالعذاب الأليم أو إسقاط الحجارة عليهم من السّماء، و لدعوا لأنفسهم بالهداية، و الرحمة عند ما تفوهوا بقولهم: اللّهم إن كان هذا هو الحق من عندك. و بعد هذا كله يدّعون، و يزعمون أن عارضا ألمّ بهم، و صرفهم عن معارضة القرآن.

صرف اللّه قلوبهم عما يزعمون، و عما يدّعون. فسقطت شبهتهم كما سقطت عقولهم فى غياب الكفر، و الضلال.

ثالثا: و أمّا بالنسبة للأمر الثالث: و هو حجة وجود مانع إلهى منع العرب من معارضته. أى صرفهم عن معارضته، و هم قادرون على ذلك، و هذا هو القول بالصّرفة. و لو لا الصرفة الإلهية لاستطاع العرب أن يأتوا بمثل القرآن. فسبحان اللّه!! أ لم يحاولوا مرات أن يعارضوه، فامتنع عليهم؟!! ثم و الواقع البيانى يكذب ذلك. فالقول بالصّرفة، أو الادعاء بالصّرفة- و هم يعلمون- يحمل فى ثناياه المحاولة بالمعارضة. و إلّا كيف يستبيح الادعاء بالصّرفة، و الصرفة لا تأتى إلّا بعد المحاولة. فهم لم

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۹۶

يحسوا بزوال القدرة على المعارضة إلّا بعد أن حاولوا و جربوا. و لذا لم تكن هناك صرفة قبلية، و لكن الصرفة بعدية، طمس اللّه على قلوبهم، و أخرس ألسنتهم بعد أن عاندوا، و ادعوا، و حاولوا فلم يستطيعوا. و بعد أن فشلوا، ادعوا أن اللّه صرفهم عن معارضة القرآن مسبقا، و قبل أن يحاولوا، و قبل أن يجربوا. و فى هذا تستبين شواهد الكذب على القول بالصّرفة المسبقة، و فى هذا تستبين شواهد الصدق على القول بالصرفة البعدية. و فى هذا تستبين شواهد الصحة على العجز بعد المحاولة. و يا ليتهم ادعوا الصرفة البعدية، و بأنهم بعد أن حاولوا، و جربوا، فشلوا.

و من ثمّ فالقول بالصّرفة يوقعهم فى شر أعمالهم، و يوقعهم فى أحط تناقضاتهم، و أقصى افتراءاتهم. فكيف يدّعون أن اللّه صرفهم عن المعارضة، أو أن العناية الإلهية سلبتهم قدرتهم على المعارضة، و فى الوقت نفسه تتحداهم الإرادة الإلهية أن يعارضوا القرآن؟!! فإذا كانت الإرادة الإلهية وقفت منهم موقف التحدى، و وضعتهم فى موضع الابتلاء و الامتحان فى المعارضة للقرآن، ثم تأتى هذه الإرادة، و تسلبهم أسباب التحدى، و تعريهم من عوامل الابتلاء، و الامتحان، و تفقدهم قدرتهم على المحاولة، و تصرفهم عن تجربة الابتلاء، و تحرمهم من دخول الامتحان؛ أو ليس هذا يوقعهم فى أشد مغالطاتهم، و أقبح تناقضاتهم؟ أو ليس فى هذا- لو صدقوا- تفريغا لمعانى التحدى، من كل معنى، أو اعتبار، أو قيمة، أو فائدة؟!! و ما قيمة الامتحان، و ما قيمة الابتلاء دون المحاولة للتقدم لهذا الامتحان، أو تجاوز هذا الابتلاء؟! و هل يبقى للتحدى أية قيمة، و هل يظل للمعارضة أية فائدة إذا منع المرء المتحدّى من التحدى، أو الأخذ بأسباب المعارضة؟! تاللّه إن هذا لهو التناقض بعينه، و إن هذا لهو التبجح ذاته، و إن هذا لهو العجز بشواهده و دلائله، و إن هذا هو العبث بأتم معانيه!! فالتحدى الإلهى قائم، و سيظل قائما، و إلى قيام الساعة، و ليس لقريش فقط، و ليس للعرب فقط، و فى عصر من العصور، و إنّما إلى قيام الساعة، و للبشرية جمعاء. فليس هناك صارف، و ليس هناك مانع يمنع من المحاولة للتحدى، و إلّا كان هذا عبثا. و التحدى قائم،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۹۷

و أسباب التحدى قائمة و إلّا كان التحدى عبثا، و الإرادة الإلهية منزهة عن العبث، سبحانك هذا بهتان عظيم. سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

و ما يحير العقول أنهم يقولون بالصّرفة، و هم يعترفون بعجزهم عن معارضة القرآن. و هل يأتى العجز أو الاعتراف به قبل المحاولة؟! إلّا أن العجز جاء بعد أن حاولوا، و جرّبوا؛ فكان القرآن مثار إعجابهم، و سرّ دهشتهم، و شهادة اعترافهم، و على ألسنتهم، و لسان أحد صناديدهم الوليد بن المغيرة حيث يشهد- و الفضل ما شهدت به الأعداء-: ما هذا بقول بشر. و لكن- و الكفر عناد- فبدلا من أن يحكّموا عقولهم، و يؤمنوا، قالوا: إن هذا إلّا سحر يؤثر إن هذا إلّا قول البشر. و عند ما حاولوا معارضته و فشلوا- و هم بشر- ناقضوا أنفسهم، فقالوا: صرفنا اللّه عن ذلك- صرف اللّه قلوبهم، و أخرس ألسنتهم.

روى الحاكم، و الواحدى عن ابن عباس: «أنّ الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، فقرأ عليه القرآن- و كأنّه رق له- فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه؛ فإنّك أتيت محمدا تتعرض لما قاله. فقال: قد علمت قريش أنّى من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنّك منكر له و كاره. فقال: و ما ذا أقول؟! فو اللّه، ما فيكم رجل أعلم بالأشعار منى، و لا أعلم برجزها، و بقصيدتها منى، و اللّه، ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا. و اللّه، إنّ لقوله الذى يقول حلاوة، و إنّ عليه لطلاوة؛ و إنّه لمثمر أعلاه، معذق أسفله؛ و إنّه ليعلو، و ما يعلى.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعنى حتى أفكر فيه، فقال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت: ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (۱۱) وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً (۱۲) وَ بَنِينَ شُهُوداً (۱۳) وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (۱۴) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (۱۵) كَلَّا إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً (۱۶) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (۱۷) إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ (۱۸) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (۱۹) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (۲۰) ثُمَّ نَظَرَ (۲۱) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (۲۲) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ (۲۳) فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (۲۴) إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سورة المدّثر الآيات ۱۱- ۲۵.

و هكذا حال صناديد قريش، و هكذا حال فصحائهم، و بلغائهم، و خطبائهم، و شعرائهم. و هكذا حال قس بن ساعدة، و أميّة بن أبى الصلت،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۹۸

و غيرهم كثير خروا لبلاغة القرآن سجدا، و ركعوا لفصاحة القرآن ركعا.

و هم أخطب النّاس، و أشعرهم، و أكثرهم فصاحة، و بيانا، أحسوا بيان القرآن أكثر من غيرهم، و أعجبوا ببلاغته أكثر من عوامهم، و قد وجدوا فيه قوة بيانية لا- تجابه، و تيارا بلاغيا لا يقاوم؛ فبسطوا ألسنتهم فأخرسها، و فتحوا أفواههم، فأغلقها، و حاولوا معارضته

فأفحمهم، و أعجزهم. و لما لم يجدوا سبيلا آخر، و سدت عليهم منافذ التحدى فى المعارضة، قالوا بالصَرفة، قالوا: إنّ اللّه صرفهم عن المعارضة، فأصبحوا غير قادرين، و لو لا الصرفة لكانوا قادرين. ألا بئس الذَنب الكفر بعد الإيمان. ألا بئس الذنب الكفر بعد الإفحام. ألا بئس صارف صرفهم عن إيمانهم، فعطل عقولهم، و أعمى أبصارهم، و ضرب على آذانهم، و طمس على قلوبهم.

الشبهة الثانية:

اشارة

إنّ تحدى القرآن للعرب أن يأتوا بمثله لا يدل على أنّه معجز، أو أنّه كلام اللّه. و دليل ذلك: أنّ الصنعة البيانية ليست فى النّاس بدرجة واحدة. و أنّ لكل قائل أو كاتب أو متأدب أسلوبا خاصا به ينبع استعداده الأدبى، و ما تهديه إليه فطرته الأدبية، و مواهبه البيانية. و بذلك لا يستطيع أن يأتى اثنان بأسلوب واحد، و بخصائص متشابهة، و صفاته، و شواهده و نكاته البلاغية واحدة. و لذلك فكل أسلوب يعتبر معجزا بالنسبة للآخر، أو الأساليب الأخرى. و لذلك فالإعجاز الأسلوبى أمر مشاع فى كلام البشر. و هو إعجاز نسبى، و ليس مطلقا، و كذلك فإنّ هذا الإعجاز لم يضف على الأساليب البشرية شيئا من القدسية، و لم يجعلها قرآنا. و ما القرآن إلّا كلام عبر عنه أساليب بلاغية، و بيانية بشرية. و ما القرآن إلّا كلام بشر، و هو محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم». و يتساءل أصحاب هذه الشبهة: إذا كان اختلاف الأساليب البشرية أمرا يعترف به الجميع، و أنّه يستحيل أن يأتى أديب بأسلوب، أو يكتب كاتب بمنهج يشبه تماما أساليب غيره، فكيف يتحدى القرآن الناس أن يأتوا بمثله، أو بمثل أسلوبه؛ و صاحبه يعلم أن

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۱۹۹

هؤلاء الناس يعجزون أن يأتوا بمثل أساليب بعضهم البعض؟!! و عند ما يعجزون عن الإتيان بمثل القرآن يسميه إعجازا، أو إفحاما؟!! و يتساءلون أيضا: إذا كان اختلاف الأساليب البشرية فى نكاتها البلاغية، و فصاحتها التعبيرية، و ألفاظها البيانية، لا يدل أبدا على قدسيتها، و لا يوصلها إلى المقامات الإعجازية، أو أنّها من صنع إلهى أو أنّها أساليب إلهية؟ فلما ذا إذن- و التساؤل لهم- تعتبرون أسلوب القرآن إلهيا؟! و هو من جملة الأساليب البشرية الأخرى، و يشترك معها فى خصائصها، و سماتها البيانية و البلاغية، و التعبيرية؟!. و كذلك و كما أن عجز المرء عن أن يأتى بأسلوب يشبه أسلوب غيره لا يعتبر دليلا على قدسية هذا الأسلوب الأخير. فكذلك فإنّ عجز النّاس عن أن يأتوا بمثل أساليب القرآن يجب ألّا يعتبر هذا العجز دليلا على قدسية القرآن، و بأساليبه!!! و أصحاب هذه الشبهة يريدون أن يصلوا إلى أمرين: الأوّل: أن القرآن ليس من عند اللّه، و إنّما هو من صنع محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و هو إنسان بشرى- الثانى- أن كلام القرآن ليس معجزا، و أنّ تحديه للناس أن يأتوا بمثله ليس بدليل على إعجازه، و لو فشلوا.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إنّ منطلق هذه الشبهة أساسه خاطئ. و ما بنى على خطأ فهو خطأ، و يقود إلى الخطأ. فهم- أى أصحاب هذه الشبهة- ينطلقون من أمر خاطئ يسلمون به، و هو أمر غير مسلّم به، و هو أن القرآن ليس إلهيا، و أنّه من تأليف بشر هو محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و دون أن يثبتوا ذلك، و دون أن يقدموا و لو دليلا واحدا على صدق دعواهم و الخطأ الثانى الذى ارتكبوه فى تأييد شبهتهم أنّهم أجروا مقارنة بين القرآن الإلهى، و بين الكلام البشرى عند كلامهم عن أساليب التعبير، و البلاغة، و البيان.

فكانت مقارناتهم، و كانت مزاعمهم واهية لم تسعفهم البتة فى تأييد شبهتهم، و تأكيد صحتها. فقد انطلقوا من فرضيات خاطئة لا يوافقهم عليها أحد ثمّ أجروا مناقشاتهم بناء عليها.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۰۰

ثانيا: إن تفنيد هذه الشبهة يكمن فى أن القرآن الكريم تحدّاهم فى مادتهم الكلامية، و فى صنعتهم البيانية، فلم يفلحوا. فالقرآن لم يتحداهم فى لغة غير لغتهم، أو فى بيان غير بيانهم، أو فى كلام غير كلامهم، أو مفردات غير مفردات لغتهم، بل ذهب أبعد من ذلك؛ فالقرآن فى إعجازه، و ليثبت تحدّيه لم يكلفهم أن يأتوا حتى بنفس صورته الكلامية، أو بنفس أسلوبه المتبع، أو منهاجه المعين. و إنّما تحداهم أن يأتوا بكلام شبيه إلى حد ما بكلام القرآن، أو أسلوب يقترب فى خصائصه، و سماته، أو منهاج يقارب القرآن فى بيانه حتى و لو كان على غير صورة القرآن البيانية. المهم بالنسبة لتحدى القرآن ألّا يأتوا بكلام يطيش فى الميزان إذا قيس هو، و القرآن بمقياس واحد من البيان كما يقول شيخنا الزرقانى. و المهم فى تحدى القرآن لهم، و كما يقول شيخنا دكتور دراز: «آنئا حين نتحدى النّاس بالقرآن لا نطالبهم أن يجيئونا بنفس صورته الكلامية. كلا. ذلك ما لا نطمع فيه، و لا ندعو المعارضين إليه. و إنّما نطلب كلاما أيّا كان نمطه، و منهاجه، على النحو الذى يحسنه المتكلم أيّا كانت فطرته، و مزاجه، و بحيث إذا قيس مع القرآن بمقياس الفضيلة البيانية، حاذاه، أو قاربه فى ذلك المقياس، و إن كان على غير صورته الخاصة. فالأمر الذى ندعوهم إلى التماثل أو المقاربة فيه هو هذا القدر الذى فيه يتنافس البلغاء، و فيه يتماثلون، أو يتقاربون. و ذلك غير المعارض، و الصور المعينة التى لا بدّ من الاختلاف فيها بين متكلم، و متكلم»(۱).

و كما يمثل على ذلك علماؤنا، فإنّ الحالة هذه: كقوم استبقوا إلى غاية محدودة أو هدف واحد، و كل واحد سار فى طريق رسم له وحده، و لا يتعداه إلى طريق غيره من المتسابقين، و يسير موازيا لخصومه فى الممشى، و الاتجاه. ثم يتفاوتون فى السباق، و السرعة؛ فنجد السابق

---

(۱) الدكتور محمد عبد الله دراز- النبأ العظيم- ص ۹۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۰۱

المبرز، و تجد المساوى المتكافئ، و تجد اللاحق المتخلف؛ دون أن يكون اختلاف طرقهم فادحا فيما يكون بينهم من هذا التفاضل، أو التكامل، أو التماثل. و هكذا تراهم، و هم مختلفون فى المنازل، يقع بينهم التماثل كما يقع بينهم التفاضل. و يعرف هذا بنسبة ما قطعه كل منهم من طريقه إلى ذلك الهدف المشترك. و كذلك المتنافسون فى حلبة البيان، يختار كل واحد منهم طريقته الخاصة به، و التى يرضاها لنفسه، و يستريح لها، و تتناسب مع استعداده الفطرى، و الأدبى للوصول إلى غايته المنشودة فى عالم البيان. ثمّ يقع بينهم التفاوت، و التفاضل، و التعادل؛ و ذلك بمقدار مواهبهم البيانية، و قدراتهم البلاغية، و بمقدار وفائهم لخصائص البيان، أو نقصهم منها. فالمدعوون إلى معارضة القرآن:

فمنهم الأكفاء، و الأنداد فى عالم البيان للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»؛ و منهم الأكفاء منه، و يسبقونه بيانا، و فصاحة، و منهم الأدنى منه.

فالمدعوون الأنداد للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» سيأتون بشىء أو بمثل ما جاء به.

و المدعوون الأكفاء منه سيأتون بأعلى مما جاء به، و الأدنى منه، فلن يشق عليهم، و لن يكبر عليهم أن يأتوا بقريب مما جاء به أو بشىء من مثله؛ و مع احتفاظ كل منهم بنمطه فى الكلام، و نمطه فى البيان، و أسلوبه فى المخاطبة. و لكن شيئا من هذه المراتب الثلاث لم يتم، و لم يحصل، و لم يتحقق، و إلّا لبطل التحدى، و لفشل الإعجاز. فالعرب بشعرائهم و فصحائهم، و أدبائهم، و من مختلف المستويات البيانية، بشعرائهم و فصحائهم، و أدبائهم، و من مختلف المستويات البيانية، و البلاغية، و اللغوية، و النحوية، لم يستطيعوا أبدا أن يأتوا بأعلى منه، أو بمثله، أو بما يقاربه. لا بالنسبة إليه كله، و كان كله النازل منه عند ما تحدّاهم فقط ثمان و أربعين سورة. فتحداهم أن يأتوا بمثله، ففشلوا- مصداق قوله تعالى: فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ سورة الطور آية ۳۴.

و لم يستطيعوا بالنسبة لعشر سور من مثله. مصداق قوله تعالى:

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۰۲

دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ سورة هود آية ۱۳. و لم يستطيعوا حتى بالنسبة لسورة واحدة من مثله. مصداق قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ سورة يونس آية ۳۸.

و بذلك عبر القرآن عن إعجازه فى تحديه لهم بعدم القدرة فى التحدى حتى لو كان من فى الأرض جميعا من الإنس، و الجن ظهيرا لبعضهم البعض فى ميدان التحدى، فقال تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً سورة الإسراء آية ۸۸. قال الإمام فخر الدين الرازى: «وجه الإعجاز: الفصاحة، و غرابة الأسلوب، و السلامة من العيوب». و لنا أن نتساءل: هل استطاع أى منهم- و هم أهل الميدان البيانى، و فوارس الميدان البلاغى- أن يأتى بكلام، و على نمط، و أسلوب، و منهج اكتملت فيه علامات البيان، و تحققت فيه شواهد الإعجاز؟!! كلا ثمّ كلا. فقد فشلوا، و قد خسروا فى ميدان الرهان، و بقى القرآن، و سيظل هو الفائز الرابح، و إلى الأبد بإذن اللّه فى ميدان التحدى، و الإعجاز. اللهم فاشهد.

و لنا أن نؤكد أن وجه الإعجاز فى القرآن راجع إلى التأليف الخاص به لا إلى التأليف المطلق. فلو نزعت لفظة منه لم يستطع لسان العرب أن يأتى أو يوجد غيرها، و فى محلها. فقامت الحجة بفصاحته، و بلاغته على العرب قاطعة. و كما يقول القاضى أبو بكر الباقلانى: «وجه إعجازه ما فيه من النظم، و التأليف، و التوصيف، و أنّه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد فى كلام العرب، و مباين لأساليب خطاباتهم. و لهذا لم يمكنهم معارضته، و لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من أصناف البديع التى أودعها فى الشعر؛ لأنّه ليس مما يخرق العادة. و نظم القرآن ليس له مثال يحتذى، و لا إمام يقتدى به، و لا يصح وقوع مثله اتفاقا»(۱).

---

(۱) السيوطى، الإتقان. ج ۲. ص: ۱۱۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۰۳

الشبهة الثالثة:

اشارة

إنّ عجز النّاس عن الإتيان بمثل القرآن لا يدل على أنّه معجز.

و دليل ذلك: أنّهم عجزوا عن الإتيان بمثل الكلام النبوى. و مع ذلك فعجزهم هذا لا يدل على إعجاز الكلام النبوى أو قدسيته- و كذلك القرآن، فإنّ العجز عن الإتيان بمثله لا يثبت إعجازه، أو أنّه كلام اللّه، كما لا يثبت قدسيته. فالعرب فى قصورهم البيانى، و البلاغى عن البلاغة المحمدية كان سببا فى عجزهم عن الإتيان بمثل الكلام النبوى. و هو كذلك السبب نفسه الذى أعجزهم عن معارضة القرآن. و بهذا فإن هذا العجز لا يدل على، و لا يثبت قدسية الأسلوب القرآنى كما لا يدل على، و لا يثبت قدسية الأسلوب النبوى.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إنّ الحديث النبوى غير معجز، و غير متحدى به كالقرآن.

و ما التفاوت، و الفضيلة البيانية، و القدرة البلاغية بين الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و بين خاصة العرب من أهل البلاغة، و البيان؛ و ما التفاوت هذا إلّا فى حدود القدرة البشرية، و ليس بالأمر الشاذ الخارق للعادة. و الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و هو أفصح العرب، و له المقام الأوّل فى الصنعة البيانية، و القدرة البلاغية، إلّا أنّه بالنسبة لغيره من فصحاء العرب كالتفاوت بين البليغ، و الأبلغ، و بين الحسن، و الأحسن. و بذلك فكلامه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بسماته البيانية، و خصائصه البلاغية قريب جدا إلى نظيره، و هو كلام فصحاء العرب، و من ثمّ لا يستحيل على هؤلاء الفصحاء أن يأتوا و لو بقدر يسير من كلام الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»؛ و إن أعجزهم ذلك، فإنّه لا يستحيل عليهم إن يأتوا بحديث أو كلام قريب منه، و لو كان يسيرا. فالكلام النبوى لا يعجزهم؛ بل لم يعجزهم أن يأتوا بالقليل اليسير الذى يشبهه، أو القريب منه. و كذلك فإنّ سمة التحدى، و الإعجاز فى الميدان البيانى تسمح لكل من الكلام النبوى، و كلام نظرائه من البلغاء العرب أن يتنافسا فى هذا الميدان. و لو أنّ ذلك يتم تحت معيار

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۰۴

التفوق للكلام النبوى، و لكن ليس تحت معيار العجز المطلق بالاقتراب منه، أو العجز المطلق فى مماثله. فكل متنافس يدلى بدلوه، و يتقدم بصنعته، و يبارى بأسلوبه؛ فإن عجز، فلا يمنع أن يتفوق بحليفه أو قرينه؛ فإن عجز، فجماعته، و جماعة البلغاء، و الفصحاء من العرب لا تعجزهم حتما شواهد البلاغة، و مؤشرات الفصاحة النبوية. فهم و إن عجزوا عن الإتيان بمثل الكلام النبوى، فلا يعجزون حقا عن أن يأتوا بشىء، و لو قليل قريب منه أو يشابهه- و أين هذا من القرآن الكريم- فإعجازه فى التحدى لا يتناول الفرد أو الفردين، و الجماعة أو الجماعتين، و إنّما يتناول غاية البشر، و الجن، و إلى قيام الساعة. فهو دائما معجز لهم حتى و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا. و صدق ربنا، و هو يقول فى هذا المقام: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً سورة الإسراء آية ۸۸

و لشيخنا الزّرقانى كلام مفيد فى هذا المقام: فهو يقول: و إنّما قلنا إنّ الحديث النبوى لا يعجز بعض الخواص الممتازين أن يأتى بمثله؛ لأنّ التفاوت بين الرسول، و بلغاء العرب مما يتفق مثله فى مجارى العادة بين بعض النّاس، و بعض فى حدود الطاقة البشرية: كالتفاوت بين البليغ و الأبلغ؛ و الفصيح، و الأفصح؛ و الحسن، و الأحسن. و ليس هذا التفاوت بالأمر الشاذ الخارق للنواميس العادية جملة؛ بحيث تنقطع الصلة بين الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و سائر البلغاء جميعا؛ لاختصاصه من بينهم بفطرة شاذة لا تمت إلى سائر الفطر بنسب إلّا كما ينسب النقيض إلى النقيض، و الضد إلى الضد. كلا بل إن هذا القول باطل من وجهين:

أحدهما: إنّه يخالف المعقول، و المشاهد لما هو معروف من أن الطبيعة الإنسانية العامة واحدة؛ و من أن الطبائع الشخصية يقع بينها التشابه، و التماثل فى شىء، أو أشياء فى واحد، أو أكثر فى زمن قريب، أو أزمنة متطاولة، فى كل فنون الكلام، أو فى بعض فنونه.

و الآخر: أنّه يخالف المنقول فى الكتاب، و السنة، من أنّ البشرية

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۰۵

قدر مشترك بين الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و جميع آحاد الأمة. و لا ريب أن لهذه البشرية المشتركة وجه شبه يؤدى لا محالة إلى المماثلة بين كلامه، و كلام من تجمعه بهم رابطة، أو روابط خاصة على نحو ما قررنا. أ ليس اللّه يقول: قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا. و يقول: قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَ ثم أ ليس

الرسول يقول فى الحديث الشريف: «إنّما أنا بشر، و إنّكم تختصمون إلى» إلخ.

و

يقول لرجل رآه، فامتلأ منه فرقا و رعبا. «هوّن عليك، فإنّى لست بملك؛ و إنّما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد».

و أيضا فإنّ لشيخنا محمد عبد اللّه دراز كلاما مفيدا فى هذا المقام، فهو يقول: «و أما إن قيل: إن التفاوت بينه «عليه السلام»، و بين سائر البلغاء كان إلى حد انقطاع صلتهم به جملة؛ لاختصاصه من بين العرب، و من بين النّاس بفطرة شاذة لا تنتسب إلى سائر الفطر فى قليل، و لا كثير إلّا كما تنتسب القدرة إلى العجز، أو الإمكان إلى الاستحالة، فلا شك أن القول بذلك هو آخر القول بأنّ من الإنسان ما ليس بإنسان، أو هو التسليم بأنّ ما يجىء به هذا الإنسان لا يكون من عمل الإنسان. ذلك أن الطبيعة الإنسانية العامة واحدة. و الطبائع الشخصية تقع فيها الأشياء، و الأمثال فى الشىء بعد الشىء، و فى الواحد بعد الواحد؛ إن لم يكن ذلك فى كل عصر، ففى عصور متطاولة؛ و إن لم يكن فى كل فنون الكلام، ففى بعض فنونه. و كم رأينا من أناس كثيرة تتشابه قلوبهم، و عقولهم، و ألسنتهم؛ فتتوافق خواطرهم، و عباراتهم حينا، و تتقارب أحيانا؛ حتى لقد يخيل إليك أن الروح السارى فى القولين روح واحد، و أنّ النفس هاهنا هو النفس هناك. و كذلك رأينا فى الأدباء المتأخرين من يكتب بأسلوب ابن المقفع، و عبد الحميد- الكاتب، و من يكتب بأسلوب الهمذانى، و الخوارزمى، و هلم جرا. فلو كان أسلوب القرآن من عمل صاحبه الإنسان، لكان خليقا أن يجىء بشىء من مثله من كأن أشبه بهذا الإنسان مزاجا، و أقرب إليه هديا، و سمتا، و ألصق به رحما، و أكثر عنه أخذا، و تعلما. أو لكان جديرا بأصحابه الذين نزل القرآن بين أظهرهم، فقرءوه، و استظهروه، و تذوقوا معناه،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۰۶

و تمثلوه، و ترسموا خطواته، و اغترفوا من مناهله أن يدنوا أسلوبهم شيئا من أسلوبه على ما تقضى به غريزة التأسى، و شيمة نقل الطباع من الطباع، و لكن شيئا من ذلك كله لم يكن» «۱».

ثانيا: إنّ من الخطأ الفادح تشبيه القرآن الإلهى بالكلام النبوى تبعا لمعيار أو بناء على معيار ليس بدقيق، و ليس بمانع؛ و حتى لم تثبت صحته، و نقضت سلامته. و هو معيار العجز النسبى عن الإتيان بمثل الكلام النبوى. و الثابت المتواتر أنّ العجز بالنسبة للقرآن الكريم عجز مطلق، فإعجازه مطلق سواء بالنسبة للبشر جميعا، أو الجن جميعا، و فى مختلف الأزمنة، و الأمكنة و إلى قيام الساعة. و الثابت المتواتر أيضا أنّ العجز بالنّسبة للكلام النبوى عجز نسبى. فإعجازه نسبى، و غير مطلق؛ و لو بالنسبة للقليل اليسير المماثل له، أو القريب منه. و لذلك و إيضاحا لما نقول نوصل أمرين اثنين:

الأوّل: إنّ الحديث النبوى الشريف يقترب كثيرا، و يشابه كثيرا، و لو إلى حد ما، كلام كثير من الصحابة، و التابعين. و يصل بنا هذا التماثل و هذا التشابه إلى درجة أنّه يلتبس حتى على الكثير من المحدثين، أو أصحاب الاختصاص فى علم الحديث، أو أصحاب الاختصاص فى التفسير؛ و هل هو حديث مرفوع ينتهى إلى الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»!! أم أنّه موقوف عند الصحابى!؛ أم أنّه مقطوع عند التابعى!! إلى أن يرشدنا السند إلى قائله؟

و قد استبان هذا التشابه بين كلام الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» و كلام الصحابة و التابعين المقربين جدا إليه، كالإمام على- رضى اللّه عنه- و إلى درجة جعلت نفسه فى الكلام من أشبه الأنفاس بكلام رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» إن لم يكن أشبهها. و لنا أن نتساءل: فأين القرآن من الحديث النبوى فى التماثل و التشابه؟! و أين القرآن الكريم من أحاديث الصحابة، و التابعين فى هذا المقام؟! فكيف يقارن القرآن الإلهى بالكلام البشرى؛ و بحجة معيار لم

---

(۱) د. محمد عبد اللّه دراز- النبأ العظيم- ص ۹۷.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۰۷

تثبت صحته المطلقة فى ميدان المقارنة؟!! و هو عدم القدرة على الإتيان بمثل الكلام النبوى، أو إعجازه النسبى.

الثانى: إنّ عدم قدسية الكلام النبوى لا يجوز أن يحتج بها، و لا تصلح أن تكون دليلا على أن القرآن غير قدسى. فالثابت، و بالدليل القاطع أنّ إعجاز القرآن المطلق ليس كإعجاز الكلام النبوى النسبى. فلو كان القرآن فى أسلوبه، و خصائصه البيانية، و البلاغية من عمل صاحبه، أى من تأليف صاحب الكلام النبوى لتماثلا من حيث الإعجاز، و كان هذا الاعجاز مطلقا لكليهما. و هذا ما لم يحدث، و لم يثبت. فالقرآن يختلف تماما فى أسلوبه و بيانه و نسقه عن الحديث النبوى. و الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كثيرا ما كان يشير فى أحاديثه إلى مثل هذه الفروق بين حديثه، و بين القرآن، و يدعو أصحابه أن يهتموا بالقرآن حفظا، و تلاوة، و كتابة، و كما

ورد فى بعض الأحاديث النبوية: «لا تكتبوا عنى، و من كتب عنى غير القرآن فليمحه».

و غنى عن البيان القول: إن الفارق بين أسلوبى القرآن، و الحديث النبوى من الثبوت، و الوضوح و إلى درجة أنّه لا يستطيع أن يمارى بها أى ممار، أو أى مجادل. و كما يقول شيخنا محمد دراز عبد الله: «لو كان الأسلوب القرآنى صورة لتلك الفطرة المحمدية، لوجب أن تنطبع هذه الصورة على سائر الكلام المحمدى؛ لأنّ الفطرة الواحدة لا تكون فطرتين، و النفس الواحد لا يكون نفسين، و نحن نرى الأسلوب القرآنى فنراه ضربا وحده؛ و نرى الأسلوب النبوى، فنراه ضربا وحده لا يجرى مع القرآن فى ميدان إلّا كما تجرى محلقات الطير فى جو السماء لا تستطيع إليها صعودا. ثمّ نرى أساليب النّاس، فنراها على اختلافها ضربا واحدا لا تعلو عن سطح الأرض. فمنها ما يحبو حبوا، و منها ما يشتد عدوا» و يتابع قوله: «أمّا الأسلوب القرآنى، فإنّه يحمل طابعا لا يلتبس معه بغيره، و لا يجعل طامعا يطمع أن يحوم حول حماه، بل يدع الأعناق تشرئب إليه ثمّ يردها ناكسة الأذقان على الصدور» «۱».

---

(۱) د. محمد عبد الله دراز- النبأ العظيم. ص ۹۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۰۸

و كذلك لو كان القرآن الكريم فى أسلوبه، و بيانه من عمل الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، لما استحال على المقربين منه، أو الأقربين منه فصاحة، و بلاغة، و بيانا، و لما استحال على أصحابه الذين أخذوا منه، و تعلموا أسلوبه، و نقلوا عنه فصاحته، و بيانه، أن يقتربوا بأسلوبهم من أسلوب القرآن الكريم، كما اقتربوا من أسلوب الحديث. و لكن هذا لم يحدث على الإطلاق. و بحيث، و باليقين عند أصحاب اليقين، و بالدليل عند من تنكر للدليل أن القرآن يظل، و سيظل دوما مستقلا بأسلوبه، و منفردا بطابعه البيانى، سامیا بخصائصه البلاغية، و سماته النسقية، و الإعجازية عن أى أسلوب أو كلام أو نسق بشرى أو جنى، و إلى أبد الآبدين، حتى و لو كان كلاما نبويا.

فأسلوب القرآن يسمو بسماته الإلهية لا يشابه، و لا يماثل. و الكلام النبوى يسمو بسماته النبوية، و لكن قد يشابه، و قد يماثل. و الكلام البشرى يسمو، و لا يسمو، و يشابه، و يماثل دوما.

الشبهة الرابعة:

اشارة

إنّ القرآن غير معجز فى أسلوبه. بدليل أنّه لم يخرج عمّا هو معهود عند العرب من أساليب، و تراكيب، و مناهج لغوية. فمن حروفهم ركبت كلماته، و من كلماتهم ألفت جمله، و من تراكيبهم، و مفرداتهم جاءت آياته، و على مناهجهم، و أساليبهم فى التأليف جاء منهاجه. و القرآن فى لغته ضمن أسلوبه مفردات موادها، و أبنيتها هى ذاتها التى انبنت عليها مفردات لغة العرب، و أساليبهم، و مناهجهم. و القرآن فى مادته الكلامية يستقى من نفس مادة العرب الكلامية. و القرآن فى صنعته البيانية لا يخرج عن صنعتهم البيانية. فالقرآن لا يخرج فى مادته الكلامية، و صنعته البيانية، و مفرداته، و تراكيبه، و أساليبه، و مناهجه عمّا هو معهود لدى العرب. فكيف يكون معجزا؟!! و كيف ينسنى، و كيف يصح القول بأنه معجز و فى أسلوبه، و تراكيبه، و مناهجه تلك؟!! فما هذا القول إلّا تحصيل حاصل و من قبيل العبث، و الادعاء فى الكلام ليس إلّا.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۰۹

تفنيد هذه الشبهة:

إننا، و نحن ننتقض هذه الشبهة نحتج بالحجة، و بالشهادة.

أولا: و أما بالنسبة للحجة: فإنّنا نستطيع القول، و بكل ثقة: إنّ حجتهم التى يؤيدون بها شبهتهم هى نفسها التى ننقض بها شبهتهم.

و المثل يقول: من فمه أدينه.

فكون لغة القرآن من نفس مادة العرب الكلامية، و كون مادته الكلامية من نفس مادتهم الكلامية، و كون صنعته البيانية هى نفسها، و لم تخرج عن صنعتهم البيانية، فهذا هو الإعجاز بعينه. و لو لم يكن القرآن كذلك، لما كان معجزا فى لغته، و أسلوبه، و مادته. فالإعجاز بالتحدى لا يكون حقيقيا، و يفقد كل معنى ذى بال، و مفيد إذا لم تكن الأمور و الشواهد التى يتحدى بها من جنس معالم الميدان الذى يعمل فيه المتحدى.

و هكذا القرآن، و هو يتحداهم بمادته الكلامية، و هى مادتهم؛ و هو يتحداهم بصنعته البيانية، و هى صنعتهم، ثمّ يفشلوا، و لا يثبتوا فى هذا الميدان الذى هم فوارسه، و أساتذته؛ ثمّ يلقون أسلحتهم و هى التى تحداهم القرآن بها. فلعمر اللّه، إنّه هو الإعجاز الحقيقى، و الناقد.

و هكذا القرآن، و هو يتحداهم بشىء يملكونه، و يملكون أدواته، و مراده؛ و بصناعة يملكون أدواتها، و يتقنونها، و يبرعون فيها ثمّ يفشلون، و يلقون أسلحتهم. فلعمر اللّه، إن هذا لهو التحدى الذى يملك كل معنى. و لعمر اللّه، إنّه هو الفشل، فشل الصانع، و الصناعة. و هكذا الحال فى كل ميادين الإعجاز أن يكون التحدى بشىء موجود، و مقدور عليه، و إلّا لا يكون هناك تحديا، أو إعجازا حقيقيا، و ذا بال.

و بذلك فالقرآن، و قد أعجزهم بمادته الكلامية التى مادتهم، و صنعته البيانية التى صناعتهم، فقد أثبت إعجازه فى ميدان التحدى الكلامى

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۱۰

و البيانى، و أقام الحجة على إعجاز أسلوبه، و فند بها شبهتهم، و أبطل حجتهم. و ليعلم أصحاب هذه الشبهة أنّه، و عند ما يكون الكتاب ربانيا و الكلام إلهيا، يخرج بالدليل القاطع، و اليقين الثابت عن قدرة ما ليس هو ربانى أو إلهى. و يبقى ذلك الكتاب، و ذلك الكلام سامیا بمنبعه الربانى، كاملا بمصدره الإلهى، معجزا بلغته، و مادته، و مفرداته، و تراكيبه، و أساليبه، و إلى قيام الساعة. و يبقى ذلك الكتاب و ذلك الكلام خارجا عن القدرة البشرية، معجزا لها فى ميادين التحدى البيانى؛ و إن كان فى لغته، و مادته، و صنعته من نفس المادة الكلامية، و الصنعة البيانية للبشرية. و هذه حجة له عليها، و ليس حجة عليه. فالقرآن يبقى مميزا بأسلوبه، و لغته، و مفرداته، و تراكيبه، و مناهجه، و مواده، و خواصه، و عامه، و مطلقه، و مقيده، و منطوقه، و مفهومه، و وجوه مخاطباته، و تقديمه، و تأخيره، و أمثاله، و أقسامه، و جدله، و مجازه، و كناياته و مبهماته، و أسمائه، و ألقابه، و كناه، و علومه. و رحم اللّه الإمام فخر الدين الرازى إذ يشير فى تفسيره لسورة البقرة إلى بعض شواهد إعجاز القرآن فى أسلوبه حيث يقول: و من تأمل فى لطائف نظم هذه السورة، و فى بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، و شرف معانيه؛ فهو معجز أيضا بسبب ترتيبه، و نظم آياته. و لعل الذين قالوا: إنّه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أنّى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار. و ليس الأمر فى هذا الباب إلّا كما قيل:

«و النجم تستصغر الأبصار رؤيتهو الذّنب للطّرف لا للنّجم فى الصّغر» أمّا، و قد فقدوا الحجة، فاللّه تعالى يقول: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ سورة الأنعام آية ۱۴۹.

ثانيا: و أمّا بالنسبة للشهادة: و من فمه أدينه. و كما قيل قديما، و كما يقال حديثا: الإقرار حجة على المقر. و هكذا، و بالنقل المتواتر، و باليقين الثابت، و بالدليل القاطع، و بالإقرار الشاهد، سيظل القرآن معجزا،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۱۱

و سيظل النّاس مؤمنهم، و كافرهم يقرون، و يشهدون على عظمة القرآن فى التحدى، و الإعجاز. و سيظل شاهدا فى إعجازه على البشرية جمعاء، مفحما لها، منتزعا اعترافاتهم، و إقراراتهم، و شهاداتهم، و من جوف أفواههم، و على عظمته، و إعجازه. حتى و لو تجاهلوا ذلك. قال تعالى: كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً سورة الكهف آية ۵.

و هكذا، و دوما فى ميدان إعجاز القرآن البيانى للبشر قاطبة قديما و حديثا؛ دوما كبرت كلمة تخرج من أفواه مسيلمة بن حبيب الكذاب، و طلحة بن خويلد الأسدى، و سجاح، و النضر بن الحارث، و أبو الحسين أحمد بن يحيى المعروف بابن الراوندى، و أبو الطيب المتنبى، و سلمان رشدى، و كاتب ياسين، و يوسف الخال، و أدونيس، و سلامة موسى، و غيرهم كثير. و مع هذا، و مع عناد هؤلاء، و أمثالهم على الكفر، فهم يشهدون و لو بفلتات ألسنتهم على عظمة القرآن فى الإعجاز الأسلوبى و البيانى.

فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن ابن عباس: «أنّ ضمادا قدم مكة- و كان من أزد شنوءة- و كان يرقى من هذه الريح (الجنون، و مس الجن-) فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إنّ محمدا مجنون.

فقال: لو أنّى رأيت الرجل، لعل اللّه يشفيه على يدى. قال: فلقيه.

فقال: يا محمد، إنّى أرقى من هذه الريح، و إنّ اللّه يشفى على يدى من شاء، فهل لك؟ فقال رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «إنّ الحمد للّه، نحمده، و نستعينه، من يهده اللّه، فلا مضل له، و من يضلل فلا هادى له. و أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، و أنّ محمدا عبده، و رسوله، أمّا بعد». قال: فقال: أعد على كلماتك هؤلاء؟ فأعادها عليه رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة، و قول السحرة، و قول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، و لقد بلغت ناعوس البحر- أى قعره-».

قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام. قال: فبايعه. فقال

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۱۲

رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «و على قومك؟» قال: و على قومي. قال: فبعث رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» سرية، فمروا بقومه؛ فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئا؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مظهرة. فقال «ردوها، فإنّ هؤلاء قوم ضماد» «۱».

و يروى ابن هشام في سيرته: «أن النضر بن الحارث، وقف يوما، فألقى خطبة في جمع من قريش، و قال: «يا معشر قريش، إنّه و اللّه، قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد. قد كان محمد فيكم غلاما حدثا، أرضاكم فيكم، و أصدقكم حديثا، و أعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، و جاءكم بما جاء به، قلتم: ساحر. لا و اللّه، ما هو بساحر: لقد رأينا السحرة، و نفثهم، و عقدهم. و قلتم: كاهن. لا و اللّه، ما هو بكاهن؛ قد رأينا الكهنة، و تخالجهم، و سمعنا سجعهم. و قلتم: شاعر. لا و اللّه، ما هو بشاعر؛ قد رأينا الشعر، و رجزه. و قلتم: مجنون. لا و اللّه، ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخليطه، و لا وسوسته. يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنّه و اللّه، لقد نزل بكم أمر عظيم» «۲».

و يروى الترمذي في سننه: أنّ أبا لهب- و هو عم الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»- قال له ذات مرة: «يا محمد، إنّني لا أقول: إنّك كاذب، و لكن الأمر الذي تقوم بتبليغه باطل». و قد أورد المؤرخ «ج. ساروار» في كتابه:

محمد النبي: «أن الشاعر العربي لبيد بن ربيعة الشهير ببلاغته، و منطقه، و فصاحة لسانه، و رصانة شعره. سمع أنّ محمدا يتحدى النّاس بكلامه، فقال بعض الأبيات ردا على ما سمع، و علقها على باب الكعبة- و كان التعليق على باب الكعبة امتيازا لم تدركه إلّا فئة قليلة من كبار شعراء العرب- و حين رأى أحد المسلمين هذا، أخذته العزة، فكتب بعض آيات الكتاب الكريم، و علقها إلى جوار أبيات لبيد. و مر لبيد بباب الكعبة في

---

(۱) مسلم، صحيح مسلم، ج ۲، ص ۵۹۳. حديث رقم ۸۶۸ طبعة محمد فؤاد عبد الباقي.

(۲) ابن هشام- سيرة ابن هشام. ج ۱. ص ۳۱۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۱۳

اليوم التالي- و لم يكن لبيد أسلم بعد- فأذهله الآيات القرآنية حتى أنه صرخ من فوره قائلا: «و اللّه، ما هذا بقول بشر، و أنا من المسلمين» «۱» و يروى ابن قتيبة في كتابه الشعر و الشعراء: «أن هذا الشاعر تأثر ببلاغة القرآن، فهجر الشعر. و قد قال له عمر بن الخطاب «رضي اللّه عنه» يوما: يا أبا عقيل، أنشدني شيئا من شعرك. فقرأ سورة البقرة. و قال: ما كنت لأقول شعرا بعد إذ علمني اللّه سورة البقرة، و آل عمران» «۲».

و قد ذكر الحافظ ابن نعيم في الحلية عن الشاعر لبيد بن ربيعة: «أن عثمان بن مظعون- رضي اللّه عنه- كان في أوّل الإسلام يعيش في جوار الوليد بن المغيرة. فلما رأى ما يحدث لإخوانه من أذى المشركين، عز عليه أن يعذبوا من دونه؛ فرد جوار الوليد، ثمّ مضى إلى الكعبة، فوجد لبيد بن ربيعة في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان. فقال لبيد، و هو ينشدهم: ألا كلّ شيء ما خلا اللّه باطل. فقال عثمان:

صدقت. فقال لبيد: و كلّ نعيم لا محالة زائل. فقال عثمان: كذبت، نعيم أهل الجنة لا يزول. فقال لبيد: يا معشر قريش، و اللّه، ما كان يؤذى جليسكم؛ فمتى حدث فيكم هذا؟! إلى آخر الخبر» «۳». و مفهوم هذا أنّ لبيدا قد بقي على جاهليته، و لم يسلم حتى سنة تسع. و قيل: إنّه لم يقل في إسلامه غير بيت واحد هو: الحمد للّه إذ لم يأتني أجلي حتى كساني من الإسلام سربالا. و قيل هو قوله: ما عاتب المرء الكريم كنفسه و المرء يصلحه الجليس الصالح «۴».

و قد أورد المستشرق «ولاستن» في كتابه «محمد» قصة: محاولة ابن المقفع لمعارضة القرآن، و علق عليها قائلا: «إنّ اعتداد محمد بالإعجاز الأدبي للقرآن لم يكن على غير أساس؛ بل يؤيده حادث وقع

---

(۱) ج. ساروار- محمد النبي- كراتشي. ص ۴۸۸.

(۲) ابن قتيبة- الشعر و الشعراء. ج ۱. ص ۲۷۵.

(۳) أبو نعيم- الحلية- ج ۱- ص ۱۰۳.

(۴) وحيد الدين خان- الإسلام يتحدى. ص ۱۰۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۱۴

بعد قرن من قيام دعوة الإسلام. و الحادث هو أنّ جماعة من الملاحدة و الزنادقة أزعجهم تأثير القرآن الكبير في عامة الناس، فقرروا مواجهة تحدي القرآن، و اتصلوا لإتمام خطتهم بعبد اللّه بن المقفع (۷۲۷ م)- و كان أديبا كبيرا، و كاتبا ذكيا، يعتد بكفاءته- فقبل الدعوة للقيام بهذه المهمة ..... و أخبرهم أنّ هذا العمل سوف يستغرق سنة كاملة، و اشترط عليهم أن يتكفلوا بكل ما يحتاج إليه خلال هذه المدة. و لما مضى على الاتفاق نصف عام، عادوا إليه، و بهم تطلع إلى معرفة ما حققه أدبيهم لمواجهة تحدي رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم». و حين دخلوا غرفة الأديب الفارسي الأصيل، وجدوه جالسا، و القلم في يده، و هو مستغرق في تفكير عميق، و أوراق الكتابة متناثرة أمامه على الأرض. بينما امتلأت غرفته بأوراق كثيرة كتبها ثمّ مزّقها. لقد حاول هذا الكاتب العبقري أن يبذل كل مجهود عساه أن يبلغ هدفه، و هو الرد على تحدي القرآن المجيد. و لكنه أصيب بإخفاق شديد في محاولته هذه حتى اعترف أمام أصحابه، و الخجل، و الضيق يملكان عليه نفسه، أنه على الرغم من مضي ستة أشهر حاول خلالها أن يجيب على التحدي، فإنّه لم يفلح في أن يأتي بآية واحدة من طراز القرآن، و عندئذ تخلى ابن المقفع عن مهمته مغلوبا مستخذيا» «۱».

و قد أورد ابن هشام في سيرته أيضا أن قريشا بعثت عتبة بن ربيعة إلى الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، فقال عتبة: «يا بن أخي، إنّك منا حيث علمت من السلطة في العشيرة، و المكان في النسب؛ و إنّك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم؛ فاسمع مني، أعرض عليك أمورا، تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. فقال له: «قل يا أبا الوليد، اسمع. قال: يا ابن أخي، إن كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا. و إن كنت تريد به شرفا، سوّدناك علينا

---

(۱) ولاستن- محمد. حياته. ص ۱۴۳. و د. وحيد الدين خان. المرجع المشار إليه آنفا ص ۱۰۹. شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۱۵

حتى لا نقطع أمرا دونك. و إن كنت تريد به ملكا، ملكناك علينا. و إن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه؛ فإنّه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه» حتى إذا فرغ عتبة و رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» يستمع منه، قال: «أ قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم- قال: فاستمع مني. فقال:

أفعل ... فقرأ عليه الآيات الأولى من سورة فصلت، فلما وصل إلى قوله تعالى: مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ أمسك عتبة على فيه، و ناشده الرحم أن يكف» «۱».

و إذا كانت هذه أحوال الكفار في شهاداتهم على تفوق القرآن الإعجازي في الأسلوب، و البيان فما زادهم ذلك إلّا نفورا. و سيظل القرآن معجزا في أسلوبه، و نظمه، شهد على ذلك المؤمنون من العلماء.

قال الشيخ ولي الدين الملوي: «و من المعجز المبيّن: أسلوبه، و نظمه الباهر، و الذي ينبغي في كل آية أن يبحث أوّل كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثمّ المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها.

ففي ذلك علم جم. و هكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها، و ما سيقت له» «۲».

و قال شيخنا محمد عبد اللّه دراز في كتابه النبأ العظيم: «أسلوب عجب، و منهج من الحديث فذ مبتكر، كأن ما سواه من أوضاع الكلام منقول. و كأنه بينها على حد قول بعض الأدباء: وضع مرتجل. لا- ترى سابقا جاء بمثاله، و لا لاحقا طمع على غراره. فلو أن آية منه جاءتك في جمهرة من أقوال البلغاء، لدلت على مكانها، و استمازت من بينها كما يتميز اللحن الحساس بين ضروب الألحان، أو الفاكهة الجديدة بين ألوان الطعام» «۳».

---

(۱) ابن هشام- السيرة- ج ۱- ص ۳۱۳- ۳۱۴.

(۲) محمد عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان- ج ۱- ص ۸۰.

(۳) محمد عبد الله دراز- النبأ العظيم- ص ۹۳- ۹۴.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۱۶

و لنا القول؛ بأنّه، و قد فقدوا الحجة، و الشهادة على شبهتهم، فإنّ الحجة البالغة تبقى للّه وحده، و على إعجاز قرآنه في أسلوبه، و بيانه. مصداق قوله تعالى: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ الأنعام آية ۱۴۹.

و حسبك أن تنقل هنا ما ذكره الداعية المسلم محمد عبد الله دراز في كتابه «النبأ العظيم» عن خصائص أسلوب القرآن، و إعجازه اللغوي، فهو يقول «۱»: «إنّ أوّل ما يسترعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله، و جوهره.

۱- فدع القارئ المجوّد يقرأ القرآن، و يرتله حق ترتيله نازلا- بنفسه على هوى القرآن، و ليس نازلا بالقرآن على هوى نفسه. ثمّ انتبذ منه مكانا قصيّا لا- تسمع فيه جرس حروفه، و لكن تسمع حركاتها، و سكناتها، و مدّاتها، و غنّاتها، و اتصالاتها، و سكناتها؛ ثمّ ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية، و قد جرّدت تجريدا، و أرسلت ساذجة في الهواء؛ فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب

لا تجده فى كلام آخر لو جرّد هذا التجريد، و جوّد هذا التجويد.

ستجد اتساقا و ائتلافا يسترعى من سمعك ما تسترعيه الموسيقى و الشعر، على أنّه ليس بأنغام الموسيقى، و لا بأوزان الشعر. و ستجد شيئا آخر لا تجده فى الموسيقى، و لا فى الشعر؛ ذلك أنّك تسمع القصيدة من الشعر، فإذا هى تتحد الأوزان فيها بيتا بيتا، و شطرا شطرا؛ و تسمع القطعة من الموسيقى، فإذا هى تتشابه أهواؤها، و تذهب مذهبا متقاربا.

فلا يلبث سمعك أن يمجها، و طبعك أن يملّها، إذا أعيدت و كررت عليك بتوقيع واحد. بينما أنت من القرآن أبدا فى لحن متنوّع متجدد، تنتقل فيه بين أسباب، و أوتاد و فواصل «۲» على أوضاع مختلفة يأخذ منها

---

(۱) دكتور محمد عبد الله دراز- النبأ العظيم. من ص ۱۰۱- ۱۰۵.

(۲) هل أنت بحاجة إلى معرفة مسميات هذه الألقاب؟ الحرف المتحرك يتلوه حرف

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۱۷

كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء. فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة، و لا سأم. بل لا تفتأ تطلب منه المزيد.

هذا الجمال التوقيعى فى لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب. فكيف يخفى على العرب أنفسهم؟!.

و ترى النّاس قد يتساءلون: لما ذا كانت العرب إذا اختصمت فى القرآن، قارنت بينه، و بين شعر نفيا و إثباتا، و لم تعرض لسائر كلامها من الخطابة، و غيرها؟

و أنت فهل تبينت هاهنا الجواب، و هديت إلى السر الذى فطنت له العرب، و لم يفطن له المستعربون؟!! إنّ أوّل شىء أحسّته تلك الأذن العربية فى نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتى البديع الذى قسّمت فيه الحركة، و السكون تقسيما متوّعا يجدد نشاط السامع لسماعه، و وزعت فى تضاعيفه حروف المدّ، و الغنة توزيعا بالقسط يساعد على ترجيع الصوت به، و تهادى النّفس فيه آنا بعد آن، إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى، فيجد عندها راحته العظمى.

و هذا النحو من التنظيم الصوتى إن كانت العرب قد عمدت إلى شىء منه فى أشعارها، فذهبت فيها إلى حدّ الإسراف فى الاستهواء ثمّ إلى حدّ الإملال فى التكرير. فإنّها ما كانت تعهده قط، و لا كان يتهيأ لها بتلك السهولة فى منثور كلامها سواء منه المرسل، و المسجوع؛ بل كان يقع لها فى أجود نثرها عيوب تغض من سلاسة تركيبه، و لا يمكن معها إجادة ترتيله إلّا بإدخال شىء عليه، أو حذف شىء منه.

ساكن يقال لهما «سبب خفيف». و الحرفان المتحركان يتلوهما ساكن «وتد مجموع». و الحرفان المتحركان لا يتلوهما ساكن «سبب ثقيل». و الحرفان المتحركان يتوسطهما ساكن «وتد مفروق». و ثلاثة أحرف متحركة يعقبها ساكن «فاصلة صغيرة». و أربعة أحرف متحركة يعقبها ساكن «فاصلة كبيرة».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۱۸

لا عجب إذا أن يكون أدنى الألقاب إلى القرآن فى خيال العرب أنّه شعر؛ لأنّها وجدت فى توقيعه هزة لا تجد شيئا منها إلّا فى الشعر. و لا عجب أن ترجع إلى أنفسها، فتقول: ما هو بشعر؛ لأنّه- كما قال الوليد «۱»- ليس على أعاريض الشعر فى رجزه، و لا فى قصيده. ثمّ لا عجب أن تجعل مردّ هذه الحيرة أخيرا إلى أنّه ضرب من التحير؛ لأنّه جمع بين طرفى الإطلاق، و التقييد فى حدّ وسط: فكان له من النثر جلاله و روعته، و من الشعر جماله، و متعته.

۲- فإذا ما اقتربت بأذنك قليلا قليلا، فطرقت سمعك جواهر حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة. فاجأتك منه لذة أخرى فى نظم تلك الحروف، و رصفها، و ترتيب أوضاعها فيما بينها: هذا ينقر و ذاك يصفر، و ثالث يهمس، و رابع يجهر، و آخر يتزلق عليه النّفس. و آخر يحتبس عنده النفس. و هلمّ جرا. الجمال اللغوى ماثلا أمامك فى مجموعة مختلفة مؤتلفة «۲»، لا كركرة، و لا ثرثرة؛ و لا رخاوة، و لا معاظلة. و لا تناكر، و لا تنافر. و هكذا ترى كلاما ليس بالحضرى الفاتر، و لا بالبدوىّ الخشن، بل تراه و قد امتزجت فيه جزالة البادية، و فخامتها برقّة الحاضرة، و سلاستها، و قدر فيه الأمر أن تقديرا لا يبغى بعضهما على بعض. فإذا مزيج منهما كأنّما هو عصارة اللغتين، و سلالتهما؛ أو كأنّما هو نقطة الاتصال بين القبائل، عندها تلتقى أذواقهم، و عليها تأتلف قلوبهم.

من هذه الخصوصية، و التى قبلها تتألف القشرة السطحية للجمال القرآنى. و ليس الشأن فى هذا الغلاف إلّا كشأن الأصداف مما تحويه من اللآلئ النفيسة، فإنّه- جلّت قدرته- قد أجرى سنته فى نظام هذا العالم

---

(۱) تقدمت كلمة الوليد فى ذلك.

(۲) من وقف على صفات الحروف و مخارجها ازداد بهذا المعنى علما. و إن شئت فارجع إلى ما كتبه الأديب الرافعى عن هذه الناحية فى كتابه الموسوم (إعجاز القرآن) فقد أطال نفسه فيها، و أجاد.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۱۹

أن يغشّى جلائل أسراره بأستار لا تخلو من متعة، و جمال؛ ليكون ذلك من عوامل حفظها، و بقائها بتنافس المتنافسين فيها، و حرصهم عليها.

أنظر كيف جعل باعثة الغذاء، و رابطة المحبة قواما لبقاء الإنسان فردا، و جماعة. فكذلك لمّا سبقت كلمته أن يصون علينا نفائس العلوم التى أودعها هذا الكتاب الكريم، قضت حكمته أن يختار لها صوانا يحببها إلى النّاس بعذوبته، و يغريهم عليها بطلاوته، و يكون بمنزلة «الحداء» يستحث النفوس على السير إليها. و يهوّن عليها و عثاء السفر فى طلب كمالها. لا جرم اصطفى لها من هذا اللسان العربى المبين ذلك القالب العذب الجميل. و من أجل ذلك سيبقى صوت القرآن أبدا فى أفواه النّاس و آذانهم ما دامت فيهم حاسة تذوق، و حاسة تسمع؛ و إن لم يكن لأكثرهم قلوب يفقهون بها حقيقة سرّه، و ينفذون بها إلى بعيد غوره إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۱».

هل عرفت أن نظم القرآن الكريم يجمع إلى الجمال عزّة، و غرابة؟

و هل عرفت أن هذا الجمال كان قوة إلهية حفظ بها القرآن من الفقد و الضياع؟

فاعرف الآن أنّ هذه الغرابة كانت قوة أخرى قامت بها حجة القرآن فى التحدى، و الإعجاز؛ و اعتصم بها من أيدى المعارضين، و المبدّلين؛ و أن ذلك الجمال ما كان ليكفى وحده فى كفّ أيديهم عنه؛ بل كان أجدر أن يغريهم به. ذلك أنّ النّاس- كما يقول الباقلانى «۲»:- إذا استحسنوا شيئا اتّبعوه، و تنافسوا فى محاكاته بباعث الجبلّة. و كذلك رأينا أصحاب هذه الصناعة يتبع بعضهم بعضا فيما يستجيدونه من الأساليب، و ربما أدرك اللاحق فيهم شأو السابق أو أربى عليه، كما صنع ابن العميد بأسلوب الجاحظ، و كما يصنع الكتاب، و الخطباء اليوم فى اقتداء بعضهم ببعض. و ما أساليب النّاس على اختلاف طرائقها فى النثر و الشعر إلّا

---

(۱) سورة الحجر، الآية ۹.

(۲) فى كتابه «إعجاز القرآن».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۲۰

مناهل موروده، و مسالك معبّدة، تؤخذ بالتعلم؛ و تراض الألسنة، و الأقلام عليها بالمرانة، كسائر الصناعات.

فما الذى منع النّاس أن يخضعوا أسلوب القرآن لألسنتهم، و أقلامهم و هم شرع فى استحسان طريقته، و أكثرهم الطالبون لإبطال حجته؟! ما ذاك إلّا أنّ فيه منعة طبيعية كفّت، و لا تزال تكفّ أيديهم عنه؛ و لا ريب أن أوّل ما تلاقيك هذه المناعة فيما صوّرناه لك من غريب تأليفه فى بنيته، و ما اتخذه فى رصف حروفه، و كلماته، و جمله، و آياته، من نظام له سمت وحده، و طابع خاص به، خرج فيه عن هيئة كل نظم تعاطاه الناس، أو يتعاطونه. فلا جرم لم يجدوا له مثالا يحاذونه به، و لا سبيلا يسلكونه إلى تذليل منهجه. و آية ذلك أن أحدا لو حاول أن يدخل عليه شيئا من كلام النّاس، من السابقين منهم أو اللاحقين، من الحكماء أو البلغاء، لأفسد بذلك مزاجه، و لجعل نظامه يضطرب فى أذن كل سامع».

الشبهة الخامسة:

اشارة

إنّ القرآن فى أسلوبه من تأليف محمد. فهو غير معجز. بدليل أنّ محمدا كان إنسانا غير عادى، نبيها بين قومه، فذا بين أقرانه، فردا كاملا بين ما جاء به قومه. آنس فى نفسه اقتدارا فى البيان، فجاء بالقرآن، و نسبه إلى ربه، ليغطيه بمسحة قدسية تجعله أكثر قبولا، و أجل احتراما عند قومه.

و يزعم أصحاب هذه الشبهة أنّ محمدا أسعفه فى ذلك هواجس مرضية توحى له الشعور بالعظمة؛ و عوارض نفسانية تجعله يصدق ما ينسبه إلى نفسه، و يدعو غيره لتصديقه.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: لقد ثبت بالدليل القاطع، و الثابت المتواتر أنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۲۱

لم يكن يعاني من عوارض مرضية نفسانية كانت أم بدنية. و ينفى عنه القاصى و الدّانى من المؤرخين للسيرة النبويّة إصابته بمرض الهذيان النفسى أو الهستيرى كما يحلو لبعضهم أن ينسبوه إليه. و المؤرخون يثبتون كماله الصحى فى العقل و الذهن، و الحس، و البدن. و كذلك كماله الصحى فى الخلق، و الفضيلة، و العادة. و لنا أن نتساءل: كيف يتفق ما نسبوه إليه، و مع ما عرف عنه من صفاء فى التفكير، و حسن فى التدبير، و عقلانية سليمة فى التخطيط كرئيس لدولة ناشئة قامت، و أخذت تزلزل الأرض من تحت قياصرة و أكاسرة أعظم الدول فى ذلك الزمن على الإطلاق؟؟! و لنا أن نتساءل: و إذا كان هذا حال الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» من صفات صفاء الفكر، و الذهن، و حسن البصيرة، فلما ذا نسبوا إليه إصابته بتلك الأمراض عند كلامهم عن القرآن، و إعجازه، و تجاهلوا الكلام عنها، بل و نفوها عند كلامهم عن إدارته، و رئاسته؟! أو ليس هذا يوقعهم فى شبهتهم التى أرادوها للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و حيث لا يستطيعون الخلاص منها؟!! إنّ «مايكل هارت» و هو الكافر الناقد يحصى أسماء أعظم مائة رئيس دولة فى التاريخ، و لم يسعه حياده إلّا أن يصنف الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بأنه الأوّل، و أتى باسمه على رأس القائمة. و نتساءل أيضا: هل يستطيع المريض بالهوس النفسانى أو الهستيرى أن يدير شئون نفسه أو بيته؟؟! فكيف يتسنى له إذن أن يدير دولة ناشئة، و يثبت قدرة هائلة فى التخطيط، و البناء، و الإدارة، و الحرب، و قدرة هائلة فى المخاطبة و الإقناع؟!! ثانيا: و احتكاما إلى جميع المعايير العلمية، و التاريخية، و النقلية، فإنّه من الثابت عند الجميع أنّ القرآن يختلف عن الحديث النبوى- و خاصة فيما يتعلق بمعالمه، و خصائصه، و سماته، و شواهده الإعجازية فى البيان، و اللغة، و الأسلوب، و عدم القدرة على التحريف، و غيرها- و لو كان القرآن من تأليف محمد كما يزعمون لما قصّر العرب فى إثبات ذلك أوّلا، و لاستطاعوا أن يأتوا بقرآن أو بشيه له كما استطاعوا ذلك بالنسبة للكلام النبوى، و يظهر لك من أوتى ذوقا بيانيا سليما الفرق

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۲۲

الكبير و البون الشاسع بين أسلوب القرآن، و أسلوب الحديث النبوى.

و القناعة واردة بالنسبة لجمع الأدباء، و البلغاء، فى جميع الدول، و عند جميع الأمم، أن الأسلوب القرآنى خارج عن الطاقة البشرية حتى و لو كانت نبوية؛ و خارق لجميع مستويات الأساليب البيانية، و البلاغية فى حقول المخاطبة، و ميادين التلقين. و بسعفنا فى هذا المقام القول: بأنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كان معروفا فى قومه، و يعلموا قدراته البيانية، و الكلامية، و لم يعرفوه قارئا أو كاتبا أو خطيبا. و كذلك يعلموا أخلاقه، و فضائله، فلم يعرفوه كاذبا، أو منافقا، أو متحذلقا، أو متفلسفا، أو متشدقا، أو متطعا، أو خائنا، أو مدعيا. فرجل هذه صفاته، فكيف تتسع الأذهان لادعاء أنّه كذب على اللّه، و كذب على نفسه، و كذب على أصحابه؛ و جاء بشيء خارق موجود عندهم هو لغتهم أفحمهم به أولا، و نسبه إلى اللّه ثانيا؟!! أ ليس من تناقضهم الادعاء بالنسبة للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: بالصدق، و الكذب، و الأمية، و العبقرية، و البلاهة، و البيان فى وقت واحد؟؟! ألا حاشا أن يكون كذلك؛ و هو الصادق الصدوق. و الظالم من افترى على اللّه و رسوله الكذب، قال تعالى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ سورة الأنعام آية ۹۳.

ثالثا: لو كان القرآن من تأليف محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، لما نسبه إلى غيره حتى و لو كان إلها. أو لادعى الألوهية، لأنّ فى هذا يكون أكثر قدسية له.

و لعلّ شبهتهم تأتى من القول: بأنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كان له ضربان من الكلام.

أما الأوّل: فكان يهتم به، و ينمّقه، و يتفنن فى انتقاء مفرداته، و يأتى به على ترو. و هذا سمّاه قرآنا، و نسبه إلى اللّه تعالى. أمّا الثانى فلم يكن يهذبه، أو ينمقه، و لم يكن يعتنى بمفرداته، و أساليبه؛ و إنّما كان يرسله إرسالا، و دون ترو، و سمّاه حديثا. و لكى يرد كيدهم إلى

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۲۳

نحورهم، و يفتضح كذبهم، و يفرق بينهم، و بين ما يشتهون، فإنّنا نؤكد:

بأنّ القرآن الكريم منه ما نزل بعد ترو، و تشوف، و تمهل، و طول انتظار، و هو أقله. و منه ما نزل مفاجأة، و على غير انتظار و تفكير، و دون تلبث، و تدبير، و هو أكثره.

أ- و مثال ما نزل من القرآن بعد ترو، و على تمهل، و طول انتظار:

۱- سورة الكهف.

فقد أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس قال: «بعثت قريش النضر بن الحارث، و عقبة بن أبى معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، و أخبروهم بقوله؛ فإنّهم أهل الكتاب الأوّل، و عندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجا حتى أتيا المدينة، فسألوا أحبار اليهود عن رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و وصفوا لهم أمره و بعض قوله، فقالوا لهم:

سلوه ثلاثا، فإن أخبركم بهن، فهو نبى مرسل، و إن لم يفعل، فالرجل متقوّل. سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأوّل، ما كان أمرهم؟! فإنّه كان لهم أمر عجيب. و سلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض، و مغاربها، ما كان نبؤه؟! و سلوه عن الرّوح، ما هو؟! فأقبلا حتى قدما على قريش فقالا: قد جئنا بفصل ما بينكم، و بين محمد. فجاءوا رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، فسألوه، فقال: أخبركم غدا بما سألتم عنه، و لم يستثن، فانصرفوا. و مكث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم خمس عشرة ليلة لا يحدث اللّه فى ذلك إليه وحيا، و لا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة، و حتى أحزن رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» مكث الوحى عنه، و شق عليه ما تكلم به أهل مكة. ثمّ جاءه جبريل من اللّه بسورة الكهف، فيها معاتبته إيّاه على حزنه عليهم. و خبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، و الرجل الطّواف».

و قيل إن هذه السورة نزلت بعد خمس عشرة ليلة، بعد سؤالهم للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و قيل أربعين يوما. ۲- آيات قصة الإفك فى سورة النور ۱۱- ۲۰. من قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۲۴

تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إلى قوله، وَ أَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ.

و قد وردت هذه القصة فى صحيح البخارى، و تأخر الوحى فى النزول ببرئ عائشة حوالى شهر.

ب- و مثال ما نزل من القرآن على غير ترو و غير انتظار: ۱- قوله تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا الإسراء آية ۸۵.

أخرج البخارى عن ابن مسعود قال: كنت أمشى مع النبىّ «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بالمدينة، و هو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من يهود، فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدثنا عن الروح؟ فقام ساعة، و رفع رأسه، فعرفت أنّه يوحى إليه حتى صعد الوحى ثم قال: الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا.

و أخرج الترمذى عن ابن عباس قال: «قالت قريش لليهود: علمونا شيئا نسأل هذا الرجل. فقالوا: سلوه عن الروح. فسألوه، فأنزل اللّه: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي.

۲- قوله تعالى: غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ سورة النساء آية ۹۵.

روى البخارى عن زيد بن ثابت قال: «كنت عند النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» حين نزلت عليه: «لا يستوى القاعدون من المؤمنين و المجاهدون فى سبيل اللّه»، و لم يذكر «أولى الضرر». فقال ابن أم مكتوم: كيف، و أنا أعمى لا أبصر؟! قال زيد: فتغشى النبىّ «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» فى مجلسه الوحى، فانكأ على فخذى. فو الذى نفسى بيده، لقد ثقل على فخذى حتى خشيت أن يرضها. ثمّ سرى عنه، فقال: أكتب لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ.

و إمعانا، و تأكيدا، و تثبتا لبطلان شبهتهم، فإنّنا، و ذوى البصيرة نجزم أن ما أوردناه من آيات هى أمثلة من كثير من القرآن منه ما نزل بعد ترو، و تمهل، و منه ما نزل على ترو و تمهل، و لا تجد بينهما فرقا فى الأسلوب، و الاتساق، و التناسق

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۲۵

و البلاغة، و العذوبة، و البيان ... الخ. فكلا النزولين يعتبران ضربا واحدا من الكلام القرآنى من حيث الأسلوب. و كذلك الحديث النبوى: فمنه ما قيل بعد ترو، و تمهل، و تفكير، و تدبر، و تشاور، و طول انتظار كأحاديث «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» فى شئون الحرب، و الصلح. و منه ما قيل فى الحال، و دون ترو أو تمهل، أو تفكر، أو طول انتظار: كحديث المعتمر المتمضخ بالطيب. و

جاء يسأل النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» عن طيبه فى عمرته، فسكت النبى ساعة حتى جاءه الوحى، و لما سرى عنه قال: «أين السائل عن العمرة؟ فجيء به، فقال عليه الصلاة و السلام. «أما الطيب الذى بك، فاغسله ثلاث مرات. و أما الجبة فانزعها، و اصنع فى عمرتك ما تصنع فى حجك» لما رواه الشيخان.

الشبهة السادسة:

اشارة

إنّ القرآن فى أسلوبه غير معجز، لأنّه من تأليف بشر. بدليل أن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» تعلمه، و أخذه من أناس آخرين

أمثال: ورقة بن نوفل، و الحدّاد الرومي، و بحيرا الراهب. و ذلك حتى يبعد تهمة تأليف القرآن عن نفسه عند ما وجد من العرب من هو أفصح منه لسانا، و أبلغ منه بلاغة، و أقدر منه مخاطبة، و أسحر منه بيانا، و أطلق منه فصاحة.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إن أولى شبهات شبهتهم أنّهم لم يتفقوا على اسم شخص مزعوم ينسبون إليه قول القرآن. و ما كان اختلافهم و تفرقهم هذا إلّا بغيا بينهم، و من بعد أن جاءتهم البينات على أنّه الحق من ربهم. فكان اختلافهم هذا أوّل نقض لشبهتهم- و صدق فيهم قول ربهم: كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللّهُ

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۲۶

يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ سورة البقرة آية ۲۱۳. و أيضا قول ربهم:

وَ ما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ سورة البينة آية ۴.

و قوله أيضا: وَ ما تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ سورة الشورى آية ۱۴.

ثانيا: إنّ ثانى شبهات شبهتهم أنّهم لم يأتوا، و لو بدليل أو برهان واحد على صدق دعواهم، سواء أ كان هذا الدليل أو ذلك البرهان نقليا، أو علميا، أو تاريخيا، أو عقليا يصدقه العقل السليم أو الفطرة النقية.

و بذلك فإنّ فقدان قولهم للدليل هو فى حد ذاته نقض لشبهتهم؛ و يعريها و يفقدها كل مسوغ للقبول. و بذلك يبقى قولهم عبثا، و لهوا.

و هنا يصدق فيهم قول ربهم: قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ النمل آية ۶۴. و هم، و قد فقدوا الدليل و البرهان على صدق دعواهم، قالوا هذا سحر مبين. حيث صدق فيهم قول ربهم: وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمّا جاءَهُمْ هذا سِحْرٌ مُبِينٌ سورة الأحقاف آية ۷.

و هم، و قد فقدوا الشهادة على صدق دعواهم، و قالوا افتراه كان اللّه تعالى شهيدا عليهم حيث صدق فيهم قول ربهم: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِما تُفِيضُونَ فِيهِ كَفى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ سورة الأحقاف آية ۸. أى أنّ اللّه أعلم بما تخوضون فى القرآن من وجوه الطعن، و منها تهمة أخذه و تعلمه من و عن الغير- و هم قد فقدوا من يشهد على صدق طعنهم- فكفى باللّه تعالى أن يكون شاهدا يشهد للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بالصدق، و يشهد عليهم بالجحود، و التكذيب.

و هم و قد فقدوا كل دليل، و كل برهان على صدق شبهتهم خاطبهم اللّه تعالى بالعقلانية، و أن يستعملوا عقولهم، و أن يرجعوا إلى الحق، و يعترفوا بصدق ألوهية القرآن، و نبوّة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، فخاطبهم بلسان رسوله: قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَ ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَ لا بِكُمْ سورة الأحقاف آية ۹.

و قال مخاطبا لهم على لسان رسوله، و فى نفس الآية مؤصلا

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۲۷

لألوهية الوحى: إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ وَ ما أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ سورة الأحقاف آية ۹.

قال ابن كثير: «أى ما أنا بالأمر الذى لا نظير له حتى تستكرونى و تستبعدوا بعثى إليكم؛ فقد أوصل اللّه قبلى جميع الأنبياء إلى الأمم.

و هم، و قد فقدوا كل برهان على صحة دعواهم، و صدق شبهتهم، و التى العناية الإلهية إفحامهم؛ و بأن أشهدهم، و من أنفسهم على صدق ألوهية القرآن، فقال تعالى: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ سورة الأحقاف آية ۱۰.

قال الإمام الزمخشرى فى الكشاف: «و جواب الشرط محذوف، و تقديره: إن كان القرآن من عند اللّه، و كفرتم به أ لستم ظالمين؟! و دل على هذا المحذوف قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ سورة الأحقاف آية ۱۰ «۱».

و قال المفسرون: و الشاهد من بنى إسرائيل هو- عبد اللّه بن سلام- و ذلك حين قدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم المدينة، جاء إليه عبد اللّه بن سلام يمتحنه، فلما نظر إلى وجهه، علم أنّه ليس بوجه كذاب، و عرف أنّه النبى المنتظر، و الذى بشرت به التوراة. فقال له عبد اللّه بن سلام: إنّى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ: ما أوّل أشراط الساعة؟! و ما أوّل طعام أكله أهل الجنة؟! و ما بال الولد ينزع إلى أبيه، أو إلى أمه؟! فلما أجابه، قال عبد اللّه بن سلام: أشهد أنّك رسول اللّه حقا «۲». و هم، و قد فقدوا كل دليل، و كل برهان على صحة دعواهم- و منهم أهل الكتاب الذين آمنوا بالتوراة، و الإنجيل- فقد ناقضوا أنفسهم فى شبهتهم؛ فهم يصدقون بالتوراة، و فى نفس الوقت يكفرون بالقرآن، و يدعون أنّه من

---

(۱) الزمخشرى- الكشاف- ج ۱ ص ۲۳۶.

(۲) الإمام البخارى- صحيح البخارى.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۲۸

البشر من بحيرا الراهب مع أنّ القرآن يصدق الكتب السماوية الأخرى، و منها التوراة، فقال تعالى فى هذا منذرا لهم و مبشرا للمؤمنين وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَ رَحْمَةً وَ هذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ بُشْرى لِلْمُحْسِنِينَ سورة الأحقاف آية ۱۲.

أى أن هذا القرآن عظيم الشأن، مصدق للكتب السماوية من قبله، نزل بلسان عربى فصيح؛ فكيف ينكرونه و يدعون أنّه من عند البشر، و هو أفصح لسانا، و أظهر برهانا، و أفصح بلاغة، و أبلغ إعجازا من التوراة؟!! و هم، و قد فقدوا الدليل على زعمهم، و البرهان على ادعائهم، فقد أفحمهم اللّه، و رد كيدهم إلى نحورهم، و هو إذ يردّ عليهم يثبّت فؤاد الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و يؤكد لهم، و للبشرية جمعاء أنّ اللّه حق، و أنّ القرآن من عنده حق- مصداق قوله تعالى: تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آياتِهِ يُؤْمِنُونَ سورة الجاثية آية ۶.

أى هذه آيات اللّه، و حججه، و براهينه، الدالة على وحدانيته، و قدرته و صدق آياته، و منها قرآنه العظيم، ثمّ يتساءل منكرا عليهم تكذيبهم، و بأنّه إذا لم يصدق هؤلاء الكفار بصدق آياته و قرآنه، و براهينه فبأى حديث بعد كلام اللّه يؤمنون؟!! و بذلك تبقى حجتهم داحضة؛ بعد أن فقدوا أدلتهم، و عجزوا أن يقدموا براهينهم، و هم فى نفس الوقت يحاجون فى اللّه من بعد ما استجيب له إيمانا به، و بآياته، و قرآنه، و كتبه؛ فاستحقوا غضب اللّه، و عذابه الشديد. قال تعالى: وَ الَّذِينَ يُحاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ سورة الشورى آية ۱۶.

ثالثا: إنّ ثالث شبهات شبهتهم، و تثير السخرية من ادعاءاتهم و افتراءاتهم، أنّهم ينسبون القرآن، و هو بلسان عربى مبين- إلى أعاجم من غير العرب. و هو قد نزل بلسانهم، أى العرب، و تحداهم فى لغتهم، و أعجزهم فى بيانهم، و أفحمهم فى بلاغتهم، و تحدّاهم فى فصاحتهم؛ فتفوق عليهم، و لم يقدروا عليه؛ و لم يقدروا على التمثل به، أو

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۲۹

الاقتراب منه حتى و بالنسبة لأقصر سورة منه. و لعل من أعظم تفاهاتهم، و أكثر سوأقطهم أن يتركوا أهل من نزل فيهم القرآن، و أهل صناعته؛ ثمّ يلجئون إلى غيرهم، يلتمسون فيهم شخصا مزعوما ينسبون إليه باطلهم و زعمهم!! فمرة ينسبونه إلى حدّاد هو «جبر الرومى» كان يعيش فى مكّة، و مرة إلى نصرانى هو الراهب «بحيرا» كان يعيش فى بصرى الشام.

أ- أما بالنسبة للحدّاد الرومى: فقد عرف هذا الحدّاد قينا يتعاطى مهنة الحدادة بمكّة، و لم يكن متفرسا و حتى متعلما أو معلما للغة العربية و فى التمثل بهذا القين الرومى أضاف أصحاب هذه الشبهة ضعفا آخر، و سقطا ثانيا لسقطات شبهاتهم؛ يتمثل فى أنّ القرآن عند ما أعجز أصحاب البيان فى لغته، و هى العربية، بل و أفحم علماء لغته من العرب أهل قريش، فلما وجدوا ألّا حيلة لهم، لجئوا إلى غير العرب يلتمسون شخصياتهم ينسبون باطلهم إليهم، فوقعوا فى شبهتين- الأولى- أن هذا الحدّاد الرومى ليس لسانه بعربى، و إن ألم ببعض العربية رطانة، و لحنا، فخرج زعمهم من دائرة التحدى القرآنى الذى جاء لمن يتكلم، بل يجيد العربية.

الثانية: أنّ هذا الحدّاد الرومى ليس بعالم أو متعلم للغة العربية؛ و ليس بصاحب بيان، أو فصاحة، أو بلاغة عربية، فكيف يعقل أن يأتى بقرآن صفاته البيان فى اللغة، و الفصاحة فى البيان؟!! و بذلك كان حريا أن يتدحرج زعمهم من دائرة التحدى القرآنى إلى دوائر التلاعب بالألفاظ، و السخرية فى الادعاء، و الباطل فى الافتراء. و لعلهم و أمّا فقدانهم لكل عقلانى فى التدليل و الإثبات، و لكل منطقى فى التأكيد و الإشهاد فقد أوقعهم فى متاهات الهزلية، و السخرية، و الغباء. فجاءوا بغلام سوقى، و اعتبروه إماما فى البلاغة، و البيان، و مرجعا فى الثقافة، و العلوم. و كأنّهم بذلك أشهدوا على أنفسهم بتفاهة شبهتهم، و سقطات افتراءاتهم. و كأنهم أرادوا بذلك أن يكسوا أدلة شبهتهم بلغط القول، و تفاهة اللفظ- و هم يعلمون فى قرارة أنفسهم أن القرآن ليس عملا إنسانيا، و إنّما هو إلهى-. و بذلك فاللّه تعالى فند شبهتهم، بتذكيرهم

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۳۰

بدليل عقلانى، و منطقى واضح فقال تعالى: وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ سورة النحل آية ۱۰۳.

فبالعقلانية السليمة يخاطبهم اللّه، و بأن يحكّموا عقولهم؛ فكيف يتسنى لمن لسانه أعجمى أن يعلم محمدا هذا الكتاب العربى المبين؟!! و من أين للأعجمى أن يتذوق بلاغة هذا الكتاب المعجز فى بلاغته و فصاحته و بيانه؟!! و لكن هل استخدموا عقولهم، و

تخلوا عن عنادهم، و آمنوا بآيات اللّه، و على رأسها قرآن ربهم؟! و لكن هيهات أن يؤمنوا، فاستحقوا عذاب اللّه الأليم. و صدق فيهم قول ربهم إِنَّ الَّذِينَ لا- يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ سورة النحل آية ۱۰۴. و هذا تهديد لهم على كفرهم و عنادهم و افترائهم.

و لنا القول: نحن لا- ننكر أن يلم الحداد الرومي شيئا من العربية، أو أن يقرأ، و يكتب بها أو بلغته و لكنّ الذي ننكره أن ينسب إليه القرآن الذي خضع له أفذاذ العرب من أهل الصناعة البلاغية. تاللّه، إنّها لشواهد الغباء و الضلال!! و مع العلم أنّ هذا القين كان يقيم في مكة، و يعرفه الجميع، و يشهدون على ضعف إلمامه بالعربية حيث كان لسانه يرطن و يلحن بها، و الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كان يسمع منه كما تقول الروايات، و لكن علمه بقواعد اللغة العربية، و علمه بمثل علوم القرآن أدنى بكثير من شواهد تهمة الإلمام بها.

أخرج ابن أبي حاتم من طريق حصين بن عبد اللّه بن مسلم الحضرمي قال: «كان لنا عبدان، أحدهما يقال له يسار و الآخر جبر، و كانا صيقلين، فكانا يقرءان كتابهما، و يعلمان علمهما.

و كان رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» يمر بهما، فيستمع لقراءتهما، فقالوا: إنّما يتعلم منهما». فنزلت الآية وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ.

ب- أما بالنسبة للراهب النصراني بحيرا: فقد قادتهم شبهتهم إلى معالم و شواهد نقضها.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۳۱

أولا: فهم قد فقدوا الدليل، و الحجة، و البرهان على أنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» قد تعلم القرآن من الراهب بحيرا. و هم لم يتجاوزوا الادعاء باللفظ، و التلاعب بالقول. و لو أنّهم صدقوا على ما ادعوا، و افتروا، لأدلوا بدلوهم في مجال هذه الشبهة التعليمية، و هم الأحرص على نجاح دعوتهم، و تهمتهم. و لكن هل فعلوا، و هل قدموا الدليل أو البرهان؟! كلا، و ألف كلا- فهؤلاء هم الخراصون، و قتل الخراصون.

مصداق قوله تعالى فيهم: قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (۱۰) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ساهُونَ سورة الذاريات- الآيات ۱۰- ۱۱.

قتل الخراصون: أي لعن الكذابون الذين كذبوا على اللّه، و على الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و على أنفسهم، و قالوا: إنّ القرآن من البشر، و ليس من عند اللّه؛ كفرا بآيات اللّه، و هداياته. قال ابن الأنباري: «و القتل بمعنى اللعنة؛ لأنّ من لعنه اللّه، بمنزلة الهالك المقتول» «۱». و هم، و قد فقدوا الدليل، و البرهان، فقد صدق فيهم قول ربنا: قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ النمل ۶۴.

ثانيا: من الثابت بالعلم، و النقل، و التاريخ أن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» لم يقابل بحيرا الراهب إلّا مرة واحدة في حياته، و ذلك أثناء رحلة له في تجارة مع عمه أبي طالب في بصرى من بلاد الشام. و كان عمره آنذاك لا يتجاوز الاثنى عشر ربيعا. و قد التقى به الراهب «بحيرا»، و رأى معالم النبوّة في وجهه، و بين كتفيه. و لما سأل عمه أبا طالب: ما هذا الغلام منك؟! قال: ابني. قال: ما ينبغي أن يكون أبوه حيا!! قال: فإنّه ابن أخي مات أبوه، و أمّه حبلى به. قال: صدقت، ارجع به إلى بلدك، و احذر عليه يهود. و قد أخرج الترمذي «۲» هذه الرواية من حديث أبي موسى الأشعري، و قال: هذا حديث حسن. و سواء صحت هذه الرواية،

---

(۱) ابن الجوزي- زاد المسير في علم التفسير. ج ۸- ص ۳۰. و محمد علي الصابوني- صفوة التفاسير- ج ۳- ص ۲۵۲.

(۲) الترمذي- السنن ج ۴ ص ۲۹۶.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۳۲

أو بطلت- و هي صحيحة- فإنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» لم يأخذ من بحيرا الراهب شيئا من العلم، و لم يمكث عنده طويلا؛ ليتدارس معه العلم، أو يفقهه.

فالروايات، و منها رواية الترمذي- لم يتذكر أن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» تعلم من بحيرا شيئا لا في العقائد، و لا في العبادات، و لا في الفقه، و لا في الأخلاق. و قد أملت ظروف المقابلة، و مدتها، و ظروف الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» و سنه أن لا يكون من هذا شيء. و ما هذه الشبهة إلّا من أمر أحلامهم، فهم قوم طاغون. مصداق قوله تعالى فيهم: أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ سورة الطور آية ۳۲. شبهات حول القرآن و تفنيدها ۲۳۲ تفنيد هذه الشبهة: ..... ص : ۲۲۵

ل الخازن في تفسيره: «و ذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام، و العقول، فأزرى اللّه بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل، و هذا تهكم للمشركين» «۱».

ثالثا: إنّ فاقد الشيء لا يعطيه. و من الثابت، و باليقين، أن «بحيرا» الراهب لا يملك شيئا من علوم القرآن أو الفقه. فالعقلانية السليمة و المنطق الصحيح، بأبيان التصديق بأن الذي لا يملك شيئا يعطي شيئا.

و أصحاب هذه الشبهة أنفسهم يعلمون أنّ ما جاء به القرآن الكريم من لغة، و أسلوب، أو بيان، أو علم، أو معجزات، أو تشريع، لا يملك بحيرا الراهب منه شيئا. فكيف يدّعى أن يقوم هذا الراهب بتعليم، و تلقين هذا القرآن الذي لا يملك منه شيئا إلى النبي «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»؟!! و العقلانية السليمة تقتضي إذا أن يدعيه بحيرا لنفسه ما دام يملكه أو يملك منه شيئا؛ و أن يكون هو أحرى بالنبوة، و بالرسالة، و من ثمّ بالقرآن من محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»!! و هؤلاء أبوا على أنفسهم إلّا أن يتبعوا الظن، و إن هم إلّا يخرصون. و صدق فيهم قول ربنا: إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ سورة يونس آية ۶۶. فهؤلاء كما يصفهم ربهم إن هم إلّا يكذبون، و يظنون الأوهام حقائق.

---

(۱) الخازن- التفسير- ج ۴- ص ۲۰۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۳۳

رابعا: إنّ طبيعة الديانة التي يدين بها الراهب بحيرا تأبى عليه أن يكون معلما أو أستاذا لدين غير دينه. أو أن يكون معلّم، أو ملقنا لدين آخر جديد، و مخالف لدينه. فهل يعقل أن يضع بحيرا من نفسه معلما و مرشدا، و ملقنا لدين أو عقيدة تخالف دينه، و عقيدته، بل و يهاجمها و يفندها؟! و هل يعقل أن يلقن الراهب المسيحي بحيرا الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كتابا هو القرآن الكريم يسفه أحلامه، و أحلام قومه النصارى، و ينقض عقيدتهم، و يفند ديانتهم المحرفة؟!! و من الثابت اليقيني أن هؤلاء، و غيرهم من أصحاب مثل هذه الشبهة يعلمون علم اليقين- خاصة أهل الكتاب منهم- أنّ القرآن من عند اللّه تعالى، و ما كان أن يفترى من دونه مصداق قوله تعالى: وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ سورة يونس آية ۳۷.

و مما ينادي الجبين، و تحتار له العقول أن هؤلاء- و منهم أهل الكتاب- يفترون على القرآن، و على الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و ينسبونه إليه، و هم يعلمون صدق نبوته، و رسالته، و حقيقة قرآنه من كتبهم، و أناجيلهم، و توراتهم، فقال تعالى: فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ سورة يونس آية ۹۴.

أي اسأل أهل الكتاب الذين يعرفون التوراة، و الإنجيل، و بأن هذا محقق عندهم، و في كتبهم. و قد جاءك يا محمد البيان، و الخبر الصادق عن القرآن، فلا يكون عندك شك مما يمترون. و هؤلاء ما كان جحودهم بألوهية القرآن إلّا من بعد معرفة، و عندهم الكتب السماوية، و فيها الخبر اليقين؛ فهؤلاء الكافرون حقا. قال تعالى: وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الْكافِرُونَ سورة العنكبوت آية ۴۷. قال قتادة: «و إنّما يكون الجحود بعد المعرفة» «۱». و اللّه تعالى في نفيه لتهمة هؤلاء الذين فقدوا كل دليل على ما يدّعون، فاللّه تعالى يسري عن نبيه، و يؤكد صدقه؛ و بدليل أنّه لم

---

(۱) الطبري- التفسير- ج ۲۱- ص ۴.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۳۴

ينل أي كتاب من قبله، و لم يكتب هذا القرآن، أو يتعلمه من غيره، من بحيرا، أو غيره مصداق قوله تعالى: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ سورة العنكبوت آية ۴۸. و هكذا تبقى دلائل نقائص شبهاتهم حول القرآن قائمة؛ حيث دوما لا أدلة على ما يدعون، و هكذا تبقى حجتهم على ما يفترون قائمة. يقول فيهم ربنا وَ الَّذِينَ يُحاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ سورة الشورى آية ۱۶.

هكذا يبقى التحدي الإلهي، و بالقرآن لهم دوما قائما، و بأن يأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين. و هكذا يبقى قول ربنا صادقا فيهم حيث يقول: أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ (۳۳) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ سورة الطور آية ۳۳- ۳۴.

الشبهة السابعة:

اشارة

إنّ إعجاز القرآن من قبيل الكهانة، و السحر، و الشعوذة. و مثل هذا لا يسمى إعجازا. و دليل ذلك أنّه لم يثبت من عند اللّه، و لم يثبت أنّه نزل من عند اللّه قرآن، أو علم، أو دين. و كلّ ما نقرأه و نسمعه هو من قبيل شعوذة محمد، و سحره، و بنات أفكاره، و شطحات تضليلاته، و تخيلاته، و شعره.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إنّ سرّ تناقضات أعداء الإسلام فى مهاجمتهم للقرآن يكمن دوما فى عدم وجود الدليل. فهؤلاء، و أمثالهم يفقدون الدليل على ما يزعمون، و البرهان على ما يدّعون، و الحجة على ما يفترون. و لا نعجب إذا رأينا المتقولين على القرآن يقعون دوما فى شبهات تناقضاتهم، و عرى افتراءاتهم. فيقعون فى أسخف أعمالهم؛ فلا يتورعون أن يثبتوا ما ينفونه، و ينفون ما يثبتونه. فهذا كبيرهم الذى علمهم السحر الوليد بن

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۳۵

المغيرة ينفى عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» الكذب، و الكهانة، و الشعر، و الشعوذة، و فى نفس الوقت يثبت له السحر، و يثبت للقرآن صفات السحر، و فى نفس الوقت ينفى عنه قول البشر.

روى الواحدى النيسابورى، و الحاكم، و المفسرون عن ابن عباس، و مجاهد و غيرهم قالوا: مرّ الوليد بالنبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و هو يصلى، و يقرأ القرآن، فاستمع لقراءته، و تأثر بها. فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بنى مخزوم، فقال: و اللّه، لقد سمعت من محمد آنفا كلاما، ما هو من كلام الإنس، و لا من كلام الجن. و اللّه، إنّ له لحلاوة، و إنّ عليه لطلاوة، و إنّ أعلاه لمثمر، و إنّ أسفله لمغدق، و إنّه ليعلو، و ما يعلى عليه. ثمّ انصرف إلى منزله. فقالت قريش: لقد صبأ و اللّه، الوليد، و لتصبأن قريش كلها!! فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه. فانطلق حتى جلس إلى جانب الوليد حزينا. فقال له الوليد: ما لى أراك حزينا يا ابن أخى؟! فقال: كيف لا أحزن، و هذه قريش تجمع لك مالا، ليعينوك به على كبر سنك، و يزعمون أنّك زينت كلام محمد، و صبأت؛ لتصيب من فضل طعامه، و تنال من ماله!! فغضب الوليد، و قال: أ لم تعلم قريش أنّى من أكثرهم مالا، و ولدا؟! و هل شبع محمد، و أصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام؟! ثمّ قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه، فقال لهم:

تزعمون أن محمدا مجنون!! فهل رأيتموه يختق؟! قالوا: اللهم، لا.

قال: تزعمون أنّه كاهن!، فهل رأيتموه تكهن قط؟! قالوا: اللهم، لا.

قال: تزعمون أنّه شاعر!! فهل رأيتموه نطق بشعر قط؟! قالوا: اللهم، لا. قال: تزعمون أنّه كذاب!! فهل جربتم عليه كذبا قط؟! قالوا:

اللهم، لا- فقالت قريش للوليد: فما هو؟! ففكر فى نفسه ثمّ قال: ما هو إلّا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل، و أهله، و ولده!! و ما هذا الذى يقوله إلّا سحر يؤثر فذلك قوله تعالى: إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ الآيات.

فالوليد بن المغيرة- و هذه شيمة الكفار فى عنادهم قديما، و حديثا- يشهد أولا أنّ هذا القرآن من غير كلام البشر، و ينفى عنه صفة البشرية؛

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۳۶

ثمّ يقوده عناده ثانيا إلى الادعاء بأنّه سحر يؤثر، و بأنّه قول البشر، و يتم قوله هذا تحت مظلة تناقضه الشنيع، و كذبه الصريح، و فى ظل مظلة فقدانه الدليل، و من خلال خلو صريح كلامه من البرهان. فقال فيه قرآن ربه على لسانه مثبتا له عنفوان كفره، و عناده: فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (۲۴) إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سورة المدثر- الآيات ۲۴- ۲۵. قال الألوسى فى تفسيره: «هذا كالتأكيد للجملة الأولى؛ لأن المقصود منهما نفى كونه قرآنا، أو من كلام اللّه تعالى؛ و لذلك لم يعطف عليها بالواو، و فى وصف إشكاله، و استنباطه هذا القول السخيف استهزاء به، و إشارة إلى أنّه عن الحق بمعزل. و يظهر من تتبع أحوال الوليد، أنّه إنّما قال ذلك عنادا و حمية جاهلية، لا جهلا بحقيقة الحال. أ لا ترى ثناءه على القرآن، و نفيه عنه جميع ما نسبوا إليه من الشعر، و الكهانة، و الجنون» «۱».

ثانيا: و يكفينا الرد فى هذا المقام بالاستئناس، و الاستشهاد بتنزيه الإله الواحد القهار لرسوله، و خاتم أنبيائه من شواهد، و صفات الشعر، و السحر، و الجنون، و الكهانة. و هذا دليلنا، و لا دليل لهم، و هذا شاهدنا، و لا شاهد لهم، و هذا استئناسنا إيمانا بربنا، و لا استئناس لهم، و قد كفروا بربهم. فاللّه تعالى ينفى عن رسوله الحبيب المصطفى «صلوات اللّه عليه و سلم» صفات الشعر، فهو يقول: وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ سورة الحاقة آية ۴۱.

و ينفى عنه شواهد السحر، فهو يقول: فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (۲۴) إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (۲۵) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (۲۶) وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ (۲۷) لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ (۲۸) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ الآيات ۲۴- ۲۹.

و هو يقول أيضا: الم (۱) تَنْزِيلُ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ سورة السجدة آية ۱- ۲. و ينفى عنه شواهد الجنون، فهو يقول: أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ سورة

---

(۱) الألوسى- التفسير- ج ۲۹ ص ۱۲۵- ۱۲۶.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۳۷

المؤمنون آية ۷۰. و هو يقول أيضا: وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ (۳۶) بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ سورة الصافات الآيات ۳۶- ۳۷.

و ينفى عنه صفات الكهنوتية، فهو يقول: وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ (۴۲) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ سورة الحاقة الآيات ۴۲- ۴۳.

و اللّه تعالى ينفى عن القرآن صفات الافتراء، بأنّه إفك، فهو يقول:

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً سورة الفرقان آية ۴. و ينفى عن القرآن أيضا صفات الافتراء، بأنّه أضغاث أحلام، فهو يقول: بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (۵) ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَ فَهُمْ يُؤْمِنُونَ سورة الأنبياء الآيات ۵- ۶.

و ينفى عن القرآن أيضا صفات الافتراء بأنّه أساطير الأولين، فهو يقول: وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (۵) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً سورة الفرقان آية ۵- ۶.

ثالثا: و يكفينا الرد أيضا لتفنيد شبهتهم أنّهم يخلطون بين المعجزة و بين السحر، و الشعوذة: فالمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى، سالم عن المعارضة، و المعجزة نفحة من نفحات الحق تخرج عن أفق و شواهد، و معالم الأسباب المعتادة، و الغايات المشاهدة، و المألوفة.

و أما السحر، فهو ليس بخارق للعادة، و إنّما هو فن خبيث ذو أصول، و قواعد و معالم، و فنون، و أوضاع يعرفها كلّ من ألمّ بالسحر، و تعلمه.

و يلم بها كل من أخذ بأسباب علم السحر، و الولوج من بابه. و لهذا السبب، و عند ما أبطل اللّه سحر قوم موسى، آمنوا به، و عرفوا أنّ ما جاء‌هم به موسى ليس سحرا، و إنّما هو معجزة. و تاللّه، إنّه الغباء بعينه أن يقارن الإعجاز بالسحر، و أن تشبه المعجزة بالشعوذة. و تاللّه، إنّه لفرق كبير بين معجزات الأنبياء، و الرسل، و بين سحر، و شعوذة السحار، و الكهنة.

فالمعجزة وحى إلهى حتى و لو كانت حسية. و معجزات الأنبياء كلها

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۳۸

حسية؛ فخرقت العادة، و سلمت من المعارضة. و أين هذا بالنسبة للسحر و الشعوذة؛ فهى لم تخرق العادة، و لم تسلم من المعارضة. فقد تعلمها كل من هب، و دب ممن رضوا لأنفسهم تعلمها، و الإلمام بها، و إتقانها.

و تاللّه، إن كانت معجزات الأنبياء و الرسل- و هى حسية- لا تقارن، بل لا يجوز تمثيلها بالسحر، و الشعوذة، فما بالك بالمعجزة المعنوية؛ معجزة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، القرآن كلام ربنا الخالد، و المعجز، هذه المعجزة الربانية معجزة البصائر لا الأبصار، معجزة العقول لا العيون!! فهل يعقل أن تخلط بالسحر، و الشعوذة؛ و أن تساوى بهما؟!! تاللّه إنّه لكفر الغباء، و الجهالة، و العناد!!.

أخرج الإمام البخارى أن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» قال: «ما من الأنبياء نبى إلّا أعطى ما مثله آمن عليه البشر؛ و إنّما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه اللّه إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا»

. و قيل فى معنى الحديث: إنّ معجزات الأنبياء الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار. كناقة صالح، و عصا موسى، فى حين أنّ معجزة القرآن تشاهد بالبصيرة؛ فيكون من يتبعه لأجلها أكثر؛ لأنّ الذى يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده؛ و الذى يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأوّل مستمرا. و قيل فى معنى الحديث أيضا: إنّ معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلّا من حضرها. فى حين أن معجزة القرآن إلى يوم القيامة، و خرقه للعادة فى أسلوبه، و بلاغته، و أخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلّا و يظهر فيه شىء مما أخبر به أنّه سيكون دليلا على صحة دعواه «۱».

و يكفينا تفنيدا لهذه الشبهة القول: بأنّ الزلل الواضح، و الفاحش الذى وقع فيه أصحاب هذه الشبهة أنّهم فقدوا البينات، المزعومة، بعد أن جاءتهم البينات اليقينية، مصداق قوله تعالى:

---

(۱) السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۱۱۷.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۳۹

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ سورة البقرة آية ۲۰۹.

و أنّهم اختلفوا فى الكتاب بفقدانهم البينات من بعد ما جاءتهم البينات.

مصداق قوله تعالى: كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ ما اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ سورة البقرة آية ۲۱۳.

الشبهة الثامنة:

اشارة

إنّ معجزة القرآن المبنية على خوارق العادات ليست معجزة، و كذلك تصديق اللّه لرسوله، و لأنبيائه لا يسمى إعجازا. و دليل ذلك: أن هذا يعتبر خروجا عن النظام العام الذى تقتضيه الحكمة، و خروجا عن السنن الكونية التى تناط بها المصلحة. و بهذا، فالخروج عن النظام العام و الخرق للسنن الكونية لا يسمى إعجازا. و يضربون مثلا على ذلك الفتاة الفرنسية جان داركى فى القرن الخامس عشر الميلادى، فقد اعتقدت أن العناية الإلهية أرسلتها لإنقاذ وطنها، و حماية أهل بلدها، فصدقت نفسها، و صدقها النّاس، و جاءت بخوارق عظيمة خرقت بها النظام العام و السنن الكونية التى جرى النّاس عليها فى زمنها؛ فتقلدت إمرة الجيوش و سنت القوانين، و أصدرت التعليمات، و نشرت الأفكار، و المعلومات، و حققت الكثير من معتقداتها، و هزمت أعداءها، و مع ذلك لا يسمى عملها إعجازا، و لم تكن دعوتها معجزة. و إنّما كان ذلك أثرا لمواهبها، و معتقداتها، و أفكارها. و كذلك محمد، فالقرآن ما هو إلّا أثر من آثار مواهبه حقق بها بعض الخوارق، فلا يجوز أن يسمى ما جاء به إعجازا.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إنّ الخروج عن النظام المعتاد الذى اعتاده النّاس فى حياتهم لا يسمى خروجا عن النظام العام الذى تقتضيه الحكمة، و تنوط به المصلحة. بل على العكس من ذلك، فإنّ الخروج عن النظام المعتاد

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۴۰

يعتبر من مقتضيات تحقيق النظام العام و تأكيده و المحافظة عليه. و خاصة إذا كان ذلك النظام العام يتمثل فى الحق، و من مقتضيات الحق. فإنزال القرآن على الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و ما جاء به من أحكام، و معتقدات، و تشريعات، و آخلاق، و أوامر و نواه، و إن لم يكن متعودا عليه عند العرب، و خرج عما اعتادوه من أنظمة حياة، و أخلاق، و معتقدات، و معاملات، فهذا- أى نزول القرآن- لا يعتبر خروجا عن النظام العام أى الحق، و أصله؛ و إنّما جاء تأييدا له، و تأكيدا لأحقيته. قال تعالى:

وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً سورة الإسراء آية ۱۰۵.

فالقرآن الكريم و لو خرج عما اعتاده النّاس فى حياتهم من معتقدات، و بيانات، و أخلاق، و معاملات، فهو لم يخرج أبدا، و لن يخرج، عما تقتضيه مقتضيات الحق، و مقتضيات تحقيق النظام العام، و التى تتطلبها شواهد الحكمة، و معالم العقلانية السليمة، و مؤشرات تحقيق المصلحة لجميع من نزل فيهم، و لهم القرآن الكريم. فهذا أعظم كتاب وجد على ظهر هذه البسيطة إنما جاء، و نزل ليحق الحق، و يبطل الباطل، فهو يهدى للتى هى أقوم، فكيف يدعى أنّه خرق للنظام العام- قال تعالى: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ سورة الإسراء آية ۹.

و قد نزل هذا القرآن شفاء، و رحمة للمؤمنين، فكيف يدعى أنّه خرق لنواميس الحق و الحكمة!! قال تعالى: وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً سورة الإسراء آية ۸۲.

ثانيا: إنّ القرآن الكريم فى خرقه للعادات، و النواميس الكونية هو إعجاز فى حد ذاته. و هذا هو الإعجاز الذى نؤكده، و نثبته. و هذا الخرق تقتضيه الحكمة، و تدعو إليه المصلحة. و ما هذا القرآن إلّا كتاب ربانى نزل رحمة للبشر، و نورا للناس، و هداية للأمم، و الشعوب. و أنزله اللّه تعالى؛ ليفصل بين الحق، و الباطل؛ و الهداية، و الضلال؛ و الاستقامة

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۴۱

و الاعوجاج؛ و النور، و الظلمات؛ و العدل، و الظلم. و قد خرق اللّه به سنن العادات، و نواميس الكون؛ إحقاقا للحق، و إبطالا للباطل، فكيف لا- يكون هذا إعجازا؟!! و كيف يسمى هذا خرقا للنظام العام أو تحقيق الحق؟! أ ليس القرآن من عند اللّه؟! أ ليس اللّه أعلم بخلقه؟! أ ليس اللّه المالك لكونه؟! أ ليس اللّه المتصرف بمخلوقاته؟! إذن أين العجب من خرق اللّه لنواميس كونه؟! فليس فى نزول القرآن شذوذ أو خروج باطل عن الكونية، و سننها؛ و إنّما به جاء الحقّ، و زهق الباطل. و بهذا خاطب اللّه رسوله محمدا «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أن يقول لقومه على لسان ربه: وَ قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً سورة الإسراء آية ۸۱.

و لعلنا لا- نبالغ إن قلنا: إنّ أساس شبههم الخاطئ أنّهم جعلوا القرآن بشريا، و أنّه من محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم». فكانت شبههم، و بغير دليل، حجة عليهم، و على افترائهم، بأن القرآن لا يجوز أن يخرق نواميس الكون، أو أن يخرج عن النظام العام، و هم لا- يعلمون معنى ذلك الخروج. و هم تناسوا، أو أغلقوا عقولهم عن التصديق، و الإيمان باللّه، و قرآنه؛ و لو فعلوا ذلك، لما طاحوا، و لعلموا دوما أنّ هذا القرآن كتاب إلهى جاء ليحق الحق، و يبطل الباطل، و لو خرق نواميس الكون، و لو كره المجرمون مصداق قوله تعالى: لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْباطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ. سورة الأنفال آية ۸.

ثالثا: و أما بالنسبة لكون القرآن أثرا من آثار الموهبة كما يدعون، فإنّنا نعجزهم بأن يوحدوا بين الموهبة، و المعجزة. و ما بينهما إلّا كما بين الثرى، و الثريا. فالموهبة تتحقق للكثيرين، و لمن أخذ بأسبابها، و عواملها. فهى تتحقق كثيرا بالنسبة للأفراد، و الأمم، و الشعوب، و فى كل العصور. و أمّا المعجزة فلا وسائل، و لا عوامل تكتسب بها أبدا، و إنّما هى تدبير ربانى، و خلق إلهى لا يعطى لأى إنسان، و لا يستطيعه فرد؛ و ليس له أشباه و نظائر معتادة أبدا، و بذلك كانت معجزات الأنبياء، و الرسل الحسية فريدة فى إعجازها؛ و لم يستطع أحد من البشر الإتيان

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۴۲

بمثلها. فبالنسبة لموسى مثلا، ظن فرعون، و سحرته أنّ ما جاء به موسى سحرا أو شعوذة؛ فاعتقدوا أنّهم سيغلبونه، و يفندون سحره؛ لأنّهم برعوا فى هذا الفن. فقال اللّه تعالى على لسانهم: قالَ أَ جِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى (۵۷) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ سورة طه آية ۵۷- ۵۸.

و قال تعالى أيضا على لسانهم: قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما وَ يَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلى سورة طه آية ۶۳.

و لكن، و بعد أن أبطل اللّه سحرهم، استيقن السحرة عظمة معجزة موسى. و أن ما جاء به موسى ليس سحرا؛ فآمنوا، و سجدوا لرب هارون و موسى. و هذا مصداق قوله تعالى: وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتى (۶۹) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى سورة طه آية ۶۹- ۷۰.

و كما قال شيخنا الزرقانى: «أمّا المعجزات فلن تجد لها من وسائل، و لا عوامل، و لن تستطيع أن تصل إلى أشباه معتادة لها و نظائر؛ اللهم إلّا إذا خرجنا عن نطاق الكون المعروف، و سنن الوجود المألوف» «۱».

رابعا: و أمّا قضية الفتاة الفرنسية «جان داركى».

أ- فلم يكن فيها أو بالنسبة لها خرق للسنن الكونية، و لم تكن معجزة بمعنى الكلمة. و عملها لم يكن من قبيل الإعجازات، اللهم إلّا إذا كانت مثل الذى يتحقق فعله للكثيرين. و كثير حتى من النساء من فعل مثل فعلها.

ب- و أمّا كونها تدعى أنّها مرسلة من قبل العناية الإلهية، فهذا كذب، و لم تثبت صحته حتى بالنسبة لأصحاب هذه الشبهة. و دليل ذلك أنّها هزمت، و أسرت، و أخرقت، و لو أنّها كانت صاحبة معجزة

---

(۱) الزرقانى- مناهل العرفان. ج ۱ ص ۷۷.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۴۳

حقيقية لما حصل معها ذلك. و بذلك لا تقارن، و لا يجوز مقارنتها مع معجزة القرآن أو الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» حيث كل ما جاء به تحقق.

ج- إن الفتاة الفرنسية كانت تعيش فى قريتها «جوارد رومى» و الكل يعرفها. و لم تكن صاحبة معجزات حتى، و لم تكن فتاة سليمة صحيحا، و عقليا. و فى زمنها شاعت الخرافات، و كانت الفتاة خيالية تسبح فى خيالات الأوهام، و تطلق لأفكارها العنان، فتأتى بما تدعيه أنّه وحى إلهى لها، و بأن اللّه أرسلها لتخليص أمتها، و وطنها من الأعداء؛ فصدقها النّاس، و هم المعروفون بالضلال فى غياهب جهالة القرون الوسطى، و أسلموها القيادة؛ فحاربت أعداءها، و هزمتهم فى بادئ الأمر، ثم انهزمت فى نهاية الأمر. فكان أمرها عاديا كغيرها من القواد، و المحاربين الذين ينتصرون، و ينهزمون- فأين إعجازها؟! و إن لم تكن فتاة معجزة، فكيف يجوز لمن له عقل أن يشبهها بالرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و معجزته الأبدية ثابتة، و إلى قيام الساعة!! و قصة «جان داركى» تتكرر دائما، و لم تخل ديار الإسلام من مثلها: كالقاديانية، و البهائية، و غيرها. و بعيدا عن كل تشبيه أو مقارنة، فالمعروف عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أنّه كان عاقلا، خلوقا، مترنا، صاحب رأى سديد، و مشورة حكيمة، و عقلانية راجحة، و سداد خلق، مفكرا متعبدا، بعيدا عن سراب الجهالات، و إسراف الخيالات. لا يحكم على الأمور إلّا برويه، و لا يقول بقول إلّا بعلم. و لا يفتى إلّا عن بينة. و هو رسول اللّه يوحى إليه.

روى الإمام مسلم و غيره: أنّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أبى على عائشة- أم المؤمنين- أن تقول فى شأن صبى من الأنصار- جىء به ميتا ليصلى عليه- طوبى لهذا، لم يعمل شرا، فقال النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «أو غير ذلك يا عائشة! إنّ اللّه خلق الجنة، و خلق لها أهلا، و خلقها لهم، و هم فى أصلاب آبائهم، و خلق النّار، و خلق لها أهلا، و خلقها لهم، و هم فى أصلاب آبائهم».

فالرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» يأبى على عائشة أن تحكم على مصير صبى من الأنصار، و هو يعلم أنّ اطفال المسلمين غير

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۴۴

المكلفين فى الجنة. و لكنه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أبى أن يأتل على اللّه، و أبى أن تسير عائشة مع أوهام عقلها، و ظن تفكيرها، فتحكم بغير روية، و بلا علم. و كذلك انظر إلى ما

رواه الإمام البخارى: «أنّه لما توفى عثمان بن مظعون- رضى اللّه عنه- قالت أم العلاء- امرأة من الأنصار- رحمة اللّه عليك أبا السائب، فشهادتى عليك لقد أكرمك اللّه. فقال «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «و ما يدريك أنّ اللّه أكرمه؟!» فقالت: بأبى أنت يا رسول اللّه، فمن يكرمه اللّه؟! قال: «أمّا هو فقد جاءه اليقين.

و اللّه، إنّى لأرجو له الخير. و اللّه ما أدرى، و أنا رسول اللّه ما يفعل بى» قالت: فو اللّه، لا أزكّى أحدا بعده أبدا

، و كذلك يقول القرآن الكريم: قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَ ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَ لا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ وَ ما أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ سورة الأحقاف آية ۹. و كفى تفنيدا لهذه الشبهة أنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»- و هو الذى غفر له ما تقدم من ذنبه، و ما تأخر- عند ما أخبر صحابته أن لا يظنوا أن أعمالهم تدخلهم الجنة، قالوا حتى أنت يا رسول اللّه!

قال: «حتى أنا إلّا أن يتغمدنى اللّه برحمته».

و بهذا تأبى العقلانية السليمة، و البصيرة الحاذقة، أن تقارن فتاة واهية خيالية مدعية برسول اللّه محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و هو الراجح فى عقله، السديد فى رأيه، المتروى فى حكمه، الخلوق فى فضائله. و تكفيه تزكية ربه له، و هو الذى يقول فيه: وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ سورة القلم آية ۴.

خامسا: و لعل أوضح ما يفند شبههم أنّها تفتقد إلى الدليل، و الحجة، و البرهان، فى كل ما يدعون، أو يمثلون. فهم ينكرون معجزة القرآن الخارقة للعادات، و لكل ما هو سائد، و جار، سواء بالنسبة للغة، أو البيان، أو العلوم، و دون أى دليل أو تثبت، و الأنكى من ذلك أنّهم يماثلون بين آيات اللّه المعجزة، و بين خوارق البشر العادية، كالفتاة الفرنسية جان داراك. و لعلّ ما يصبغ الإعجاز القرآنى بعين اليقين أنه يأتى خارقا للعادات، و السنن الكونية دون أن يماثل، أو يستطيع أحد من البشر أن يجاريه، أو يمثل عليه، فضلا عن أنه يجعل من إعجازه آيات،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۴۵

و دلائل حقيقية، و أكيدة، و ثابتة، و تمتع بشواهد الصدق، و الألوهية فى التحدى، و الإفحام فى الإقناع.

و لذلك عند ما أعجز اللّه أعداء الإسلام بقرآنه، أشار إلى شواهد ذلك الإعجاز من دلائل سماها آيات، و أحاطها بمعالم، و صفات اليقينية فى البيان، و الثبوت، و الوضوح، فقال: آياتٍ بَيِّناتٍ. و كما يظهر فى قوله تعالى: وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ سورة الحج آية ۷۲.

و من هنا نستطيع القول دوما: إنّ إعجاز القرآن، بخرقه للعادات و السنن الكونية، يبقى دائما قطعيا، و يقينيا بدلائله، و آياته البينات. بينما تبقى ادعاءات أصحاب الشبهة دوما غير معجزة، و تفتقد إلى الأدلة، و البينات.

الشبهة التاسعة:

اشارة

إنّ القرآن غير معجز فى علومه، و أحكامه، و تشريعاته. فهذه لا يصح أن تكون وجها من وجوه الإعجاز. بدليل أنّها- و إن اعتبرت معجزات- فهى شبيهة بالمخترعات الكثيرة؛ حيث لم يكن لها آثار خارقة، أو عجيبة، و لم تتعد فى آثارها، و تأثيراتها شواهد القدرة الاستيعابية العادية للعقول، و الأذهان. فعلوم القرآن، و تشريعاته علوم عادية لم تخرج عن حدود، و قدرات العقول، و الأذهان فى الفهم، و الهضم و الاستيعاب، و هى بمثابة آثار لمواهب بعض الأفذاذ من الناس «كسولون» اليونانى مثلا.

تفنيد هذه الشبهة:

اشارة

أولا: هناك فرق كبير بين المعجزات، و بين شواهد العلم، و آثار المعرفة، و روائع الفنون، و بدائع المخترعات، و فنون الثقافات. فالمعجزة أسبابها مجهولة، و لا يعرف لها أسباب حتى تلتمس، و تطرق، و يؤتى بمثلها. فالمعجزة قد تقع فجأة، و دون أسباب، و مقدمات يستدل منها و يستشف على وقوعها. بينما العلوم، و المخترعات لها أسبابها المعروفة،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۴۶

و سبلها المتبعة؛ و لا تقع فجأة، و إنّما تدريجيا، و بتطور حثيث، و يمكن التماسها، و اتباعها، و استعمالها؛ لتحقيق مزيد من التطور فى معرفة المتكشف منها ثم تطويره. فالسيارة، و الطائرة من وسائل النقل الحديثة لم يجر اختراعها فى لحظة واحدة؛ و إنّما استمر سنوات عديدة. و وسائل اختراعها عند ما عرفت انتقل العلم بها إلى الكثيرين، فتعلموها، و طوروها، و اخترعوا أمثالها، و أفضل منها. و نفس القول يقال بالنسبة لجميع العلوم و المخترعات، سواء التى تتعلق بالآفاق: كعلوم الفضاء، و مركباته؛ أو علوم النفس: كعلوم الطب، و أجهزته؛ أو علوم الكون الأخرى المتعلقة بالنبات، و البحار، و الرياح، و الجبال، و المعادن، و ما شابهها. و هذا كله على خلاف المعجزات، فإنّها تبقى بلا وسائل، و بلا عوامل، و بلا أشباه، و بلا نظائر لها.

ثانيا: هناك فرق كبير، و بون شاسع بين علوم القرآن الإلهية، و بين علوم العلماء البشرية. و من السخافة بمكان أن يقارن الإلهى بالبشرى.

فالعلم الإلهى دائما معجز. و العلم البشرى دائما غير معجز، و يؤتى بمثله، و أحسن. و العلم الإلهى ثابت فى إعجازه إلى أبد الآبدين؛ فلا ينقض، و لا يخالف. و العلم البشرى غير ثابت فى حقيقته، و قابل للنقض و التطور. و العلم الإلهى فى القرآن يقينى فى قطعيته لا تنتابه شواهد الظنية البشرية. و العلم البشرى الظنى لا يقوى على مخالفة العلم اليقينى القطعى فى القرآن. و الحقائق العلمية القرآنية حقائق نهائية، و قطعية. و أمّا نظيرتها البشرية، فليس كلها ذلك. و ما ثبتت يقينيته أو قطعيته من العلوم و الحقائق العلمية البشرية، فهو يقينى، و قطعى فى القرآن. و عند ما يذكرنا القرآن بحقيقة علمية كحقيقة أطوار خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم من عظم ثم من لحم، فإنّ هذه الحقيقة العلمية تبقى أبدية فى إعجازها، و إلى أن تقوم الساعة. و عند ما يذكّرنا القرآن بحقيقة علمية علاجية كالعسل، و شفائه، فإنّ هذه الحقيقة العلمية تبقى معجزة، و إلى قيام الساعة. و من هنا لا يجوز أن تقارن علوم القرآن بعلوم البشر مهما أوتوا من عبقرية. و بذلك يبقى الفرق كبيرا بين ما جاء به القرآن، و بين

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۴۷

ما جاء به سولون اليونانى و غيره. و نحن نتحدى أن يثبت أحد أن علوم سولون، و غيره كانت ثابتة، أو اتصفت بصفات الفعالية، و الكمال فى الإصلاح، و الرفاهية للأمم. و من الخطأ الفادح أن يقارن سولون اليونانى بالرسول محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم». فالأوّل كان عالما، و قائدا عسكريا، و إداريا، و انتخب عام ۵۹۴ قبل الميلاد «أرجونا» أى رئيسا لأمة. و حكمها بالقانون الذى وضعه «زراكوت» من قبله. بينما الرسول محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كان أميا لا يقرأ، و لا يكتب، و لم يكن حاكما، أو سياسيا، أو زعيما. ثم لنا التساؤل: أين قانون سولون الآن؟!! و أين علومه؟!! و ما تأثيرها على البشرية حتى على أمته، و شعبه؟!! و ما هى الحلول التى قدمتها لهم؟!! و هل حققت لهم السعادة الدنيوية؟! و هل ما زالت موجودة؟!! أين هذا من وحى السماء، و القرآن الكريم بعلومه، و تشريعاته، و أحكامه، و التى ما زالت، و ستبقى، تثبت، و تؤكد إعجازها فى كلّ لحظة من لحظات الزمن الأبدية؟!! و أين قانون سولون، و أين علوم العلماء، و مخترعاتهم من وحى السماء الذى أنقذ البشرية، و خلّصها من غياهب الجهالة، و الضلال، و نقلها إلى بصائر النور، و العلم، و الشفاء!! فكان القرآن الكريم بحق رحمة، و موعظة، و شفاء، و نورا للناس أجمعين. و من رفض هذا، عاش فى الظلام. و صدق قول ربنا فيه: وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً سورة الإسراء آية ۸۲.

و قول ربنا يخاطب رسوله: قُلْ إِنَّما أَتَّبِعُ ما يُوحى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هذا بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ سورة الأعراف آية ۲۰۳.

و لنا التساؤل دوما: أين علوم البشر، و أين علوم الوضع قديما و حديثا، و التى إن أفادت، قد تضر؛ و إن نفعت، قد لا تبقى، و إن أسعدت، فقد أشقت!! أين هذه من علوم القرآن التى تفيد، و لا تضر؛ و تنفع و تبقى؛ و تسعد، و لا تشقى، و التى هى بحق أخرجت الناس من الظلمات إلى النور. و هذه حقيقة ستبقى ما بقى قول ربنا فى قرآنه العظيم: الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ سورة إبراهيم آية ۱.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۴۸

هذا القرآن الخالد فى نظمه، المعجز فى آياته، و علومه، و الذى حريّا أن يسجد له كل من آمن به، و أوتى عقلا أو علما. و هذا ما صدق فيه قول ربنا: قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً سورة الإسراء آية ۱۰۷.

و لنا التساؤل دوما: لما ذا لا يكون هذا القرآن فى علومه معجزا و هو القول الفصل؟ من ابتغى الهدى فى غيره، أضله اللّه. فكر الحضارة النيرة، و ملاذ البشرية العاقلة. فيه تبيان لكل شىء، و هدى، و رحمة، و بشرى للمسلمين، مصداق قول ربنا فيه: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ سورة النحل آية ۸۹.

و لما ذا لا يكون معجزا؟! و هو فى حد ذاته برهان من عند ربنا، و هو نور لنا. مصداق قول ربنا فيه: يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ

رَبِّكُم وَ أَنزَلْنَا إِلَيكُم نُوراً مُبِيناً سورة النساء آية ۱۷۴.

ثالثا: إنّ معنى الإعجاز العلمى للقرآن يجب ألا ينحصر فى الشواهد و المعانى الجامدة، و المادية، و إنما يجب أن يتناول الشواهد، و المعانى الروحية التى تؤهل العقل للتفكر، و التدبر حتى يهتدى، و يؤمن بربه.

لقد نزل القرآن الكريم معجزا فى علمه، أساس الإعجاز فيه مخاطبته للعقل البشرى، و دعوته إليه بالبحث، و التفكير، و التعلم، هدفه الاسمى هدايته إلى اللّه خالقه، و خالق علمه، و خالق هذا الوجود الّذى يحيا فيه. فالقرآن فى إعجازه العلمى يؤصل معانى العقلانية السليمة فى الاهتداء إلى حقيقة وجودها، و إلى حقيقة موجدها.

و ما نزل القرآن إلّا لتحديد نظم هذا الوجود بمخلوقاته، و من ثمّ علاقتها بخالقها. و القرآن، و إن دعا الإنسان إلى التعلم، و اكتساب المعرفة، و تأصيل العلوم بأنواعها، إلّا أنّ القرآن قد نزل لأعمّ من هذا، و هو الاهتداء بهذه العلوم، و تسخيرها من أجل الوصول إلى حقيقة الخالق. فالقرآن مجاله النفس الإنسانية، هاديا لها، حاثّا لها على التفكر

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۴۹

و التعلّم، و البحث ضمن طاقتها العقلية التى وهبها اللّه لها، و ضمن حدودها المتاحة لها. و من ثمّ فمن الخطأ أن تحاول النفس الإنسانية تثبيت القرآن بالعلم، أو الاستدلال عليه بما تتوصل إليه من العلم.

فالقرآن كتاب منهجى كامل، و سام فى وظيفته، و فى موضوعه؛ و حقائقه العلمية حقائق قاطعة، و نهائية، و مطلقة؛ و ما يصل إليه الإنسان فى علومه و أبحاثه بأدواته المسخرة له هو حقائق علمية غير قاطعة، و غير نهائية، و هى مقيدة بحدود تجاربه، و أدواتها؛ و هذه لا يمكن أن تعطى حقيقة واحدة نهائية، و مطلقة.

و من هنا لا- يجوز لنا أن نفسّر القرآن تفسيرا علميّا بمعنى أن نستدل على حقيقته، و ألوهيته فى التنزيل بما يتوصل إليه الإنسان من مسائل علمية، أو نظريات علمية. و لا يجوز تفسير القرآن بما يطابق تلك المسائل العلمية المكتشفة، و التى يتوصل إليها الإنسان كلّ فترة، أو بما يطابق النظريات العلمية المكتشفة دواما. و من ثمّ لا يجوز الاستدلال بهذه المسائل، و هذه النظريات العلمية على حقيقة القرآن، و من ثمّ جعلها هى المعيار فى الحكم على القرآن، و جعلها المهيمن، و القرآن تابع.

فالاستدلال على يقينية القرآن بمناهجه، و حقائقه يجب ألّا يتم، بل لا يجوز أن يتم عن طريق حقائق علمية غير يقينية، و غير قطعية، و غير نهائية. فالمسائل العلمية، و النظريات العلمية، هى حقائق غير نهائية و غير قاطعة، و هى عرضة للتغيير، و التعديل، و النقص، و الزيادة، بل و النقض رأسا على عقب.

و كثير من النظريات العلمية، و التى سادت العقل البشرى أجيالا، و أزمانا طويلة، و اعتقد أنّها أصبحت نهائية، و قاطعة، نقضت تماما، و تعرضت للتغيير بل و الفناء.

و من هنا فإنّ تفسير القرآن اليقينى القطعى بمسائل غير قطعية، و قابلة للتغيير، و التبديل، و من ثمّ للنقض، و البطلان، يعرضه- أى القرآن- للتناقض، كلّما نقضت تلك المسائل، و كلما بطلت تلك النظريات.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۵۰

فالإعجاز العلمى للقرآن لا يفسّر باشتماله على نظريات علمية، و مسائل علمية تخمينية غير يقينية، و غير قطعية، و قابلة للتفويض، و التعديل، و البطلان؛ و إنّما يفسّر بدعوته للعقل البشرى إلى التعقل، و التدبر، و التفكر، و التعلم، و التبحر فى ميادين العلوم، و مخلوقات اللّه، و من ثمّ الاستدلال بها على خالقها، و موجدها، و منظمها.

و لنا فى حديث الشهيد سيد قطب أسوة حسنة فى تأصيل هذه المعانى حيث يقول فى تفسيره فى ظلال القرآن: «إنّ الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة ... أمّا ما يصل إليه البحث الإنسانى- أيّا كانت الأدوات المتاحة له- فهى حقائق غير نهائية، و لا قاطعة، و هى مقيدة بحدود تجاربه، و ظروف هذه التجارب، و أدواتها، فمن الخطأ المنهجى- بحكم المنهج العلمى الإنسانى- أن تعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية، و هى كلّ ما يصل إليه العلم البشرى». هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية، و الأمر أوضح بالقياس إلى النظريات و الفروض التى تسمى علمية، فهى قابلة دائما للتغيير، و التعديل، و النقض، و الإضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأسا على عقب بظهور أداة كشف جديدة، أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة. و كلّ محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة، أو حتى بحقائق علمية ليست مطلقة تحتوى أولا على خطأ منهجى أساسى.

كما أنّها تنطوى على معان ثلاثة كلّها لا يليق بجلال القرآن الكريم.

الأولى: هى الهزيمة الداخلية التى تخيل لبعض النّاس أنّ العلم هو المهيمن، و القرآن تابع. و من هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم، أو الاستدلال له من العلم، على حين أنّ القرآن كتاب كامل فى موضوعه، و نهائى فى حقائقه؛ و العلم ما يزال فى موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس. و كلّ ما يصل إليه غير نهائى، و لا مطلق؛ لأنّه مقيد بوسط الإنسان، و عقله، و أدواته. و كلّها ليس من طبيعتها أن تعطى حقيقة واحدة نهائية، و مطلقة.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۵۱

الثانية: سبق فهم طبيعة القرآن، و وظيفته، و هى أنّه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناء يتفق بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية مع طبيعة هذا الوجود، و ناموسه الإلهى؛ حتى لا- يصطدم الإنسان بالكون من حوله بل يصادفه، و يعرف بعض أسراره، و يستخدم بعض نواميسه من خلاله؛ نواميسه التى تكشف له بالنظر، و البحث، و التجريب، و التطبيق وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل لا ليسلّم المعلومات المادية جاهزة.

الثالثة: هى التأويل المستمر مع التحمل، و التكلّف لنصوص القرآن كى نحملها، و نلهث بها وراء الفروض، و النظريات التى لا تثبت، و لا تستقر، و كلّ يوم يجد فيه جديدا.

و من هنا و كما يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى: فإنّ كلّ حقيقة علمية قطعية هى قطعية فى القرآن. و كلّ مسألة من مسائل العلم يثبت يقينها هى يقينية فى القرآن.

و لنا القول: بأنّ الحقائق اليقينية القطعية هى كذلك فى القرآن، و لا- تعارض بينها، و بين القرآن. و هناك الحقائق العلمية اليقينية القطعية، و التى اكتشفها، و لا يزال يكتشفها الإنسان، وردت شواهدها فى القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرنا. بل و نص عليها القرآن؛ معجزا للبشرية، و هاديا لها حيث لم يسع العلم بعلمائه، و أجهزته، و أدواته، إلّا أن يعترف بها و يخشع لخالقها، تدعمها الآيات القرآنية العديدة التى تحث العقل البشرى، و تستزيده على الحقيقة العلمية، و بالبحث، و التقصّى، و بالتدبر، و التأمل فى علوم اللّه، و مخلوقاته، حيث جعل منها شواهد على الإيمان يستدل بها الإنسان على ربه خالقه، و خالقها.

و لنا أن نؤصل معالم الإعجاز العلمى فى القرآن ضمن الموضوعين التاليين:

الأول: الإعجاز القرآنى فى الدعوة إلى العلم.

الثانى: الإعجاز القرآنى فى الحقائق العلمية.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۵۲

الإعجاز القرآنى فى الدعوة إلى العلم «۱»

اشارة

يتجلّى الإعجاز العلمى للقرآن واضحا فى الدعوة إليه؛ بحدوه فى ذلك العناية الربانية لبنى الإنسان فى الهداية، و الإيمان، و التوحيد، و من ثمّ السعادة فى الدنيا، و الآخرة. يؤازر ذلك كلّه الآيات القرآنية العديدة داعية الإنسان إلى طلب العلم، و تقصّى الحقيقة العلمية؛ و ذلك ضمن معان و صيغ، مآلها التعقل، و التدبر، و التفكر، و التقصى؛ و غايتها تحقيق غاية الإيمان بتحقيق غاية العلم.

الإعجاز القرآنى بنسبة العلم إلى خالقه:

قال تعالى: وَ فَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ «۲».

و قال تعالى: وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ «۳».

و قال تعالى: قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ «۴».

التأصيل القرآنى بتكريم أهل العلم:

قال تعالى: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ «۵».

و قال تعالى: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ «۶».

---

(۱) أنظر فى مثل هذه الأنواع، و الأمثله من الإعجاز القرآنى- دكتور غازى عناية- كتاب: منهجية البحث العلمى عند المسلمين ص ۲۹.

(۲) سورة يوسف، آية ۷۶.
(۳) سورة النساء، آية ۱۷۶.
(۴) سورة البقرة، آية ۳۲.
(۵) سورة فاطر، آية ۲۸.
(۶) سورة آل عمران، آية ۱۸.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۵۳
و قال تعالى: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ «۱».

الإعجاز القرآنى بإقران العلم بالنظر فى مخلوقات اللّه:

قال تعالى: قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ «۲».
و قال تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ «۳».
و قال تعالى: أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (۱۷) وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (۱۸) وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (۱۹) وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ «۴».

الإعجاز القرآنى بإقران العلم بالتفكر و التعقل:

قال تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ «۵».
و قال: إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «۶».
و قال تعالى: وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ «۷».

الإعجاز القرآنى بإقران العلم بآيات اللّه:

قال تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ «۸».

---

(۱) سورة المجادلة، آية ۱۱.
(۲) سورة يونس، آية ۱۰۱.
(۳) سورة العنكبوت، آية ۲۰.
(۴) سورة الغاشية، آية ۱۷- ۲۰.
(۵) سورة الأنعام، آية ۵۰.
(۶) سورة الزخرف، آية ۳.
(۷) سورة النحل، آية ۶۷.
(۸) سورة الروم، آية ۲۲.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۵۴
و قال تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ «۱».

الإعجاز القرآنى بإقران العلم بالدعاء:

قال تعالى: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً «۲».
و قال تعالى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ «۳».

الإعجاز القرآنى بإقران العلم بالغيب:

قال تعالى: إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ «۴».
و قال تعالى: أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ «۵».
و قال تعالى: ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ «۶».

الإعجاز القرآنى بإقران العلم بالإيمان:

قال تعالى: وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ «۷».

---

(۱) سورة الروم، آية ۲۳.
(۲) سورة طه، آية ۱۱۴.
(۳) سورة محمد، آية ۱۹.
(۴) سورة المائدة، آية ۱۱۶.
(۵) سورة البقرة، آية ۳۳.
(۶) سورة يوسف، آية ۱۰۲.
(۷) سورة آل عمران، آية ۱۶۶.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۵۵

الإعجاز القرآنى بإقران العلم بالحكمة:

قال تعالى: وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ «۱».
و قال تعالى: وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ «۲».

الإعجاز القرآنى بإقران العلم بالتوحيد:

قال تعالى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ «۳».

الإعجاز القرآنى فى الحقائق العلمية. «۴»

إنّ أصالة القرآن فى إعجازه العلمى ركيزتها العقيدة، و سلاحها العلم، و شواهدها حقائق العلم فى مختلف العلوم، و نواحى الحياة، ذكرها القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرنا معجزا، و هاديا للبشرية فى آن واحد؛ لتعرف ربّها، و تخضع لخالقها؛ اعترافا، و حمدا على نعمائه.
فالعلم هو دعوة القرآن الأولى فى الإعجاز، و الهداية، فالعلم روح الإيمان، و مؤشر النجاة. توّج القرآن دعوته للعلم بحقائق العلم أوردها على سبيل الترغيب و الترهيب فى آن واحد أنكرتها البشرية الجاحدة فترة من الزمن رضخ لها العلم حديثا لم يستطع أن ينكرها، أو أن يجحدها، مؤكدا معترفا أنّها حقائق قطعية فى قرآن يقينى لم يزعزعه أى اختلال فى حقائقه، و لم تشبه آية شائبة فى علومه، معجزا و دالا للبشرية جمعاء أنّ ما هو قطعى فى العلم، هو قطعى فى القرآن.

---

(۱) سورة آل عمران، آية ۴۸.
(۲) سورة آل عمران، آية ۱۶۴.

(۳) سورة محمد، آية ۱۹.
(۴) أنظر فى مثل هذه الحقائق العلمية دكتور غازى عناية- مناهج البحث العلمى فى الإسلام- طبعة دار الجيل- بيروت ص ۴۲.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۵۶

أمثلة على الحقائق العلمية فى القرآن:

الحقيقة العلمية الأولى:

حقيقة خلق الإنسان من طين.
قال تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ «۱».
و قال تعالى: وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ «۲».
و قال تعالى: إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ «۳».

الحقيقة العلمية الثانية:

حقيقة خلق الإنسان من ماء مهين.
قال تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ «۴».
و قال تعالى: أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ «۵».
و قال تعالى: ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ «۶».

الحقيقة العلمية الثالثة:

حقيقة خلق الإنسان أطوارا.
قال تعالى: وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً «۷».

---

(۱) سورة المؤمنون، آية ۱۲.
(۲) سورة السجدة، آية ۷.
(۳) سورة ص، آية ۷۱.
(۴) سورة الطارق، آية ۵- ۷.
(۵) سورة المرسلات، آية ۲۰.
(۶) سورة السجدة، آية ۸.
(۷) سورة نوح، آية ۱۴.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۵۷
و قال تعالى: يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ «۱».
و الظلمات الثلاثة هى الغشاء المنبارى، و الخوريون، و اللفائفى.
و قال تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (۱۲) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ «۲».

الحقيقة العلمية الرابعة:

حقيقة خلق كلّ شىء حى من ماء.
قال تعالى: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ «۳».

الحقيقة العلمية الخامسة:

حقيقة القيمة الغذائية و العلاجية للعسل.
قال تعالى: ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ «۴».
و لقد أكدت التجارب التى أجريت على العسل فى جامعة «ليزيغ» فى ألمانية أنه يحتوى على نسبة ۲۵- ۴۰٪ من الجلوكوز، و التى تستخدم فى علاج الكثير من الأمراض، و تشكل عنصرا رئيسيا فى صناعة الكثير من الأدوية كمغذية و معالجة فى آن واحد. و لقد أثبت أحد

---

(۱) سورة الزمر، آية ۶.
(۲) سورة المؤمنون، آية ۱۲- ۱۴.
(۳) سورة الأنبياء، آية ۳۰.
(۴) سورة النحل، آية ۶۹.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۵۸
الجراحين فى مستشفى «نور فلك» فى إنجلترا إيجابية العسل فى قتل البكتيريا أثناء، و بعد العمليات الجراحية؛ مما يساعد على التئام الجروح.
كما أعلن البرفيسور الفرنسى «كلود هيليو» أنّ عسل النحل الملكى له القدرة الكبيرة على قتل الجراثيم «۱».
و يذكر دكتور عبد العزيز إسماعيل: «و إذا علمنا أنّ الجلوكوز يستعمل مع الأنسولين حتى فى حالة التسمم الناشئ عن مرض البول السكرى علمنا مقدار فوائده. و إنّ القرآن الكريم لم يذكره بطريق المصادفة، و لكنّه تنزيل ممن خلق الإنسان، و النحل» «۲».

الحقيقة العلمية السادسة:

حقيقة أضرار الخنزير.
قال تعالى: إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ «۳».
لقد أثبتت التجارب التى أجريت على حوالى خمسين فى المائة من الخنازير فى بعض الولايات المتحدة الأمريكية: أنها مصابة بمرض «تركيتا» و هو نوع من السموم تفرزه ديدان تحمل هذا الاسم، و تسبب أمراضا تشبه الكوليرا «۴».
و يقول بيتى ديكسون: «إنّ الإصابة بها تكاد تكون عامة فى جهات من فرنسا و إيطاليا و بريطانيا، و لكنها تكاد تكون نادرة الوجود فى البلاد الشرقية؛ لتحريم دين أهلها أكل لحم الخنزير» «۵».

---

(۱) دكتور يوسف السويدى: كتاب: الإسلام و العلم التجريبى- ص ۶۴.
(۲) دكتور عبد العزيز اسماعيل- كتاب الإسلام و الطب الحديث ص ۱۹۹.
(۳) سورة البقرة آية ۱۷۳.
(۴) دكتور يوسف السويدى- الإسلام و العلم التجريبى.
(۵) دكتور عبد الرزاق الشهرستانى: كتاب أسس الصحة و الحياة.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۵۹
و قد ثبت علميا أنّ لحم الخنزير يحتوى على «ديدان التريخينا»؛ و أنّ الأنثى الواحدة من هذه الديدان تضع نحو ۱۵۰۰ جنينا فى الغشاء المبطن لأمعاء المصاب؛ فتتوزع الملايين المولودة من الإناث بطريق الدورة الدموية إلى جميع أنحاء الجسم، فتتجمع الأجنّة فى العضلات حيث تسبب آلاما شديدة، و التهابات عضلية مؤلمة تدعو إلى انتفاخ النسيج العضلى، و تكوّن الأورام.

و قد ثبت أيضا أنّ نسبة الترسبات الدهنية في لحم الخنزير أكثر من ضعفي اللحوم العادية، و أنّ هذه الترسبات تفرز مادة الكولسترول «التي تساعد كثرتها على تصلب الشرايين، و بالتالي الجلطة في القلب» «۱».

و قد أثبتت أحدث التحليلات العلمية أنّ فيروس الأنفلونزا يتوطن داخل جسم الخنزير يكمل دورة نموه فيه.

الحقيقة العلمية السابعة:

حقيقة أضرار شرب الخمر.

قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّما الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «۲».

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «كلّ مسكر خمر، و كلّ خمر حرام» «۳».

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «لعن اللّه الخمر، و شاربها، و ساقيها، و مبتاعها، و بائعها، و معتصرها، و حاملها، و المحمولة إليه» «۴».

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم: ليشربنّ أناس من أمّتي الخمر و يسمّونها بغير اسمها» «۵».

---

(۱) دكتور عبد الرزاق الشهرستاني: كتاب أسس الصحة و الحياة.

(۲) سورة المائدة، آية ۹۰.

(۳) أخرجه الإمام أحمد، و أبو داود في السنن.

(۴) أخرجه الإمام أحمد، و أبو داود في السنن.

(۵) أخرجه الإمام أحمد، و أبو داود في السنن.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۶۰

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «إنّ اللّه أنزل الدواء، و جعل لكلّ داء دواء، فتداووا و لا تتداووا بحرام» «۱».

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم لطارق الجعفي عند ما سأله عن الخمر، فنهاه. فقال طارق: إنّما أصنعها للدواء. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «إنّه ليس بدواء، و لكنه داء» «۲».

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «لا شفاء في نجس» «۳».

يقول دكتور «أويرى لويس» رئيس قسم الأمراض النفسية في جامعة لندن، و نشره في أشهر مرجع طبي بريطاني «برايس الطبي»:

«إنّ الكحول هي السّمّ الوحيد المرخص بتداوله على نطاق واسع في العالم كلّه، و يجده تحت يده كلّ من يريد أن يهرب من مشاكله. و بهذا يتناوله مضطربو الشخصية، و يؤدي هو بذاته إلى اضطراب الشخصية، و إنّ جرعة واحدة من الكحول تسبب التسمم، و تؤدي إلى الهيجان أو الخمود، و قد تؤدي إلى الغيبوبة. أمّا شاربو الخمر المدمنون فهم عرضة للانحلال الخلقي الكامل ثمّ الجنون».

و يقول دكتور «الورنس» رئيس قسم الطب العلاجي في جامعة لندن: «أوّل ما يفقد من وظائف المخ بواسطة الكحول هو القدرات الدقيقة على الحكم، و الملاحظة، و الانتباه. كما أنّ الكفاءة العقلية و البدنية تنخفض بتناول الكحول مهما كانت الكمية قليلة، و تقلّل من دقة النظر، و من القدرة على السمع الجيد، و الشّم، و التذوق. كما تؤدي إلى فقدان توازن العضلات.

و أثبت العالمان: «ستوكار» و «شارات» أنّ الكحول تنتقل بالوراثة

---

(۱) أخرجه أبو داود في سننه.

(۲) أخرجه مسلم و الترمذي.

(۳) أخرجه الصحيح.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۶۱

من دم الأم الحامل إلى دم الجنين عن طريق المشيمة داخل الرحم، و كذلك عن طريق حليب الرضاعة «۱».

و يقول دكتور عبد العزيز إسماعيل: «و تزداد بالكحول الانفعالات النفسية، و هذا هو الخطر؛ لأنّ الشخص يصبح شخصا آخر، و إرادته تصبح غير إرادته الطبيعية، و هو لا يقوى على منع نفسه. و قد يحدث الشيء البسيط منه حركة انتعاشية، و لكن ضعف الإرادة يجعل الشخص عبدا لعادة شرب الخمر» «۲».

و لنا القول: ممّا استقرئ من المنشورات الطبية إنّ الخمر يزيد من اضطرابات القلب، و نبضاته، و تضعفه، و يوسع الأوعية الدموية في الجلد حيث يحصل تورم، و احمرار فيه. و يؤدي الخمر إلى سوء التغذية، و نقص الفيتامينات، و خاصة فيتامين ب، حيث إنّ نقصه يسبب التهاب الأعصاب، و الضمور الشحمي في الكبد مع ترسب المواد الدهنية. كما يسبب شرب الخمر فقر الدم.

و قد ثبت علميا أيضا أنّ شرب الخمر يسبب ارتفاع ضغط الدم، و انفجار شريان المخ، و الإصابة بالشلل «۳».

الحقيقة العلمية الثامنة:

اشارة

حقيقة مضار الخبائث من المطعومات، و المشروبات.

قال تعالى: وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ «۴».

و الطيب هو كلّ ما ينفع جسم الإنسان، و لم يرد نص على تحريمه.

---

(۱) دكتور عبد الرزاق الشهرستاني. المرجع السابق- ۲۸۷.

(۲) دكتور عبد العزيز اسماعيل: المرجع السابق.

(۳) دكتور عبد الرزاق الشهرستاني- المرجع السابق- ص ۲۸۷.

(۴) سورة الأعراف، آية ۱۵۷.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۶۲

و الخبيث هو كلّ ما يضر جسم الإنسان، و لم يرد نص على تحليله.

و من الخبائث التي أوردها القرآن الكريم: الميتة، و الخمر، و لحم الخنزير.

قال تعالى: إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ «۱».

و لنا القول: بأنّ كلّ ما يبتدعه النّاس خاصة هذه الأيام من أسماء المطعومات و مشروبات خبيثة لا يسوغ القول بتحليلها لعدم ورود النص على ذكرها بأسمائها. فالقرآن لا يتعلق بالجزئيات، و قد جاء بقواعد كلية فحواها: أنّ كلّ ما هو طيب حلال، و كلّ ما هو خبيث حرام.

و من عجب العجائب أن يحلل البعض تعاطي أنواع معينة من المطعومات، و المشروبات الخبيثة بحجة عدم تحريم القرآن لها بأسمائها.

و منها تعاطي، و شرب الدخان، و الذي نستطيع القول بحرمتها، و على سبيل القطع و الفور؛ فهي من الخبائث الضارة؛ و النصوص على تحريمها متوفرة، و متحققة، و الدلائل وافرة.

دلائل تحريم شرب الدخان:

الدليل الأوّل:

قال تعالى: وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ «۲».

و التدخين من الخبائث، فهو حرام تعاطيه. و لقد أثبت العلم

---

(۱) سورة البقرة، آية ۱۷۳.

(۲) سورة الأعراف، آية ۱۵۷.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۶۳

حديثا الإضرار الكثيرة للتدخين، و منها أمراض لم يستطع العلم على تقدمه من علاجها: كالسرطان بأنواعه: سرطان اللثة، و سرطان الحلق، و سرطان المعدة، و سرطان المرىء؛ و حيث تأكدت العلاقة الوثيقة بين تعاطي الدخان، و الإصابة بالسرطان.

و هاك أضرار كثيرة يسببها التدخين: كفقد الشهية ممّا يسبب الهزال، و فقر الدم، و منها الخمول، و الكسل، و ضعف الأعصاب؛ و منها روائح الفم الكريهة؛ و منها تسوّس الأسنان.

و حسب القاعدة الشرعية: «فإن الأصل في الضار التحريم».

و لا تزال النشرات الطبية تصدر تباعا عن المؤسسات، و الهيئات الطبية الدولية، و الحكومية، و الخاصة في البلدان المتقدمة مدنيا، و تؤكد الإضرار الحتمية لتعاطي التدخين، و بالإحصائيات الدقيقة بعدد الإصابات، و أنواع الأمراض.

و قد أثبتت التحليلات العلمية انتقال أمراض التدخين من الأم الحامل إلى وليدها، و خاصة مرض الهزال، و فقر الدم.
و قد أثبتت التقارير العلمية ارتفاع نسبة الوفيات الناشئة عن التدخين بالمقارنة مع الأمراض الأخرى.
و قد يرد التساؤل على ألسنة بعض المدخنين: بأنّ الكثير منهم لم يتضرّروا أو لم يموتوا من التدخين مع أنّهم يتعاطونه كثيرا، و لمدد طويلة؟؟! و الجواب على هذا التساؤل في غاية البساطة، و السهولة، و يتلخص في:
أولا: بالنسبة للموت: فسبب الموت ليس المرض، و إنّما انتهاء الأجل. على اعتبار أنّ سبب الموت هو انتهاء الأجل. و لكن المدمن إنّما يأخذ بشواهد هذا السبب كمن يركب الأخطار، و لا يبالي بنتائجها، و على اعتبار أنّها ليست سبب الموت.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۶۴
ثانيا: بالنسبة للمرض، فيجب التفريق بين عدم ظهور أعراضه و بين ظهورها. فعدم ظهور أعراض التدخين لا يعني عدم الإصابة بأمراضه، و بأنّه غير ضار.
فالدخان غاز سام يتجرعه المدخن داخل أحشائه، و من ثمّ ينفذ إلى أعضاء الجسم الداخلية؛ و قد تظهر أعراضه، أي أمراضه التي يسببها، و قد لا تظهر. و من ثمّ لا يجوز الادعاء بعدم مضار التدخين؛ لعدم ظهور أعراضه أحيانا.
و لقد ثبت علميا أنّ نبات التبغ هو نبات سام، و يصنّف ضمن النباتات السامة. فهو إذن ضار بفعل كونه مصدرا للضرر، و ليس ناقلا له فقط. و لم نسمع أحدا يدعي أنّ السم لا يضر إذا تناوله الإنسان.
و لا يستطيع أحد أن يشكك في شدّة خطر سم النيكوتين الذي يحتويه التبغ على صحة الإنسان.

الدليل الثاني:

التدخين تبذير- و التبذير- حرام؛ فهو إتلاف للمال.
قال تعالى: إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ وَ كانَ الشَّيْطانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً «۱».
و التدخين تبذير، لأنّه إنفاق في أمر محرّم؛ فقد ثبتت أضراره.
و يعرّف التبذير: بأنّه الإنفاق في الحرام، و لو كان قليلا.
فالتدخين إنفاق في حرام حتى و لو في القليل من شرب الدخان.

---

(۱) سورة الإسراء، آية ۲۶، ۲۷.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۶۵

الدليل الثالث:

التدخين إسراف. و الإسراف حرام.
قال تعالى: وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ «۱».
و يعرّف الإسراف: بأنّه الإنفاق في الحلال من غير حاجة.
فالتدخين إسراف من غير حاجة، و ليست هناك أية دوافع، أو مبررات، أو أسباب لتعاطيه، و الإنفاق عليه، أو فيه. و هذه حجة على الذين يحلّلونه. حتى و لو كان ذلك، فهو إسراف من غير ضرورة؛ و الإسراف حرام، فالتدخين حرام.

الدليل الرابع:

التدخين مفتّر للأعصاب.
عن أم سلمة أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلم): «نهى عن كلّ مسكر و مفتّر» رواه الترمذي.
و التدخين كالمخدرات، و هو منها يخدّر، و يفتّر الأعصاب أي يخرجها عن طبيعتها في أداء وظائفها.

الدليل الخامس:

التدخين قتل للنفس، و هذا محرّم نصا.
قال تعالى: وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً «۲».
و التدخين قتل بطيء للنفس، و هو انتحار لها؛ و ذلك لأنّ المدخن يأخذ بأسباب المرض، و الضرر القاتل لنفسه.

---

(۱) سورة الأعراف، آية ۳۱.
(۲) سورة النساء، آية ۲۹.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۶۶

الدليل السادس:

التدخين إتلاف للضرورات الخمس التي يجب أن يحافظ عليها المسلم و هي: الدين، و النفس، و المال، و العقل، و البدن.

الحقيقة العلمية التاسعة:

حقيقة مضار نكاح الحائض.
قال تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ «۱».
لقد أثبت العلم حديثا الإضرار الجسمانية، و النفسية الناشئة عن نكاح الحائض. و سواء بالنسبة للرجل أو المرأة على حد سواء.
و قد أثبت العلم أنّ أغشية الرحم المخاطية تحتقن وقت الحيض، و لذا فإنّ الاتصال الجنسي بالمرأة يحدث تمزقا شديدا في تلك الأغشية، فتسبب الالتهابات، و تنفشي الفيروسات و الميكروبات داخل الرحم، و تنتقل من المرأة إلى الرجل بالجماع.

الحقيقة العلمية العاشرة:

حقيقة التلقيح بالهواء.
قال تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ «۲».
يفسّر ابن كثير الآية بقوله: «أي تلقح السحاب فتدر ماء، و تلقح الشجر، فتتفتح عن أوراقها، و أكمامها. و ذكر الرياح بصيغة

---

(۱) سورة البقرة آية ۲۲۲.
(۲) سورة الحجر، آية ۲۲.
شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۶۷
الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح العقيم فإنّه أفردها، و وصفها بالعقيم، و هو عدم الإنتاج لأنّه لا يكون إلّا بين شيئين فصاعدا».
و قد أثبت العلم حقيقة تلقيح الرياح للنباتات بنقل بذور اللقاح الذكرية إلى الأنثوية.

الحقيقة العلمية الحادية عشرة:

حقيقة دوران النجوم، و الكواكب.
قال تعالى: وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (۳۸) وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (۳۹) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ «۱».
فلسفة العلم حديثه، و قديمه، و بأجهزته، و علمائه، تتهاوى رضوخا و استسلاما أمام هذه الحقيقة التي أوردها القرآن منذ نيف و أكثر من أربعة عشر قرنا.

الحقيقة العلمية الثانية عشرة:

حقيقة الضغط الجوي.

قال تعالى: وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ «۲».

رضخ العلم لهذه الآية حديثا باكتشافه أنّ الضغط الجوى خارج غلاف الأرض يقل كثيرا، و تقل معه نسبة الأوكسجين فى الهواء ممّا يؤدى إلى ضيق الصدر، و الحشرجة، و الاختناق. و تأكد

---

(۱) سورة يس، آية ۳۸- ۴۰.

(۲) سورة الأنعام، آية ۱۲۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۶۸

هذه الحقيقة وضوحا باستخدام رواد الفضاء كمّامات موصوله بأنابيب مملوءة بالأوكسجين يستنشقونه أثناء رحلاتهم الفضائية.

و كذلك يلبسون ملابس فضائية خاصة مكيفة بضغط جوى يساوى الضغط الجوى على الكرة الأرضية.

الحقيقة العلمية الثالثة عشرة:

حقيقة دوران القمر حول الأرض.

قال تعالى: وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ «۱».

و يعنى هذا أنّ القمر فى دورانه حول الأرض يمر بعدّة منازل، يبدو مختلفا أثناءها فى مظهره، و نوره، و لو كان ثابتا لما تجلّت هذه المنازل.

الحقيقة العلمية الرابعة عشرة:

اشارة

حقيقة تعدد السموات، و الأرضين.

قال تعالى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَ سورة الطلاق آية ۱۲.

و قال تعالى: أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً سورة نوح آية ۱۵.

و قال تعالى: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً سورة الملك آية ۳.

يقول أبو السعود المفسّر اللغوى فى تفسيره: «إنّ الجمهور على أنّها سبع أرضين بعضها فوق بعض». و يقول المفسر النيسابورى: «إنّها

---

(۱) سورة يس، آية ۳۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۶۹

أرضين ما بين كلّ واحدة منها إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام، و فى كلّ أرض منها خلق».

حقائق تعدد السموات، و الأرضين لا تزال مجهولة لدى العلم الحديث بالرغم من تقدمه، حقيقة هذا العدد ذكرها القرآن منذ بيف و أربعة عشر قرنا.

و كلّ ما توصل إليه العلم هو أنّ هذه السبع سماوات ما هى إلّا كواكب سبعة تدور حول الشمس و هى: الأرض، و القمر، و عطارد، و نبتون، و المريخ، و المشترى، و زحل.

و لنا التساؤل: هل ما اكتشفه العلم هو سبع سماوات أم سبع أرضين؟! و إن كانت كذلك فهل هى المعنيّة فى القرآن؟! اللّه أعلم.

رابعا: إنّ إعجاز القرآن العلمى يقينى فى ثبوته، و حقائقه العلمية لا تتنابها شواهد الخطأ الظنّى؛ و هذا على العكس من العلوم البشرية التى نادرا ما تكون يقينية، أو ثابتة؛ و قلما لا يتنابها الخطأ، و التغيير. و لنا أن نفسح المجال للمفكر الإسلامى وحيد الدين خان ليشرح لنا هذا المعنى، و بأسلوبه فى كتابه: «الإسلام يتحدى» «۱» فهو يقول:

«إنه رغم نزول القرآن قبل قرون كثيرة من عصر العلوم الحديثة، لم يتمكن أحد من إثبات أية أخطاء علمية فيه، و لو أنّه كان كلاما بشريا لكان هذا ضربا من المستحيل.

كانت بعثة لطلبة الصين تدرس بجامعة كاليفورنيا منذ بضع سنين، و قد ذهب اثنا عشر من هؤلاء الطلبة إلى كاهن «كنيسة بركلى» طالبين منه أن ينظم لهم دراسة حول الدين المسيحى فى أيام الأحد، و قالوا له بكل

---

(۱) وحيد الدين خان- الإسلام يتحدى- ص ۱۲۱- ۱۳۴ بدون تصرف.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۷۰

صراحة: إننا غير راغبين فى اعتناق المسيحية، و لكننا نريد أن نعرف مدى تأثير هذا الدين على الحضارة الأمريكية، و اختار القسيس عالما فى الرياضة، و الفلك، هو البروفيسور «بيترو ستونر» للتدريس لهؤلاء الشبان. و بعد أربعة أشهر من هذا الواقع اعتنقوا الدين المسيحى!! أمّا الدوافع وراء هذا العمل المدهش؛ فلنسمعها من الأستاذ نفسه:

«لقد كان السؤال الأوّل أمامى: ما ذا أقول لهم عن الدين؟ إنّهم لا يؤمنون بالإنجيل إطلاقا، و تدريس الإنجيل على الطريقة التقليدية لن يأتى بفائدة ما، و فى ذلك الوقت تذكرت أنى أثناء دراستى كنت ألاحظ علاقة كبيرة بين العلوم الحديثة، و سفر التكوين فى الإنجيل، و لذلك رأيت أن أعرض هذا الكلام أمام هذه الجماعة من الشباب».

«و كنا- أنا و الطلبة- نعرف بطبيعة الحال أن ما جاء فى هذا الكتاب عن بدء الكون قد كتب قبل آلاف السنين من كشوف العلوم الحديثة عن الأرض، و السماء، و كنا نشعر كذلك أن أفكار النّاس فى زمن موسى ستبدو لغوا باطلا، لو درسناها فى ضوء معلومات العصر الحاضر.

«و قد أمضينا فترة الشتاء كلها ندرس فى سفر التكوين، و كان الطلبة يكتبون الأسئلة حول ما جاء فى هذا السفر، ثمّ يبحثون عن أجوبتها بكل جهد فى مكتبة الجامعة. و عند انتهاء الشتاء أخبرنى القسيس أن الطلبة حضروا إليه ليخبروه أنّهم يريدون اعتناق المسيحية، و قد أقروا أنه ثبت لهم أنّ الإنجيل كتاب موحى من عند اللّه» «۱».

و على سبيل المثال يقول سفر التكوين عن حالة الأرض فى بداية الأمر:

«لقد غشى على الأغوار ظلام» «۲».

---

(۱). TheEvidenceofGod ,pp.۱۳۷ -۱۳۸.

(۲) تقول الترجمة العربية للتوراة (المنقولة عن اليونانية): «و كانت الأرض خربة و خالية، و على وجه القمر ظلمة». الإصحاح:

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۷۱

و هذا هو أحسن تصوير للحالة التى وجدت فى الأرض فى ذلك الوقت، كما عرفناها من العلوم الحديثة، فكان سطح الأرض حارا جدا، و تبخرت المياه بسبب هذه الحرارة، و لم يصل النور إلى سطح الأرض، لأنّ مياه بحارنا كانت معلقة فى صورة سحب كثيفة، فى الفضاء، و كان ظلام حالك يسود الأرض.

إنّنا نؤمن بأنّ الإنجيل، و التوراة من الكتب الإلهية، مثل القرآن الكريم، و لذلك توجد فيها قبسات من العلم الإلهى، و لكن النصوص الأصلية قد ضاعت، و طرأ فارق كبير بين الإنجيل الحقيقى، و إنجيل هذا العصر، بعد مضى ألفى عام حافلة بعمليات الترجمة من لغة إلى أخرى، ثمّ بأعمال التحريف البشرىHu manInterpolation الذى أصاب النسخة الإلهية أكثر ما أصاب، على حد تعبير العالم الأمريكى «كريسى موريسون» «۱».

و لما كانت هذه الصحائف قد فقدت قيمتها، نتيجة لما حدث، فقد أرسل اللّه تعالى: «طبعة جديدة» من كتابه إلى البشر، و هذا الكتاب هو «القرآن الكريم» و هو يحمل، من أجل صحته و كماله، كل الميزات و الخصائص التى لا توجد منها سوى لمحات فى الكتب القديمة.

و سوف أستعرض هنا هذه الخاصة دليلا ثالثا من أدلتى على صدق القرآن الكريم، و لقد أنزل القرآن قبل عصر النهضة، و لكن أحدا من النّاس لم يستطع إبطال شىء مما جاء به، و لو كان هذا القرآن من كلام البشر، لعد ذلك ضربا من ضروب الإحالة.

نزل القرآن فى عصر لم يكن الإنسان يعرف عن الطبيعة إلا القليل

---

(۱). ۱۲۰.p, ManD oesnotStandAlone ، و من الثابت أن الأناجيل لم تكتب فى حياة المسيح، و لا حتى بعد وفاته بنصف قرن كما أن التوراة آخر ما كتب من عصر السبى البابلى (۵۸۶- ۵۳۸ ق. م.)

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۷۲

النادر، و كانوا يرون أن الأمطار تنزل من السماء، و أن الأرض مستوية، كالفراش، و أن السماء سقف الأرض، و كانوا يرون أن النجوم مسامير لامعة من الفضة مركبة فى قبة السماء، أو أنّها قناديل معلقة فى الفضاء! و كان أهل الهند الأقدمون يؤمنون بأن الأرض محمولة

على أحد قرنى «البقرة الأدم»، و هى حين تقوم بنقل أرض من قرن إلى آخر يحدث زلزال على البسيطة «۱». و كان العلماء يرون أن الشمس ساكنة بلا حراك، و أنّ الأرض تدور حولها، إلى أن جاء «كوبر نيك» (۱۴۷۳/ ۱۵۴۳ م)، و عرض فكرته الشهيرة عن حركة الشمس.

و هكذا تقدم العلم رويدا رويدا، إلى أن زادت قوة المشاهدة و الدراسة لدى الإنسان، فكشف عن أسرار كثيرة. و الآن لا نجد جزءا ما من معلوماتنا عن أجزاء الجسم، و شعب العلم المختلفة، إلّا و قد تغيرت نظرتنا إليه كلية، و ثبت بطلان عقائد العصر القديم.

و يدل هذا بكل صراحة على أنه لا وجود لكلام إنسانى تدوم صحته كليا ... لأنّ الإنسان يتكلم عما هو معروف من المعتقدات، و العلوم فى عصره، إنّه سوف يسرد ما وجده فى زمنه، سواء وقع كلامه فى دائرة الشعور أو اللاشعور. و لذلك لا نجد كتابا مضى عليه حين من الدهر إلّا و هو مملوء بالأغلاط، و الأخطاء من سائر نواحيه، نظرا إلى الكشوف الجديدة فى كل الميادين.

و لكن مسألة القرآن الكريم تختلف تمام الاختلاف عن هذه الكلية! فهو حق و صادق فى كل ما قال، كما كان فى القرون الغابرة. و لم يطرأ على مقاله أى تغير رغم مضى قرون، و عصور طويلة. و هذا فى نفسه دليل على أن منبعه عقل جبار يحيط بالأزل، و بالأبد علما، و هو يعلم

---

(۱) شاعت هذه العقيدة الخرافية كذلك فى أوساط العوام، و أشباه المتعلمين فى شرقنا العربى، و إن كان تيار العامة الآن يقضى على مثل هذه الخرافات.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۷۳

سائر الحقائق فى صورها النهائية، و الحقيقة، و لا يخضع علمه، و معرفته لحواجز الزمان، و المكان، و الأحوال. و لو كان هذا الكلام صادرا عن بشر محدودى النظر، و العلم لكان الزمان قد أبطله منذ عصور عديدة، كما يحدث لكل كلام إنسانى فى مستقبله.

إن المحور الحقيقى لرسالة القرآن هو السعادة الأخروية، فهو بذلك لا يدخل فى دائرة أى من علومنا، و فنوننا الحديثة. و لكن حيث أنه يخاطب «الإنسان» فى حقيقة الأمر، فهو يمس كل ما هو متعلق بالإنسان، و هى مسألة دقيقة، و موقف جد خطير .. لأنّ المرء حين يكون جاهلا، أو ناقص المعلومات حول مشكلة ما، ثمّ يتجرأ ليتكلم عن تلك المشكلة- و لو إجمالا- فلا بد أن يكبو فى حديثه، و ذلك حين يستخدم كلمات أو عبارات لا علاقة لها بالواقع، و الحقائق! و على سبيل المثال: قال أرسطو استدلالا على أسبقية الرجل على المرأة: إن فم المرأة يحوى أسنانا أقل عددا من أسنان الرجل!! و من المعروف أن هذا الكلام لا علاقة له بعلم الأجسام، بل هو يدل على أنّ صاحبه جاهل بهذا العلم، فإنّ عدد الأسنان سواء لدى الرجل، و المرأة.

و لكن من المدهش حقا أنّ القرآن- حتى فيما يمس أكثر العلوم الحديثة من ناحية أو أخرى- لا يحتوى كلمة ما أثبت العلم فيما بعد، أنها من صنع رجل جاهل بذلك الموضوع، و هذا يوضح صراحة أنه كلام موجود فوق الطبيعة، و هو على معرفة تامة بكل شىء على حين لم يكن أحد يعلم شيئا، و هو يعلم أيضا كل ما يجهله البشر فى هذا العصر، مع تقدم العلوم.

و سوف أورد هنا بعض الأمثلة التى تدل صراحة على أنّ القرآن الكريم يحيط بالحقائق التى لم تعرف إلّا فى عصرنا هذا، و إن كانت إحاطته هذه ضمن إشارات غير مقصودة لذاتها.

و يجب أن أقول، تمهيدا لهذا البحث: إن مطابقة كلمات «القرآن» و ألفاظه للكشوف الحديثة مبنية على أن العلم الحديث قد استطاع الكشف

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۷۴

عن أسرار الواقعة موضوع البحث، فتوفرت لدينا مواد نافعة لتفسير الإشارات القرآنية فى ذلك الموضوع. و لو أنّ دراسة المستقبل فى موضوع ما تبطل واقعة من وقائع العلم الحديث كليا أو جزئيا فليس هذا بضائر مطلقا صدق القرآن، بل معناه أنّ المفسر أخطأ فى محاولته لتفسير إشارة مجملة فى القرآن، و إننى لعلى يقين راسخ بأنّ الكشوف المقبلة سوف تكون أكثر إيضاحا لإشارات القرآن، و أكثر بيانا لمعانيه الكامنة.

تقسيم لآيات القرآن:

اشارة

و نستطيع أن نقسم الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الجانب إلى نوعين:

الأول: ما عرف عنه الإنسان- حتى ذلك العصر- أمورا جانبية و سطحية.

و الثانى: ما لم يعرف عنه ذلك الإنسان شيئا، مطلقا.

إنّ هناك أشياء كثيرة كان الأقدمون يعرفون عنها بعض المعارف الجزئية، و كانت معرفتهم هذه ناقصة جدا بالنسبة إلى المعرفة التى أتيحت للإنسان اليوم، بفضل الاختراعات الحديثة. و قد واجه القرآن فى هذا الصدد مشكلة كبرى. فهو لم يكن كتابا فى العلوم، و الهندسة، و لذلك لو أنه كان بدأ يكشف عن أسرار الطبيعة لاختلف النّاس فيما بينهم حول ما جاء فى القرآن، و لاستحال عندئذ بلوغ الهدف الحقيقى من نزول القرآن، و هو إصلاح العقل الإنسانى، و تزكيته. فمن إعجاز القرآن أنه تكلم فى لغة العلم، قبل كشفه، كما أنه استعمل كلمات، و تعبيرات لم يستوحشها أذواق الأقدمين، و لا معارفهم، على حين أحاطت بكشوف العصر الحديث!

النوع الأول:

أ- ذكر القرآن الكريم قانونا خاصا بالماء فى سورتين: هما

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۷۵

الفرقان و الرحمن. و جاء فى السورة الأولى: وَ هُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً سورة الفرقان آية ۵۳.

و أمّا الآية التى وردت فى السورة الأخرى فهى تقول: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ (۱۹) بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ سورة الرحمن آية ۱۹- ۲۰.

إنّ الظاهرة الطبيعية التى يذكرها القرآن فى هذه الآيات معروفة عند الإنسان منذ أقدم العصور، و هى أنه إذا ما التقى نهران فى ممر مائى واحد فماء أحدهما لا يدخل (أى لا يذوب) فى الآخر. و هناك، على سبيل المثال، نهران يسيران فى «تشاتغام» بباكستان الشرقية إلى مدينة «أركان»، فى «بورما»، و يمكن مشاهدة النهرين، مستقلا أحدهما عن الآخر، و يبدو أن خيطا يمر بينهما، حدا فاصلا، و الماء عذب فى جانب، و ملح فى جانب آخر. و هذا هو شأن الأنهار القريبة من السواحل، فماء البحر يدخل ماء النهر عند حدوث «المد البحرى»، و لكنهما لا يختلطان، و يبقى الماء عذبا تحت الماء الأجاج. و هكذا شاهدت عند ملتقى نهرى الكنج، و الجامونا، فى مدينة «اللّه آباد»، فهما رغم التقائهما لم تختلط مياههما، و يبدو أن خيطا فاصلا يميز أحدهما من الآخر «۱».

إنّ هذه الظاهرة، كما قلت، كانت معروفة لدى الإنسان القديم ..

و لكنا لم نكشف قانونها إلّا منذ بضع عشرات من السنين. فقد أكدت المشاهدات، و التجارب أنّ هناك قانونا ضابطا للأشياء السائلة؛ يسمى «قانون المحيط السطحى» SurfaceTension، و هو يفصل بين السائلين؛ لأنّ «تجاذب» الجزيئات يختلف من سائل لآخر، و لهذا يحتفظ كل سائل باستقلاله فى مجاله. و قد استفاد العلم الحديث كثيرا من هذا القانون، الذى عبر عنه القرآن الكريم بقوله سبحانه: بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ.

و ملاحظة هذا البرزخ لم تخف عن أعين القدماء، كما لم تتعارض مع

---

(۱) و هو ما كان يشاهد عند التقاء النيل بالبحر الأبيض، قبل بناء السد العالى.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۷۶

المشاهدة الحديثة، و نستطيع، بكل ثقة، أن نقول: إنّ المراد من «البرزخ» إنّما هو «المط أو التمدد السطحى»، الذى يوجد فى الماءين، و الذى يفصل أحدهما عن الآخر.

و يمكن فهم هذا المط السطحى بمثال بسيط، و هو: أنك لو ملأت كوبا بالماء، فإنّه لن يفيض إلّا إذا ارتفع عن سطح الكوب قدرا معينا ..

و السبب فى ذلك أنّ «جزئيات» السوائل عند ما لا تجد شيئا تتصل به فوق سطح الكوب، تتحول إلى ما هو تحتها، و عندئذ توجد «غشاوة مرنة» ElasticFilm على سطح الماء، و هذه الغشاوة هى التى تمنع الماء من الخروج عن الكوب لمسافة معينة، و هى غشاوة قوية لدرجة أنك لو وضعت عليها إبرة من حديد، فإنّها لن تغوص! و هذه الظاهرة هى ما يسمى بالمط السطحى، الذى يحول دون اختلاط الماء، و الزيت، و الذى يفصل بين الماء العذب، و الملح.

ب- و جاءت فى القرآن بيانات مماثلة، و على سبيل المثال: اللّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها سورة الرعد آية ۲.

هذه الآية مطابقة لما كان يراه الرجل القديم، فإنه كان يشاهد عالما كبيرا قائما بذاته فى الفضاء، مكونا من الشمس، و القمر، و النجوم، و لكنه لم ير لها أية سارية أو أعمدة، و الرجل الجديد يجد فى هذه الآية تفسيرا لمشاهدته، التى تثبت أن الأجرام السماوية قائمة دون عمد فى الفضاء اللانهائى، بيد أن هنالك «عمدا غير مرئية» تتمثل فى قانون «الجاذبية» Gravitationpull، و هى التى تساعد كل هذه الأجرام على البقاء فى أمكنتها المحددة.

ج- و قد قال القرآن عن الشمس، و النجوم: وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ سورة يس آية ۴۰.

و كان الإنسان في العصر الغابر يشاهد أن النجوم تتحرك، و تبتعد عن أمكنتها بعد وقت معين. و لذلك لم يكن هذا التعبير القرآني موضع دهشتهم، و استغرابهم، و لكن البحوث الحديثة قد خلعت على هذه

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۷۷

التعبيرات ثوبا جديدا، فليس هنالك تعبير أروع، و لا أدق من «السباحة» لدوران الأجرام السماوية في الفضاء البسيط اللطيف! د- و قال القرآن الكريم عن الليل، و النهار: يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً سورة الأعراف آية ۵۴.

إنّ هذه الآية الكريمة تشرح للإنسان القديم سر مجيء الليل بعد النهار .. و لكنها تحوي إشارة رائعة إلى دوران الأرض محوريا، و هو الدوران الذي يعتبر سبب مجيء الليل، و النهار، طبقا لمعلوماتنا الحديثة.

و سوف أذكّر القراء- هنا- بأن من بين المشاهدات التي أدلى بها رجل الفضاء الروسي «جاجارين» بعد دورانه في الفضاء حول الأرض:

أنّه شاهد «تعاقبا سريعا» RapidSuccession للظلام و النور على سطح الأرض بسبب دورانها المحوري حول الشمس.

و هناك بيانات كثيرة جدا من هذا القبيل في القرآن الكريم ..

النوع الثاني من الآيات:

اشارة

و أما النوع الثاني من الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، فلم يعرف عنها الرجل القديم شيئا ما على الإطلاق. و قد تناول القرآن تلك الموضوعات، كاشفا الغطاء عن أسرار بالغة الأهمية، ثبت صدقها بعد الدراسات الحديثة، و سوف أعرض في الصفحات التالية بعض الأمثلة من مختلف فروع العلوم الحديثة.

أولا: علم الفلك:

يطرح القرآن الكريم فكرة معينة، و محدودة المعالم حول بداية الكون المادي، و نهايته؛ و كانت هذه الفكرة غير معروفة لدى الإنسان

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۷۸

الجديد قبل قرن من الزمان .. أما الإنسان القديم فلا مجال للقول بأنه كان من الممكن أن يتطرق عقله الصغير إلى هذه الفكرة أو أجزائها؛ و جاء العلم الجديد ليشهد على ما جاء في القرآن الكريم.

يعبر القرآن عن بداية الكون على النحو التالي: أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما الأنبياء آية ۳۰. أما عن نهاية الكون، فهو يقول: يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ الأنبياء آية ۱۰۴.

فالكون، بناء على تفسير هذه الآيات كان منضما، و متماسكا (الرتق: منضم الأجزاء)، ثم بدأ يتمدد في الفضاء، و يمكن رغم هذا التمدد تجميعه مرة أخرى في حيز صغير.

و هذه هي الفكرة العلمية الجديدة عن الكون، فقد توصل العلماء، خلال أبحاثهم، و مشاهداتهم لمظاهر الكون، إلى أن «المادة» كانت جامدة و ساكنة في أول الأمر، و كانت في صورة غاز ساخن، كثيف، متماسك.

و قد حدث انفجار شديد في هذه المادة قبل ..... ۵ سنة على الأقل، فبدأت المادة تتمدد، و تتباعد أطرافها. و نتيجة لهذا أصبح تحرك المادة أمرا حتميا، لا بد من استمراره، طبقا لقوانين الطبيعة، التي تقول: إن قوة «الجاذبية» في هذه الأجزاء من المادة تقل تدريجيا بسبب تباعدها (و من ثم تتسع المسافة بينها بصورة ملحوظة).

و يعتقد العلماء أن دائرة المادة كانت ...، ۱ مليون سنة ضوئية، في أول الأمر. و قد أصبحت هذه الدائرة الآن، كما يقول البروفيسور «إيدنجتون». عشرة أمثال بالنسبة إلى الدائرة الحقيقية. و هذه العملية من التوسع و الامتداد مستمرة دون ما توقف. و كما يقول البروفيسور «إيدنجتون»:

«إن مثال النجوم، و المجرات: كنقوش مطبوعة على سطح بالون من

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۷۹

المطاط، و هو ينتفخ باستمرار، و هكذا تتباعد جميع الكرات الفضائية عن أخواتها بحركاتها الذاتية، في عملية التوسع الكوني» «۱».

و أما الأمر الآخر، فقد ثبت لنا صدقه، كما ورد في القرآن. فكان الإنسان القديم يرى أن النجوم يبتعد بعضها عن بعض رأي العين، و لكننا نراها متقاربة لبعدها الهائل عن الأرض، و هي في حقيقة الأمر متباعدة بمسافات قياسية.

و لم يقف الأمر بنا عند هذا الحد، بل عرفنا أيضا أن تلك الأجسام و الأجرام التي كنا نشاهدها في قديم الزمن، و كنا نحسبها كاملة، و سالمة، أكثرها يحتوي على فضاء خال. و قد عرفنا أن كل جسم مادي يدور حول نظام له، مثل النظام الشمسي الذي تدور حوله نجوم، و سيارات كثيرة. و من أمثلته نظام «الذرة». فنحن نشاهد الفضاء الخالي في «النظام الشمسي»، و لكننا نعجز عن مشاهدة فضاء «النظام النووي» لصغر حجمه المتناهي .. حتى أنه يستحيل مجرد مشاهدة هذا النظام «۲».

و معنى ذلك أن كل شيء حتى لو بدا متماسكا- يحوي حيزا من الفضاء في داخله. و مثاله: أننا لو جردنا الفضاء أو المكان (Space) من الذرات المادية في الجسم الإنساني، ذات الستة الأمتار، فلن نجد إلا كمية قليلة جدا من المادة، تكاد تكون متناهية الوجود.

و هكذا يرى علماء الطبيعة الفلكية (Astro- Physicists) أننا لو طوينا كل شيء في الكون بدون أن نترك للفضاء مكانا، فسيكون حجم الكون كله ثلاثين ضعفا من حجم الشمس!! و يمكن قياس سعة الكون من أن أبعد مجرة استطاع الإنسان الكشف عنها تبعد بضعة ملايين من السنين الضوئية عن النظام الشمسي.

---

(۱). TheLimi tationsofScience ,p.۲۰ .

(۲) انظر التفصيلات عن «الذرة» في الباب الرابع من هذا الكتاب: الإسلام يتحدى.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۸۰

لقد توصل العلماء، خلال أبحاثهم، إلى أنه لا بد في المستقبل القريب- و طبقا لقانون دوران الأجرام السماوية- أن يقترب القمر من الأرض، حتى ينشق من شدة الجاذبية، و تتناثر أجزاؤه في الفضاء «۱».

و سوف تحدث عملية انشقاق القمر هذه بناء على نفس القانون الذي يحكم المد، و الجزر في البحار. فالقمر هو أقرب جيراننا في الفضاء، و لا يبعد عن الأرض غير ۲۴۰ ۰۰۰ ر ۲۴۰ ميلا، و هذا القرب يؤثر على البحار مرتين يوميا، حيث ترتفع فيها أحيانا أمواج يبلغ طولها ستين مترا، و أما تأثير هذه الجاذبية على سطح الأرض فيبلغ عدة بوصات!! إن المسافة الفاصلة بين الأرض و القمر مناسبة تماما لصالح أهل الأرض. و لو نقص هذا الفاصل إلى خمسين ألفا من الأميال- على سبيل المثال- فسوف يحدث طوفان شديد في البحار، و سوف تغطى أمواجها أكثر مناطق الأرض المأهولة، و سوف يغرق كل شيء، حتى لتتحطم الجبال من شدة تموج البحار، و سوف تحدث شقوق مروعة على سطح الأرض من وطأة الجاذبية!! و يرى علماء الفلك أيضا أن الأرض قد مرت بكل هذه الأدوار أثناء عملية التكوين، حتى وصلت إلى بعدها الحالي من القمر، بناء على قانون الفلك، و هذا القانون هو نفسه سوف يأتي بالقمر قريبا من الأرض مرة أخرى .. و يرون أن من المتوقع حدوث هذا قبل بليون سنة «۲».

و عندئذ سوف ينشق القمر، و سوف يتناثر حول فضاء الأرض في صورة حلقة.

أ ليست هذه النظرية من أعظم موافقات العلم لتلك النبوءة الواردة في القرآن الكريم، حول انشقاق القمر، حين تقترب القيامة؟ «۳»

---

(۱). ManD oesnotStandAlone ,p.۲۴ .

(۲) هذا مجرد تعبير عن الإمكان العلمي و حدوده الزمنية. و ليس ببعيد أن تقع هذه الظاهرة في وقت أقل مما حدده الفلكيون، و كلامهم لا ينفي هذا.

(۳) رويت معجزة «انشقاق القمر» في الصحيحين و كتب الحديث الأخرى، بروايات

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۸۱

اقرءوا قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ (۱) وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ سورة القمر آية ۱- ۲.

ثانيا: علم طبقات الأرض:

۱- جاء في القرآن الكريم، غير مرة، أن الجبال أرسيت في الأرض حفاظا على توازنها، و من ذلك قوله تعالى: خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ سورة لقمان آية ۱۰. و لقد ظل العلم جاهلا بهذه الحقيقة طوال القرون الثلاثة عشر الماضية، و لكن دارسي الجغرافيا الحديثة يعرفونها جيدا تحت اسم «قانون التوازن» Isostasy. و لا يزال العلم الحديث في مراحله البدائية بالنسبة إلى أسرار هذا القانون، و يقول الأستاذ انجلن:

«من المفهوم الآن أن المادة- الأقل وزنا- ارتفعت على سطح الأرض، على حين أصبحت أمكنة المادة الثقيلة خنادق هاوية، و هي التي

صحيحة الإسناد، و منها ما رواه عبد اللّه بن مسعود (رضى اللّه تعالى عنه)، و هو من الشهود العيان لذلك الحادث الخارق، و برغم ذلك لا تزال مسألة «انشقاق القمر» موضع خلاف شديد بين المفسرين، و العلماء .. فيرى الجمهور أنه حدث فعلا، «.. و قال بعض المفسرين: سينشق» كما يرى صاحب التفسير «الكبير»، و من القائلين به الإمام الحسن البصرى، و قد نقل عنه أبو حيان الأندلسى القول التالى: «ان المعنى إذا جاءت الساعة انشق القمر بعد النفخة الثانية». البحر المحيط، ج- ٨ ص- ١٧٣. و هناك فئة ثالثة من العلماء تؤثر «التوفيق» بين الرأيين، فهم يرون أن معجزة شق القمر، التى جاء ذكرها فى الأحاديث وقعت أمام جمع من المسلمين، و المشركين «بمنى» فى مكة المكرمة. و يرى الإمام الغزالى، و الشاه ولى اللّه الدهلوى أنها وقعت «بتصرف البصر». و من الممكن أن تكون قد حدثت فعلا نتيجة انشقاق فلكى. و هكذا ستكون الواقعة الأولى آية أولية للأحداث التى سوف يجرى وقوعها قرب القيامة. و فيها يقول المفسر الهندى الكبير العلامة شبير أحمد العثمانى فى تفسيره للقرآن: «لقد كانت معجزة شق القمر مثالا على أن كل شى» سينشق هكذا عند اقتراب القيامة».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ٢٨٢

نراها الآن فى شكل البحار. و هكذا استطاع الارتفاع، و الانخفاض أن يحافظا على توازن الأرض» «١».

و يرى عالم آخر من باحثى الجغرافيا:

«و فى البحار، أيضا، توجد وديان مثل وديان البر. و لكن وديان البحر أكثر غورا، و أبعد عمقا من تلك التى توجد فى البر، كما أنها بعيدة عن المجال التجريبى للإنسان. و يبدو أنه قد حدثت مغارات عميقة فى البحار. (و يبلغ عمق بعض هذه الوديان ٣٥ ألف قدم عن سطح البحر، و هذا العمق أعلى من أعظم جبال العالم ارتفاعا. و يبلغ من عمق هذه الوديان البحرية أحيانا أنه لو وضعت فيها قمة «إيفرست»، من سلسلة جبال «الهملايا»، و التى يبلغ طولها ٢٩،٠٠٢ قسيكون سطح البحر فوقها بمسافة ميل كامل)»! و من الظواهر المحيرة أن هذه الخنادق البحرية توجد قرب السواحل البرية بدل أن توجد فى أعالى البحار. و من ذا يستطيع أن يعلم قدر ذلكم الضغط الهائل، الذى أحدث هذه المغارات السحيقة فى قاع البحار.

و لكن قرب هذه الوديان من الجزر، و البراكين يدل على أن هناك علاقة بين طول الجبال، و الخنادق البحرية .. و هو أن الأرض يقوم توازنها على أساس الارتفاع و العمق (فى أجزائها المختلفة). و يرى بعض كبار علماء الجغرافيا أنه من الممكن أن تكون الأغوار البحرية علامات على جزر قد تظهر فى المستقبل. و سبب أن الرواسب و المخلفات لكل من البر، و البحر تترسب فى هذه الوديان، و قد سويت مناطق كبيرة من هذه الوديان بعد أن ملأتها هذه الرواسب. و لهذا من الممكن- بناء على عدم التوازن الذى يحدث عن هذه العملية- أن تبرز جبال جديدة فى أى وقت، أو تظهر سلسلة جديدة من الجزر، و مما يؤكد ذلك أنه قد وجدت آثار الرواسب البحرية فى بعض الجبال الساحلية.

---

(١). ١٩٤٨،Geomovphlogypp .VonAnglen ,C .R ٦٢- ٧٢- .N .Y .

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ٢٨٣

و على كل حال، لا توجد نظرية- فى ضوء المعلومات الحالية للإنسان- لتقوم بتفسير الوديان البحرية، و هذه المغارات الدائمة البرودة، و التى توجد فى ظلام حالك، و تحت ضغط قدره سبعة أطنان على كل بوصة- لا زال ذلك كله لغزا أمام الإنسان، كألغاز البحر الأخرى» «١».

و قد جاء فى القرآن الكريم أنه قد مضى على الأرض زمن طويل سواها اللّه خلاله، قال تعالى: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها (٣٠) أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَ مَرْعاها سورة النازعات الآيات ٣٠- ٣١.

و هذه الآية الكريمة تطابق مطابقة عجيبة أحدث الكشوف العلمية، و هو:

«نظرية تباعد القارات» أو انتشارها (TheoryofDr iftingContinents).

و مغزى هذه النظرية: أن جميع القارات كانت فى وقت من الأوقات أجزاء متصلة، ثم انشقت، و بدأت «تنقذف»، أو تنتشر من تلقاء نفسها، و هكذا وجدت قارات تحول دونها بحار واسعة.

و قد طرحت هذه النظرية فى العالم عام ١٩١٥، لأول مرة، حين أعلن خبير طبقات الأرض الألمانى الأستاذ «ألفريد واجنر» أنه لو قربت القارات جميعا، فسوف تتماسك ببعضها، كما يحدث فى ألعاب الألغاز التى تسمى JigsawPuzzle . و يمكن مشاهدتها فى الأشكال الثلاثة، التى تبين هذه النظرية «أنظر ص ١٣١».

و هناك شبه كبير يوجد على سواحل البحار المختلفة؛ كأن نجد جبالا متماثلة عمرها الأرضى (واحد)، و كأن نجد فيها دواب، و أسماكا و نباتات متماثلة أيضا! و هذا هو ما دفع عالم النباتات البروفيسور

---

(١). ١٩٥٥،TheWorldWeLiveIn ،) .N .Y .

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ٢٨٤

رونالد جود (RonaldGood) فى كتابه: جغرافية نباتات الزهور (Geographyo ffloweringPlants) إلى أن يقول:

«لقد اتفق علماء النباتات على النظرية القائلة بأنه لا يمكن تفسير ظاهرة وجود نباتات متماثلة فى مختلف قارات العالم إلا إذا سلمنا بأن أجزاء الأرض هذه كان بعضها متصلا ببعض فى وقت من الأوقات».

و قد أصبحت هذه النظرية علمية تماما بعد تصديق «الجاذبية الحجرية» لها (MagnetismFossil)، فإن العلماء اليوم- بعد دراسة اتجاهات ذرات الحجارة- يستطيعون تحديد موقع أى بلد وجدت به هضبة تلك الحجارة فى الزمن القديم. و قد أكدت هذه الدراسة فى «الجاذبية الأرضية» أن أجزاء الأرض لم تكن موجودة فى القديم بالأمكنة التى توجد بها اليوم، و إنما كانت فى ذلك المكان الذى تحدده «نظرية تباعد القارات» و فى هذا الأمر يقول البروفيسور بلاكيت «١»:

«إن دراسة أحجار الهند تبين أنها كانت توجد فى جنوب خط الاستواء قبل سبعين مليون سنة، و هكذا تثبت دراسة جبال جنوب إفريقيا أن القارة الإفريقية انشقت عن القطب الجنوبى قبل ثلاثمائة مليون سنة» «٢».

لقد ورد فى الآية المذكورة آنفا لفظة «الدحو»، و معناه تسوية الشى، و نثره، كما يقال: «دحا المطر الحصى عن وجه الأرض»، و هذا هو نفس مفهوم الكلمة الإنجليزية: «Drift ¬التى استخدمت فى التعبير عن النظرية الجغرافية الحديثة.

لسنا نملك أمام هذا التوافق المدهش بين ما ورد فى الماضى البعيد، و ما اكتشف بالأمس القريب- إلا أن نؤمن بأن هذا الكلام

---

(١) P .M .S .Blacket أستاذ الطبيعة فى الكلية الملكية بلندن- المعرب.

(٢) أنظر للتفصيل: ريدرز دايجست، عدد يونيه (حزيران) من عام ١٩٦١.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ٢٨٥

صادر عن موجود يحيط علمه بالماضى، و الحال، و المستقبل، على السواء.

ثالثا- علم الأغذية:

إن قائمة الأغذية التى يقررها لنا القرآن الكريم تحرم (الدم)، و كان الإنسان غافلا عن أهمية هذا التحريم، و لكن التحليلات التى أجريت للدم قد أكدت أن هذا القانون كان مبنيا على أهمية خاصة بالنسبة إلى الصحة. فالتحليل يثبت أن (الدم) يحتوى كمية كبيرة من «حمض البوليك» UricAcid ، و هو مادة سامة تضر بالصحة لو استعملت غذاء.

و هذا هو السر فى الطريقة الخاصة التى أمر بها القرآن فى ذبح الحيوانات. و المراد من «الذبح» فى المصطلح الإسلامى هو الذبح بطريقة معينة حتى يخرج سائر الدم من جسم الحيوان، و هى أن تقطع الوريد الرئيسى الذى يوجد فى العنق، فقط، و أن نمتنع عن قطع الأوردة الأخرى، حتى يمكن استمرار علاقة المخ بالقلب إلى أن يموت الحيوان؛ لكيلا يكون سبب الموت الصدمة العنيفة التى وجهت إلى أحد أعضاء الحيوان الرئيسية، كالدماغ، أو القلب، أو الكبد، و المقصود من هذا هو أن الدماء تتجمد فى العروق، و تسرى إلى أجزاء الجسم، لو مات الحيوان فى الحال- على أثر صدمة عنيفة- و هكذا يتسمم اللحم كله، نتيجة سريان «حمض البوليك» فى أنحائه.

و لقد حرم القرآن لحم (الخنزير)، و لم يعرف الإنسان فى الماضى شيئا عن أسرار هذا التحريم، و لكنه يعرف اليوم أن لحم الخنزير يسبب أمراضا كثيرة، لأنه يحتوى أكبر كمية من «حمض البوليك» بين سائر الحيوانات على ظهر الأرض، أما الحيوانات الأخرى، غير الخنزير، فهى تفرز هذه المادة بصفة مستمرة عن طريق البول. و جسم الإنسان يفرز ٩٠٪ من هذه المادة بمساعدة (الكليتين). و لكن الخنزير لا يتمكن من إخراج «حمض البوليك» إلا بنسبة اثنين فى المائة (٢٪)، و الكمية الباقية

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ٢٨٦

تصبح جزءا من لحمه؛ و لذلك يشكو الخنزير من آلام المفاصل، و الذين يأكلون لحمه، هم الآخرون، يشكون من آلام المفاصل، و الروماتيزم «١»، و ما إلى ذلك من الأمراض المماثلة «٢».

إن الباحث فى القرآن الكريم يجد أمثلة لا حصر لها من هذا القبيل الذى أشرنا إلى بعضه فى الصفحات الماضية، و هى دليل قطعى على أن القرآن صادر عن عقل غير إنسانى. و تؤكد البحوث التى اضطلع بها العلماء فى العصر الحاضر بطريقة مدهشة صدق تكلم

النبوءة، التى وردت فى القرآن الكريم: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ سورة فصلت آية ۵۳.

و سوف أختم هذا الباب بواقعة رواها العالم الهندى المغفور له الدكتور عناية اللّه المشرقى، و هو يقول:

«كان ذلك يوم أحد، من أيام سنة ۱۹۰۹، و كانت السماء تمطر بغزارة، و خرجت من بيتى لقضاء حاجة ما، فإذا بى أرى الفلكى المشهور السير جيمس جينز- الأستاذ بجامعة كمبردج- ذاهبا إلى الكنيسة، و الإنجيل، و الشمسية تحت إبطه، فدنوت منه، و سلمت عليه، فلم يرد علىّ، فسلمت عليه مرة أخرى، فسألنى: «ما ذا تريد منى؟» فقلت له:

«أمرين، يا سيدى! الأول هو: أن شمسيتك تحت إبطك رغم شدة

---

(۱) ليكن مفهوما هنا أنه عند وصف تأثير أى غذاء، لا يمكن إلا بيان تأثيره الذاتى من المنافع و المضار، و ليس معناه أن تأثير ذلك الغذاء سوف يكون واحدا لدى كل إنسان يأكله. و السبب فى ذلك أن الإنسان لا يأكل بمفرده، و إنما يبتلعه مع مأكولات من أنواع عديدة، و لذلك قد ينقص تأثير ذلك الغذاء، أو يزول فى بعض الأحايين، نتيجة ردود الفعل و الأغذية المضادة لتأثير ذلك الغذاء، و على رغم ذلك كله فلا يمكننا وصف تأثير أى شىء إلا بما عرف عنه بصفته الفردية.

(۲) لعل العلة الأخرى فى تحريم الخنزير أساسا أنه حيوان قذر، يأكل النجاسات، فإلى جانب التحريم القطعى النصى له، يمكن أن نلحظ فيه علة تحريم (الجلالة) التى تأكل النجاسة، فقد نهى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم عن أكلها أو شرب ألبانها، أنظر: بداية المجتهد لابن رشد ج ۲ ص ۴۸۲.

المطر»، فابتسم السير جيمس و فتح شمسيته على الفور. فقلت له: «و أما الأمر الآخر، فهو: ما الذى يدفع رجلا ذائع الصيت فى العالم- مثلك- أن يتوجه إلى الكنيسة؟» و أمام هذا السؤال توقف السير جيمس لحظة، ثم قال: «عليك اليوم أن تأخذ شاى المساء عندى». و عند ما وصلت إلى داره فى المساء، خرجت «ليدى جيمس» فى تمام الساعة الرابعة، بالضبط، و أخبرتنى أن السير جيمس ينتظرنى. و عند ما دخلت عليه فى غرفته، وجدت أمامه منضدة صغيرة موضوعة عليها أدوات الشاى. و كان البروفيسور منهمكا فى أفكاره. و عند ما شعر بوجودى، سألنى: «ما ذا كان سؤالك؟»، و دون أن ينتظر ردى، بدأ يلقى محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية، و نظامها المدهش، و أبعادها، و فواصلها اللامتناهية، و طرقها، و مداراتها و جاذبيتها، و طوفان أنوارها المذهلة، حتى أننى شعرت بقلبى يهتز بهيبة اللّه، و جلاله. و أما (السير جيمس) فوجدت شعر رأسه قائما، و الدموع تنهمر من عينيه، و يداه ترتعدان من خشية اللّه، و توقف فجأة. ثم بدأ يقول: «يا عناية اللّه! عند ما ألقى نظرة على روائع خلق اللّه يبدأ وجودى يرتعش من الجلال الإلهى، و عند ما أركع أمام اللّه، و أقول له: «إنك لعظيم!» أجد أن كل جزء من كيانى يؤيدنى فى هذا الدعاء، و أشعر بسكون، و سعادة عظيمين، و أحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرة، أ فهمت، يا عناية اللّه خان، لما ذا أذهب إلى الكنيسة؟!».

و يضيف العلامة عناية اللّه قائلا: لقد أحدثت هذه المحاضرة طوفانا فى عقلى. و قلت له: «يا سيدى لقد تأثرت جدا بالتفاصيل العلمية التى رويتموها لى، و تذكرت بهذه المناسبة آية من آى كتابى المقدس، فلو سمحتم لى، لقرأتها عليكم» فهز رأسه قائلا: «بكل سرور»، فقرأت عليه الآية التالية:

وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ (۲۷) وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ سورة فاطر آية ۲۷.

فصرخ السير جيمس قائلا:

ما ذا قلت؟ إنما يخشى اللّه من عباده العلماء؟ مدهش! و غريب، و عجيب جدا!! إن الأمر الذى كشفت عنه دراسة، و مشاهدة استمرت خمسين سنة، من أنبأ محمدا به؟ هل هذه الآية موجودة فى القرآن حقيقة؟ لو كان الأمر كذلك، فاكتب شهادة منى أن القرآن كتاب موحى من عند اللّه.

و يستطرد السير جيمس جينز قائلا:

لقد كان محمد أميا، و لا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه، و لكن «اللّه» هو الذى أخبره بهذا السر .. مدهش ..! و غريب، و عجيب جدا «۱»!!.

و هنا ينتهى قول المفكر الإسلامى وحيد الدين خان.

خامسا: إنّ إعجاز القرآن التشريعى إلهى فى مصدره؛ و لا يجوز مطلقا أن يقارن بالتشريعات الوضعية. و كذلك يكمن الإعجاز التشريعى للقرآن فى كماله، و نجاعه، و فعالية أحكامه، و ديمومتها حيث لا تقع

---

(۱) مجلة «نقوش» الباكستانية، العدد الخاص بالشخصيات العالمية، شخصية (المرحوم- العلامة عناية اللّه المشرقى ص ۱۲۰۸- ۹).

و العلامة «المشرقى» هذا من أعظم علماء الهند فى الطبيعة و الرياضيات و يتمتع بشهرة كبيرة فى الغرب لاكتشافاته العديدة و أفكاره الجديدة، و هو أول من عرض فكرة القنبلة الذرية، غير أنه تركت الميدان العلمى، فخاض غمار السياسة نظرا لسوء حالة المسلمين فى الهند (كان ذلك قبل الاستقلال) فأسس «حزب الخدام الإلهيين»KhaaksarParty و كان رجاله (المتطرفون) يؤمنون بوجوب إقامة الفرائض الدينية بالقوة، و اتخذوا من «المعول» شعارا لحركتهم. و من أهم مؤلفات العلامة: «التكملة» (لرسالة الإسلام)!، و قد طلبت منه «لجنة جائزة نوبل» أن يترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية لإعطائه جائزة العلم، و لكن العلامة رفض الفكرة بشدة قائلا: «لست فى حاجة إلى جائزة لا تعترف لجنتها باللغة الأردية العظيمة!!- المعرب.

تحت شواهد التغير، و التحوير، و الإلغاء، و هى ثابتة بثبوت أوجه الإعجاز اللغوى، و العامى للقرآن الكريم.

لقد انطوت الحكمة الإلهية فى الاعجاز القرآنى على كبح جماح الطباع البشرية فى اللغة، و الفصاحة، و البيان، و فى التشريع، و المعالجة و التكليف.

فالقرآن كلّه معجز فى بيانه، و فى حقائقه، و فى غيبياته، و فى أخباره، و فى تشريعاته، و فى علومه. شواهده الكمال فى التشريع، و الفصاحة فى البيان، و ستظل شواهد الإعجاز القرآنى سواء بالفصاحة فى البيان، أو المعالجة بالتشريع، ما دامت قوة الخلق فى الإبداع، و الكمال فى الحلول فى معزل عن قدرة المخلوق.

و ما دامت قوة الخلق فى الإبداع، و ديمومة الكمال فى الحلول فى متناول القدرة الإلهية لا يعجزها شىء فى الوجود، و هى تعجز كلّ شىء فى الوجود.

قال تعالى: قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً سورة الكهف آية ۱۰۹.

و القرآن فى إعجازه تتحدى آياته أن يأتى العرب بمثله حديثا.

قال تعالى: فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ. سورة الطور آية ۳۴.

و القرآن فى إعجازه تتعدى آياته التحدى بالمثلية البلاغية إلى التحدّى بالمثلية التشريعية. فالقرآن أساس العلوم الإلهية فى الكتب السماوية كلّها فلم تكن معجزة، و كان هو معجزا.

أخرج البيهقى عن الحسن قال: «أنزل اللّه مائة و أربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة، و الانجيل، و الزبور، و الفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان» «۱».

---

(۱) السيوطى: الإتقان- ج ۲ ص ۱۲۶.

و تكمن سرائر الإعجاز القرآنى فى منهاجيته الشاملة فى المعالجة و الحلول، و فى ديمومة هذا الإعجاز إلى أن يرث اللّه الأرض، و من عليها؛ غايته القصوى هداية البشرية، و سعادتها فى الدارين الأولى، و الآخرة.

فالقرآن أعجز العرب بيانا، و علما، و حقائق، و غيبيات، و تشريعات، و تكاليف، و فرائض؛ فأدهش العقول، و حير العلماء، و أعجز المشرعين، و أفحم العرافين حتى قطع بلا شك عندهم أنّ القرآن هو من عند اللّه العزيز الحكيم.

قال تعالى: حم (۱) تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ «۱».

و قال تعالى: حم (۱) تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ «۲».

و قال تعالى: تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ «۳».

و هذا سر إعجاز القرآن؛ فلو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا.

قال تعالى: وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً «۴».

سئل الإمام الغزالى عن معنى الآية، فقال: «الاختلاف لفظ مشترك بين معان، و ليس المراد نفى اختلاف النّاس فيه بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن ... و هو مسوق لمعنى واحد هو دعوة الخلق إلى اللّه تعالى، و صرفهم عن الدنيا إلى الدين، و كلام الآدميين تتطرق إليه الاختلافات» «۵».

و تكمن سرائر الإعجاز القرآنى فى منهاجيته الشاملة فى التشريع

---

(۱) سورة الجاثية، آية ۱، ۲.

(۲) سورة غافر، آية ۱.

(۳) سورة الزمر، آية ۱.

(۴) سورة النساء، آية ۸۲.

(۵) السيوطى- الإتقان- ج ۲ ص ۱۲۴. شبهات حول القرآن و تفنيدها ۲۹۱ ثالثا - علم الأغذية: ..... ص : ۲۸۵

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۹۱

بدء! بعقيدة التوحيد أساس الإيمان، بغرسها فى أذهان النّاس؛ ناقلا لهم من ظلمات عقيدة التعدد، و الوثنيّة، و الكفر إلى نور عقيدة التوحيد للإله الواحد الأحد، الخالق الصمد.

قال تعالى: وَ هُوَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولى وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ «۱».

و قال تعالى: أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ «۲».

و قال تعالى: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ «۳».

و قال تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (۱) اللَّهُ الصَّمَدُ (۲) لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ (۳) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ «۴».

و تتصل شواهد الإعجاز القرآنى فى التشريع أحكام الفرائض و التكاليف، و العبادات:

و منها: عبادة الصلاة، و الزكاة.

قال تعالى: وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ «۵».

و قال تعالى: وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ «۶».

و قال تعالى: وَ أَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ «۷».

---

(۱) سورة القصص، آية ۷۰.

(۲) سورة النحل، آية ۲.

(۳) سورة المؤمنين، آية ۹۱.

(۴) سورة الصمد، آية ۱- ۴.

(۵) سورة المزمل، آية ۲۰.

(۶) سورة البقرة، آية ۴۳.

(۷) سورة العنكبوت، آية ۴۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۹۲

و قال تعالى: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ «۱».

و منها: عبادة الصوم.

قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ «۲».

و قال تعالى: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ «۳».

و منها: عبادة الحج.

قال تعالى: وَ أَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالًا وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ «۴».

و قال تعالى: وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ «۵».

و قال تعالى: الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِى الْحَجِّ «۶».

و قال تعالى: فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ «۷».

و قال تعالى: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا «۸».

---

(۱) سورة البقرة، آية ۲۳۸.

(۲) سورة البقرة، آية ۱۸۳.

(۳) سورة البقرة، آية ۱۸۵.

(۴) سورة الحج، آية ۲۷.

(۵) سورة البقرة، آية ۱۹۶.

(۶) سورة البقرة، آية ۱۹۷.

(۷) سورة البقرة، آية ۱۹۸.

(۸) سورة آل عمران، آية ۹۷.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۹۳

و تتصل شواهد الإعجاز القرآنى فى التشريع عقيدة التوحيد للإله الخالق المعبود.

قال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (۱) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ (۳) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (۴) عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ «۱».

و قال تعالى: ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ «۲».

و تتصل شواهد الإعجاز القرآنى فى التشريع عقيدة التوحيد للإله بالعلم و القدرة.

قال تعالى: هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ «۳».

و قال تعالى: وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ «۴».

و قال تعالى: أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ «۵».

و قال تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ «۶».

و قال تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «۷».

و تتصل شواهد الإعجاز القرآنى فى التشريع عقيدة التوحيد للإله بالانفراد بالألوهية، و الوجود.

---

(۱) سورة العلق، آية ۱- ۵.

(۲) سورة الأنعام، آية ۱۰۲.

(۳) سورة الحديد، آية ۳.

(۴) سورة البقرة، آية ۹۶.

(۵) سورة فصلت، آية ۵۴.

(۶) سورة الشورى، آية ۱۱.

(۷) سورة الأنعام، آية ۱۰۳.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۹۴

قال تعالى: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا «۱».

و قال تعالى: قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلًا «۲».

و قال تعالى: وَ لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ «۳».

و منها عبادة الدعاء، و الاستغفار، و التسبيح.

قال تعالى: وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَ لْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ «۴».

و قال تعالى: وَ قالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ «۵».

و قال تعالى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ «۶».

و قال تعالى: رَبِّ اغْفِرْ لِى وَ لِوالِدَىَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَباراً «۷».

و قال تعالى: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا «۸».

و قال تعالى: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى «۹».

---

(۱) سورة الأنبياء، آية ۲۲.

(۲) سورة الإسراء، آية ۴۲.

(۳) سورة القصص، آية ۸۸.

(۴) سورة البقرة، آية ۱۸۶.

(۵) سورة غافر، آية ۶۰.

(۶) سورة محمد، آية ۱۹.

(۷) سورة نوح، آية ۲۸.

(۸) سورة الإنسان، آية ۲۶.

(۹) سورة الأعلى، آية ۱.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۹۵

و قال تعالى: فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ «۱».

و قال تعالى: فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ (۳۹) وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ أَدْبارَ السُّجُودِ «۲».

و منها عبادة التفكر و التدبر، و النظر، و الاتعاظ.

قال تعالى: أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ «۳».

و قال تعالى: أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَ زَيَّنَّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ «۴».

و قال تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ «۵».

و قال تعالى: وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «۶».

و قال تعالى: أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ «۷».

و تتصل شواهد الإعجاز القرآني في التشريع أحكام الفرائض في الحدود.

قال تعالى: وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ «۸».

و قال تعالى: الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ «۹».

---

(۱) سورة الواقعة، آية ۹۶.

(۲) سورة ق، آية ۳۹- ۴۰.

(۳) سورة غافر، آية ۸۲.

(۴) سورة ق، آية ۶.

(۵) سورة الأنعام، آية ۵۰.

(۶) سورة الحشر، آية ۲۱.

(۷) سورة الأعراف، آية ۱۸۵.

(۸) سورة البقرة، آية ۱۷۹.

(۹) سورة النور، آية ۲.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۹۶

و قال تعالى: وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً وَ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ «۱».

و قال تعالى: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالًا مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ «۲».

و قال تعالى: إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ «۳».

و تتصل شواهد الإعجاز القرآني في التشريع أحكام الفرائض في المعاملات.

و قال تعالى: وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا «۴».

و قال تعالى: وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَ تُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ «۵».

و قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ «۶».

و تتصل شواهد الإعجاز القرآني في التشريع أحكام الفرائض في العلاقات.

قال تعالى: فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً «۷».

---

(۱) سورة النور، آية ۴.

(۲) سورة المائدة، آية ۳۸.

(۳) سورة المائدة، آية ۳۳.

(۴) سورة البقرة، آية ۲۷۵.

(۵) سورة البقرة، آية ۱۸۸.

(۶) سورة البقرة، آية ۲۸۲.

(۷) سورة النساء، آية ۳.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۹۷

و قال تعالى: وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ «۱».

و قال تعالى: الطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ «۲».

و تتصل شواهد الإعجاز القرآني في التشريع أحكام الحكم، و السياسة، و الشورى.

قال تعالى: وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ «۳».

و قال تعالى: وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ «۴».

و قال تعالى: وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ «۵».

و قال تعالى: وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ «۶».

و قال تعالى: وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ «۷».

و تتصل شواهد الإعجاز القرآني في التشريع قواعد الأخلاق.

قال تعالى: وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ «۸».

و قال تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ «۹».

و قال تعالى:

---

(۱) سورة النساء، آية ۲۲.

(۲) سورة البقرة، آية ۲۲۹.

(۳) سورة آل عمران، آية ۱۵۹.

(۴) سورة الشورى، آية ۳۸.

(۵) سورة المائدة، آية ۴۴.

(۶) سورة المائدة، آية ۴۵.

(۷) سورة المائدة، آية ۴۷.

(۸) سورة القلم، آية ۴.

(۹) سورة الحجرات، آية ۱۳.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۲۹۸

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا وَ إِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً «۱».

الشبهة العاشرة:

اشارة

إن القرآن غير معجز في غيبياته. و دليل ذلك أننا لم نر اللّه جهرة.

و لم يثبت أن هناك غيبا وراء المادة، و نزل منها قرآن، أو علم، أو دين، أو عقيدة، أو شريعة. و ما جاء به محمد من غيبيّات إنما هو من قبيل الاستنباط، و التوقع، فضلا عما أخذه و تلقاه من أهل الكتاب حيث كتبهم ملأى بمثل تلك الغيبيات.

تفنيد هذه الشبهة:

اشارة

أولاً: إن الإعجاز الغيبى للقرآن كغيره من أنواع الإعجاز الأخرى كالبيانى، و العلمى، لا يتوقف ثبوته على رؤية اللّه؛ و إنما على رؤية آياته. و آياته العديدة نحس بها، و نراها، و نعيشها فى كل لحظات حياتنا.

و الإيمان بها يقود لا محالة إلى الإيمان باللّه، و وجوده دون أن نراه.

و هذه حكمة اللّه فى خلقه أن حجب ذاته عنهم، و لكن سخر آياته الدالة عليه لهم. فسواء فى الآفاق، أو الأنفس، أو السموات، أو الأرض، أو الليل، أو النهار، أو الدواب، أو الثمر ... الخ. قال تعالى:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ سورة فصلت آية ۵۳. و قال تعالى: وَ فِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ سورة الذاريات آية ۲۰. و قال تعالى: وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ سورة الذاريات آية ۲۱.

و قال تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ سورة آل عمران آية ۱۹۰.

---

(۱) سورة النساء، آية ۱۳۵.

و قال تعالى: وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ سورة النحل آية ۱۲.

و قال تعالى: وَ ما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ سورة النحل آية ۱۳. و قال تعالى:

وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ سورة النحل آية ۶۷.

و قال تعالى: وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ (۶۸) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ سورة النحل آية ۶۸- ۶۹. و لكن هذه شيمة الكفار لا يؤمنون باللّه إلّا إذا رأوا اللّه جهرة.

مصداق قوله تعالى: يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ سورة النساء آية ۱۵۳.

و هذه هى شيمة العلم الحديث لا يؤمن إلّا بالمحسوس. و كأن هذا المحسوس ليس بدال على خالقه. و قد رأوا من آيات ربهم ما رأوا سواء فى الآفاق، فغزوا الكون، و عرفوا أسرار الكواكب، و نزلوا على القمر؛ و سواء فى الأنفس، فنبغوا فى الطب البشرى، و اطلعوا على أسرار أجهزة هذا الجسم البشرى العجيب: كالجهاز العصبى، و الهضمى، و الدموى، و التنفسى، و التناسلى، و البولى، و لكن هذا التعايش مع هذه الآيات الربانية لم تردهم إلّا بعدا عن الإله؛ و لم تردهم إلّا نكرانا و جحودا للإله؛ و لم تردهم إلّا كفرا، و جحودا بحجة أنهم لم يروا اللّه جهرة.

و كأن مثل هذه الآيات لم تقنعهم، و لم تكفهم للإيمان بوجود اللّه تعالى.

و هكذا ديدن الكفار قديما، و حديثا؛ كلما جاءتهم آية من ربهم، قالوا هذا سحر مبين، ثم جحدوا بها. مصداق قول ربنا فيهم: فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ (۱۳) وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ سورة النمل آية ۱۳- ۱۴.

و هكذا ديدنهم قديما، و حديثا إذا تتلى عليهم آيات اللّه فى كتابه، آيات الإعجاز الغيبى، و العلمى فى قرآنه، قالوا أساطير الأولين. مصداق قوله تعالى: وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها حَتَّى إِذا جاؤُكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ سورة الأنعام آية ۲۵. و قوله تعالى: إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ. سورة القلم آية ۱۵، و المطففين آية ۱۳. و قوله تعالى: وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا سورة الفرقان آية ۵. و هكذا ديدن الكفار حتى من أهل الكتاب كم أتاهم اللّه من آيات بينات على صدق ما جاء به نبيه، و ما جاء به قرآنه، و لكن هل آمنوا؟!! مصداق قوله تعالى: سَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ كَمْ آتَيْناهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ سورة البقرة آية ۲۱۱.

و من هنا، و لذا فإن اللّه جزى الذين يخشون ربهم بالغيب بالمغفرة و الأجر الكبير، و الكريم. فقال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ سورة الملك آية ۱۲.

و قال تعالى: إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ سورة يس آية ۱۱.

و من هنا كان الإحسان ذروة الإيمان. و هو أن نعبد اللّه كأننا نراه؛ فإن لم نكن نراه، فإنه يرانا.

و من هنا، و لذا، فإن اللّه تعالى جزى الذين يكفرون بآيات اللّه من بعد ما جاءتهم البينات بالعذاب الشديد، و الأليم. قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ سورة آل عمران آية ۴.

و قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ سورة آل عمران آية ۲۱.

و من هنا كان كفرهم بغيبيات القرآن الكريم، و آياته شاهدا على يأسهم من رحمة اللّه، و أولئك لهم عذاب أليم. قال تعالى: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ لِقائِهِ أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ سورة العنكبوت آية ۲۳.

ثانيا: إنّ سر الإعجاز الغيبى للقرآن يكمن حقيقة فى أنه وقع كما أخبر. و هذا مما ليس فى مقدور البشر، و لو كانوا أنبياء؛ إلّا أن يوحى إليهم، فخرج القرآن بإعجازه الغيبى عن تكهنات، و غيبات الناس، فكان متخطيا لشبهاتهم. فما وقع من غيبيات فى الماضى، صدقه التاريخ؛ و ما وقع من غيب الحاضر، صدقه ما جاء به الأنبياء، و ما كشفت عنه العلوم و التجارب. و ما يقع من غيب المستقبل، يصدقه الزمن. و لو كان القرآن من عند محمد لما صدقت غيباته جميعها، و لما اتصف وقوعها بالإطلاقية، و لظل صدقها نسبيا.

و هذا يعنى أنّ القرآن الكريم أعجز البشر مسلمين، و غير مسلمين بحقائقه، و أخباره الغيبية؛ و بشكل خارق لعاداتهم، و علومهم؛ و بشكل خارج عن قدراتهم التنبئية، و الإعلامية، و العلمية، مما يدل دلالة لا مراء و لا جدال فيها أنّ هذا القرآن هو كتاب إلهى، و من عند علّام الغيوب لا يعلمها إلّا هو مصداق قوله تعالى: وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُها وَ لا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ الأنعام آية ۵۹.

و لقد أكدت حقيقة الإعجاز الغيبى للبشرية جمعاء صدق نبوّة الحبيب المصطفى صلّى اللّه عليه و آله و سلم النبى الأمى، و نافية عنه علم الغيب، أو أن يكون القرآن المشتمل عليه من عنده.

قال تعالى: وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ وَ لكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ سورة الشورى آية ۵۲.

و هكذا فإنّ حقيقة الإعجاز الغيبى الإلهى تناولت شواهد العبودية للّه تعالى وحده، فكانت دعوة الأنبياء، و الرسل نافين عن أنفسهم صفة العلم بالغيب ناسبين إيّاه إلى اللّه تعالى وحده علّام الغيوب، و كما ورد فى القرآن الكريم على لسان النبى عيسى «عليه السلام».

قال تعالى: تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ سورة المائدة آية ۱۱۶.

و قد أفاض قرآننا الكريم فى تأصيله لأحقّية نسبة العلم إلى خالقه، قال تعالى: أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ سورة البقرة آية ۳۳.

و القرآن، و بغيباته الماضية، و الحاضرة، و المستقبلية، يؤكد أحقيّة نسبته و بالحق فى نزوله إلى اللّه تعالى صاحب تلك الغيبيات، و المخبر عنها.

قال تعالى: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ سورة الإسراء آية ۱۰۵.

و قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ سورة الزمر آية ۲.

و قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ سورة الزمر آية ۴۱.

و يكمن سر الإعجاز الغيبى للقرآن الكريم فى أنه وقع كما أخبر.

فما وقع فى الماضى صدّقه التاريخ، و ما وقع من غيب الحاضر صدّقه ما جاء به الأنبياء، و ما كشفت عنه التجارب، و العلوم، و ما يقع من غيب المستقبل يصدقه الزمن.

و تحقيقا للفائدة رأينا مناقشة موضوع الإعجاز الغيبى للقرآن ضمن ثلاث حقائق.

الحقيقة الأولى: الإعجاز الغيبى الماضى.

الحقيقة الثانية: الإعجاز الغيبى الحاضر.

الحقيقة الثالثة: الإعجاز الغيبى المستقبلى.

الحقيقة الأولى:

الإعجاز الغيبى الماضى:

و يتمثل فى ما أخبر عنه القرآن الكريم من حقائق، و قصص، و أخبار غيبيّة حصلت فى الماضى، فكانت غائبة عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و صحابته.

و قد تناول القرآن الكريم فى إعجازه الغيبى سرد الأخبار، و القصص عن الأنبياء، و الرسل، و السابقين، و مع أقوامهم، حيث يقول تعالى:

كَذلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ ما قَدْ سَبَقَ وَ قَدْ آتَيْناكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً سورة طه آية ۹۹.

و يقول تعالى: ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْقُرى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْها قائِمٌ وَ حَصِيدٌ هود آية ۱۰۰.

و قد تجلّت حكمة الإعجاز الغيبى للقرآن الكريم، و فى سوره لأخبار الأنبياء، و الرسل السابقين فى تثبيت فؤاد الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» و مؤازرته فى دعوته، و نشر رسالته كما هو فى قوله تعالى: وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَ جاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ سورة هود آية ۱۲۰.

و قد تجلّت تلك الحكمة من سرد أخبار، و قصص أهل القرى السّابقين فى ضرورة الاتعاظ و الاعتبار ممّا حصل معهم، و بحيث يكون مصيرهم هو نفس مصير من يكذّب الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم». قال تعالى: تِلْكَ الْقُرى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۰۴

كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الْكافِرِينَ سورة الأعراف آية ۱۰۱.

و من غيبيات الرسل، و الأنبياء السابقين التى تحدث عنها القرآن الكريم:

۱- غيبيّة قصة النبى نوح «عليه السلام» حيث قال تعالى فيها: تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ سورة هود آية ۴۹.

۲- غيبيّة الأنبياء و الرسل ممّن جاءوا بعد نوح، و هم: هود، و صالح، و إبراهيم، و لوط، و شعيب، و موسى، و حيث قال تعالى فيها:

ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْقُرى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْها قائِمٌ وَ حَصِيدٌ سورة هود آية ۱۰۰.

۳- غيبيّة قصة النبى يوسف «عليه السلام» حيث قال اللّه تعالى فيها:

ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ يوسف ۱۰۲.

۴- غيبيّة النبى موسى «عليه السلام» حيث قال تعالى فيها: وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ سورة القصص آية ۴۴.

۵- غيبيّة مريم أم المسيح عيسى «عليه السلام» حيث قال تعالى فيها:

ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ سورة آل عمران آية ۴۴.

الحقيقة الثانية:

الإعجاز الغيبى الحاضر:

و يتمثل فى ما أخبر عنه القرآن الكريم فى أخبار، و حقائق، و صفات اللّه تعالى، و الملائكة، و الجن، و الإنس، و القيامة، و الحساب، شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۰۵

و الجنّة، و النّار، و الثواب، و العذاب، و نحو ذلك ممّا لا سبيل للرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أو صحابته العلم به، أو رؤيته، و أمثلة هذا كثيرة جدا فى القرآن الكريم.

و من غيب الحاضر أيضا ما أخبر القرآن به عن المنافقين، و الذين افتضح أمرهم، و فى عهد التنزيل القرآنى، و منهم: الأخنس بن شريق الثقفى الّذى نزل فيه قوله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ (۲۰۴) وَ إِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ (۲۰۵) وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ سورة البقرة آية ۲۰۴- ۲۰۶.

و من هؤلاء المنافقين أصحاب مسجد ضرار، و كانوا اثنى عشر رجلا، و هم: حزام بن خالد، و لبة بن حاطب، و معتّب بن قشير، و أبو حبيبة بن الأزعر، و عباد بن حنيف، و حارثة، و جارية،- ابنا مجمع- و زيد، و نبتل بن الحارث، و لحاد بن عثمان، و وديعة بن ثابت. و هؤلاء الذين نزل فيهم قوله تعالى: وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ سورة التوبة آية ۱۰۷.

الحقيقة الثالثة:

الإعجاز الغيبى المستقبلى:

و يتمثل فى ما أخبر عنه القرآن الكريم من حقائق، و أمور ستقع فيما بعد مستقبلا؛ و هى غامضة على الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و على صحابته، و منها ما وقع فعلا فى عهده، و منها ما يقع على مدار الزمن، و إلى قيام الساعة.

و من أمثلة ما وقع من غيبيّات مستقبلية فى عهده «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»:

۱- غيبيّة انتصار الروم على الفرس فى بضع سنين- و الذى قال اللّه

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۰۶

تعالى فيه: الم (۱) غُلِبَتِ الرُّومُ (۲) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (۳) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (۴) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ سورة الروم آية ۱- ۵.

أخرج الواحدى عن المفسّرين قالوا: «بعث كسرى جيشا إلى الروم، و استعمل عليهم رجلا يسمى شهربران، فسار إلى الروم بأهل فارس، و ظهر عليهم، فقتلهم، و خرّب ديارهم، و قطع زيتونهم، و كان قيصر بعث رجلا يدعى يحنس فالتقى مع شهربران بأذرعات و بصرى، و هى أدنى الشام إلى أرض العرب- فغلب فارس الروم، و بلغ ذلك النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و أصحابه بمكة، فشق ذلك عليهم، و كان النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» يكره أن يظهر الأميون من أهل المجوس على أهل الكتاب من الروم، و فرح كفار مكة، و شمتوا، فلقوا أصحاب النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» فقالوا: إنكم أهل كتاب، و النصارى أهل كتاب، و نحن أميون، و قد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، و إنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل اللّه تعالى: غُلِبَتِ الرُّومُ (۲) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ... سورة الروم إلى آخر الآيات.

و فعلا- صدق إخبار اللّه تعالى، و قاتل الروم أهل الكتاب المجوس أهل الفرس مرة أخرى، و انتصروا عليهم، و كما أخبر القرآن، و كان ذلك فى بضع سنين حيث تعنى كلمة بضع من ثلاث إلى تسع. و حدّد بعض المفسّرين أنّ انتصار الروم على الفرس كان فى السنة التاسعة فعلا.

و فرح المؤمنون بهذا النصر و بنصرهم فى غزوة بدر حيث تمّ فى نفس الفترة.

۲- غيبيّة دخول المسلمين مكة المكرّمة آمنين محلقين رءوسهم و مقصرين. و قد أراها اللّه رسوله «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» فى منامه، و تحققت فعلا فى العام الّذى بعد عام الحديبية و التى قال اللّه فيها: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لا

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۰۷

تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً سورة الفتح آية ۲۷.

أخرج الفريابى، و عبد بن حميد، و البيهقى فى الدلائل عن مجاهد قال: أرى النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» و هو بالحديبية أنّه يدخل مكة هو و أصحابه آمنين محلقين رءوسهم، و مقصرين؛ فلما نحر الهدى بالحديبية قال أصحابه:

أين رؤياك يا رسول اللّه؟!! فنزلت: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِ الآية.

۳- غيبيّة انتصار المسلمين فى غزوة بدر، و انهزام جمع المشركين. و الذى قال تعالى فيه سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ سورة القمر آية ۴۵.

روى ابن أبى حاتم، و ابن مردويه: «أنّ عمر بن الخطاب- رضى اللّه عنه- جعل يقول حيث نزلت هذه الآية: «أىّ جمع هذا؟!! فلما كان يوم بدر رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم مصلتا سيفه يقولها». و فعلا فقد تحققت هذه النبوءة فى المدينة بعد الهجرة بسنتين فى حين أنّ نزول الآية كان فى مكة حيث سورة القمر مكيّة؛ فكان الإخبار القرآنى عن انتصار المسلمين فى غزوة بدر مسبقا،

و هم ضعفاء فى مكة.

۴- غيبيهٔ نزول العذاب، و القحط، و الجهد على كفار مكة فى شكل الدخان الأسود يعمى أبصارهم، و الذى قال اللّه تعالى فيه:

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النّاسَ هذا عَذابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرى وَ قَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ قالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (١۴) إِنَّا كاشِفُوا الْعَذابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عائِدُونَ (١۵) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ الدخان آية ١٠- ١۶.

أخرج البخارى عن ابن مسعود قال: «إنّ قريشا لمّا استعصوا على الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» دعا عليهم سنين كسنى يوسف، فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه و بينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل اللّه تعالى: فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ فأتى

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ٣٠٨

رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» فقيل: يا رسول اللّه، استسق اللّه لمضر، فإنّها قد هلكت؛ فاستسقى، فسقوا، فنزلت إِنَّكُمْ عائِدُونَ. فلمّا أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل اللّه تعالى: يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ.

يعنى يوم بدر.

۵- غيبيهٔ إذلال، و تشتيت، و عذاب اليهود إلى قيام الساعة، و الذى نزل فيهم قوله تعالى: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ آل عمران آية ١١٢.

و هكذا تحققت، و لا- تزال هذه الغيبية تتحقق، و إلى قيام الساعة؛ حيث أمضى اليهود أجيالهم، و أزمانهم مشتتين أذلاء فى جميع أقطار العالم محتقرين من قبل شعوب العالم مقطعين ضربت عليهم آيات الذلّة، و معالم المسكنة؛ و هذه سنة اللّه تعالى فيهم، و هذه نبوءته بهم مصداق قوله تعالى: وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ سورة الأعراف آية ١۶٧.

و هكذا تحققت نبوءة هذه الغيبية بعذاب بنى إسرائيل عدّة مرّات، كان أولاها قتل و سبى نبوخذنصّر البابلى لهم، و تخريبه بيت المقدس عليهم، و الّذى قال اللّه تعالى فيه: فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا سورة الإسراء آية ۵.

و منها أيضا قتلهم، و سبيهم من قبل هريديان الرومانى، و أيضا من قبل الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و من قبل كثير من حكام الكفر، و الشرك كأمثال هتلر زعيم ألمانيا النازية فى العصر الحالى. و بإذن اللّه يكون القضاء الأخير عليهم من قبل المسلمين، و بعد نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض و تطهيرها من رجس الكفر، و قتل الخنزير، و دق الخمر، و قتل أعور الدجال، بعدها بإذن اللّه سيقتلون على، و بأيدى المسلمين قضاء مبرما.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ٣٠٩

و ما احتلالهم لفلسطين، و تدنيسهم لبيت المقدس هذه الأيام إلّا شواهد على تجمعهم ثانية فى بلد الأنبياء تنفيذا لوعد اللّه فيهم، و قتلهم، و ليس لبقائهم كما يدّعون إلى قيام الساعة. و ما جرائمهم، و قتلهم للمسلمين، و إخراجهم من بلدهم فلسطين، و تدنيسهم بيت المقدس عند احتلالهم له سنة ١٩۶٧ م، و قولهم: «محمد مات خلّف بنات» ما هذه عوامل بقاء، و ما هذه شواهد حبهم للسلام، و إن هى إلّا امتداد لشذوذهم، و منكراتهم التى تكلّم القرآن عنها، لتكون بإذن اللّه سبب هلاكهم على أيدى المسلمين هلاكا تامّا.

ثالثا- إنّ صدق وقوع تنبؤات القرآن الغيبية فى هذا العالم المادى، و فى هذا الواقع المحسوس، ينبئ قطعا بوجود غيب وراء المادة، و أن هناك إلها عالما مدبرا لمخلوقاته، و عالما لكل صغيرة، و كبيرة فى هذا الكون لا يغيب عنه شىء.

قال تعالى: يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. سورة لقمان آية ١۶.

و قال تعالى: يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ ما يَخْرُجُ مِنْها وَ ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما يَعْرُجُ فِيها وَ هُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السّاعَةُ قُلْ بَلى وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ سورة سبأ الآيات ٢- ٣.

و لعل أشد خطأ وقع فيه أصحاب هذه الشبهة أنهم شبهوا تنبؤات البشر غير الصادقة، و غير المتحققة بتنبؤات القرآن الغيبية الصادقة و المتحققة دوما و أبدا، و ما زالت تتحقق و إلى أبد الآبدين.

و لعل الأنكى من ذلك أنهم نسبوا مثل هذه التنبؤات إلى أناس من

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ٣١٠

البشر غير عاديين، و معروفين بالصدق، و الأمانة، و الاستقامة كالرسول محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و الذى أبت عليه نفسه- و هم يعرفون ذلك- أن يكذب، أو أن يدعى العلم، أو الغيب سواء قبل البعثة، أو بعدها.

و حيث صدق فيه قول ربه قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ الأنعام آية ۵٠.

و قول ربه: وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ الأعراف آية ١٨٨.

روى البخارى: جلست جويريات يضربن بالدف فى صبيحة عرس الربيع بن معوذ الأنصارية، و جعلن يذكرن آباءهن من شهداء بدر حتى قالت جارية منهن: و فينا نبى يعلم ما فى غد. فقال «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «لا تقولى هكذا، و قولى ما كنت تقولين».

و لعل أفضل ما زكّى به اللّه تعالى نبيّه بالصدق أنه نفى عنه أى ادعاء فيه بعلم الغيب حيث يقول فيه: قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا- أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا- أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ سورة الأنعام آية ۵٠.

و لعل من المفيد فى هذا المقام أن نستشهد بما يقوله المفكر الإسلامى وحيد الدين خان فى كتابه «الإسلام يتحدى» فهو يقول «١»:

«إن عظمة القرآن الكريم تتجلى فى تنبؤاته المختلفة، التى ثبتت صحتها فيما بعد بطرق عجيبة.

إن عددا كبيرا من أذكياء الناس، و من العباقرة، قد جرءوا على أن يتنبئوا عن أنفسهم أو عن غيرهم. و لكننا نعرف أن الزمان لم يصدق هذه النبوءات مطلقا، بل جاء يكذبها بكل قسوة، و لقد تحفز الفرص المواتية، و الأحوال المساعدة، و الكفاءات العالية، و كثرة الأعوان و الأنصار،

---

(١) وحيد الدين خان. الإسلام يتحدى. ص ١١١- ١٢٠ حرفيا، و دون تصرف.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ٣١١

و النجاح الخارق فى البداية للكثيرين- و هم يرون أنهم يسيرون تجاه نتائج مرضية- أن يتنبئوا بنتيجة معينة بكل يقين، و لكن الزمن يبطل هذه الدعاوى، و يكذبها دائما .. و الزمن نفسه هو الذى أثبت صحة ما جاء فى القرآن من التنبؤات فى حين أنها جميعا جاءت فى أحوال غير مواتية، أن هذه التنبؤات- و قد وقعت فعلا على ما يحدثنا التاريخ- تجعل علومنا المادية حائرة عند تفسيرها. و ما دمنا ندرسها فى ضوء علومنا المادية، فلن نستطيع إدراك حقائقها، إلا أن ننسبها إلى مصدر غير بشرى.

كان نابليون بونابرت من أعظم قواد الجيوش فى عصره، و قد دلت فتوحاته الأولى على أنه سوف يكون ندا لقيصر، و الإسكندر المقدونى.

و ترتب على ذلك أن وجد الغرور منفذه إلى رأس نابليون، فأصبح يتوهم أنه هو مالك القدر. و ازداد هذا الشعور لديه، حتى أنه ترك مستشاريه، و ادعى أنه لم يكتب فى قدره غير الغلبة الكاملة على من فى الأرض.

و لكنا جميعا نعرف النهاية التى كتبت له فى لوح القدر.

سار نابليون من باريس يوم ١٢ من يونية، سنة ١٨١۵، مع جحفله العظيم، ليقضى على أعدائه، و هم فى الطريق. و لم تمض غير ستة أيام حتى ألحق «دوق ولنجتون» شر هزيمة بجيش نابليون الجرار، فى «ووترلو» بأراضى بلجيكا. و كان «الدوق» يقود جنود انجلترا، و ألمانيا، و هولندا. و لما يئس نابليون، و أيقن من مصيره المحتوم، فر هاربا من القيادة الفرنسية متوجها إلى أمريكا. و لم يكد يصل إلى الشاطئ حتى ألقت شرطة السواحل القبض عليه، و أرغمته على ركوب سفينة تابعة للبحرية البريطانية، و انتهى به القدر إلى أن أرسل إلى جزيرة غير معمورة فى جنوب الأطلنطى، هى جزيرة «سانت هيلينا». و مات القائد العسكرى فى هذه الجزيرة بعد سنوات طويلة من البؤس، و الشقاء، و الوحدة، فى ۵ مايو سنة ١٨٢١.

و البيان الشيوعى المعروف، الذى صدر سنة ١٨۴٨، تنبأ بأن أول

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ٣١٢

البلاد التى ستقود الثورة الشيوعية هى (ألمانيا)، و لكن ألمانيا، على الرغم من مضى مائة و عشرين عاما من هذه النبوءة، لا تزال صفحات تاريخها خالية من مثل هذه الثورة ..

و لقد كتب كارل ماركس فى مايو سنة ١٨۴٩ قائلا: «إن الجمهورية الحمراء تبزغ فى سماء باريس!» و رغم أنه قد مر على هذه النبوءة أكثر من قرن، فإن شمس الجمهورية الحمراء البازغة لم تشرق على أهالى باريس!.

و قد قال أدولف هتلر فى خطابه الشهير الذى ألقاه بمونيخ فى ۴ من مارس سنة ١٩٣١:

«إننى سائر فى طريقى، واثق تمام الثقة بأن الغلبة، و النصر قد كتبا لى «١»». و العالم بأجمعه يعرف اليوم أن الذى كتب فى قدر الجنرال

الألمانى العظيم كان هو الهزيمة، و الانتحار.

و قد شاهدنا وقائع عديدة من هذه النبوءات المضحكة فى «الهند» .. فقد أعلن زعيم الشيوعيين: س. ب. جوشى، فى المؤتمر الثالث للحزب الشيوعى الهندى، الذى انعقد فى (مدوراى) بجنوب الهند، فى يناير سنة ۱۹۵۴، بأن الحزب الشيوعى سوف يحكم، مستقلا بنفسه، فى الانتخابات العامة القادمة، فى ولايات ترانكو- كوتشين (كيرالا)، مدراس، و آندهرا، و البنغال الغربية، و آسام. و قد أجريت ثلاثة انتخابات عامة (و انتخابات تكميلية أخرى) فى هذه المدة الطويلة. و لم يستطع الحزب الشيوعى تأليف وزارة مستقلة فى أية ولاية من ولايات الهند «۲».

---

(۱). ۴۴vAstudyOfHi storyAbridgmentp .

(۲) تمكن الحزب الشيوعى من تأليف وزارة ائتلافية فى كوالا فى الانتخابات العامة لسنة ۱۹۶۱، كما تمكنت «الجبهة المتحدة» فى البنغال الغربية من تأليف وزارة ائتلافية فى الانتخابات التكميلية التى أجريت فى الولاية فى ۱۹۶۹، و كان الشيوعيون يتمتعون بالأغلبية فى الجبهة المتحدة.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۱۳

وسط هذه الجحافل من المتنبئين، و النبوءات، لا نجد غير «القرآن» الذى تحققت نبوءاته حرفا حرفا. و هذا الواقع يكفى فى ذاته لإثبات أن هذا الكلام صادر من عقل وراء الطبيعة يمسك بزمام الأحوال و الحوادث، و هو على معرفة بكل ما سيحدث منذ الأزل إلى الأبد.

و سوف نورد هنا خبرين من التنبؤات الكثيرة التى أدلى بها رسول الإسلام، و تحققت بكاملها. و الشهادتان اللتان سنذكرهما، تتعلق إحداهما بغلبة الإسلام نفسه، على حين تتعلق بغلبة الروم مرة أخرى ..

أ- عند ما بدأ النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» دعوته وقفت الجزيرة العربية كلها ضده، و كان على النبى مواجهة ثلاث جبهات فى وقت واحد:

أولاها: القبائل المشركة، بعد أن أصبحوا أعداء حياته.

و ثانيتها: الرأسمالية اليهودية.

و ثالثتها: أولئك المنافقون الذين تسربوا داخل المسلمين للقضاء على حركتهم، من داخل معاقلهم.

و كان الرسول يجاهد فى سبيل رسالته السامية على كل هذه الجبهات: قوة المشركين، و الرأسمالية اليهودية، و الطابور الخامس. و قد وقف أمام هذا الطوفان الطاغى وقفات رائعة لا مثيل لها، و لم يسانده فى مواقفه غير حفنة من المهاجرين، و الأنصار، و جماعة أسلمت من العبيد.

و مما لا شك فيه أنه قد انضم إليه بعض كبار قريش، و لكن سرعان ما انقطعوا عن أهلهم، و ذويهم، و عادتهم قريش كمعاداتها للنبى.

و قد سارت هذه الحركة بمكة قدما، تكافح و تناضل، حتى أصبحت الأمور غاية فى السوء، و اضطر النبى، و أصحابه أن يهاجروا إلى جهات مختلفة، حتى اجتمع شملهم فى المدينة المنورة، و هم فى أشد حالات العوز، و الفقر، بعد ما تركوا ثرواتهم فى مكة- موطنهم الأصلى-. و يمكن قياس بؤس هؤلاء المهاجرين بتلك الجماعة التى عاشت فى المسجد النبوى، حيث لم تكن لديهم بيوت، و كانوا ينامون على «صفة» فى فناء

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۱۴

المسجد النبوى، فأطلق عليهم: «أهل الصُفّة». و مما روى فى كتب التاريخ أن تعداد هؤلاء الصحابة الكرام، الذين عاشوا على «الصفة» بلغ فى بعض الأحيان أربعمائة صحابى.

فعن أبى هريرة رضى اللّه عنه، قال: «رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون فى ثوب، فمنهم من يبلغ ركبتيه، و منهم من هو أسفل من ذلك، فإذا ركع أحدهم قبض عليه، مخافة أن تبدو عورته».

و عنه «أبى هريرة» رضى اللّه عنه أنه قال: «لقد رأيتنى أصرع بين منبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و بين حجرة عائشة رضى اللّه تعالى عنها، فيقول الناس: إنه مجنون، و ما بى جنون، ما بى إلّا الجوع!».

و فى هذه الحالة البائسة، حيث كان المسلمون فى أسوأ أحوالهم، مكشوفين فى عراء المدينة المنورة، خائفين، يترقبون الأعداء من كل جانب، مخافة أن يتخطفوهم فى أى وقت، فى هذه الحالة تجد القرآن يبشرهم مرة بعد أخرى:

كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِى سورة المجادلة آية ۲۱.

و قال أيضا:

يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (۸) هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ سورة الصف آية ۸- ۹.

و لم تمض على هذه البشرى أيام طويلة، حتى وجد المسلمون الجزيرة العربية كلها تحت أقدامهم، فقد انتصرت أقلية ضئيلة لا تملك الخيول، و لا الأسلحة، على أعداء يملكون الجيوش الكبيرة، و العدة، و العتاد.

و ليس بوسعنا تفسير هذا التنبؤات فى ضوء المصطلحات المادية، إلا أن نسلم بأن صاحب هذا الإخبار بالغيب لم يأت به من عند نفسه، و إنما كان خليفة عن اللّه، فلو أنه كان إنسانا عاديا لاستحال كل

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۱۵

الاستحالة أن تصنع كلماته أقدار التاريخ. و كما قال البروفيسور (ستوبارت): «إنه لا يوجد مثال واحد فى التاريخ الإنسانى بأكمله يقارب شخصية محمد».

و هو يضيف قائلا:

«ألا .. ما أقل ما امتلكه من الوسائل المادية، و ما أعظم ما جاء به من البطولات النادرة، و لو أننا درسنا التاريخ من هذه الناحية، فلن نجد فيه اسما منيرا هذا النور، و واضحا هذا الوضوح، غير اسم النبى العربى» «۱».

إن هذا الأمر هو أعظم دليل على كونه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» مرسلا من لدن الحق تبارك و تعالى. و قد اعترف السير وليام موير، ذلك العدو اللدود للإسلام، بهذا الأمر بطريقة غير مباشرة، حين قال:

«لقد دفن محمد مؤامرات أعدائه فى التراب، و كان يثق بانتصاره ليل نهار، مع حفنة من الأنصار، و الأعوان؛ رغم أنه كان مكشوفا عسكريا من كل ناحية؛ و بعبارة أخرى: كان يعيش فى عرين الأسد، و لكنه أظهر عزيمة جبارة، لا نجد لها نظيرا غير ما ذكر فى الإنجيل، من أن نبيا قال للّه تعالى: «لم يبق من قومى إلا أنا» «۲».

ب- أما النبوءة الثانية التى وردت فى القرآن، فهى الإخبار بغلبة الروم على الفرس. و قد جاء فى أول سورة الروم قوله تعالى:

بسم اللّه الرحمن الرحيم الم (۱) غُلِبَتِ الرُّومُ (۲) فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ سورة الروم آية ۱- ۴.

كانت الامبراطورية الفارسية تقع شرقى الجزيرة العربية، على

---

(۱). Is lamandItsFounder ،P.۲۲۸ .

(۲). LifeofMohammad ،p.۲۲۸ - و ربما يذكرنا هذا الاقتباس بقول القرآن حكاية على لسان موسى عليه السلام: رَبِّ إِنِّى لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَ أَخِى- المائدة/ ۲۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۱۶

الساحل الآخر للخليج العربى، على حين كانت الامبراطورية الرومانية تمتد من غربى الجزيرة على ساحل البحر الأحمر إلى ما فوق البحر الأسود. و قد سميت الأولى- أيضا- بالامبراطورية الساسانية، و الأخرى بالبيزنطية. و كانت حدود الامبراطوريتين تصل إلى الفرات و دجلة، فى شمال الجزيرة العربية. و كانتا أقوى حكومتين شهدهما ذلك العصر.

و يبدأ تاريخ الامبراطورية الرومانية- كما يرى المؤرخ «جين»- فى القرن الثانى بعد الميلاد، و كانت تتمتع حينئذ بمكانتها كأرقى دولة حضارية فى العالم.

و قد شغل المؤرخين تاريخ زوال الروم، كما لم يشغلهم زوال أية حضارة أخرى «۱». و ليس يغنى كتاب من الكتب التى ألفت حول هذا الموضوع عن الكتب الأخرى، و لكن يمكن اعتبار كتاب المؤرخ «أدوارد جين»؛ «تاريخ سقوط و انحدار الامبراطورية الرومانية» «۲» أكثرها تفصيلا و ثقة، و قد ذكر المؤرخ فى الجزء الخامس من كتابه الوقائع المتعلقة ببحثنا هنا.

اعتنق الملك «قسطنطين» الدين المسيحى عام ۳۲۵ م، و جعله ديانة البلاد الرسمية، فآمنت بها أكثرية رعايا الروم. و على الجانب الآخر، رفض الفرس- عباد الشمس- هذه الدعوة.

و كان الملك الذى تولى زمام الإمبراطورية الرومانية فى أواخر القرن السابع الميلادى هو «موريس»، و كان ملكا غافلا عن شئون البلاد و السياسة، و لذلك قاد جيشه ثورة ضده، و بقيادة «فوكاس Phocas .

و أصبح فوكاس ملك الروم، بعد نجاح الثورة، و القضاء على العائلة الملكية بطريقة وحشية، و أرسل سفيرا له إلى إمبراطور إيران «كسرى أبرويز الثانى»، و هو ابن «أنوشيروان» العادل.

---

(۱). Wes ternCivilization ,p.۲۱۰

(۲)TheHistoryoft heDeclineandFall oftheRomanEmpire ,byEdwardGibbon

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۱۷

و كان «كسرى» هذا مخلصا للملك «موريس»، إذ كان قد لجأ إليه عام ۵۹۰- ۵۹۱ م، بسبب مؤامرة داخلية في الامبراطورية الفارسية، و قد عاد «موريس» بجنوده لاستعادة العرش. و مما يروى أيضا أن «كسرى» تزوج بنت «موريس»، اثنا إقامته ببلاد الروم، و لذلك كان يدعوه «بالأب».

و لما عرف بأخبار انقلاب الروم، غضب غضبا شديدا، و أمر بسجن السفير الرومي، و أعلن عدم اعترافه بشرعية حكومة الروم الجديدة.

و أغار «كسرى أبرويز» على بلاد الروم، و زحفت جحافله عابرة نهر الفرات إلى الشام. و لم يتمكن «فوكاس» من مقاومة جيوش الفرس التي استولت على مدينتي «أنطاكية» و القدس»، فاتسعت حدود الامبراطورية الفارسية فجأة إلى وادي النيل. و كانت بعض الفرق المسيحية- كالنسطورية، و اليعقوبية- حاقدة على النظام الجديد في روما، فناصرت الفاتحين الجدد، و تبعها اليهود، مما سهل غلبة الفرس.

و أرسل بعض أعيان الروم رسالة سرية إلى الحاكم الرومي في المستعمرات الافريقية يناشدونه إنقاذ الإمبراطورية، فأرسل الحاكم جيشا كبيرا بقيادة ابنه الشاب «هرقل»، فسار بجيشه في الطريق البحرية، بسرية تامة .. حتى إن «فوكاس» لم يدر بمجيئهم إلا عند ما شاهد الأساطيل و هي تقترب من السواحل الرومانية، و استطاع هرقل- دون مقاومة تذكر- أن يستولي على الامبراطورية، و قتل «فوكاس» الخائن.

بيد أن هرقل لم يتمكن- برغم استيلائه على الإمبراطورية، و قتله «فوكاس» من إيقاف طوفان الفرس .. فضاع من الروم كل ما ملكوا من البلاد في شرقي العاصمة، و جنوبيها. لم يعد العلم الصليبي يرفرف على العراق، و الشام، و فلسطين، و مصر، و آسيا الصغرى، بل علتها راية الفرس: «درفش كاويانى»!! و تقلصت الإمبراطورية الرومانية في عاصمتها، و سدت جميع الطرق في حصار اقتصادي قاس، و عم القحط،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۱۸

و فشت الأمراض الوبائية، و لم يبق من الإمبراطورية غير جذور شجرها العملاق. و كان الشعب في العاصمة خائفا يترقب ضرب الفرس للعاصمة، و دخولهم فيها، و ترتب على ذلك أن أغلقت جميع الأسواق، و كسدت التجارة، و تحولت معاهد العلم، و الثقافة إلى مقابر موحشة مهجورة.

و بدأ عباد النار يستبدون بالرعايا الروم للقضاء على المسيحية ..

فبدءوا يسخرون علانية من الشعائر الدينية المقدسة، و دمروا الكنائس، و أراقوا دماء ما يقرب من ۱۰۰،۰۰۰ من المسيحيين المسالمين.

و أقاموا بيوت عبادة النار في كل مكان، و أرغموا الناس على عبادة الشمس و النار، و اغتصبوا الصليب المقدس، و أرسلوه إلى «المدائن».

و يقول المؤرخ «جبن» في المجلد الخامس من كتابه:

«و لو كانت نوايا «كسرى» طيبة في حقيقة الأمر، لكان اصطلح مع الروم، بعد قتلهم «فوكاس»، و لاستقبل «هرقل» كخير صديق أخذ بثأر حليفه، و صاحب نعمته «موريس»، بأحسن طريقة؛ و لكنه أبان عن نواياه الحقيقية عند ما قرر مواصلة الحرب» «۱».

و يمكن قياس الهوة الكبرى التي حدثت بين الروم و الفرس من خطاب وجهه «كسرى» إلى «هرقل» من بيت المقدس، قائلا:

«من لدن الإله كسرى، الذي هو أكبر الآلهة، و ملك الأرض كلها، إلى عبده اللئيم الغافل هرقل: إنك تقول: إنك تثق في إلهك! فلما ذا لا ينقذ إلهك القدس من يدى؟!».

و استبد اليأس، و القنوط بهرقل من هذه الأحوال السيئة، و قرر العودة إلى قصره الواقع في «قرطاجنة» على الساحل الإفريقي .. فلم يعد يهمه أن يدافع عن الإمبراطورية، بل كان شغله الشاغل إنقاذ نفسه. و أرسلت

---

(۱) كتاب جبن/ مجلد/ ۵ ص ۷۴.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۱۹

السفن الملكية إلى البحر، و خرج «هرقل» في طريقه ليستقل إحدى هذه السفن إلى منفاه الاختيارى.

و في هذه الساعة الحرجة تحايل كبير أساقفة الروم باسم الدين و المسيح، و نجح في إقناع «هرقل» بالبقاء، و ذهب «هرقل» مع الأسقف إلى قربان «سانت صوفيا» يعاهد اللّه تعالى على أنه لن يعيش أو يموت إلا مع الشعب الذي اختاره اللّه له.

و بإشارة من الجنرال الإيراني سين (Sain(أرسل «هرقل» سفيرا إلى «كسرى» طالبا منه الصلح، و لكن لم يكد القاصد الرومي يصل إلى القصر، حتى صاح «كسرى» في غضب شديد: «لا أريد هذا القاصد! و إنما أريد «هرقل» مكبلا بالأغلال تحت عرشي، و لن أصالح «الرومي» حتى يهجر إلهه، الصليبي، و يعبد الشمس إلهتنا» «۱».

و بعد مضي ستة أعوام على الحرب، رضي الإمبراطور الفارسي أن يصالح هرقل على شروط معينة هي أن يدفع ملك الروم «ألف تالنت «۲»، من الذهب، و ألف تالنت من الفضة، و ألف ثوب «۳» من الحرير، و ألف جواد، و ألف فتاة عذراء».

و يصف «جبن» هذه الشروط بأنها «مخزية» دون شك، و كان من الممكن أن يقبلها «هرقل»، لو لا المدة القصيرة التي أتيحت له لدفعها من المملكة المنهوبة، و المحدودة الأرجاء، و لذلك آثر أن يستعمل هذه الثورة كمحاولة أخيرة، ضد أعدائه.

و بينما سيطرت على العاصمتين الفارسية، و الرومية هذه الأحداث،

---

(۱) (ص- ۷۶- ج ۵)

(۲)Talent ، ميزان يوناني قديم، حوالي ستة و عشرين كيلوجراما، لدى الأثينيين، و قد يطلق على كمية النقود الذهبية أو الفضية التي تزنه.

(۳) الثوب: ثلاثون مترا من القماش تقريبا.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۲۰

فقد سيطرت على شعب العاصمة المركزية في شبه الجزيرة العربية- و هي «مكة» المكرمة- مشكلة مماثلة: كان الفرس مجوسا من عباد الشمس و النار، و كان الروم من المؤمنين بالمسيح، و بالوحي، و بالرسالة، و باللّه تعالى. و كان المسلمون مع الروم- نفسيا- يرجون غلبهم على الكفار، و المشركين، كما كان كفار مكة مع الفرس؛ لكونهم من عباد المظاهر المادية. و أصبح الصراع بين الفرس، و الروم رمزا خارجيا للصراع الذي كان يدور بين أهل الإسلام و أهل الشرك في «مكة». و بطريقة نفسية كانت كل من الجماعتين تشعر بأن نتيجة هذا الصراع الخارجي هي نفس مآل صراعهما الداخلي. فلما انتصر الفرس على الروم عام ۶۱۶ م، و استولوا على جميع المناطق الشرقية من دولة الروم، انتهزها المشركون فرصة للسخرية من المسلمين، قائلين: لقد غلب إخواننا على إخوانكم، و كذلك سوف نقضي عليكم، إذا لم تصطلحوا معنا تاركين دينكم الجديد!! و كان المسلمون بمكة في أضعف، و أسوأ أحوالهم المادية، و في تلك الحالة البائسة، صدرت كلمات من لسان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»:

بسم اللّه الرحمن الرحيم: الم (۱) غُلِبَتِ الرُّومُ (۲) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (۳) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (۴) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۵) وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ الروم:

۱- ۶.

و تعليقا على هذه النبوءة يكتب «جبن»:

«في ذلك الوقت، حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعا؛ لأن السنين الاثنتى عشرة الأولى من حكومة «هرقل» كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية» «۱».

و لكن من المعلوم أن هذه النبوءة جاءت من لدن من هو مهيمن

---

(۱) ص- ۷۴ المجلد ۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۲۱

على كل الوسائل: و الأحوال، و من بيده قلوب الناس، و أقدارهم؛ و لم يكد جبريل يبشر النبي بهذه البشرى، حتى أخذ انقلاب يظهر على شاشة الإمبراطورية الرومانية!!.

و يرويه «جبن» على النحو التالي:

«إنها من أبرز البطولات التاريخية، تلك التي نراها في «هرقل».

فقد ظهر هذا الإمبراطور غاية في الكسل، و التمتع بالملذات، و عبادة الأوهام في السنين الأولى، و الأخيرة من حكومته؛ كان يبدو كما لو كان متفرجا أبله، استسلم لمصائب شعبه؛ و لكن الضباب الذي يسود السماء ساعتى الصباح، و المساء، يغيب حينا من الوقت لشدة شمس الظهيرة، و هذا هو ما حدث بالنسبة إلى هرقل، فقد تحول «أرقاديوس «۱» القصور» إلى «قيصر ميدان الحرب «۲»» فجأة، و استطاع أن يستعيد مجد الروم خلال ست حروب شجاعة شنها ضد الفرس. و كان من واجب المؤرخين الروم أن يزيحوا الستار عن

الحقيقة؛ تبيانا لأسرار هذه اليقظة، و النوم. و بعد هذه القرون التى مضت يمكننا الحكم بأنه لم تكن هناك دوافع سياسية وراء هذه البطولة، بل كانت نتيجة غريزة هرقل الذاتية، فقد انقطع عن كافة الملذات، حتى أنه هجر ابنة أخته «مارتينا»- التى تزوجها لشدة هيامه بها، رغم أنها كانت محرمة عليه» «۳».

هرقل- ذلك الغافل القاقد العزيمة- وضع خطة عظيمة لقهر الفرس، و بدأ فى تجهيز العدة، و العتاد؛ و لكن رغم ذلك كله، عند ما خرج هرقل مع جنوده، بدا لكثيرين من سكان «القسطنطينية» أنهم يرون آخر جيش فى تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.

---

(۱) أوقاديوس (۳۷۷- ۴۰۸ م)، أحد أباطرة الرومان، و هو الابن الأكبر لتيودوس الأول، تولى العرش سنة ۳۹۵ م. و اشتهر بالجبن- المراجع.

(۲) قيصر أو «سيزار» (۱۴۴- ۱۰۱ ق. م.) قائد و سياسى روسى عظيم.

(۳) ص- ۷۶- ۷۷، المجلد الخامس.

و كان هرقل يعرف أن قوة الفرس البحرية ضعيفة، و لذلك أعد بحريته للإغارة على الفرس من الخلف. و سار بجيوشه عن طريق البحر الأسود إلى «إرمينيا»، و شن على الفرس هجوما مفاجئا فى نفس الميدان الذى هزم فيه الإسكندر جيوش الفرس؛ لما زحف على أراضى مصر و الشام. و لم يستطع الفرس مقاومة هذه الغارة المفاجئة، فلاذوا بالفرار.

و كان الفرس يملكون جيشا كبيرا فى «آسيا الصغرى»، و لكن «هرقل» فاجأهم بأساطيله مرة أخرى، و أنزل بهم هزيمة فادحة، بعد إحراز هذا النصر الكبير عاد «هرقل» إلى عاصمته «القسطنطينية» عن طريق البحر، و عقد معاهدة مع الأفاريين (Avars)، و استطاع بنصرتهم أن يسد سيل الفرس عند عاصمتهم.

و بعد الحربين اللتين مر ذكرهما شن هرقل ثلاث حروب أخرى ضد الفرس فى سنوات ۶۲۳، ۶۲۴، ۶۲۵ م. و استطاع أن ينفذ إلى أراضى العراق القديم (ميسوبوتانيا) عن طريق البحر الأسود، و اضطر الفرس إلى الانسحاب من جميع الأراضى الرومية، نتيجة هذه الحروب، و أصبح «هرقل» فى مركز يسمح له بالتوغل فى قلب الإمبراطورية الفارسية، و كانت آخر هذه الحروب المصيرية- تلك الحرب التى خاضها الفريقان فى «نينوى» على ضفاف «دجلة» فى ديسمبر عام ۶۲۷ م.

و لما لم يستطع «كسرى أبرويز» مقاومة سيل الروم، حاول الفرار من قصره الحبيب «دستكرد»، و لكن ثورة داخلية نشبت فى الإمبراطورية، و اعتقله ابنه «شيرويه»، و زجّ به فى سجن داخل القصر الملكى، حيث لقى حتفه، لسوء الأحوال فى اليوم الخامس من اعتقاله، و قد قتل ابنه «شيرويه» ثمانى عشرة من أبناء أبيه (كسرى) أمام عينيه.

و لكن «شيرويه» هو الآخر لم يستطع أن يجلس على العرش أكثر من ثمانية أشهر، حيث قتله أحد أشقائه، و هكذا بدأ القتال داخل البيت

الملكى، و تولى تسعة ملوك زمام الحكم فى غضون أربعة أعوام. و لم يكن من الممكن، أو المعقول فى هذه الأحوال السيئة، أن يواصل الفرس حربهم ضد الروم .. فأرسل «قباد الثانى» ابن كسرى أبرويز الثانى يرجو الصلح، و أعلن تنازله عن الأراضى الرومية، كما أعاد الصليب المقدس؛ و رجع «هرقل» إلى عاصمته «القسطنطينية» فى مارس عام ۶۲۸ م، فى احتفال رائع، حيث كان يجر مركبته أربعة أفيال، و استقبله آلاف مؤلفة من الجماهير، خارج العاصمة، و فى أيديهم المشاعل، و أغصان الزيتون «۱»!! و هكذا صدق ما تنبأ به القرآن الكريم عن غلبة الروم فى مدته المقررة، أى فى أقل من عشر سنين، كما هو المراد فى لغة العرب من كلمة: «بضع»!.

و قد أبدى «جبن» حيرته، و إعجابه بهذه النبوءة؛ و لكنه كى يقلل من أهميتها ربطها برسالة النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» إلى «كسرى».

يقول جبن:

«و عند ما أتم الإمبراطور الفارسى نصره على الروم، وصلته رسالة من مواطن خامل الذكر من «مكة»، دعاه إلى الإيمان بمحمد، رسول اللّه، و لكنه رفض هذه الدعوة، و مزق الرسالة. و عند ما بلغ هذا الخبر رسول العرب، قال: سوف يمزق اللّه دولته تمزيقا، و سوف يقضى على قوته».

«و محمد، الذى جلس فى الشرق على حاشية الإمبراطوريتين العظيمتين، طار فرحا، مما سمع عن تصارع الإمبراطوريتين و قتالهما؛ و جرؤ فى إبّان الفتوحات الفارسية و بلوغها القمة أن يتنبأ بأن الغلبة تكون لراية الروم بعد بضع سنين. و فى ذلك الوقت، حين ساق الرجل هذه

---

(۱) جبن: ص- ۹۴، ج- ۵.

النبوءة، لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعا؛ لأن الأعوام الاثنى عشر الأولى من حكومة هرقل كانت تشى بنهاية الإمبراطورية الرومانية» «۱».

بيد أن جميع مؤرخى الإسلام يعرفون معرفة تامة أن هذه النبوءة لا علاقة لها بالرسالة التى وجهها النبى إلى «كسرى أبرويز»؛ لأن تلك الرسالة إنما أرسلت فى العام السابع من الهجرة، بعد صلح الحديبية، أى عام ۶۲۸ م، فى حين أن آية النبوءة المذكورة نزلت بمكة عام ۶۱۶، أى قبل الهجرة بوقت طويل، فبين الحدثين فاصل يبلغ اثنى عشر عاما «۲».

---

(۱) المرجع السابق، ص ۷۳- ۷۴.

(۲) EncyclopaediaofR eligionandEthics:

الباب الحادى عشر شبهات حول تطبيق القرآن، و تفنيدها

الشبهة الأولى:

اشارة

فصل القرآن عن الحياة. أى فصل الدين عن الحياة.

فالعلمانيون ينادون بفصل القرآن عن شئون الأفراد الحياتية، و ترك معالجتها للقوانين الوضعية. و هم يرون أن يحصر الاهتمام بالقرآن فى الصلاة، و التلاوة فى المساجد فقط. و هم يقيسون ذلك على التوراة و الإنجيل حيث فصلت الكنيسة عن حياة الأفراد الدنيوية. و دليلهم: أن تعقد علائق الحياة السياسية، و الاقتصادية، و الاجتماعية لا تسمح، و لا تتسع لتدخل الكتب السماوية حيث أضحت قاصرة فى معالجتها؛ و أصبحت الضرورة قصوى لأن تحصر مهمات الديانات فى تأدية الشعائر الدينية فى الكنائس، و الأديرة، و المساجد، و أن يترك للمبادئ العلمانية، و القوانين، و الأنظمة الوضعية معالجة شئون الحياة للأفراد، و الدول تأصيلا لقول المسيح «عليه السلام»: أعط ما لقيصر لقيصر، و ما للّه للّه.

تفنيد هذه الشبهة:

اشارة

إنه لمن نافلة القول التغاضى عن مفارقات، و تناقضات، و مغالطات هذه الشبهة، و التى لا تستقيم لأدنى، و أقل الدلائل فى تفنيدها، و نقضها و الرد على أصحابها، و من خلال عدة أمور نختار منها ستة تدور كلها حول فكرة ضرورة عدم جواز مقارنة القرآن الكريم بالكتب السماوية الأخرى.

أولا: إن القرآن الكريم ناسخ للكتب السماوية الأخرى:

فهو ناسخ، و ثابت. و هى منسوخة، و غير ثابتة، و قابلة للتغيير، و التحوير. و القرآن الكريم بثبوته، و نسخه لغيره من الكتب السماوية يحمل فى دلالاته و مفاهيمه معانى الكمال، و السمو، و الشمولية، و الفعالية فى المعالجة لأمور الدين، و الدنيا معا؛ و بالتالى من الخطأ الفادح مقارنته بالكتب السماوية الأخرى، و حصره فى بعض الأمور دون أخرى أو حصره فى المساجد، أو قصره على التلاوة، و التعبد.

و قد حملت الكتب السماوية، و على رأسها التوراة، و الإنجيل شواهد البشرى للقرآن، و المنزل عليه «محمد» «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»؛ و الكتاب يقرأ من عنوانه. فكلمة الإنجيل تعنى البشرى باللغة الإغريقية القديمة. و قد شاءت العناية الإلهية أن تبقى هذه البشرى سليمة من الطمس باكتشاف إنجيل «برنابا» أصدق الأناجيل على الإطلاق. و فيه «و سيبقى هذا إلى أن يأتى محمد رسول اللّه الذى

متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة اللّه» «۱». و لأجل صدقه صودر هذا الإنجيل، و أتلف عدة مرات، و لكن دون جدوى. و شاء القدر أن يظهره على يد راهب إيطالي لاتيني هو «فرامينو» و الذي عثر على رسائل «الاريانوس» حيث يذكر إنجيل برنابا من بينها. و قد وجده «فرامينو» في مكتبة البابا «سكتش الخامس»، و مكتوب باللغة الإيطالية، و على الورق الإيطالي المعروف بالآثار المائية فيه؛ مما يدل على صحته،

---

(۱) إنجيل برنابا. ص ۳۱۸.

و صدق هذه النسخة الإيطالية. و في إسبانيا عثر على نسخة من إنجيل برنابا الشاهد علي، و الذاكر لنبوة الرسول محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» في أوائل القرن الثامن عشر. و قد أعلن القس «تشارلز فرانسيس بوتو» في كتابه: «السنون المفقودة من عيسى تكشف» فيقول: «إن إنجيلا يدعى إنجيل برنابا استبعدته الكنيسة في عهدها الأول» «۱».

و في فلسطين، و بالقرب من البحر الميت عثر على مخطوطات ثمينة في هذا القرن الذي نعيش فيه، و التي قال عنها الدكتور: «د. ف البرايت». و هو عمدة في علم الآثار: «إنّه لا يوجد أدنى شكّ في العالم حول صحة هذه المخطوطات، و سوف تعمل ثورة في فكرتنا عن المسيحية» «۲». و قال عنها أيضا في واشنطن القس: أ. باول ديفز رئيس كنيسة كل القديسين بواشنطن في كتابه: «مخطوطات البحر الميت»: «إن مخطوطات البحر الميت- و هي من أعظم الاكتشافات أهمية منذ قرون عديدة- قد تغير الفهم التقليدي للإنجيل» و قد جاء في هذه المخطوطات.

«إنّ عيسى كان مسيا للمسيحيين، و إن هناك مسيا آخر. و كلمة مسيا بالأرامية تعني رسولا» «۳».

و في باريس عثر على نسخة من إنجيل برنابا ترجمه إلى العربية من ترجمته الإنجليزية دكتور خليل سعادة. و قد طبعه الشيخ محمد رشيد رضا على نفقته. و قد جاء في آخر مقدمته ما يلي: «و من لاحظ أن بعض القسيسين يجعلون العمدة في إثبات الأناجيل الأربعة ما فيها من التعاليم الأدبية العالية ثم قرأ إنجيل برنابا، يظهر له مكانه العالي في تعاليمه

---

(۱) عبد المجيد عزيز الزنداني. كتاب: توحيد الخالق. ج ۱ ص ۹۶- ۹۹. و ج ۳ ص ۸۹ سنة ۱۹۷۷ م.

(۲) عبد المجيد عزيز الزنداني. كتاب: توحيد الخالق. ج ۱ ص ۹۶- ۹۹. و ج ۳ ص ۸۹ سنة ۱۹۷۷ م.

(۳) عبد المجيد عزيز الزنداني. كتاب: توحيد الخالق. ج ۱ ص ۹۶- ۹۹. و ج ۳ ص ۸۹ سنة ۱۹۷۷ م.

الإلهية، و الأدبية، فإذا صرفنا النظر عن فائدته التاريخية، و عن حكمه لنا في المسائل الثلاث الخلافية، و هي: التوحيد، و عدم صلب المسيح، و نبوة محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، فحسبنا باعثا على طبعه وراء قيمته التاريخية ما فيه من المواعظ، و الحكم، و الآداب، و أحاسن التعاليم» «۱».

و قد أقرّ العلماء، و القساوسة، و رجال الدين المسيحيون في أوروبا أن الأناجيل المكتوبة في القرون الأولى للمسيح «عليه السلام» عديدة، و أهمها أربعة: إنجيل متى، و إنجيل مرقص، و إنجيل لوقا، و إنجيل يوحنا. و هي المعتمدة عندهم. و قرر نقاد المسيحية أن عقائد هذه الأناجيل الأربعة هي من وضع، و رأى القديس بولس. و بينوا أنهم يجهلون زمن كتابتها، و بأي لغة كتبت .. يقول «إيفار لستر». «إن الأناجيل كتبت باللغة الإغريقية في القرنين الرابع، و الخامس، و منهم من جعل أصول تعاليمها مأخوذة من الأديان الوثنية» «۲».

ثانيا: إن القرآن الكريم مصدق، و مهيمن، و شاهد على الكتب السماوية الأخرى: و هكذا نزل القرآن الكريم مصدقا للكتب السماوية السابقة، و قبل تحريفها. و كيف يقارن بها، و هو مهيمن عليها، و حاكما عليها، و هو آخرها، و أعظمها، و أسماها. مصداق قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ سورة المائدة آية ۴۸.

قال الزمخشري في الكشاف: «أي رقيبا على سائر الكتب؛ لأنه يشهد لها بالصحة، و الثبات» «۳». و هذا قبل تحريفها. و قال ابن كثير: «اسم المهيمن يتضمن ذلك؛ فهو أمين، و شاهد، و حاكم على كل كتاب قبله، جمع اللّه فيه محاسن ما قبله، و زاده من الكمالات ما ليس في

---

(۱) محمد رشيد رضا. إنجيل برنابا- الترجمة العربية. ص ۱۳۲۶ ه.

(۲) دكتور يوسف شويحات: العودة إلى النصرانية. ص ۵.

(۳) الزمخشري- الكشاف- ج ۱ ص ۴۹۷.

غيره» «۱». و هكذا جاء القرآن مبينا لليهود، و النصارى كثيرا مما كانوا يخفونه في كتبهم: كنبوّة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و آية الرجم، و قصة أصحاب الكهف، و قصة الذين مسخوا قردة، و خنازير. مصداق قوله تعالى:

يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ سورة المائدة آية ۱۵. و جاءهم نور، و كتاب مبين. مصداق قوله تعالى: قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ سورة المائدة آية ۱۵. أي مزيل لظلمات الشرك، و الشك، و هو كتاب مبين ظاهر الإعجاز. قال في التسهيل: «و الآية دليل على صحة نبوة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»؛ لأنّه بيّن ما أخفوه في كتبهم، و هو أمي لم يقرأ كتبهم» «۲». و هكذا نزل القرآن هاديا لكل من اتبعه، و صدق به، و بنبوّة صاحبه محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، مصداق قوله تعالى:

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ سورة المائدة آية ۱۶. أي يهديهم اللّه طريق النجاة، و السلامة، و مناهج الاستقامة. و هكذا جاء القرآن الكريم يبين لليهود، و النصارى شرائع الدين على فترة من انقطاع الرسل حيث كانت الفترة بين عيسى «عليه السلام» و محمد «عليه الصلاة و السلام» خمسمائة و ستون عاما، و ذلك حتى لا يكون لهم على اللّه حجة إن لم يسلموا، و يؤمنوا بالقرآن. مصداق قوله تعالى: يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ سورة المائدة آية ۱۹.

قال ابن جرير: «أي قادر على عقاب من عصاه، و ثواب من أطاعه» «۳».

---

(۱) ابن كثير- المختصر- ج ۱- ص ۵۲۴.

(۲) ابن جزي- التسهيل لعلوم التنزيل ص ۱۷۲، و محمد علي الصابوني- صفوة التفاسير. ج ۱ ص ۳۳۴.

(۳) محمد علي الصابوني- صفوة التفاسير- ج ۱ ص ۳۳۶.

ثالثا: إن القرآن الكريم يتصف بالكمال، و العمومية، و العالمية.

و هكذا، فكيف يقارن القرآن الكريم بغيره من الكتب السماوية، و هو الذي جاء بالهدى التام، و الكمال، و دين الحق الذي أعلاه على جميع الأديان الوضعية، و الشرائع السماوية الأخرى؟!! مصداق قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً سورة الفتح آية ۲۸.

فالقرآن الكريم- على عكس الكتب السماوية الأخرى- جاء للناس كافة يعالج شئونهم الدينية، و الدنيوية. فشواهد عالميته، و كماله تتسع لمعالم عموميته في المعالجة. و بديهي أن الكتاب الذي ينزل، و يأتي للناس كافة يحمل في دلالات نزوله عمومية المعالجة لشئونهم الدينية و الدنيوية كافة. قال تعالى: قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً سورة الأعراف آية ۱۵۸. و دلالة العمومية يؤصلها ورود قوله:

يا أَيُّهَا النَّاسُ في القرآن الكريم نحو ثمان و عشرين مرة. و القرآن الكريم في حمله لشواهد الرحمة للناس كافة تقتضي مفاهيمه، و دلالاته ألّا تجزأ هذه الرحمة، و تقتصر على أمور الدين دون الدنيا. فلا مجال مطلقا للقول بفصل القرآن عن الحياة، أو فصل الدين عن حياة الأفراد.

قال تعالى: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ سورة الأنبياء آية ۱۰۷.

و القرآن الكريم في إخراجه للناس من الظلمات إلى النور من البديهي ألا تقتصر شواهده هذه على أمور الدين دون الدنيا. قال تعالى: كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ سورة إبراهيم آية ۱.

و إن دلالة عمومية القرآن الكريم، و كماله، و سموه على الكتب السماوية الأخرى تؤكدها الأحاديث النبوية الشريفة. و منها ما رواه أئمة الأحاديث عن أنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» عند ما رأى عمر بن الخطاب يقرأ في نسخة من التوراة قال له فيما ورد في الحديث: «لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلّا أن يتبعني»

. و

قال فيما قال: «لقد تركتكم على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها»

و المحجّة البيضاء تبقى حجة بيضاء لنا و علينا،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۳۱

و فى ديننا، و دنيانا- فقرآننا قرآن الدين، و الدنيا معا، و دستور المادة، و الروح معا، و قانون العبادة، و السياسة معا. فما صح، و لا يصح القول:

بفصل الدين عن الدنيا، أو فصل القرآن عن الحياة. لا يصح بل يجب ألا يصح بالنسبة لقرآننا أو ديننا.

رابعا: إن القرآن الكريم محفوظ من التحريف، و الضياع. فقد صانته العناية الإلهية من كل تحريف، أو تغيير، أو نقصان، أو ضياع؛ و هذا كله على عكس الكتب السماوية الأخرى. قال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ سورة الحجر آية ۹. قال المفسرون: تكفل اللّه بحفظ هذا القرآن؛ فلم يقدر أحد على الزيادة، و النقصان، و التبديل و التغيير فيه كما يجرى فى غيره من الكتب؛ فإن حفظها موكول إلى أهلها لقوله تعالى: بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ. و انظر الفرق بين هذه الآية: وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ حيث ضمن حفظه، و بين الآية السابقة، حيث و كل حفظه إليهم، فبدلوا، و غيروا. و لنا التساؤل هنا: كيف يعقل أن يقارن مثل هذا الكتاب الذى أولته العناية الإلهية بالحفظ من كل عيب أو لهو، و من كل نقصان أو زيادة، و من كل تحريف أو ضياع؟! أن يقارن بكتب أخرى- و لو سماوية- لم تنل شرف هذه النعمة؟! و من ثم يجب أن يبقى ما يستند إليها من مفاهيم اللغو، و الباطل كالفصل بينها، و بين الحياة، أو بين الدين، و الدنيا، بعيدا كل البعد عن قرآننا الكريم، و بعظمة شواهده فى السمو و الكمال فى المعالجة لشئون الأفراد و الدول، الدينية منها، و الدنيوية، و إلّا انتقصت شواهد الحكمة بحفظه الأبدى، و إلى قيام الساعة. و هكذا فإن مفاهيم فصل القرآن عن الحياة، و وجوب الدنيوية للمبادئ العلمانية لا- تقاس مطلقا على قرآننا كتاب الدين، و الدنيا و الحياة، و إن صح قياسها، فليكن لغيره، أو بالنسبة لغيرة مما لم تحفظه العناية الإلهية من التحريف كالتوراة، و الإنجيل. و حسبنا شهادة الإله، بل و قرآنه على ذلك التحريف. قال تعالى: مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ سورة النساء آية ۴۶. و من هنا اقتضت معالم الكمال للقرآن فى المعالجة للدين، و الدنيا معا أن يكشف، أو أن يأتى

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۳۲

بذاته، و برسوله كاشفا لمعالم، و شواهد أهل الكتاب فى التحريف، و التغيير، و الإخفاء لكتبهم أو لما فى كتبهم. مصداق قوله تعالى: يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ سورة المائدة آية ۱۵. و من هنا اقتضت شواهد الحكمة الربانية فى الإعجاز القرآنى أن يظل مصانا من التحريف، و إلى أبد الآبدين مصداق قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ سورة الحجر آية ۹.

و لنا القول: بأنّ الإعجاز القرآنى بمعنى عدم التحريف لا يعنى عدم القدرة على الزيادة فيه، أو النقصان منه، أو عدم الاستطاعة عن إحداث التغيير بالحذف، و التقديم، و التأخير فى كلماته، و آياته أو بينهما؛ فهذا قد يكون مقدورا عليه من قبل الأفراد. و لكن المقصود بعدم إمكانية تحريف القرآن هنا يتمثل فى إمكانية كشف ذلك التغيير، أو النقص أو الزيادة فيه. فمن المستحيل أن يبقى التحريف خافيا على المسلمين، و بحيث يؤدى إلى ضياع القرآن، و الاختلاف فيه، كما حدث بالنسبة لاختلاف اليهود، و النصارى فى كتبهم، و من ثم ضياع السماوية منها.

فالعناية الإلهية حفظت القرآن الكريم من التحريف بكشفها لكل تحريف، و بحفظها له من الضياع له، و الاختلاف فيه.

و بهذا ترى المسلمين فى بقاع الأرض، و فى مختلف الأزمان و العصور، و على اختلاف أعراقهم، و مذاهبهم يقرءون قرآنا واحدا.

أخرج أبو داود عن جابر «رضى اللّه عنه» قال: «خرج علينا رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» و نحن نقرأ القرآن- و فينا الأعرابى، و العجمى- فقال: اقرءوا فكل حسن».

و هذا كله عكس ما عليه الكتب السماوية الأخرى، و منها التوراة مثلا، و هى كتب موسى الخمسة: التكوين، و الخروج، و اللاويون، و العدد، و التثنية، فكلها محرفة، و لم تثبت صحتها عن موسى، و ألفت فى أزمان متفاوتة تزيد على ألف عام. و كذلك يقال نفس الشيء بالنسبة للعهد القديم الذى يضم تسعة و ثلاثين سفرا قسمت إلى ثلاثة أقسام:

التوراة، و الأنبياء، و الكتب.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۳۳

و من أمثلة ما جاء من تحريف التوراة: ما ورد فى الإصحاح الرابع و الثلاثين من سفر التكوين و هو: «من حيلة ولدى يعقوب على شكيم و أبيه حمورى التى أدت إلى ذبحهم، و تدمير مدينتهم خديعة، و مكرا». و ما ورد فى الإصحاح السادس من سفر يشوع: «أن داود تآمر على زوجة قائدة حتى يتزوجها. و أنّ سليمان الحكيم عبد الأصنام إرضاء لزوجته.

و أنّ النبى لوط زنى بابنتيه. و الأمر بإبادة الأجناس الآخرين. و حل الربا، و أكل أموال الأمين- أى الشعوب الأخرى غير اليهودية- و حل سرقة أموالهم؛ و حرق مدينة أريحا، و قتل كل من فيها من الرجال، و النساء، و الأطفال، و الشيوخ، حتى البقر، و الغنم، و الحمير بحد السيف. و إحراق مدينة أريحا بكل ما فيها. و الاحتفاظ بالذهب، و الفضة، و آنية النحاس، و الحديد. و إنجاء الزانية، و جماعتها.

و أنّ إبراهيم كذاب. و أن هارون دعا الإسرائيليين لعبادة العجل. و من أدلة التحريف أيضا ما جاء فى الإصحاح الثالث و العشرين من سفر التكوين: «و قال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا بالخير، و الشر».

و الإصحاح السادس من السفر نفسه: «فحزن الرب أنه عمل الإنسان، و تأسف فى قلبه». و ما جاء فى سفر التكوين أيضا: أن إبراهيم رأى الرب آتيا يمشى بين ملكين، فقال له إبراهيم: إن كان عبدك يرى نعمة بين عينيك، فتعال، فتغد معنا. و أنّ إبراهيم ذبح لهم عجلا سمينا، فأكلوه معا. و كان ذلك تحت شجرة بلوط كان يجلس تحتها إبراهيم فى قرية نمرة قرب القدس. و أيضا: أن إسرائيل- يعقوب- صارع الرب، و صرعه. و أيضا: أن موسى مات عن عمر مائة و ثلاثين عاما، و ناحت عليه نساء بنى إسرائيل أربعين يوما، و دفن فى إحدى عرصات جبل موآب (جنوب الأردن).

و أيضا: أن مريم العذراء زنت بالراهب يوسف النجّار حيث كانت تتعبد معه فى إحدى الأديرة. و قد زنا بها، و هو خاطبها، و قبل الدخول الشرعى بها.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۳۴

و هم يتشبثون بهذه، و بمثل هذه الافتراءات، و دون أى دليل عقلانى علمى، أو تاريخى، أو نقلى؛ و ذلك كفرا من عند أنفسهم، و بهتانا عظيما؛ و حيث صدق فيهم قول ربنا دليلا إلهيا نقليا، و لا دليل لهم.

وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً سورة النساء آية ۱۵۶. و قوله تعالى: وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا سورة البقرة آية ۱۰۲. و أما تحريف الإنجيل، فيصدق عليه قوله تعالى: وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ سورة المائدة آية ۱۴.

و قوله تعالى: يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ سورة المائدة آية ۱۵.

و قد أشار دكتور موريس بوكاى الفرنسى فى كتابه: «القرآن، و التوراة، و الإنجيل، و العلم. دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة» إلى التناقضات العجيبة فى الأناجيل الأربعة بقوله: «فخيالات متى، و المتناقضات الصارخة بين الأناجيل، و الأمور غير المعقولة، و عدم التوافق بين معطيات العلم الحديث، و التحريفات المتوالية للنصوص، كلّ هذا يجعل الأناجيل تحتوى على إصحاحات، و فقرات تنبع من خيال الإنسان وحده. لكن هذه العيوب لا تضع فى موضع الشك وجود رسالة المسيح؛ فالشكوك تخيم على الكيفية التى جرت بها» «۱».

و قد أضاف هذا الطبيب الفرنسى موريس بوكاى: «بهذا يتضح ضخامة إضافة الإنسان إلى العهد القديم ... و التحولات التى أصابت نص العهد القديم الأوّل من نقل إلى آخر، و من ترجمة إلى أخرى، و بكل ما ينجم حقا عن ذلك من تصحيحات جاءت على أكثر من ألفى عام» «۲».

---

(۱) دكتور موريس بوكاى: كتاب: القرآن، و التوراة، و الإنجيل، و العلم، ص. ۱۳۱.

(۲) دكتور موريس بوكاى. المرجع السابق نفسه ص ۱۹.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۳۵

ثم قال: «فى سفر التكوين توجد أكثر التناقضات وضوحا مع العلم الحديث. و تخصّ هذه التناقضات ثلاث نقاط جوهرية:

۱- تاريخ خلق العالم، و تاريخ ظهور الإنسان على الأرض- ۲- خلق العالم و مراحله- ۳- رواية الطوفان» «۱».

و قد قاده حياده العلمى إلى الاعتراف بصحة القرآن، و سلامته من التحريف، فذكر فى نهاية كتابه: «لذلك فمن المشروع تماما أن ينظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحى من اللّه، و أن تعطى له مكانة خاصة جدا، حيث إن صحته أمر لا يمكن الشك فيه؛ و حيث إن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة فى عصرنا تبدو كأنها تتحدى أى تفسير وضعى؛ عقيمة حقا المحاولات التى تسعى لإيجاد تفسير للقرآن بالاعتماد فقط على الاعتبارات المادية» «۲». و عملا بقاعدة: الإقرار حجة على المقر، فقد أورد حاخام باريس «أجوليان ويل» فى كتابه: اليهودية، ما يفيد بأن شهادات كل علماء الغرب تؤكد أن التوراة الموجودة الآن قد كتبها أحبار اليهود؛ و منها ما كتب أيام المملكة الإسرائيلية؛ و منها ما كتب فى المنفى بين النهرين؛ و منها ما كتب قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون «۳».

و لنا التساؤل فى هذا المقام: أبعد هذا التحريف فى، و لكتبهم المقدسة، هل يجوز لنا أن نطمئن على شبهاتهم حول قرآننا الكريم، و هم الذين أحاطوا كتبهم بكل شبهات التحريف؟! و من ثم أنى، و كيف يتسنى لهم أن يصدقوا فى شبهاتهم؟! و أنّى، و كيف يتسنى لنا أن نطمع فيهم، و فيمن والاهم من أئمة العلمانية، و كفارها؛ و أن نطمع فى أن

---

(۱) دكتور موريس بوكاى. المرجع نفسه- ص ۴۰.

(۲) دكتور موريس بوكاى. المرجع نفسه. ص ۱۴- ۵۶- ۱۱۷- ۱۴۲- ۲۸۴- ۲۸۶ سنة ۱۹۷۸ م.

(۳) مجلة رابطة العالم الإسلامى. العدد السابع، السنة الرابعة عشرة. يوليو سنة ۱۹۷۶ م، ص ۳۰.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۳۶

يؤمنوا أو يقلعوا عن شبهاتهم، و افتراءاتهم؟!! و خير مؤنس لنا فى هذا المقام قول ربنا فيهم: أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ سورة البقرة آية ۷۵.

خامسا: إن القرآن الكريم كتاب سماوى منهجى: بينما الكتب السماوية الأخرى غير منهجية، فضلا عن أنها حرفت و غدت كتبا بشرية وضعية، فلا يجوز أن يقارن القرآن بها. فما يصلح أن يقال فيها لا يصلح أن يقال بالنسبة للقرآن الكريم. و لذلك فإن سمحت شواهدها، و معالمها اللامنهجية فصلها عن الحياة فلا غبار على ذلك؛ فهى أصلا كتب مواعظ، و عبر، و ليست كتبا منهجية؛ و لم تنزل لمعالجة شئون حياة الأفراد، و الدول، و كذلك ما جاءت به من عقائد جاء مجملا؛ و خلت من تفاصيل التشريع المتعلقة بالأحكام التى تعالج أمور الدين، و الدنيا، فضلا عن أنها لم تعد سماوية. و لذلك يناسبها الفصل عن الحياة، و الدنيا. و هذا كله على عكس القرآن الكريم؛ فهو كتاب سماوى منهجى، و سيبقى كذلك، و إلى قيام الساعة يعالج أمور الدين، و الدنيا معا. و قد جاء للبشرية بمناهج التشريع، و العقائد كاملة، و مفصلة؛ و قد أرسى قواعد المنهجية الحقيقة فى المعالجة لمشاكل الحياة و الأفراد، و الدول. فقد أرسى قواعد و أصول المنهج السياسى، و المنهج الاقتصادى، و المنهج الاجتماعى؛ و فى نفس الوقت أرسى قواعد، و أصول النظام الدستورى، و الإدارى، و المالى، و كذلك أسس، و معالم القانون الجنائى، «أى الجزائى»، و الدولى. فهو لم يترك شأنا من شئون الدين، و الدنيا إلّا عالجها؛ و لكن بشىء من الإيجاز، و فى شكل قواعد كلية، و مبادئ شرعية عامة تستند إلى النصوص، أو الاجتهاد؛ و بالتالى فإن معالمه المنهجية فى الكمال و الشمولية، و الفعالية فى المعالجة لجميع الأمور لا تسمح أبدا بالقول بفصله عن الدنيا، أو عن الحياة، أو الدين الذى جاء به عن شئون الأفراد الحياتية، و الدنيوية.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۳۷

و يصدق على هذا قول ربنا فى كتاب ربنا: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ سورة النحل آية ۸۹.

قال عبد اللّه بن مسعود: «قد بين لنا فى هذا القرآن كل علم، و كل شى‌ء» «۱». و أيضا قول ربنا: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سورة النحل آية ۴۴.

و لنا القول: بأن ما نفيده الآيتان، و غيرهما أن اللّه تعالى لم ينزل قرآنه على الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» إلا ليبين، و ليفصّل لهم أحكام حياتهم، و شئونهم الحياتية الدينية، و الدنيوية دون استثناء؛ و ضمن معايير الحلال، و الحرام حتى تستقيم حياتهم؛ و حتى لا تكون لهم بعد ذلك على اللّه حجة. و مثل هذه المعانى تتنافى كلية مع القول: بأنّ القرآن يجب فصله عن الدنيا، أو فصل الدين عن الحياة.

فالقرآن الكريم سام، و كامل فى تنظيمه لحياة الأفراد سواء فيما يتعلق بحياتهم الخاصة، أو علاقاتهم فيما بينهم أو فيما بينهم و بين الدولة؛ و كذلك فيما بينهم، و بين ربهم. و قد أورد صاحب العقيدة الطحاوية أن للّه تعالى تعاليم، و وصايا أوحى بها إلى رسله، و أنبيائه.

منها ما دوّن فى الكتب، و منها ما لا علم لنا به. فلكل رسول رسالة بلغها قومه كما قال سبحانه: كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فِيما اخْتَلَفُوا فِيهِ سورة البقرة آية ۲۱۳. و قال جلّ جلاله: فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جاؤُ بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِتابِ الْمُنِيرِ سورة آل عمران آية ۱۸۴.

و الكتب المدونة هى: التوراة، و الإنجيل، و الزبور، و صحف إبراهيم، و صحف موسى، و القرآن الكريم. و ما أثبته المفسرون أنه

---

(۱) د. محمد على الصابونى- مختصر ابن كثير- ج ۲- ص ۳۴۳.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۳۸

- و باستثناء القرآن الكريم- فإن الكتب السماوية الأخرى كانت جميعها عبرا، و أمثالا، و وصايا، و أخلاقا، و لم تكن كتبا منهجية تعالج شئون الحياة.

أخرج ابن حبان فى صحيحه، و اللفظ له، و الحاكم، و قال صحيح الإسناد عن أبى ذر «رضى اللّه عنه» قال: «قلت يا رسول اللّه، ما كانت صحف إبراهيم؟! قال: كانت أمثالا كلها: أيها الملك المسلط، المبتلى المغرور، إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، و لكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم، فإنى لا أردها، و إن كانت من كافر.

و على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات: فساعة يناجى فيها ربه، و ساعة يحاسب فيها نفسه، و ساعة يفكر فيها فى صنع اللّه «عز و جل»، و ساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم، و المشرب.

و على العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا لثلاث: تزود لمعاد، أو لمعاش، أو لذة فى غير محرم.

و على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه. و من حسب كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه. قلت: يا رسول اللّه، فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبرا كلها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح. عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك.

عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب. عجبت لمن رأى الدنيا، و تقلبها ثم أيقن إليها. عجبت لمن أيقن بالحساب غدا، ثم هو لا يعمل» «۱».

و يقول دكتور يوسف شويحات: «إنى أعتقد أن النصرانية كانت ترتكز تعاليمها على الأخلاق أكثر مما كانت تهتم بالشعائر الدينية؛ و لذلك اعتنقتها الشعوب البربرية، فهذبت أخلاقها. و لكن بولس الرسول الفيلسوف اليهودى أدخل على النصرانية الفلسفة اليونانية، و المفاهيم اليهودية. كما أدخل عليها البيزنطيون التعاليم الزرادشتية. فالمسيحية ديانة

---

(۱) عبد الحميد السائح: عقيدة المسلم و ما يتصل بها- ص ۲۳۶ و السيد سابق.

العقائد الإسلامية ص: ۱۶۰- ۱۶۱.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۳۹

أسرار، و لا هوت، و سياسة؛ بينما النصرانية ديانة أخلاق، و مبادئ؛ فالمسيحية ديانة الغرب، و النصرانية ديانة عربية». يؤيد قوله ما ورد فى الموسوعة الكاثوليكية من أن آريوس ليبى المولد كان يدافع عن عقيدة قائمة هى النصرانية الخالية من التحامل الفكرى الحاذق، و الفلسفة الجدلية البيزنطية التى سموها المسيحية بقصد القضاء على النصرانية.

و هو يستند فى هذا إلى ما كتبه «فيشر» عن تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى، و إلى ما كتبه سليم واكيم عن تاريخ إيران فى الحضارة «۱».

سادسا: إن القرآن الكريم كتاب غير متناقض. يتصف بثبات العقائد، و الشرائع، و صحة الإعجاز. فحقائقه ثابتة ناصعة لا تتعارض مع العلم، و حقائقه. و ما ثبتت قطعيته من العلم، فهو قطعى فى القرآن الكريم. و حقائق الكون فى الآفاق، و حقائق النفس فى الأجسام كلها تتناسب مع كلام اللّه، و هى مخلوقاته. و كل ما أخبر به القرآن عنها، و ما يكتشف من حقائقها تتلاءم مع ما أخبر اللّه به عنها. فلا تناقض البتة بين كلام اللّه و هو القرآن، و بين عمل اللّه، و هى المخلوقات. و كلام اللّه، و عمله لا يتناقضان أبدا. و كل ما جاءت به الحقائق العلمية يصدق ما جاء به، و أخبر به القرآن سواء فيما يتعلق بحقائق الكون فى الآفاق، أو فى الأنفس. مصداق قوله تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. سورة فصلت آية ۵۳.

و لنا القول: بأنّ كتابا ربانيا سماويا يصدق بعضه بعضا، و تصدق حقائقه حقائق الخلق فى الكون، و النفس، و يحمل فى ثنايا دلالاته و مفاهيمه، و معانيه، و معالمه، و آياته سموه خلوده، و معالم صدقه، و شواهد كماله، و صدق حقائقه، فهو جدير، بل و أكثر جدارة من غيره من الكتب حتى السماوية منها أن يحيط بكل معالم، و مظاهر الحياة

---

(۱) عبد الحميد السائح: المرجع نفسه- ص ۲۴۸.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۴۰

الإنسانية حكما، و معالجة، و تنظيما، و على جميع المستويات، و الشئون سواء بالنسبة للأفراد، أو الأسر، أو المجتمعات، أو الدول؛ و بحيث أثبتت الدلائل النقلية، و العلمية، و التاريخية، و التطبيقية العملية أنه لا غنى للبشرية أبدا عن هذا الكتاب الربانى؛ و لحل مشاكلهم، و تنظيم حياتهم، و إدارة شئونهم. فكيف، و بعد ثبوت مثل هذه الحقائق ثبوت جبل أحد أن يزعم، أو أن يقال بوجوب فصله عن الحياة، أو عن الدنيا، أو عن شئون الأفراد؟!! إنه لعمر اللّه، الكفر، و العناد، و الجهل، و الضلال!!! و لنا القول أيضا: فعند ما يقول اللّه تعالى فى قرآنه: وَ فِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ سورة الذاريات آية ۲۰. فهو يشير كما يقول ابن كثير: إلى الآيات الدالة على عظمة خالقها، و قدرته الباهرة. سواء أ كانت هذه الآيات تتعلق بالنبات، أو الماء، أو الحيوان، أو الإنسان، أو جميع بدائع خلقه. فمما لا شك فيه أن دلائل هذه العظمة لا تصدق، و لا تتحقق إلّا بتحقق تناسق شواهد الخلق، فلا ترى فيها عوجا، و لا أمتا، و لا فطورا، و لا تناقضا. فإن حقائق القرآن لا تتنابها شواهد الزيغ، أو الاعوجاج، أو التناقض، أو التفاوت، أو الفطور، قال تعالى: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ

سَماواتٍ طِباقاً ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ سورة الملک آية ٣.

فکلام اللّه عن السماوات يصدق حقيقة خلقها، و بأنها متطابقة بعضها فوق بعض. و کذلک يصدق حقيقة تناسقها، و بديع صنعها؛ فلا يمکن أن يری فيها، أو في خلق اللّه کله أی نقص، أو خلل، أو اختلاف، أو تنافر، بل هی غاية في الأحکام، و الاتقان. و إنما قال:

فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ، و لم يقل: فيهن؛ تعظيما لخلقهن، و تنبيها علی قدرة اللّه، و تأکيدا علی هذه القدرة الإلهية. قال تعالی: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ کَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْکَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ سورة الملک آية ۴.

قال الإمام فخر الدين الرازی: «المعنی: أنک إذا کررت نظرک، لم يرجع إليک بصرک بما طلبته من وجود الخلل و العيب، بل رجع خاسئا

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۴۱

مبعدا لم ير ما يهوی من الکلال، و الإعياء» «۱». و قال الإمام القرطبی:

«أی اردد طرفک، و قلب بصرک في السماء (کرتين). أی مرة بعد مرة أخری، يرجع إليک البصر خاشعا صاغرا متباعدا عن أن يری شيئا من ذلک العيب و الخلل: و إنما أمر بالنظر کرتين؛ لأنّ الإنسان إذا نظر في الشيء مرة، لا يری عيبه ما لم ينظر إليه مرة أخری. و المراد بالکرتين التکثير بدليل قوله: يَنْقَلِبْ إِلَيْکَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ. و هو دليل علی کثرة النظر» «۲».

و لنا القول أيضا: و عند ما يقول اللّه تعالی في کتابه: وَ فِي أَنْفُسِکُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ سورة الذاريات آية ۲۱. فهو يشير کما يقول ابن عباس:

«إلی اختلاف الصور، و الألسنة، و الألوان، و الطبائع، و السمع، و البصر، و العقل، إلی غير ذلک من العجائب المودعة في ابن آدم» «۳». و کما يقول قتادة: «من تفکر في خلق نفسه، عرف أنه إنما خلق و لينت مفاصله للعبادة» «۴». و مما لا شک فيه أن دلائل هذه العظمة الإلهية في الخلق للنفس الإنسانية تتجلی واضحة جلية ضمن تناسق شواهد التوافق في خلقها، و الاختلاف في صورها، و ألسنتها، و ألوانها، و طبائعها، و غيرها من صور بدائع خلقها. و لذلک لا ترى في حقيقة خلقها أی تناقض، أو خلل، أو نقص، أو زيادة.

أ- فالقرآن الکريم، و هو يتکلم عن توافق شواهد خلق النفس، و في جميع أطوارها و مراحلها، فهو يصدق هذه الحقيقة. فحقيقة خلق أطوار آدم هی نفسها حقيقة خلق أطوار کل نفس سواء أ کانت أطوار الجنين، أو أطوار الخلق ما بعد الولادة. مصداق قوله تعالی: وَ قَدْ خَلَقَکُمْ أَطْواراً سورة نوح آية ۱۴. فکل نفس آدمية خلقت أطوارا، و مرت

---

(۱) الإمام الفخر الرازی- التفسير الکبير- ج ۳۰ ص ۵۸.

(۲) الإمام القرطبی- التفسير- ج ۱۸- ص ۲۰۹.

(۳) الإمام الخازن- التفسير. ج ۴. ص ۲۰۳.

(۴) الإمام الخازن المرجع السابق نفسه.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۴۲

في خلقها بنفس مراحل خلق آدم في الرحم. من نطفة، إلی علقة، إلی مضغة، إلی عظام إلی لحم.

قال تعالی: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (۱۲) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَکِينٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ سورة المؤمنون الآيات ۱۲- ۱۴.

و کل نفس أيضا خلقت أطوارا، و مرت في خلقها بمراحل خلق آدم نفسها بعد الولادة: من طور الطفل إلی طور البلوغ إلی طور الشيخوخة.

مصداق قوله تعالی: هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُکُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ ثُمَّ لِتَکُونُوا شُيُوخاً سورة غافر آية ۶۷.

ب- و القرآن الکريم، و هو يتکلم عن اتساق حقيقة اختلاف النفس في ألسنتها، و صورها، و ألوانها، فهو يصدق هذه الحقيقة. مصداق قوله تعالی: وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِکُمْ وَ أَلْوانِکُمْ إِنَّ فِي ذلِکَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ سورة الروم آية ۲۲. و بذلک جعل اللّه حقيقة هذا الاختلاف في الخلق للنفس البشرية دلالة إعجازه، و قدرته في الخلق تؤيدها مکتشفات العلم في کل عصر. و منها حقيقة خلق البنان أی الأصبع حيث ثبت علميا اختلاف ترکيب، و خيوط، و دقائق کل إصبع عن الآخر. و بذلک يتخذ العلماء منه دليلا للتعرف علی صاحبه. و صدق ربنا، و هو خير الصادقين، إذ يقول: بَلی قادِرِينَ عَلی أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ سورة القيامة آية ۴.

و هذه سنة اللّه في خلقه، و آياته، و حقائقه، و کتبه، و رسله، و علومه، لا تجد فيها و لا تجد في أعظم کتاب أحاط بها قرآنه الکريم لا تجد فيه تناقضا، أو اختلافا، أو تفاوتا. و هذه سنة اللّه تشهد علی کتاب اللّه بالکمال، و السمو، و توصله ليکون دستور البشرية في الهداية، و الاستقامة، و العيش، و الحياة ذخرا لنا في حياتنا، و آخرتنا؛ فلا مناص

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۴۳

لنا، و للبشرية جمعاء من التمسک به، و العمل به، فلا- مجال بإبعاده عن حياتنا، أو فصله عن دنيانا. و هذه سنة اللّه في هدايتنا، و صلاحنا، و بکتاب ربنا.

و صدق ربنا، و هو يقول: وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا سورة الأحزاب آية ۶۲، و سورة الفتح آية ۲۳. و صدق ربنا، و هو يقول: وَ لا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلًا سورة الإسراء آية ۷۷. و صدق ربنا، و هو يقول:

فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا سورة فاطر آية ۴۳.

و صدق رسولنا، و هو يقول: «من ابتغی الهدی في غيره، أضله اللّه» فهذا کتاب اقتضت المشيئة الإلهية له الخلود، فکيف يريدون له عدم الخلود؟!! و هذا قرآن اقتضت العناية الإلهية له عدم التحريف، و التصحيف، أو التغيير، أو التبديل، أو الضياع، أو الاندثار، فکيف يريدون له الضياع، و الاندثار؟!.

و هذا فرقان اقتضت الإرادة الإلهية له العزة في الحق، و الهداية، فکيف يريدون له التجاهل، و الإبعاد، و الاتعاد، و البطلان؟!!.

وَ إِنَّهُ لَکِتابٌ عَزِيزٌ (۴۱) لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَکِيمٍ حَمِيدٍ الآيتان ۴۱- ۴۲.

و هذا فرقان باركته العناية الإلهية ليکون للعالمين نذيرا، فکيف يريدون أن يفصلوه عن حياتهم، و يبعدوه عن معايشهم، و شئونهم؟!

تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِيَکُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً سورة الفرقان آية ۱.

الشبهة الثانية:

اشارة

فصل القرآن عن الدولة، أی فصل الدين عن الدولة.

و حجة أصحاب هذه الشبهة تتمثل في أنّ القرآن کتاب ديني، و الإسلام دين روحي، و هو مجرد رسالة دينية روحية، و لا علاقة بالقرآن أو الإسلام بالدولة، و السياسة، و السلطان. و هم يستندون في حجتهم إلی

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۴۴

أنّ القرآن الکريم لم ينص علی إقامة الدولة، و لم يجعلها رکنا، أو أصلا من أصول الدين. و القرآن الکريم لم يتکلم عن الرسول «صلّی اللّه عليه و آله و سلم» کرئيس دولة، أو ملک، أو زعيم، أو رجل سياسة، و إنما ذکره کنبی، و رسول، أی رجل دين. و منطلق أصحاب هذه الشبهة هو ما أثاره المرحوم الشيخ علی عبد الرزاق من ۱۸۸۷ م- ۱۹۶۶ م في کتابه «الإسلام، و أصول الحکم»، و من حمل لواءه من بعده من الإعلاميين أمثال دکتور محمد أحمد خلف اللّه، و سلامة موسی، و غيرهم، من أن الرسول محمدا «صلّی اللّه عليه و آله و سلم» لم يکن ملکا، أو مؤسس دولة، أو رئيسا لدولة.

و لقد ذکر الشيخ علی عبد الرزاق في کتابه «الإسلام و أصول الحکم» الذی أصدره في آبريل سنة ۱۹۲۵ م «أنّ محمدا «صلّی اللّه عليه و آله و سلم» ما کان إلّا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشوبها نزعة ملک، و لا حکومة.

و أنه «صلّی اللّه عليه و آله و سلم» لم يقم بتأسيس مملکة بالمعنی الذی يفهم سياسة من هذه الکلمة، و مرادفاتها. ما کان إلّا رسولا کإخوانه الخالين من الرسل؛ و ما کان ملکا، و لا مؤسس دولة، و لا داعيا إلی ملک» «۱». و ذکر دکتور محمد أحمد خلف اللّه کبير العلمانيين في هذا العصر، و في مقال له بعنوان: «النص و الاجتهاد، و الحکم في الإسلام» نشره في مجلة العربی الکويتية ما نصه: «إن القرآن الکريم لم يجعل النبی العربی محمد بن عبد اللّه- عليه الصلاة و السلام- ملکا، أو رئيس دولة. و ظل ينعته بالنبی الرسول، و ليس من حقنا بأی حال من الأحوال أن نلتزم بغير ما جاء به القرآن الکريم، و نستبدله بغيره. لم يکن نبی الإسلام في أی وقت من الأوقات ملکا، أو رئيس دولة، و إنما ظل دائما النبی الرسول» «۲».

و ذکر سلامة موسی في کتابه: «اليوم و الغد» الذی نشره سنة

---

(۱) علی عبد الرزاق. کتاب: الإسلام و أصول الحکم. طبعة بيروت. سنة ۱۹۷۲ م.

ص ۱۵۴.

(۲) د. محمد أحمد خلف اللّه: مقاله في مجلة العربی الکويتية. عدد ۳۰۷ رمضان سنة ۱۴۰۴ ه. يونيو سنة ۱۹۸۴. ص ۴۳.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۴۵

۱۹۷۹ م ما يفيد بإنكاره للدين، و علاقته بالدولة، و بأنّ الرابطة الدينية أصلها كاذب. و جاء قوله بالحرف الواحد: «إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة؛ لأنّها تقوم على أصل كاذب، فإن الرابطة الدينية وقاحة. فإننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا .. و نحن في حاجة إلى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان؛ و حكومة ديمقراطية برلمانية كما هي في أوروبا؛ و أن يعاقب كل من يحاول أن يجعلها مثل حكومة هارون الرشيد، أو المأمون، أو أتوقراطية دينية ... و كلما ازددت خبرة و تجربة، و ثقافة، توضحت أمامي أغراضي ... يجب علينا أن نخرج من آسيا، و أن نلتحق بأوروبا؛ فإني كلما زادت معرفتي بالشرق، ازدادت كراهيتي له، و شعوري بأنه غريب عني. و كلما زادت معرفتي بأوروبا، زاد حبي لها، و تعلقي بها، و زاد شعوري بأنها مني، و أنا منها.

و هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سرا، و جهرا، فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب» «۱».

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إن القرآن الكريم أوجب إقامة الدولة الإسلامية حكما و فرضا، و إن لم يذكرها نصا، و لفظا. فقد أوجبها بذكره لوظائفها، و نصه على واجباتها. فقد أوجب فرائض، و تكاليف دينية، و دنيوية كثيرة، و أوكل تنفيذها، و إقامتها إلى الدولة، و الحاكم، و جعل أداءها، و قيامها من أساسيات الوظائف العامة للسلطة، و السلطات الحكومية. إن القرآن الكريم جعل أداء الواجبات الدينية منوطا، و متعلقا بوجود الدولة.

فالواجب الديني يقتضي واجبا مدنيا هو الدولة. و وجوب الدولة إسلاميا يعود إلى أنها مما لا سبيل إلى أداء الواجب الديني إلا به. و كل ما لا

---

(۱) سلامة موسى: كتاب: اليوم و الغد. القاهرة سنة ۱۹۲۷ م. انظر النص في: د.

محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ص ۲۱۲- ۲۱۵- القاهرة- سنة ۱۹۸۰ م.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۴۶

يتم الواجب إلّا به، فهو واجب. و من هنا، و من أجل إقامة شعائر الدين، أوجب الدين إقامة الدولة، و السلطة، و أوجب الإسلام وجود السلطان، و الحاكم.

فالقرآن الكريم لم يفرض على المسلمين إقامة الدولة الإسلامية كواجب ديني، و لكن فرض عليهم من الواجبات الدينية ما يستحيل القيام به و الوفاء بحقوقه إذا هم لم يقيموا دولة الإسلام. بل و ألزمهم بالنسبة لذلك إطاعة الحاكم، و السلطان، و تنفيذ أوامر الدولة. مصداق قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا سورة النساء آية ۵۹.

و بالمقابل أوجب على الحاكم، و السلطان القيام بأمانة أداء الواجبات الموكولة إليه، و في ما يتعلق بأمور الدين، و الدنيا معا .. مصداق قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً سورة النساء آية ۵۸.

و كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فوجود «ولاة للأمر» يجب عليهم أداء الأمانات إلى المحكومين ... و وجود رعية تجب عليها طاعة «ولاة الأمر» هؤلاء، هي فرائض دينية لا سبيل إلى الوفاء بها إذا غابت الدولة من عالم المسلمين، و الإسلام .. و هذه الدولة ليست مطلق دولة من حيث النهج الذي تلتزمه، و الشرع الذي تحتكم إليه، و إنما هي «الدولة الإسلامية»، لأنها هي وحدها الكافلة لإقامة الواجبات الشرعية الإسلامية التي لا تقوم، و لا تقام إلّا بهذه الأداة ... و هكذا نجد أن «الدولة»- رغم أنها ليست فريضة قرآنية، و لا ركنا من أركان الدين- إلّا أنه لا سبيل في حال غيابها إلى الوفاء بكل الفرائض القرآنية الاجتماعية، و الواجبات الإسلامية الكفائية التي يقع الإثم بتخلفها على الأمة جمعاء، و التي كانت- لذلك- آكد من فروض الأعيان .. فوجوب «الدولة» إسلاميا راجع إلى أنها مما لا سبيل إلى أداء الواجب الديني إلّا به ..

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۴۷

و من هنا تأتي علاقتها و علاقة السياسة بالدين في نهج الإسلام ... إنها واجب مدني اقتضاه و يقتضيه «الواجب الديني» الذي فرضه اللّه على المؤمنين بالإسلام» «۱».

ثانيا: إن إقامة الدولة الإسلامية أمر ضروري، و واجب شرعا و عقلا، و إن لم يذكرها القرآن كركن أو أصل من أصول الإسلام.

فالدولة الإسلامية واجب أمرها شرعا، أو عقلا.

و هذه حقيقة متفق عليها من قبل أئمة المسلمين، و إن خالفهم القلة منهم: كأبي بكر الأصم من المعتزلة ۲۷۹ ه- ۸۹۲ م، و النجدات أتباع نجدة بن عامر الحنفي ۳۶ ه- ۵۹ ه- ۶۵۶ ۶۸۸ م من الخوارج. و كما يقول الجاحظ مبررا قيامها: «اتفاق المسلمين على ضرورة الدولة، و وجوبها شرعا أو عقلا؛ أو للاعتبارين؛ لأن الناس يتظالمون فيما بينهم بالشره، و الحرص المركب في أخلاقهم؛ فلذلك احتاجوا إلى الحكام» «۲».

و كما يقول الإمام الماوردي: «و لأن الإنسان مطبوع على الافتقار إلى جنسه، و استعانته صفة لازمة لطبعه، و خلقة قائمة في جوهره» «۳».

و كما يقول أيضا: «و لأن صلاح الدنيا معتبر من وجهين: أوّلها: ما ينتظم به أمور جملتها. و الثاني: ما يصلح به حال كل واحد من أهلها» «۴».

و لذلك فإن لم تكن الدولة ركنا من أركان الدين، أو أصلا من أصوله، فإن هذا لا يعني أنها غير ضرورية، أو أنّ إقامتها ليس ضروريا.

---

(۱) شيخ الإسلام ابن تيمية: كتاب: منهاج السنة النبوية- ج ۱ ص ۷۰ و ما بعدها، القاهرة- سنة ۱۹۶۲ م.

(۲) الجاحظ ج ۱ ص ۱۶۱. تحقيق عبد السلام هارون- القاهرة. ۱۹۶۴.

(۳) الماوردي- أدب الدين و الدنيا- ص ۱۳۲ و ص ۱۳۴ تحقيق مصطفى السقا.

القاهرة- سنة ۱۹۷۳ م.

(۴) الماوردي- أدب الدين و الدنيا- ص ۱۳۲ و ص ۱۳۴. تحقيق مصطفى السقا.

القاهرة- سنة ۱۹۷۳ م.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۴۸

و إن لم تكن الدولة واجبا دينيا، فهي واجب مدني، و ضرورة مدنية يتوقف على حقيقتها، و وجودها أداء الواجبات الدينية. فمن الاستحالة قطع العلاقة بين الضرورة المدنية، و الواجب الديني، و من العسير فصم العلاقة بين الدولة، و بين الدين، فهما متلازمان أبدا. و لا تستقيم شرعا، و عقلا دعاوى العلمانيين بالفصل بينهما. و كما يذكر الإمام الماوردي:

فصلاح الدنيا لا يستقيم إلّا بما ينتظم أمور جملتها، و إلّا بما يصلح حال كل واحد من أفرادها. و صلاح الدنيا من صلاح الدين، و كلاهما متعلق أمر تنفيذه، و القيام بشواهده، و معالمه بوجود الدولة، ينفذ سياستها في الإصلاح الحاكم أو المسئول أو الخليفة أو أمير المؤمنين. و حتى الواجبات الدينية في ذاتها يتعلق أمر القيام بها بالحاكم، أو الوالي، أو رئيس الدولة: كجمع الزكاة من أصحابها، و مصادرها، و وضعها، و صرفها في مصارفها؛ و القصاص، و ما يقتضيه من إجراءات في الإثبات، و شهادة الشهود و الإقرار، و رعاية المصالح العامة الإسلامية على النحو الذي يحقق النفع، و يمنع الضرر عن الجميع؛ و تنظيم أمر الشورى، و إقامة حكمه؛ و القيام بإدارة المرافق، و إقامة الحدود، و نشر العلم؛ و إشباع الحاجات، و تحقيق مقاصد الشريعة، و هي الضرورات الخمس ... إلخ.

و بذلك فإن ضرورة، و حتمية وجود الدولة الإسلامية، يستدعي إقامتها، و إن لم تكن أصلا أو ركنا من أركان الدين. و لم يقل أحد بذلك، و بالمقابل لم يقل أحد إنّها غير ضرورية. و لنا أن نستأنس بقول شيخ الإسلام ابن تيمية ۶۶۱- ۷۲۸ ه- ۱۲۶۳- ۱۳۲۸ م.

«و الدولة- الإمامة- الخلافة ليست ركنا من أركان الإيمان الستة، و هي:

الإيمان باللّه، و الملائكة، و الكتب، و الرسل، و اليوم الآخر، و القدر ...».

و كما يقول أيضا: «و لا- ركنا من أركان الإحسان التي يجمعها: أن تعبد اللّه كأنك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنّه يراك». و كما يقول أيضا:

«و لم يقل أحد من هؤلاء الأعلام: إنّ الوحي القرآني قد فصل للدولة الإسلامية نظاما؛ و لا أن اللّه قد أوجب على رسوله في القرآن إقامة

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۴۹

الدولة كما أوجب إقامة أركان الإسلام، و فرائض الدين، و أصول الاعتقاد. فالدين وضع إلهي، و هو في الرسالة الخاتمة قد اكتملت أركانه و عقائده، و أصوله، و شريعته في القرآن الكريم الذي لم تشتمل آياته على نظام للحكم، و لا تشريع للدولة، و لا تفصيل للحكومة التي يزكيها كي تسوس مجتمع الإسلام».

و كما يذكر: «و بالطبع فليس بين أهل الإسلام من يعتقد أن هذا السكوت القرآني عن تفصيل شأن الدولة، و نظام الحكم السياسي راجع إلى السهو، أو القصور أو التقصير. فحاشا للّه، و تنزه سبحانه. لكن الذي يعتقده المسلمون هو أن القرآن- ذلك الكتاب لا ريب

فيه- لما كان كتاب الرسالة الخاتمة، فإنه قد وقف عند النهج، و المقاصد، و الغايات، و الفلسفات في كل ما يتصل بالأمور التي هي محل، و موضوع للتغير، و التطور الذي هو قانون طبيعي، و سنة من سنن اللّه في الكون الذي أبدعه و يرعاه. و من هذه الأمور إقامة الدولة الإسلامية، و قيادة الأمة، و سياسة المجتمعات» «۱».

و لنا أن نؤكد: أن القرآن، و إن لم يذكر الدولة، و يصنفها ضمن الأركان، و الأصول و لكنه لم ينف ضرورتها. بل أصّل هذه الضرورة من خلال تأصيله لواجباتها، و أساس وظائفها، و على رأسها الدينية. شبهات حول القرآن و تفنيدها ۳۴۹ تفنيد هذه الشبهة: ..... ص : ۳۴۵

كذلك، و إن لم يحدد شكلا معيّنا، أو قانونا جامعا للسياسة، و الإدارة، لكنه لم يهمل ذلك كلية. فبعد استيفائه لذكر الثوابت، و انتقاله للمتغيرات كنظام الحكم، فقد وقف عند تحديد المقاصد، و الفلسفات، و الغايات؛ و التي صاغها في صورة مثل عليا، و وصايا، و كليات، و أطر حاكمة و مرنة، و ما سكت عنه هي النظم، و النظريات، و القوانين حيث تركها للعقل، و التجربة، و التقنين، لتهتدي بهذه الأمثلة على درب الخلق، و الإبداع، و الإضافة، و التجديد في ميادين الحكم، و السياسة. و لنا أن

---

(۱) ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. ج ۱ ص ۷۲۷۰. المرجع السابق.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۵۰

نؤكد ثانية: إن عدم ذكر القرآن للدولة كركن أو أصل من أصول الدين، لا يعني أبدا انقطاع أو انتفاء العلاقة بينهما؛ و لا ينفي ضرورتها و حتميتها.

و لنا أن نستأنس في هذا بقول حجة الإسلام الغزالي: «و مع اتفاق علماء الإسلام على ضرورة الدولة، و وجوبها، فإنهم قد اتفقوا- خلا الشيعة الإمامية- على أنها من الفروع، و ليست من أصول العقائد، و لا من أركان الدين فهي واجب مدني اقتضاه الواجب الديني المشتمل على تحقيق الخير للإنسان في هذه الحياة» «۱».

ثالثا: إنّ الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أقام الدولة الإسلامية الأولى، و جعل دستورها القرآن، و نظامها الإسلام. و هذا يفند الزعم بفصل القرآن عن الدولة.

و بذلك فإن إقامة السنة النبوية العملية لأوّل دولة سياسية تحكم بشريعة القرآن يدحض القول: بوجوب فصل القرآن عن الدولة، أو الدين عن الدولة.

و يرد كيد العلمانيين، و أسيادهم الحاقدين على كل ما هو إسلام، أو قرآن، و هم قد فقدوا كل حجة في زعمهم أن الإسلام دين روحي، و أن القرآن كتاب ديني، و ليس حياتيا، و أن منهجه فقط منهج تعبد، و ليس منهج دولة، أو سياسة.

فالرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أقام الدولة، و أسس بنيانها على عقد شرعي، و جعل دستورها القرآن؛ و منهجها أحكام الحلال، و الحرام؛ و نظامها الإسلام.

و هو بذلك أقام كيانا سياسيا، و دولة جديدة اكتملت معالمها، و أركان

---

(۱) الغزالي. الاقتصاد في الاعتقاد. ص ۱۳۴. دون تاريخ. و فيصل التفرقة بين الإسلام و الزندقة طبعة القاهرة سنة ۱۹۰۷، ص ۱۵. و الإمام الجويني- الإرشاد.

القاهرة- ۱۲۵۰. ص ۴۱۰. و الشهرستاني: نهاية الإقدام. ص ۴۷۸. و الجرجاني:

شرح المواقف. ج ۳ ص ۲۶۱ القاهرة- سنة ۱۳۱۱ ه.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۵۱

حكومتها، و أدوات ولايتها، و دوائر سلطاتها، و أجهزة قسماتها، و سلطنة عمالتها، و ولاية عمالاتها، و مظاهر علاقتها، و تقسيمات أقاليمها، و مهمات أمرائها؛ فكانت دولة إسلامية بحق، لها معالمها، و مقوماتها.

و نشأت كدولة مدنية ترعى شئون الدين، و الدنيا، و الدينية، و المدنية معا.

و إذا كانت أحداث الحروب، و الغزوات، و السرايا، و البعوث قد ملأت كتب و مصادر السنة، و مراجع التاريخ، فإن هذا لا يعني أنّها خلت من الكلام أو ذكر معالم هذه الدولة؛ و لو أنّها جاءت متناثرة مفرقة بين، و على صفحات هذه المصادر، و المراجع. و لقد قيض اللّه لهذه الأمة من العلماء، من جعل شغله الشاغل في السيرة النبوية الكلام عن المعالم الأساسية، و المقومات الأصلية للدولة النبوية، و على رأسهم الإمام الخزاعي أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن مسعود بن أبي غفرة الخزاعي ۷۱۰- ۷۸۹ ه ۱۰۲۶- ۱۱۰۳ م. حيث أشار في كتابه «تخريج الدلالات السمعية» إلى معالم، و أركان، و دوائر، و وظائف، و أدوات، و قسمات دولة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»؛ فجاء كتابه هاما، و مفيدا، و من أهم مراجع التراث الإسلامي الأول «۱».

۱- و بالنسبة لعقد التأسيس: فقد تم بين الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و بين قادة الأوس، و الخزرج، و ممثليهم الذين التقوا به في موسم الحج ذلك العام.

فكانت بيعة العقبة عقدا سياسيا، و عسكريا، و اجتماعيا، و شرعيا حقيقيا لا مفترضا؛ تأسس بناء عليه أول دولة إسلامية في التاريخ العربي و الإسلامي. و قد تمت هذه البيعة بين النبي «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و بين خمس و سبعين من وجوه الأوس، و الخزرج بينهم امرأتان هما: نسيبة بنت كعب، و أسماء بنت عمرو بن عدي. و قد تضمنت بنود العقد التأسيسي أهم شواهد إقامة الدولة: مكانها يثرب؛ و رئيسها الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» طيلة حياته؛ و قيادتها الأولى

---

(۱) أنظر خلاصة هذا الكتاب في: الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي- ج ۴ ص ۴۸۱ و ص ۷۶۵. و كذلك كتاب: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية لعبد الحي الكتاني ج ۱ ج ۲. طبعة بيروت- دار الكتاب العربي.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۵۲

اثنا عشر نقيبا أنصاريا يكونون مجلس مستشاري الحكومة النبوية و ينتخبون من قبل جمعيتها التأسيسية، و هم أصحاب بيعة العقبة الخمس و سبعين حيث

قال لهم الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم» فاختاروا تسعة من الخزرج، و ثلاثة من الأوس «۱».

و قد لخص عقد التأسيس معالم العلاقة بين أطرافه: بين رئيس الدولة، و بين أعضاء الجمعية التأسيسية؛ و التي تشير إلى حماية الجمعية التأسيسية لقائد الأمة، و يمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم، و نساءهم و أبناءهم. و

قال لهم: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفلة الحواريين لعيسى بن مريم. و أنا كفيل على قومي».

و تذكر كتب السيرة النبوية عن معالم عقد التأسيس هذا- بيعة العقبة-:

قال كعب بن مالك: فلما اجتمعنا في الشعب، ننتظر رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، جاءنا، و معه العباس بن عبد المطلب- و هو يومئذ على دين قومه إلّا أنّه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، و يستوثق له- فلما جلس كان أول متكلم قال: يا معشر الخزرج، إنّ محمدا منا حيث علمتم، و قد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه؛ فهو في عزمة من قومه، و منعة في بلده، و إنّه قد أبى إلا الانحياز إليكم، و اللحوق بكم.

فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، و مانعوه ممن خالفه، فأنتم، و ما تحملتم من ذلك. و إن كنتم ترون أنكم مسلموه، و خاذلوه بعد الخروج إليكم، فمن الآن فدعوه؛ فإنّه في عزة، و منعة من قومه، و بلده. قال كعب: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلّم يا رسول اللّه؟

فخذ لنفسك، و ربك ما أحببت. فتكلم رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، فتلا القرآن، و دعا إلى اللّه، و رغّب في الإسلام ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني منه نساءكم و أبناءكم». قال كعب: فأخذ البراء بن معرور بيده، و قال: نعم.

---

(۱) رفاعة الطهطاوي- الأعمال الكاملة- ج ۴ ص ۱۵۹- ۱۶۰- دراسة و تحقيق د.

محمد عمارة- بيروت ۱۹۷۷ م. شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۵۳

فو الذي بعثك بالحق، لنمنعنّك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول اللّه؟

فنحن- و اللّه- أبناء الحروب، ورثناها كابرا عن كابر. فقال أبو الهيثم بن التيهان، يا رسول اللّه، إنّ بيننا، و بين الرجال- اليهود- حبالا. و إنا قاطعوها، فهل عسيت إن فعلنا ذلك، ثم أظهرك اللّه، أن ترجع إلى قومك، و تدعنا!! قال: فتبسم رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» ثم قال: «بل الدم الدم، و الهدم الهدم. أنا منكم، و أنتم مني، أحارب من حاربتم، و أسالم من سالمتم «۱».

بمعنى: أفاديكم بدمي إن أحل أحد دمكم، و بمنزلي إن حاول أحد أن يهدم منازلكم. بمعنى: أفاديكم بروحي، و حياتي، و ما أملك.

و قد تضمن التأسيس دين الدولة، و أركان الإيمان، و شواهد الإسلام. و هذا ما يتجلى دائما في لقاءات و بيع الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: كبيعة العقبة الأولى؛ حيث تذكر كتب السيرة النبوية

عن عبادة بن الصامت قوله: «بايعنا رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» ليلة العقبة الأولى: أن لا نشرك باللّه شيئا، و لا نسرق، و لا نزني، و لا نقتل أولادنا، و لا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا و أرجلنا، و لا نعصيه في معروف. قال الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»:

«فإن وفيتم، فلكم الجنة؛ و إن غشيتم من ذلك شيئا، فأخذتم بحده في الدنيا، فهو كفارة له؛ و إن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى اللّه؛ إن شاء عذب، و إن شاء غفر» «۲».

هذا هو رسولنا محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و هذه هي عقوده، و بيعه. و هذه هي أسس دولته، أقامها على الشرعية في التأسيس، و الوفاء بالعقد، و الالتزام بالإسلام في الحكم، و الإيمان في العمل.

۲- و أما بالنسبة للدستور: فقد جعله الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» مستندا إلى القرآن الكريم في تنظيمه لعلاقات الرعية السياسية. منها ما يتعلق باللّه تعالى، و منها ما يتعلق بالمؤمنين فيما بينهم، و منها ما يتعلق بعلاقاتهم

---

(۱) الشيخ محمد الغزالي. فقه السيرة. ص ۱۵۸. طبعة دار الكتب الحديثة- القاهرة ۱۹۷۶.

(۲) محمد الغزالي- المرجع الآنف الذكر. ص ۱۵۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۵۴

مع غيرهم. و بلغت مواده خمسين بندا تناولت أهم أمور الدولة، و الحقوق، و الواجبات، و في السلم و الحرب.

أ- فبالنسبة لعلاقة الرعية باللّه تعالى- فقد جعل منطلقها المسجد حيث بناء الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» في مكان بركت فيه ناقته يملكه غلامان في كفالة أسعد بن زرارة في المدينة المنورة. و جعل الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» من المسجد منطلق عمل الرعية بدستور الإسلام، تنظم أوّل ما تنظم بنوده علاقة الإخلاص مع اللّه تعالى. و كان فيما يقوله لهم ما

روى البيهقي عن عبد الرحمن بن عوف قال: «كانت أوّل خطبة خطبها الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بالمدينة أن قام فيهم، فحمد اللّه، و أثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أمّا بعد: أيها النّاس، فقدّموا لأنفسكم، تعلمنّ و اللّه، ليصعقنّ أحدكم، ثم ليدعنّ غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه- ليس له ترجمان، و لا- حاجب يحجبه دونه-: أ لم يأتك رسولي فبلغك؟ و آتيتك مالا، و أفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فينظر يمينا، و شمالا، فلا يرى شيئا، ثم ينظر قدامه، فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقي نفسه من النار، و لو بشق تمرة، فليفعل. و من لم يجد، فبكلمة طيبة؛ فإن بها تجزى الحسنة عشرا أمثالها إلى سبعمائة ضعف. و السلام عليكم، و على رسول اللّه ...» «۱».

ب- و بالنسبة لعلاقة الرعية فيما بينهم: فقد وثق رباط المؤاخاة فيما بينهم فكانوا عباد اللّه إخوانا. تفننوا في تطويع هذه العلاقة لبنود الدستور، و ما تقتضيه من ظواهر الإخلاص، و الحب، و الأثرة، و التعاون، و المعاونة، و الإحسان. حتى جعل الأنصاري منهم يتنازل عن أهم ما يملك من مال أو زوجات لأخيه المسلم المهاجر. و قد جعلت عقود الإخاء مقدمة على حقوق القرابة في توارث التركات إلى موقعة «بدر» حتى نزل قوله تعالى: وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ في كِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ سورة الأنفال آية ۷۵. فألغى التوارث بعقد الأخوة،

---

(۱) محمد الغزالي- فقه السيرة- ص ۱۹۱.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۵۵

و رجع إلى ذوي الرحم. و قد آخى الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» من بينهم: حمزة مع زيد؛ و أبو بكر مع خارجة. و عمر مع عتبان بن مالك؛ و عبد الرحمن بن عوف مع سعد بن الربيع. و تذكر كتب السيرة أن سعد بن الربيع الأنصاري قال لأخيه عبد الرحمن بن عوف المهاجر: «إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم مالي نصفين، و لي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك! فسمها لي، أطلقها فإذا انقضت عدتها، فتزوجها. قال عبد الرحمن بن عوف: باركَ اللّه في أهلك و مالك، أين سوقكم؟» «۱». و استنادا إلى هذا الدستور يتحرك الفرد بروح الجماعة، و مصلحتها، و آمالها؛ كيانه من كيانها، و مصلحته من مصلحتها، و سعادته من سعادتها.

ج- و بالنسبة لعلاقة الرعية المؤمنة مع غيرها كفلها الدستور ضمن مظاهر الوفاء، و الند للند. و كفل الدستور حرية الاعتقاد، و الدين للجميع تطبيقا، و عملا بالحكم الرباني في القول الرباني: لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ سورة البقرة آية ۲۵۶.

و قد نظم الدستور علاقة من بقي على دينه مع الدولة الإسلامية، و أدخلهم كجزء من رعيته السياسية، و أبقى لهم حرية الاعتقاد الديني. ثم نظم حقوق، و واجبات الرعية من مؤمنين، و غير مؤمنين. و كذلك علاقات الدولة الإسلامية مع غيرها من الجماعات و الدول زمن السلم، و زمن الحرب. و قد أطلق المؤرخون على هذا الدستور اسم الصحيفة مرة، و الكتاب مرة أخرى. و سمى أهلها أهل الصحيفة مرة، و أهل الكتاب مرة أخرى.

و قد جعل القرآن حكم الجميع فيما اختلفوا فيه؛ فهم رعية دولته الإسلامية. فنصت الصحيفة على مادة تقول: «و أنّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإنّ مرده إلى اللّه، و إلى محمد رسول اللّه» «۲».

---

(۱) محمد الغزالي- فقه السيرة- ص ۱۹۲.

(۲) انظر هذه الصحيفة في أمهات كتب السيرة. مثل: النويري: نهاية الأرب. ج

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۵۶

و بالنسبة للمؤمنين من الرعية السياسية فمرجعهم القرآن مصداق قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا سورة النساء آية ۵۹. و قد ذكر ابن إسحاق ما ورد في الوثيقة التي تنظم علاقات الدولة الإسلامية مع رعاياها من اليهود، و الوثنيين، و التي جاءت تحت معاني التسامح، و اللطف، و المعاونة. و جاء فيها: «و إن يهود بني عوف أمّة من المؤمنين؛ و لليهود دينهم، و للمسلمين دينهم؛ و آن ليهود بني النجار، و الحارث، و ساعدة، و بني جشم، و بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، و أن على اليهود نفقتهم، و على المسلمين نفقتهم. و أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. و أن بينهم النصح، و النصيحة، و البر دون الإثم. و أنّه لم يأثم امرؤ بحليفه. و أن النصر للمظلوم؛ و أن الجار كالنفس غير مضار، و لا آثم. و أن بينهم النصر على من دهم يثرب. و أنّ من خرج آمن، و من قعد بالمدينة آمن إلّا من ظلم .. و أن اللّه جار لمن بر، و اتقى» «۱». و غيرها من البنود الأخرى في الدستور، و التي تجمع كلها على مضامين التعاون، و التكافل، و الضرب على أيدي المخربين، و المعتدين على رعية الدولة من مسلمين، و غير مسلمين.

۳- و أما بالنسبة لمعالم و أركان الدولة الإسلامية: ۱- فكان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» الرئيس، و القائد، و الإمام، و المرجع الأعلى للدولة.

۲- و كان مجلس وزرائه، و مشورته كبار الصحابة من مهاجرين، و أنصار:

كالعشرة المهاجرين الأول، و نقباء الأنصار الاثنى عشر. ۳- و كان من الإداريين من اختص بالحجابة، و السقاية، و الكتابة، و الترجمة، و حمل الخاتم، و كاتم الأسرار، و هو حذيفة بن اليمان. و إمارة الحج ... الخ.

۴- و كان من العمالات على الفقه، و العلم: عمال تعليم القرآن، و تعليم

---

۱۶. ص ۳۴۸- و ۳۵۱ القاهرة. و محمد حميد اللّه الحيدرآبادي: الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة. ص ۱۵- ۱۶. القاهرة- سنة ۱۹۵۶ م.

(۱) ابن إسحاق. ج ۲ ص ۱۶- ۱۸. و محمد الغزالي. فقه السيرة. ص ۱۹۷.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۵۷

الكتابة، و القراءة، و الإفتاء، و تعليم الفقه، و إمامة الصلاة، و الآذان ...

الخ. ۵- و كان من عمال العلاقات الخارجية، و الإعلام: السفراء، و التراجمة، و الشعراء، و الخطباء ... الخ. ۶- و كان من أمراء الجهاد: قواد السرايا، و الجيوش، و أمراء القتال. و كتاب الجيش، و فارضو العطاء، و العرفاء، و رؤساء الجند ... الخ. ۷- و كان من أمراء النواحي:

ولاة الأقاليم، و القضاة، و عمال الجباية، و عمال الزكاة، و الصدقات، و عمال الخراج، و الخارصون للثمار، و فارضو المواريث، و فارضو النفقات، و صاحبو المساحة ... الخ. ۸- و كان من عمال الأمن المحتسب، و صاحب العسس، و متولي حراسة المدينة، و العين (الجاسوس)، و السجان، و المنادي، و مقيم الحدود، و متولي التطبيب و العلاج ... الخ. ۹- و كان من العمال الآخرين: المستنفرين للقتال على المدينة، و أصحاب السلاح، و أصحاب اللواء و الراية، و أمراء أقسام الجيش الخمسة، و حراس القائد، و القائمون على متاع السفر، و الذين يخذلون الأعداء، و الذين يبشرون بالنصر ... الخ. ۱۰- و كان من الموظفين الإداريين غير ذلك. و منهم الذين عينهم الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بداءة ثم ثبتهم؛ و منهم الذين عزلهم، و استبدلهم، و البدلاء عنهم ... الخ.

فكنا بذلك، أمام دولة اكتملت معالمها، و مقوماتها، و أركانها، و أسسها، و دستورها ... و دولة الإسلام قائمة على الإمارة، و السياسة، و شئون الدولة، و المعبر عنها في ذلك الوقت: «بالأمر و منه الائتمار»، و منه الإمارة، و منه «الأمير». و حتى يتميّز الأمر عن الوحي، و الدين الخالص كان الأمر شورى في شرعة الإسلام. و كان الحكم السياسي قائما على مبدأ الألوهية في الشورى عملا بقوله تعالى: وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ سورة آل عمران آية ۱۵۹. و قوله تعالى: وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ سورة الشورى آية ۳۸.

و كما كان الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» معصوما في البلاغ، لا- ينطق عن هوى، فبلاغه وحي يوحى. و كان في الأمر- السياسة- مجتهدا، و مستشارا،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۵۸

و مستشيرا. فهو فى البلاغ الدينى بشر يوحى إليه. و هو فى سياسة الدولة بشر يجتهد، و يستشير.

و من هنا يأتى المعلم الثانى من معالم دولة الإسلام أنها دولة مدنية، ترعى الشئون الدينية، و السياسة. و هى دولة دين، و حياة، و دين و دنيا، لا دولة كهنوت، و دين و أتوقراطية. فالرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أرسى دعائم أول دولة فى الإسلام، أساسها العقد، و دستورها القرآن، و معالمها الشرعية، سار على نهجها أمراء المؤمنين، و فقهاء الإسلام. أقاموا إسلامها، و طبقوا أحكامه، و نفذوا حدوده، و ما قتال أبى بكر للمرتدين مانعى الزكاة- جماعة مالك بن نويرة- و هم موحدون، يصلون و يصومون؛ إلا تأكيدا لوجود هذه الدولة، و تحقيقا لمقوماتها، و تأصيلا لعلاقتها بالدين. فكان وجود الدولة ضرورة مدنية، و واجبا سياسيا لتنظيم جباية الزكاة، و تنظيم شئون الأفراد، و تحقيق الحكم الإسلامى بأداء الواجبات الدينية لا- فرق بين صلاة، و زكاة، أو صوم، و حج. و هذا المعنى الحقيقى لعبارته المشهورة لأصحابه: «و اللّه لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة، و الزكاة؛ فإن الزكاة حق المال. و الله لو منعونى عقالا كانوا يؤدّونها لرسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، لقاتلتهم على منعها». فقد ربط بين الدين، و الدولة.

فالسنة النبوية أقامت الدولة، و جعلت دستورها القرآن، و ربطت بين القرآن، و الدولة. و الآثار الصحابية ثبتت دعائم الدولة، و ربطت بين الدين، و الدولة و آراء أهل الحل، و العقد حققت استمرارية الدولة، و ربطت بين الدين، و السياسة. و فتاوى فقهاء المسلمين ركزت على ثبات، و ضرورة الدولة، و ربطت بين وجودها، و بين الدين. و سياسات حكام المسلمين أثبتت شرعية الدولة المدنية لإقامة الواجبات الدينية. و كل ذلك أثبت نقلا، و عملا، و تاريخا، أن الإسلام دين، و دولة، و لا فصل بين القرآن و الدولة، أو الدين و الدولة. و أن لا مكان لقول العلمانيين: بالفصل بين القرآن، و الدولة؛ أو بين الدين، و الدولة، و قد ثبت بطلان زعمهم: بأنّ الإسلام رسالة روحية تعبدية فقط، و أن القرآن كتاب روحى فقط.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۵۹

الشبهة الثالثة: فصل القرآن عن السياسة- أى فصل الدين عن السياسة

اشارة

و حجتهم فى ذلك: أن القرآن، و الدين الإسلامى روحيان، و لا علاقة لهما بالسياسة قياسا على الديانتين: اليهودية، و المسيحية.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إن الديانة الإسلامية إلهية سماوية بينما الديانات الأخرى كاليهودية، و المسيحية، و البوذية، و الهندوسية، و غيرها، ديانات غير إلهية، و غير سماوية؛ و إنما هى ديانات وضعية بشرية. و بذلك تنتفى أوجه المقارنة بينها، و بين الديانة الإسلامية. و إذا جاز فصل مثل هذه الديانات عن الدولة أو عن السياسة، فهذا لا يصح، و لا يجوز مطلقا بالنسبة للديانة الإسلامية. فكونها ديانة إلهية سماوية فهى تحكم، و تنظم شئون الناس و الدول، شئون الدين، و الدنيا، لا فرق بالنسبة للأمر سواء كان يتعلق بالأفراد أو الدول. و لعل منع الخطأ فى مستند هذه الشبهة- شبهة فصل الدين عن السياسة- يكمن أساسا فى محاولة المساواة بين اليهود، و المسيحية، و بين الإسلام من حيث المصدرية، و الألوهية. فإنه لم تثبت معالم الألوهية، و الشواهد السماوية لكلتا الديانتين. فمن الثابت، و بالأدلة القطعية، أنه لم تنزل ديانة إلهية من السماء يهودية صحيحة ثم حرفت، أو ديانة مسيحية سماوية صحيحة ثم حرفت. و إنما نزل دين واحد بعقيدة واحدة، و هو دين الإسلام، و على جميع الأنبياء، و الرسل، و فى جميع الكتب السماوية. فالدين الذى نزل على موسى هو الإسلام، فحرفه قومه بنو إسرائيل، و سموه بالدين اليهودى نسبة إلى إلههم يهوه أو يهوذا. و الدين الذى نزل على عيسى هو الإسلام فحرفه قومه، و سموه بالدين المسيحى نسبة إلى إلههم المسيح. و لذلك فإن اصطلاح الديانات السماوية الثلاث خاطئ، و يكون شبهة قائمة فى حد ذاتها. و كذلك فإن تعدد الكتب السماوية لا يعنى تعدد الدين .. و لذلك

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۶۰

فإن صح أن فصلت اليهودية، و المسيحية- و هما غير سماويتين أصلا- عن السياسة، و حصرتا فى الكنائس، و الأديرة، و حصرت ممارسة شعائرها فى فئة البابوات، و القساوسة، و الرهبان، و الأحبار، فهذا لا يصح مطلقا بالنسبة للإسلام؛ و هو سماوى إلهى فى أصله. فهو ديانة الجميع، يمارس شعائرها الجميع، و يعملون بأحكامها فى جميع لحظات حياتهم، و بالنسبة لجميع علاقاتهم السياسية، و الاجتماعية، و الاقتصادية، و المالية. فلا فصل عندنا بين الدين، و السياسة، أو بين الدين، و الدولة.

و شواهدنا على وحدة الدين، و بالنسبة لجميع الأنبياء، و الرسل قطعية فى ثبوتها، و نصوصها، فقد قال تعالى مؤصلا وحدة دينه، و منذ خلق آدم، و قبله، و بعده، و فى سورة آل عمران: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ آية ۱۹.

و قال أيضا فى السورة نفسها نافيا عن عباده القبول بدين غير دين الإسلام، و إلّا كانوا خاسرين: وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ سورة آل عمران آية ۸۵.

و لنا القول: بأن وحدة الدين الإلهى السماوى لا تنفى تعدد الشرائع الإلهية السماوية. فالله تعالى يقول: لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً سورة المائدة آية ۴۸. و لكنه لا يقول: لكل جعلنا منكم دينا، أو عقيدة.

لذلك يصح القول: بأن هناك شريعة يهودية سماوية، و إلهية فى أصلها ثم حرفت. و لذلك هناك شريعة مسيحية سماوية، و إلهية ثمّ حرفت. فالدين لجميع الأمم، و يتمثل فى افعل، و لا تفعل، و اعتقد بإله خالق واحد، فهو إذن واحد غير متعدد. و أمّا الشريعة فتتمثل فى كيف تفعل، و كيف لا تفعل، و كيف تعتقد بالله، و كيف تؤمن بالله، و كيف تعبد الله. فهى إذن متعددة، و غير واحدة. و لكل أمة شريعتها، و منهاجها فى العبادة.

و بما أن كلتا الشريعتين اليهودية و المسيحية حرفتا أيضا كالدين، فقد أصبحتا وضعيتين غير سماويتين، و بذلك لا يقارن دين الإسلام، و شريعة الإسلام بهما. فإن جاز فصلهما، أى الدين و الشريعة اليهودية، و المسيحية عن الدولة، فلا غرو، و لا عجب؛ فهما بشريتان،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۶۱

وضعيتان. أمّا ديانة و شريعة الإسلام فلا، و ألف لا. فهما إلهيتان سماويتان، و أين الثرى من الثريا. و أمّا بالنسبة لنصوص، و أدلة وحدة الدين للجميع هى:

۱- بالنسبة للجميع: قال تعالى فى سورة آل عمران: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ آية ۱۹. و قال فى السورة نفسها: وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ آية ۸۵.

۲- و بالنسبة إلى نوح- قال تعالى فى سورة الشورى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ آية ۱۳. و قال تعالى فى سورة يونس: فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ آية ۷۲.

۳- و بالنسبة إلى إبراهيم- قال تعالى فى سورة البقرة: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۱۲۷) رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنا مَناسِكَنا وَ تُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ آية ۱۲۷- ۱۲۸. و قال تعالى فى سورة البقرة: وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِى الدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (۱۳۰) إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ آية ۱۳۰- ۱۳۱. و قال تعالى فى سورة آل عمران: ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ آية ۶۷.

و قال تعالى: قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِىَ مُوسى وَ عِيسى وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ سورة آل عمران آية ۸۴.

و لذلك نفى الله تعالى الهداية باعتناق اليهودية أو المسيحية. فقد قال تعالى فى سورة البقرة: وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ آية ۱۳۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۶۲

۴- و بالنسبة إلى يعقوب- قال تعالى فى سورة البقرة: أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَ إِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. آية ۱۳۳.

۵- و بالنسبة إلى يوسف- قال تعالى فى سورة يوسف: أَنْتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِماً وَ أَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ آية ۱۰۱.

۶- و بالنسبة إلى موسى- قال تعالى فى سورة الأعراف: وَ ما تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ آية ۱۲۶.

و قال تعالى فى سورة يونس- وَ قالَ مُوسى يا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ آية ۸۴.

۷- و بالنسبة إلى سليمان- قال تعالى فى سورة النمل:

إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۳۰) أَلَّا تَعْلُوا عَلَىَّ وَ أْتُونِى مُسْلِمِينَ آية ۳۰- ۳۱.

و قال تعالى فى سورة النمل- قالَ يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِيِّها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ آية ۳۸. و قال تعالى فى سورة النمل: وَ أُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وَ كُنَّا مُسْلِمِينَ آية ۴۲.

۸- و بالنسبة إلى بلقيس- قال تعالى فى سورة النمل: قالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ آية ۴۴.

۹- و بالنسبة إلى عيسى- قال تعالى فى سورة آل عمران فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قالَ مَنْ أَنْصارِى إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ

أنصارُ اللّه آمنّا باللّه وَ اشْهَدْ بِأنّا مُسْلِمُونَ آية ۵۲.

و قال تعالى فى سورة المائدة: وَ إذْ أوْحَيْتُ إلَى الْحَوارِيّينَ أنْ آمِنُوا بِى وَ بِرَسُولِى قالُوا آمَنّا وَ اشْهَدْ بِأنّنا مُسْلِمُونَ آية ۱۱۱.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۶۳

۱۰- و بالنسبة إلى الأنبياء و الرسل جميعهم: قال تعالى فى سورة البقرة: قُولُوا آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إلى إبْراهِيمَ وَ إسْماعِيلَ وَ إسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأسْباطِ وَ ما أُوتِىَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ آية ۱۳۶.

و قال تعالى فى سورة البقرة: أمْ تَقُولُونَ إنَّ إبْراهِيمَ وَ إسْماعِيلَ وَ إسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأسْباطَ كانُوا هُوداً أوْ نَصارى قُلْ أ أنْتُمْ أعْلَمُ أمِ اللّهُ وَ مَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللّهِ وَ ما اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ آية ۱۴۰.

و قال تعالى فى سورة آل عمران: قُلْ آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ عَلى إبْراهِيمَ وَ إسْماعِيلَ وَ إسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأسْباطِ وَ ما أُوتِىَ مُوسى وَ عِيسى وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ آية ۸۴.

و قال تعالى: إنّا أنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَ الرَّبّانِيُّونَ وَ الْأحْبارُ بِما اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللّهِ وَ كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ سورة المائدة آية ۴۴.

و لنا القول أيضا: إن وحدة الدين الإلهى- و هو الإسلام- تلتقى عنده وحدة العقيدة فى جميع الرسالات، و الكتب. و يتفق عندها جميع الأنبياء و الرسل. و إن قمة شواهد تلك الوحدة فى العقيدة الإيمان باللّه الواحد الأحد، و هذا الشاهد هو عنوان جميع الرسالات مصداق قوله تعالى: وَ ما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلّا نُوحِى إلَيْهِ أنَّهُ لا إلهَ إلّا أنَا فَاعْبُدُونِ سورة الأنبياء آية ۲۵.

و ينتظم مفهوم العقيدة ستة أمور هى:

أولا: المعرفة باللّه، و أسمائه، و صفاته.

ثانيا: المعرفة بالغيبيات التى أخبرنا عنها، و لم نرها: كالملائكة، و الجن، و الروح، و الجنة، و النار ... الخ.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۶۴

ثالثا: المعرفة بكتب اللّه جميعها، فهى سماوية، و دينها واحد:

كالزبور، و التوراة، و الإنجيل.

رابعا: المعرفة بأنبياء اللّه، و رسله. و المذكورون فى القرآن خمسة و عشرون.

خامسا: المعرفة باليوم الآخر.

سادسا: المعرفة بالقدر.

و لذلك توحدت شواهد هذه المعرفة فى جميع الكتب السماوية، و هى توصل الدين الإسلامى الواحد لجميع الأنبياء، و الرسل، و لذلك قال اللّه تعالى: إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإسْلامُ آل عمران آية ۱۹. و قال أيضا:

وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ.

آل عمران آية ۸۵.

و لذلك

روى الإمام البخارى أن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»

و قال صاحب العقيدة الطحاوية: «دين اللّه فى الأرض و السماء واحد». أما بالنسبة للشريعة؛ فهى متعددة؛ و متنوعة، شريعة موسى غير شريعة عيسى؛ و شريعتهما تختلف عن شريعة محمد «صلّى اللّه عليه و آله و سلم».

و إذا كانت الديانة تتعلق بالعقيدة، فإن الشريعة تتعلق بالأساليب، و وسائل الخطاب، و الإرشاد، و كيفية التعامل مع فرائض العبادة؛ و تأديتها. و لذلك قال تعالى: لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً سورة المائدة آية ۴۸. و قال أيضا: ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأمْرِ فَاتَّبِعْها وَ لا تَتَّبِعْ أهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ سورة الجاثية آية ۱۸.

قال فى بصائر التمييز: و قوله تعالى: لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً، فذلك إشارة إلى أمرين:

أحدهما: ما سخّر اللّه تعالى عليه كل إنسان من طريق يتحرّاه مما يعود على مصالح العباد، و عمارة البلاد، و ذلك المشار إليه بقوله: وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا سورة الزخرف آية ۳۲.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۶۵

و الثانى: ما قيض له من الدين، و أمره به، ليتحراه اختيارا مما تختلف فيه الشرائع، و يعترضه النسخ، و دل عليه قوله: ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأمْرِ فَاتَّبِعْها.

و قال ابن عباس: «الشرعة ما ورد فى القرآن. و المنهاج ما ورد فى السنة». و قوله: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً الآية. إشارة إلى الأصول تتساوى فيها الملل، و لا يصح عليها النسخ: كمعرفة اللّه تعالى، و نحو ذلك مما دل عليه قوله: وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً سورة النساء آية ۱۳۶.

و يدل هذا كله على أن دين الأنبياء، و الرسل واحد، و أما شرائعهم فمتعددة ... الخ.

ثانيا: إن الديانة الإسلامية عامة، و شاملة، و عالمية، و ليست خاصة، و هى أبدية، و مؤبدة، و ممتدة، و ليست وقتية. فقد نزلت لجميع الأمم، و الأزمان، و الأمكنة. بينما الشريعتان اليهودية، و المسيحية خاصتان و مؤقتتان. و قد نزلتا فقط لبنى إسرائيل، و مؤقتتان تنتهيان بقدوم، و نزول الإسلام. و لذلك لا يقارن الإسلام بهما؛ و هو لا يفصل نفسه عن السياسة أبدا. و شواهده العالمية، و الأبدية فى الهداية، و الحكم، و الفرضية، و التكليف، تؤهلانه لأن يكون دين دولة، و عبادة؛ و دين روح و سياسة؛ و دين تعبد، و اقتصاد، و دين تأمل، و اجتماع؛ و دين دنيا، و آخرة. و بذلك فالعلمانية، و هى تستند فى شبهتها بفصل الدين عن السياسة إلى شرائع اليهود، و النصارى، فإن شواهدها قد تسمح لذلك؛ فلا عجب عندهم أن يعطى ما للّه للّه، و ما لقيصر لقيصر. و لا عجب أن تمنع الكنيسة عن التدخل فى شئون السياسة، و يبقى البابوات، و القساوسة، و الرهبان، و الأحبار منعزلين يمارسون فقط شعائرهم الدينية فى كنائسهم و أديرتهم. فدياناتهم وضعية، و سمة الوضع يكمن فى الفصل، و الإبعاد، و التغيير. و هذا كله يتنافى مع شريعة الإسلام الناسخة لشرائعهم أولا، و الهادية للبشرية ثانيا؛ و الأبدية ثالثا؛ و العالمية للإنسانية

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۶۶

رابعا؛ و المؤصلة للألوهية خامسا. قال تعالى: وَ ما أرْسَلْناكَ إلّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ سورة الأنبياء آية ۱۰۷. و قال تعالى: قُلْ يا أيُّهَا النّاسُ إنِّى رَسُولُ اللّهِ إلَيْكُمْ جَمِيعاً سورة الأعراف آية ۱۵۸. و قال تعالى: وَ ما أرْسَلْناكَ إلّا كافَّةً لِلنّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لكِنَّ أكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ.

سورة سبأ آية ۲۸.

و قال تعالى: تَبارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً سورة الفرقان آية ۱. و تتوصل السنة النبوية القولية عالمية الرسالة المحمدية، و منها ما

رواه الإمام البخارى أن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» قال: «أعطيت خمسا لم يعطهنّ أحد من الأنبياء قبلى: نصرت بالرّعب مسيرة شهر؛ و جعلت لى الأرض مسجدا و طهورا. فأيّما رجل من أمتى أدركته الصلاة، فليصل. و أحلّت لى الغنائم. و كان النبى يبعث إلى قومه خاصة، و بعثت إلى الناس كافة، و أعطيت الشفاعة».

و قد وطدت السنة النبوية معالم العالمية تلك، و أحاطتها بشواهد الإيمان، و عدم الانعزال؛ ففصلتها، و فرقت بين عالمية الرسالة، و بين نتانة العصبية، و تفاهة الجاهلية.

فقد روى الإمام أحمد فى مسنده عن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أنه قال: «دعوها، فإنها منتنة»

و

روى الإمام مسلم فى صحيحه أن الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية»

و كذلك تتوصل السنة النبوية العملية عالمية الرسالة المحمدية، و من خلال الرسائل و الكتب التى كان يبعث بها الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» إلى الأمراء، و الملوك، و القياصرة، يدعوهم فيها إلى اعتناق الإسلام، و هم يقيمون خارج الجزيرة العربية. و بالنسبة لداخلها فقد تأصّلت شواهد عالمية الرسالة بدعوة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» للأعاجم المقيمين فيها أمثال: بلال الحبشى، و سلمان الفارسى، و صهيب الرومى.

و أمّا بالنسبة للشريعة اليهودية فإنّه لا أدلة لها على عموميتها أو تأبيدها. حتى و لو وردت نصوص فى التوراة تؤيد تأبيدها مثل: «هذه الشريعة مؤبدة ما دامت السموات و الأرض» و مثل: «الزموا يوم السبت

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۶۷

أبدا» فإن لفظ التأبيد كثيرا ما يستعمله اليهود معدولا عن حقيقته، و من ذلك ما جاء فى البقرة التى أمروا بذبحها: «هذه سنة لكم أبدا».

و ما جاء فى القربان: «قربوا كل يوم خروفين قربانا دائما».

و هذان الحكمان منسوخان باعتراف اليهود أنفسهم رغم التصريح بأنهما مؤبدان. و مما يثبت عدم تأبيدها أيضا نسخ الشريعة اليهودية بالإسلام. و كذلك

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «لو كان أخى موسى حيا ما وسعه إلا اتّباعى»

. و كذلك الأمر بالنسبة للشريعة المسيحية فإنه لا أدلة على عموميتها، أو تأبيدها. و أما بالنسبة لقول المسيح عليه السلام: «السماء و

الأرض تزولان، و كلامى لا يزول». لا يدل على التأبيد لها، و إنّما قالها بالنسبة لتنبؤاته المستقبلية، و التى ستقع لا محالة. و هذا هو المقصود بقوله: و كلامى لا يزول.

و يكفينا الدليل على خصوصيتها قول المسيح «عليه السلام» فى الانجيل: «إنّما بعثت لخراف بنى إسرائيل الضالّة».

ثالثا: إن الديانة الإسلامية عادلة: و عدالتها إلهية. و هذه لا تتجزأ، و لا تحصر فى نطاق دون آخر، أو نشاط دون آخر. و شواهد العمومية للعدالة تتنافى تماما مع خصوصية التطبيق لها. و إن العدالة الإلهية تتنافى تماما مع جزئية التناول لها. فهى تتنافى تماما مع مبدأ فصلها عن الدولة، و حصرها فى نطاق الأفراد. و إن مبدأ عمومية العدالة فى الإسلام يمتد ليشمل جميع جوانب الحياة، و هذه سنة اللّه فى خلقه.

يمتد ليشمل السياسة، و الاقتصاد، و الاجتماع؛ و ضمن جميع العلاقات و النشاطات، سواء فيما بين الأفراد، أو فيما بينهم و بين الدولة. و إلا و إن حصرت العدالة، أو جزئت، فقدت أهم خصائصها؛ و هى العمومية فى التطبيق. و من هنا يستحيل القول بالفصل بين الدين، و الدولة؛ أو بين الإسلام، و السياسة.

فالإسلام فى عمومية عدالته روح الحياة، و جوهر الانتظام للعلاقات الإنسانية، و فى جميع القطاعات. و الإسلام فى عمومية عدالته عماد

معالم الإنسانية لكل القيم، و المثل الإنسانية، لكل فضائل الاستقامة و الإتقان، و الإخلاص؛ و المبنية كلها على معالم، و أسس العقيدة الإسلامية، و سمو ثقاتها، و عمق عدالتها، و اتساع شمولها لجميع شئون الحياة؛ حياة الأفراد، و الدول؛ و مع كل تناسق، و توازن فى إعطاء الحلول؛ و مع كل تكامل، و تعامل يتوازن مع نظرتها الإنسانية، و عدالة قيمها، و مثلها، و إلى درجة أنّه تستحيل الحياة بدون تلك القيم، و تتعقد الحياة بدون تلك العدالة.

و إذا كانت العدالة تعنى وضع الأمور فى نصابها، و فى أماكنها الصحيحة، و إذا كانت تعنى وضع الحق فى نصابه، أو الحكم بالحق، فهذا عام للمسلمين حكاما، و محكومين مصداق قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ سورة النحل آية ۹۰.

و قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ وَ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ سورة المائدة آية ۸ قال الزمخشرى:

«و فى هذا تنبيه عظيم على أن العدل كان واجبا مع الكفار الذين هم أعداء اللّه؛ و كان بهذه الصفة من القوة، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه، و أحباؤه» [۱]. و إذا كانت التقوى أهم بواعث إقامة العدل، فهذا يجب تحقيقه من قبل الدولة، و الأفراد، و إذا كان الحق أحق أن يتبع فهذا واجب تحقيقه فى جميع الأوضاع، و سائر النشاطات، و كل العلاقات، سواء المتعلقة بالدين أو الدنيا.

فكيف إذن يستقيم الفصل بين الدين و الدنيا، أو بين الدولة فى سياستها، و العمل بالدين فى حكمها.

فالواجب يقتضى من الدولة إقامة العدالة فى حكمها، و بالنسبة لسائر محكوميها، و بالنسبة لجميع نشاطاتها لا فرق بين نشاط دينى، أو

(۱) الزمخشرى: الكشاف- ج ۱ ص ۴۷۶.

دنيوى، يحكمها فى كل ذلك مبدأ السواسية بين الناس لا فرق بين حاكم و محكوم، و غنى، و فقير؛ و قوى، و ضعيف، مصداق قوله «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «الناس سواسية كأسنان المشط» رواه البزّار فى مسنده عن أنس بن مالك.

و كذلك تقتضى عمومية العدالة فى الإسلام إقامة صلاح التوازن فى، و بين أولويات الإشباع للمصالح، و المقاصد بدءا بالضرورات ثم الحاجيات، ثم الكماليات. و هكذا تستقيم الحياة بهذه العدالة، و هكذا ساد الوئام بين العلاقات فى المجتمعات الإسلامية، و ازدهرت نظم الحياة، و مستويات المعيشة بين الأفراد طيلة عهود الدولة الإسلامية؛ و الذى أساس كل هذا التطبيق الكلى لمبادئ الديانة الإسلامية، و العمل الكلى لقواعد الشريعة الإسلامية، و التنفيذ الكلى لمعالم العدالة الحقة لمعالم النظام الإسلامى.

و لنا التساؤل فى هذا المقام: إذا كانت أنماط الحياة السعيدة، و الرتيبة يتعلق تحققها دائما بتطبيق معالم العدالة للشريعة الإسلامية فكيف يتسنى، و كيف سيكون الحال لو تخلينا عن مثل هذه العدالة، و فصلنا عدالة الدين عن وجوب تحقيق عدالة الدنيا أى فصلنا الدين عن الدولة؟!! و نحن نجيب بدورنا عن مثل هذا التساؤل: لو تم ذلك لخسرنا كل ذلك، و لفقدنا كل شىء. و لا يبقى لنا شىء.

و بالتالى نحكم بالقطع أن الفصل بين الدين، و الدولة لا يصلح لنا، و لو أنه يصلح لهم. بل هو الصالح لهم. فتعاليم الكنيسة طيلة عهودها إنما تعنى فى أذهان- حتى معتنقيها- الظلم، و الاضطهاد، و الاستغلال، و التعذيب، و القتل، و الغصب، و الحرق، بعيدا عن جميع شواهد و مظاهر الإنسانية. و حيث تحولت الكنيسة بعد سقوط روما إلى نظام رسمى تحالف فيه البابا كبير الدين مع الملك كبير الظلم على ظلم الناس فى جميع شئونهم السياسية، و الاقتصادية، و الاجتماعية؛ و حرمت عليهم العمل، و العلم، و التجارة؛ و بحجة تطبيق تعاليم المسيح، و المسيح منهم براء. و نسب إليه «جيروم» القول: بأن الغنى ظالم، أو وارث لظالم. و هكذا حورب العلم، و أحرق العلماء أحياء، و أحرقت و أتلفت الكتب جهارا. و هكذا ساد التسيب الكنسى حياة المجتمعات الأوروبية طيلة قرون عديدة.

و عند ما شعر الناس بالظلم ثاروا، و أشعلوا الثورات، و كان شعارهم كما حصل بالنسبة للثورة الفرنسية سنة ۱۷۸۹ م: «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس».

و هذا حال الديانة المسيحية، فكيف لا يستقيم الحال بالنسبة لها إذا فصلت الديانة عن السياسة، و أبعدت الكنيسة عن السياسة؟!! فهذا هو اللائق بالنسبة لهم. و إبعاد ظلم الدين الكهنوتى عن التدخل فى شئون الدولة أو حكم الأفراد هو الأقرب إلى العدالة. و بفصل الدين عن السياسة يربح الناس، و يجنون ثمرات هذا الفصل، و هو الحصول على حرياتهم، و حقوقهم، فليس هناك شىء يخسرونه، و تطبيقا لقاعدة:

الإقرار حجة على المقر، و عملا بحكمة: من فمه أدينه، فلنسمع إلى شاهد منهم هو «امرى ريفر» حيث يتناول تسيّب المسيحية، و فشلها فى حكم الأفراد و الدول فى كتابه: «تحليل السلام» فهو يقول: «إن القتل الواسع النطاق، و التعذيب، و الاضطهاد، و الضغوط التى شهدناها فى منتصف القرن العشرين لأدلة قاطعة على الإفلاس الكامل للمسيحية كوسيلة لترويض الانفعالات الإنسانية الغريزية؛ و لتحويل الإنسان من حيوان إلى مخلوق اجتماعى معقول. و إن بعث البربرية، و الاستعمال المطلق للقتل الجماعى فى العالم بأسره لا يمكن اعتباره كعمل لقلة من الأفراد الذين لا يؤمنون باللّه أصابهم مرض التلذذ بالتعذيب «الساديزم» أو جماعة من المتعصبين للشتوية اليابانية: لقد قتل ملايين من الأبرياء دون أن تهتز شعرة فى جسم من قتلوهم. كما نهب عشرات الملايين من البشر، و جردوا مما يملكون، و نفوا عن بلادهم، و استعبدوا. و قد لقوا هذا المصير على أيدى مسيحيين انحدروا من أصلاب أسر مسيحية انتسبت منذ قرون إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، أو إلى الكنيسة الشرقية البروتستانتية. و لقد ارتكبت فظاعات، و مآس مفزعة، و مجردة من كل مظهر إنسانى، لا على يد ألمان و يابانيين فحسب بل على أيدى إسبان، و طليان، و بولنديين، و رومانيين، و مجريين، و فرنسيين، و ضرب، و كروات، و روس. و لقد أغمضت كل المجتمعات المسيحية- على

اختلاف مذاهبها- عينيها عنها. و إن مجرد حصول هذه النكسات قاطع الدلالة على عدم كفاية المسيحية فى تكييف الأخلاق، و الإنسانية. كم هى ضعيفة قبضة المسيحية على العالم الغربى؛ ذلك لأنها من أجل عرض الدنيا قد تخلت عن تعاليمها الروحية مستسلمة أمام غرائز الإنسان البركانية التى يحطم بعضها بعضا.

و لسوء الحظ فإن المسيحية كدين منظم تحولت شيئا فشيئا إلى منظمة ذات سلطة رئاسية مطلقة، و بذلك انحدر القانون الواحد العالمى إلى ديكتاتورية من ناحية، و إلى انتشار الفرق، و المذاهب على أوسع نطاق من ناحية أخرى. و فى هذه اللحظة بدأت الأوطان، و القوميات الحديثة تبلور، كما بدأ الشعور الوطنى يسود العالم الغربى، و يتفوق على الشعور المسيحى، فانقسمت الكنائس المسيحية فيما بينها إلى عدد جديد من الفرق المذهبية. و جعل كل فريق منها يؤيد المثل الأعلى الجديد الناشئ؛ أعنى المثل الأعلى الوطنى. و ما لبثت المسيحية أن تشبهت بالوطنية، و فى كل وطن اعتبرت السياسة الوطنية كأنها سياسة مسيحية لمناقشة الاتجاهات الاشتراكية، و النزاعات الحرة» [۱].

رابعا: إنّ حتمية التعاقد بين الأحكام فى الإسلام يمنع فصل الدين عن السياسة. و أحكام الشرع، و أحكام السياسة متعانقة متلازمة لا مجال للفصل بينهما. فأحكام الشرع، و هى ما شرعه اللّه تعالى من الدين:

كالصلاة، و الزكاة، و الحج، و الصوم ... الخ، و أحكام السياسة، و هى القانون الموضوع لرعاية الآداب، و المصالح، و انتظام الأحوال، متلازمة من حيث إقامتها، و تنفيذها، و إناطة الدولة بهما.

فأحكام الدين و السياسة كلها خاضع لهيمنة الشريعة الإسلامية، و حكمها و تنظيمها. و كما يقول المقريزى ۷۶۶- ۸۴۵- ه ۱۳۶۵- ۱۴۴۱ م فى معرض كلامه عن السياسة: «اعلم أن الناس فى زماننا بل و منذ الدولة

(۱) د. يوسف القرضاوى. كتاب: الإسلام و العلمانية. ص ۵۷- ۵۸.

التركية- المملوكية- بديار مصر، و الشام يرون أن الأحكام على قسمين:

حكم الشرع، و حكم السياسة.

فالشريعة هى: ما شرع اللّه تعالى من الدين، و أمر به: كالصلاة، و الحج، و سائر أنواع البر. و السياسة هى: القانون الموضوع لرعاية

الآداب، و المصالح، و انتظام الأحوال. و السياسة نوعان: سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر؛ فهى من الأحكام الشرعية. و سياسة ظالمة، فالشريعة تحرمها» «۱».

فإن أمر صلاح الدين بأحكام الشرع، و أمر صلاح السياسة بأحكام و قوانين رعاية الآداب، و المصالح و انتظام الأحوال، كله يقع ضمن دائرة مراعاة الأحكام الخاضع تنفيذها للدولة المطبقة لأحكام الشريعة الإسلامية. فلا فصل فى المراعاة المنوطة بالدولة بين ما هو دينى شرعى، و بين ما هو قانونى سياسى. و كلاهما تهيمن عليه الشريعة الإسلامية.

فالدعوة العلمانية اليوم إلى الفصل بين الدين، و السياسة، أو بين أحكام الشرع، و أحكام القانون هى دعوة باطلة؛ و شاهدها التقليد الأعمى لحضارات الكفر، و واقع النظم السائدة فى مجتمعات الاشتراكية و الرأسمالية. فإن استبداد الكنيسة، و تجاوزات تدخلها فى شئون الأفراد، و المجتمعات المادية، و الفكرية استدعى إبعادها عن الحياة السياسية، و حصر نشاطها فى الأمور الروحية. فإن كون المسيحية ظالمة، و غير منهجية، و روحية كهنوتية جاز فصلها عن السياسة، و إبعادها عن الدولة.

و بذلك فإن فصل الدين عن السياسة أو عن الدولة أمر له ما يبرره. فضلا عن أن المسيحية ليست شريعة دنيا أو سياسة. و من هنا جاء خطأ العلمانيين فى التقليد، و الاتباع، و القياس. فالإسلام دين منهجى يعالج الشئون الروحية، و الزمنية، و شامل فى عدالته لأمور الحياة، و جميع الأحكام شرعية دينية، و سياسة قانونية. فالهيمنة فى إدارة جميع شئون

---

(۱) المقريزى- الخطط. ج ۳. ص ۶۰ و ص ۶۱ و ص ۶۳. القاهرة. طبعة دار التحرير.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۷۳

الحياة سواء بالنسبة للأفراد أو الدول، كلها للشريعة- فلا فصل بين القرآن و السياسة؛ و بين الدين، و السياسة؛ أو بين السياسة، و الدولة.

أضف إلى ذلك كله أن مصطلح «سياسة» إنما جاء على أثر بداية الانحراف عن إسلامية القانون الذى بدأه المماليك عند ما جاءوا ب «ياسة» جنكيز خان التترى ۵۶۲- ۶۲۴/ ۱۱۶۷- ۱۲۲۷ م. فجعلوا الياسة القانون الذى يتحاكم إليه الجند، و تخضع لأحكامه أجهزة الدولة- الدواوين السلطانية-، فأخرجوا جهاز الدولة من نطاق هيمنة الشريعة. و منذ ذلك الحين ظهر اصطلاح السياسة بإضافة سين أول كلمة «ياسة» ثم أدخلوا عليها الألف و اللام فصارت السياسة- و بدأ مفهوم الفصل بينها، و بين الشريعة أو الدين يظهر شيئا فشيئا.

و يقرر المقريزى أن مصطلح السياسة ليس عريقا فى الشريعة الإسلامية؛ و كذلك تعبير فصل السياسة عن الدين. و حيث جاء و شاع مع بداية انحطاط الدولة الإسلامية زمن المماليك. فهو يقول: «و ليس ما يقوله أهل زماننا فى شىء من هذا، و إنّما هى كلمة «مغلية» أصلها «ياسة»، فحرّفها أهل مصر، و زادوا بأولها سينا، فقالوا: «سياسة»، و أدخلوا عليها الألف و اللام، فظن من لا علم عنده أنها كلمة عربية. و ما الأمر فيها إلا ما قلت لك ... و اسمع الآن كيف نشأت هذه الكلمة حتى انتشرت بمصر، و الشام ... إن جنكيز خان قرر قواعد، و عقوبات أثبتها فى كتاب سماه «ياسة» و من الناس من يسميه «يسق». و الأصل فى اسمه «ياسة» جعله شريعة لقومه، فالتزموه كالتزام أول المسلمين حكم القرآن. فلما كثرت وقائع التتر فى بلاد المشرق و الشمال، و بلاد القبجاق، و أسروا كثيرا منهم، و باعوهم، تنقلوا فى الأقطار؛ و اشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم سماهم البحرية. و منهم من ملك ديار مصر، و أولهم المعز إيبك .. و كانوا إنما ربوا بدار الإسلام، و لقنوا القرآن، و عرفوا أحكام الملة المحمدية؛ فجمعوا بين الحق و الباطل، و ضموا الجيد إلى الردى»، و فوّضوا لقاضى القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة، و الصوم، و الزكاة، و الحج؛ و ناطوا به أمر الأوقاف و الأيتام؛ و جعلوا إليه النظر فى الأقضية

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۷۴

الشرعية .. و احتاجوا فى ذات أنفسهم إلى الرجوع إلى عادة جنكيز خان، و الاقتداء بحكم الياسة، فلذلك نصبوا الحاجب؛ ليقضى بينهم على مقتضى «الياسة»؛ و جعلوا إليه مع ذلك النظر فى قضايا الدواوين السلطانية» «۱».

و بذلك فالمماليك هم الذين سنوا هذه السنة السيئة؛ سنة إخراج جهاز الدولة من إطار هيمنة الشريعة الإسلامية. ثم جاءت الغزوة الأوروبية الحديثة، فأمعنت فى السير على ذات الطريق. ثم جاء العلمانيون ينادون باتباع هذه السّنة السيئة، و بالترويج لعبارة: فصل الدين عن السياسة، أو الدين عن الدولة؛ و هم يعلمون أن بداية تطبيق هذا المصطلح أو هذا الشعار، بدأ ببدء مرحلة انحطاط المسلمين فى عصر المماليك.

و لنا القول: و من هنا نستطيع التأكيد على بطلان دعوى العلمانيين بالنسبة لهذا الشعار، فلا فصل عندنا بين الدين، و السياسة؛ أو بين الدين و الدولة. و إننا عند ما كان شعارنا فى الحكم الإسلام دين، و دولة؛ و عند ما كنا نحتكم إلى إسلامنا فى ديننا، كانت الغلبة، و العزة لنا.

و عند ما فصلنا بين الدين و الدولة؛ و أبعدنا الدين عن السياسة كانت الهزيمة لنا. و نحن نعايشها الآن، و يصر العلمانيون على معايشتها، و استمرارها بمناداتهم بشعار الهزيمة فى التطبيق، شعار فصل القرآن عن السياسة، أو كما يحلو لهم أن يصوغوه: فصل الدين عن السياسة.

و نحن أمة الإسلام- هذه هداية اللّه لنا، و هذا هو حق ربنا لنا، و علينا أن يكون دينا، و أن يكون إسلامنا دين روح، و حياة. و دين دولة و سياسة، و دين حياة أخروية، و دنيوية. و هذا أمر اللّه فيناً به نسعد، و بدونه نشقى. و هو بالنسبة لنا قضاء حق، و هو بالنسبة للعلمانيين قضاء بطلان و خسران. و صدق قول ربنا: فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ سورة غافر آية ۷۸.

و قوله تعالى: وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْكافِرُونَ سورة غافر آية ۸۵.

---

(۱) المقريزى- الخطط- ج ۳ ص ۶۰، و ص ۶۱، و ص ۶۳.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۷۵

الشبهة الرابعة: فصل القرآن عن الزكاة:

اشارة

أى إلغاء الزكاة لأن الضريبة تقوم مقامها. و دليلهم فى ذلك: أن الزكاة فى مفاهيمها تشبه الضريبة، و الأفراد متساوون أمام القانون، و تحكمهم شعارات المساواة، و الديمقراطية؛ و بذلك لا داعى لبقاء الزكاة و الجزية، و بذلك يريدون إلغاء الزكاة، و هى ركن من أركان الإسلام الأساسية.

و يصنّف البعض من المفكرين المعاصرين الزكاة كضريبة، أو أنها نوع من أنواع الضرائب الحكومية مستندين فى ذلك إلى معيارين، و هما:

وحدة المفهوم، و وحدة التكاليف.

فبالنسبة لوحدة المفهوم: فهم يرون أنّ الزكاة تشبه الضريبة من حيث عناصر الاشتراك بينهما فى المفهوم، و التعريف، و بالتالى لا داعى للتفريق بينهما.

و أمّا بالنسبة لوحدة التكاليف: فهم يرون أنّ الزكاة تشبه الضريبة من حيث كونها تكاليف مالية يدفعها أفراد مجتمع واحد متساوون أمام القانون، و بالتالى لا داعى للتفريق بينهما خاصة، و أنّ الضريبة، و هى أهم التكاليف المالية تحقق نفس أغراض الزكاة.

تفنيد هذه الشبهة:

اشارة

و لكنّنا نرى أنّ هذا التصنيف باطل، و أنّ الزكاة لا يجوز أن تصنف كضريبة. فالفكر الاقتصادى الإسلامى يؤصل الزكاة على أسس، و مفاهيم و نظريات تبنى أصلا على النصوص القرآنية، و النبوية بحيث يجعلها تختلف دائما عن الضريبة التى تبنى على أسس، و مفاهيم، و أفكار وضعية ظالمة.

و يمكننا تأصيل الوضع القانونى للزكاة من الضريبة ضمن ثلاثة مطالب هى:

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۷۶

المطلب الأول: تفنيد وحدة المفهوم بين الضريبة، و الزكاة.

المطلب الثانى: المفاهيم الذاتية للزكاة.

المطلب الثالث: المبرّرات، و النظريات الذاتية للزكاة.

المطلب الأول تفنيد وحدة المفهوم بين الضريبة و الزكاة

اشارة

لقد استند القائلون بوحدة المفهوم بين الضريبة، و الزكاة إلى وحدة و تشابه عناصرهما، و مكوناتهما، فى التعريف و الاصطلاح.

فالفكر الاقتصادى الوضعى يعرّف الضريبة بأنها: «فريضة نقدية تقتطعها الدولة أو من ينوب عنها من الأشخاص العامة قسرا، و بصفة

نهائية، و دون أن يقابلها نفع معين، و طبقا للمقدرة التكليفية للأفراد الممولين، و تستخدمها لتغطية النفقات العامة، و الوفاء بمقتضيات السياسة المالية العامة للدولة» «۱».

و استنادا إلى هذا التعريف يرى مفكرو الاقتصاد الوضعي توافق عناصر الضريبة مع الزكاة، و إنّ هذا التعريف يمكن إطلاقه على الزكاة حيث تتوافق الضريبة من حيث عناصرها، و هي: الفرضية المالية لكل منهما، و اقتطاع الدولة لهما و بصفة قسرية، و نهائية، و بلا مقابل، و طبقا للمقدرة التكليفية للأفراد، و أنّ كلا منهما يستخدمان للوفاء بمقتضيات

(۱) أنظر في تعريف الضريبة: دكتور عاطف صدقي- كتاب: مبادئ المالية العامة- دار النهضة العربية، القاهرة، ج ۱ سنة ۱۹۷۷ ص ۱۵۰- ۱۵۴- و انظر: دكتور شريف رمسيس تكلا كتاب: الأسس الحديثة لعلم مالية الدولة- دار الفكر العربي، القاهرة سنة ۱۹۷۹ م. و انظر: دكتور إبراهيم فؤاد أحمد كتاب: الموارد المالية في الإسلام. مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، سنة ۱۹۷۲ م ص ۲۳.

و دكتور غازي عناية- المالية العامة و النظام المالي الإسلامي- طبعة بيروت- دار الجيل ص ۳۴۱.

السياسة المالية العامة للدولة، و من هنا يرون أنه لا مانع من تصنيف الزكاة على أنها ضريبة، و أنها من بين الضرائب.

و من جهتنا نؤكد أنّ التوافق بين عناصر الضريبة، و الزكاة هو شكلي فقط، و ليس توافقا حقيقيا. و بتحليل عناصر الضريبة نجد أنها على درجة قوية من الاختلاف عن عناصر الزكاة، بحيث يبقى هذا الاختلاف الزكاة دائما في منأى عن الضرائب كما سنرى.

أولا: الفرضية المالية للضريبة و الزكاة:

تتناول الفرضية المالية للضريبة المالية النقدية فقط، فهي لا تتناول المالية العينية. فالضريبة في الاقتصاد الرأسمالي أو الاقتصاد الاشتراكي هي نقدية، و ليست عينية. و المالية العينية فيهما غير مقبولة في السداد حتى و لو كانت متقوّمة: كالخمر، و الخنزير.

و ممّا أدّى إلى تحقيق تعميق، و استقرار المفهوم النقدي للضريبة في البلدان الرأسمالية و الاشتراكية أمور عديدة أهمها: ارتفاع تكلفة التحصيل، و النقل، و التخزين، و الصيانة المالية العينية أي للأموال العينية حصائل الضرائب. و كذلك عجز هذه الحصائل عن تغطية متطلبات الإنفاق النقدي السائد حاليا، و تعارضها مع جدية الدولة في التدخل الاقتصادي.

أمّا بالنسبة للفرضية المالية للزكاة فهي تتناول المالية النقدية، و العينية على حدّ سواء. فهي أعم، و أسمى في الفرضية، و المعالجة سواء على نطاق التحصيل أو الإنفاق.

فالزكاة في النظام الاقتصادي الإسلامي، و بفرضيتها النقدية و العينية، تؤصل مبدأ التوسعة على الناس في التعامل و السداد، و على اعتبار أنّ الاقتصاد الإسلامي أصلا هو اقتصاد عيني قبل أن يكون نقديا؛ و من ثمّ فالزكاة فيه عينية أصلا قبل أن تكون نقدية.

و استنادا إلى النصوص الشرعية للزكاة كقوله تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ سورة التوبة آية ۱۰۳.

و قوله تعالى: وَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ سورة الذاريات آية ۱۹.

و قوله تعالى: وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (۲۴) لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ سورة المعارج الآيتان ۲۴- ۲۵.

يقرّر العلماء: أنّ مثل هذه النصوص، و غيرها تؤصل الجمع بين العينية، و النقدية للزكاة. فهذه النصوص تؤصل فرضية الزكاة بالمال دون تخصيص بالعين أو القيمة.

و يقرّر العلماء أيضا: أنّ ذكر النصوص الشرعية للزكاة بمفهومها النقدي كقوله تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها سورة التوبة آية ۱۰۳.

أو مفهومها العيني كقوله تعالى: وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ سورة الأنعام آية ۱۴۱. ليس من قبيل التحديد، و التخصيص، و على سبيل الوجوب، و إنّما هو من قبيل التيسير، و التخفيف على الأفراد المكلّفين.

و من هنا أجاز العلماء إخراج قيمة الزكاة العينية بالمال النقدي.

ففي الحديث الشريف: «في كلّ أربعين شاة شاة» متفق عليه. الأمر هنا ليس على سبيل الوجوب بإخراج الزكاة عينا، و إنّما الأمر للتيسير على النّاس لا لتقييد الواجب في الإخراج، فجاز إخراج زكاة الماشية بالنقد أو العين.

و كذلك بالنسبة لزكاة الزروع، و الثمار:

فقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «فيما سقت السماء و العيون العشر، و فيما سقى بالنّضح و الغرف نصف العشر» متفق عليه.

أو

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة» متفق عليه. فإنّ

الأمر في هذه الأحاديث لم يرد لتقييد الواجب في إخراج الزكاة بالعين، فجاز إخراجها نقدا، أو عينا.

و ممّا يؤكد ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه: «أنه كان يأخذ العروض في الصدقة من الدراهم» رواه سعيد بن منصور في سننه عن عطاء.

و ما روى عن معاذ بن جبل رضى اللّه عنه: «أنه قال لأهل اليمن ائتوني بعرض ثياب آخذه منكم مكان الذرة، و الشّعير» «۱» رواه البيهقي و البخاري عن طاوس.

و من هنا نلاحظ أنّ فرضية الزكاة تسمو على فرضية الضريبة في جمعها للنقدية و العينية؛ استنادا إلى عمومية النصوص الشرعية القرآنية و النبوية في الفرضية للزكاة دون تقييد أو تخصيص في الإخراج بالنقد أو بالعين.

ثانيا: الفرضية العمومية الحكومية للضريبة و الزكاة:

فالضريبة تفرضها، و تقتطعها الدولة الوضعية، أو من ينوب عنها من هيئات عامة، أو أفراد عموميين: كالوزارات، و الدوائر، و المجالس المحلية أو الولاة، أو الوزراء، أو رؤساء الدوائر، و الأقسام.

و الدولة في النظام الوضعي هي دولة الحزب الواحد في النظام الاشتراكي أو الحزب الفائز في النظام الرأسمالي. فالدولة التي تفرض الضريبة هي دولة العقل البشري المحدود في الإنشاء، و التكوين، و هي دولة العقد الاجتماعي في التأسيس. فهي بالتالي، و بمثل هذه المفاهيم الوضعية في النشوء و التكون دولة القهر، و التسلط؛ و ما الضريبة إلّا من نتاج هذه المفاهيم فتحمل في طياتها شواهد الظلم، و الابتزاز للأفراد، و تحت شعار الوطنية أو الديمقراطية أو المساواة أمام القانون بين الأفراد.

(۱) أنظر: دكتور يوسف القرضاوي لكتاب: فقه الزكاة، ح ۲ ص ۷۹۹.

و أما بالنسبة للزكاة: فإنّ الدولة التي تفرضها، و تقتطعها من أموال الناس هي دولة الإسلام، و ليس دولة الأحزاب، و الدولة الإسلامية في فرضيتها للزكاة تكون نائبة عن الشارع ليس إلّا، سواء في الاقتطاع أو الإنفاق.

و الدولة الإسلامية ليست دولة العقد الاجتماعي في التأسيس و التكوين؛ و بالتالي ليست دولة قهر، أو تسلط، أو استغلال، أو ابتزاز.

و هي دولة أساسها المفاهيم الشرعية في الإنشاء و التكوين، كمفاهيم:

العدالة، و الحرية، و الشورى، و ما فرضها للزكاة إلّا لأنّها نائبة عن الشارع، و هي دولة ربانية، و تكاليفها شرعية، و منها الزكاة بمفاهيمها اسلامية في العدل، و الحلول. و هي تأبى عن الضريبة بمفاهيمها، و لا يمكن تصنيفها كضريبة بحجة التشابه في الفرضية الحكومية لكل منهما، فحكومية الإسلام غير حكومية الوضع، سواء أ كانت اشتراكية أو رأسمالية، يأتمر حكامها بأوامر الأحزاب في حين يأتمر رئيس الدولة الإسلامية بأوامر الشرع الإسلامي في الفرضية، و الاقتطاع للأموال من الأفراد، و هو حين يفرض الزكاة يتقيد بالحدود الشرعية، فتتجلّى فرضية الزكاة واضحة ضمن مبادئ العدل، و المساواة الحقيقية، سواء في التكليف، أو في التحصيل، أو الإنفاق.

ثالثا: الفرضية القسرية للضريبة و الزكاة:

فالضريبة تجبى على سبيل القسر، و الجبر، و الإكراه؛ انطلاقا من فكرة التبعية السيادية للدولة الناشئة عن نظرية العقد الاجتماعي، و التي بموجبها يدفع بل يلزم الأفراد بدفع الضرائب مقابل أن تقدم لهم الدولة خدمات الدفاع، و الأمن، و الصحة، و التعليم، و المواصلات و غيرها من المرافق العامة التي يتعلق بها تحقيق المصالح العامة، و التي يعجز أو لا يجوز تحقيقها من قبل الأفراد.

و لعلّ الصفة القسرية للضريبة تأتى من عدم ضرورة مشورة الأفراد حين فرضها أو إنفاقها، بل و فى عدم حقهم على الاعتراض؛ و كذلك فى حق الدولة فى الانفراد بوضع النظام القانونى للضريبة بتحديد: وعائها، و سعرها، و نصابها، و مواعيد تحصيلها، و القائمين عليها ... فالقسرية بالنسبة للضريبة هى قسرية مجحفة فى حقيقتها، ظالمة فى فرضيتها، يبررها فقط صدور القوانين الشكلية من قبل مجالس الشعب، أو برلمانات الأحزاب.

أمّا بالنسبة لفرضية الزكاة: فهى تجبى أيضا، و تفرض بالقسر و الجبر و الإكراه، إلّا أنّها فى قسريتها منصفة، عادلة، مزكية، مثيبة، و قسريتها تتأتى من أداء الواجب للتكليف الشرعى قبل المادى فى الإنفاق.

و لعل عدالة فرضية الزكاة تنبع من كون أنّ التكليف بها إنّما جاء بنصوص شرعية إلهية فى القرآن، أو نبوية فى السّنة، و من هنا يفرق بين فرضية الزكاة عن فرضية الضريبة التى جاءت بأوامر بشرية حزبية أو حكومية على شكل قوانين، أو مراسم، أو قرارات رئاسية، أو ملكية.

و من هنا فإنّ قسرية الضريبة غالبا ما تكون قسرية هوائية ظالمة يتهرب الأفراد المموّلون منها، و يحاولون التهرب من دفعها. و هذا على عكس الزكاة، فقسريتها حافز لأدائها، و الإقبال عليها، لأنّها قسرية عادلة مثيبة يدفعها المكلّف، و لا يتهرب منها بل يقبل عليها طمعا فى ثواب اللّه و غفرانه.

و تقرّر السّنة النبوية التحصيل الجبرى للزكاة فى حالة التهرب منها.

و فى ذلك فائدة دنيوية و أخروية لدافعيها. و يقرّر الإمام إسحاق بن راهويه:

اقتطاع شيء من مال الممتنع أو المتهرب من دفع الزكاة فضلا عن الزكاة المستحقة استنادا

لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «من أعطاها مؤتجرا فله أجرها، و من أباها فإنّى آخذها و شطر ماله عزمة من عزمات ربنا» رواه أبو داود، و النسائى

.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۸۲

رابعا: الفرضية النهائية للضريبة و الزكاة:

فالضريبة تكون فرضيتها نهائية، بمعنى أنّها لا تسترد، و لا يحق للأفراد المطالبة باستردادها فى حالة إذا لم تتحقق المصلحة الإنفاقية لها. فنهائية الضريبة تحمل فى طياتها معانى التسلط، و الظلم، و خاصة أنّها قد تصدر بناء على قوانين هى فى الغالب تخدم مصلحة الحكومة أو الحزب الحاكم أكثر مما تخدم الأفراد. و كثيرا ما تصدر بناء على مراسيم جمهورية أو ملكية، و ليس بناء على قوانين، و كذلك فقد لا يكون هناك منافع تقابلها يحصل عليها الأفراد، و فى هذا مخالفة لشروط العقد الاجتماعى الذى قامت على أساسه الدولة الوضعية: اشتراكية كانت أم رأسمالية. و فى حالات كثيرة أيضا قد تؤخذ من الأفراد المعوزين الفقراء دون مراعاة لأحوالهم المادية أو الاجتماعية كما هو الحال بالنسبة للضرائب غير المباشرة التى تفرض على السلع المنتجة أو المستوردة، حيث تضاف الضريبة إلى أثمانها فيدفعها المستهلكون بطريقة غير مباشرة، و بالتالى لا يحق لهم استردادها، و تبقى بالنسبة إليهم ضريبة نهائية مجحفة.

أمّا بالنسبة للزكاة: فرضيتها أيضا نهائية، و لكنّها لا تحمل فى طياتها معانى التسلط، و الظلم؛ لأنّ المكلّف الدافع لها لا ينتظر أى مقابل مادى أو نفع دنيوى؛ و إنّما حافزه على دفعها الثواب، و الغفران الإلهى؛ و بالتالى فهو يقبل على دفعها بنفس طيّبة، و روح متسامحة؛ و هى بالتالى لا تثير صفتها النهائية بالنسبة له أية إشكالات، بل لا يفكر مطلقا فى استردادها، فالحكمة من فرضية الزكاة توّصلها الرحمة الربانية، و قد تكون خافية بالنسبة للمزكّى، و هو بالتالى لا يكون بحاجة إلى المطالبة باستردادها حتى و لو تحوّل من الغنى إلى الفقر؛ لأنّه فى هذه الحالة يصبح من فئة الأفراد الذين تدفع لهم الزكاة بعد أن كانت تحصّل منه.

خامسا: فرضية انتفاء النفع المقابل للضريبة و الزكاة:

فالضريبة تقتضى عدم وجود نفع أو اشتراط نفع كمقابل يحصل

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۸۳

عليه دافعها، و كذلك تقتضى عدم وجود علاقة بين ما يدفعه المكلف المموّل، و بين ما يحصل عليه من منافع محدّدة من الدولة. بل قد لا يحصل على أى منها أو بعضها. فالفرد إنما يدفع الضريبة ليس ليحصل على مقابل، بل يدفعها بصفة أحد أفراد المجتمع، و تربطه بالدولة روابط اقتصادية، و اجتماعية، و سياسية؛ و عليه أن يساهم فى كل الأعباء العامة للدولة، و له أن يستفيد من خدماتها كما تملى ذلك قواعد و شروط العقد الاجتماعى، و لكن على شرط ألّا تتساوى المنافع التى يحصل عليها الفرد مع الضرائب التى يدفعها فى المقدار؛ بل إنّ فرضية الضريبة غالبا ما تتوقف على طاقة المكلّف، و المقدرة التكليفية له.

و أمّا بالنسبة للزكاة: فهى تختلف عن الضريبة فى معنى المقابل، و هو حسب المعيار الأخروى مقابل عظيم، و ينتظره بل يرجوه دافع الزكاة، و لكن من اللّه تعالى، و ليس من الدولة أو رئيسها. فالزكاة لا، و لن ينتفى النفع الذى يحصل عليه دافعها مقابلا لها، و هو النفع الأخروى الاسمى عن النفع المادى الأدنى. و الزكاة عند ما يدفعها المسلم لا يشكل النفع المادى الذى قد يحصل أو لا يحصل عليه مقابلها أية قضية أو إشكال؛ و ذلك فى مقابل ما يرجوه من ثواب، و غفران، و رضا من اللّه؛ و هو غاية ما يرجوه الإنسان إذا ما غمر الإيمان قلبه. معياره فى دفع الزكاة عمل الخير، مصداق قوله تعالى فى سورة الزلزلة: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ آية ۷.

و ما مقابل الزكاة إلّا البركة، و النمو، و الزيادة للمال المزكى، و ما مقابل الزكاة إلّا البركة، و الصحة، و العافية للمسلم المزكى، و ما مقابل الزكاة إلّا الثواب، و الأجر من اللّه تعالى يرجوه المسلم دافع الزكاة، و مع هذه المفاهيم السامية تنتفى أهمية عنصر فرضية النفع المادى المقابل للزكاة، و هذا ما يفرقها بل يفنّد الاشتراك بينها، و بين الضريبة بالنسبة لهذا العنصر.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۸۴

سادسا: فرضية المقدرة التكليفية للضريبة و الزكاة:

فالضريبة يدفعها الأفراد المكلّفون طبقا لقدراتهم التكليفية؛ باعتبار أنّ الأفراد متساوون أمام القانون، و كلّ يساهم حسب مقدرته.

و فى الحقيقة أنّ التساوى بين الأفراد، و الدفع حسب القدرات التكليفية هو أمر شكلى بالنسبة للضريبة، و ذلك لأسباب منها:

أ- أنّ التساوى فى القدرات التكليفية للمواطنين يتنافى تماما مع النظام الوضعى لهياكل الضرائب حيث يراعى فيها مصلحة الأفراد المحسوبين على الحزب الحاكم، و بالتالى قد يتهرب هؤلاء من دفع الضريبة، أو لا يبلّغون عن قدراتهم الحقيقة. فيكون المتهرب من الضرائب من أغنى الناس، و أكثرهم قدرة على الدفع، فى حين يكون الملتزم أقل الناس قدرة على الدفع.

ب- أنّ القدرة التكليفية على دفع الضريبة معيار ظالم. لأنّه لا يراعى ظروف الفقراء فيساويهم مع الأغنياء بالنسبة لدفع بعض أنواع الضرائب: كالضرائب غير المباشرة، و التى يدفعها الأغنياء، و الفقراء معا كجزء من أثمان السلع و الحاجيات التى يستهلكها جميع المواطنين، و التى لا غنى لهم عنها.

أمّا بالنسبة للزكاة: فمعيار القدرة التكليفية فى دفعها معيار عادل؛ لأنّه ينبنى على القدرة التكليفية الحقيقية للأفراد، و ليس القدرة الشكلية.

و معيارها هذا أصّله الآية القرآنية، و هى قوله تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ سورة البقرة آية ۲۱۹. و قوله تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ سورة الأعراف آية ۱۹۹.

و العفو الذى أشارت إليه الآيات هو الزائد عن الحاجة من المال، و بغض النظر عن الدافع هل هو من الحكام، أو الرعاع، أو من أعضاء مجلس الشورى أو من المحكومين؛ يؤيد ذلك أيضا أخذ الاقتصاد الإسلامى بمبدإ تحقيق حدّ الكفاية، و ليس حدّ الكفاف فى المعيشة فقط.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۸۵

سابعا: فرضية مقتضيات السياسة المالية العامة للدولة.

فبالنسبة للضريبة: حصر الفكر المالى الوضعى هدف الضريبة فى تغطية النفقات العامة للدولة. و يقول الاقتصادى «جيز»: «إنّ العلاقة بين الضريبة و النفقات العامة من القوة حيث يمكن القول: إنّ الإنفاق من أجل الصالح العام هو أساس الضريبة و المحدّد لها».

و يحدّد الفكر المالى الوضعى هدفا آخر للضريبة، و هو: تحقيق تدخل الدولة فى الحياة العامة، و تحقيق أهداف اقتصادية، و اجتماعية معيّنة.

و أمّا بالنسبة للزكاة: فإنّنا نجزم بأنّ الفكر المالى الإسلامى كيف للزكاة أهدافا أسمى و أبعد من أهداف الضريبة فيما يتعلق بتحقيق مقتضيات السياسة العامة للدولة، بل و جعل الزكاة أكثر تحقيقا لمثل تلك الأهداف الاقتصادية، و الاجتماعية، و هو إلى جانب هذه الأهداف كيف الزكاة لتحقق أهدافا مالية، و سياسية، و إنسانية.

أ- فبالنسبة للأهداف الاقتصادية: فالزكاة تستهدف الاستثمار و التنمية، و كما ورد في الحديث الشريف: «اتجروا بأموال اليتامى حتى لا تأكلها الصدقة» متفق عليه، و ذلك لأنّ في حبس الأموال تآكل لها.

فوجوب إخراج الزكاة عنها يحفز أصحاب الأموال إلى مسارعة استثمار أموالهم و تشغيلها، مما يحفز بالتالي إلى مضاعفة الأموال المتداولة، و المموّلة للمشروعات التنموية العديدة.

ب- و بالنسبة للأهداف الاجتماعية: فالزكاة تعتبر من أهم الأدوات المالية في تحقيق مبدأ التكامل الاجتماعي، و مبدأ التكافل الاجتماعي، و مبدأ التضامن الاجتماعي، و تعتبر أهم الأدوات المالية في تحقيق مقتضيات السياسة العامة للدولة في نطاق الأغراض الاجتماعية. فالزكاة إنقاص لمال الغني، و زيادة لمال الفقير يسدّ بها رمقه؛ و تكفل له

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۸۶

مستويات من المعيشة لائقة به كإنسان، هو و أفراد عائلته، و هو ما يعبر عنه بمستوى حدّ الكفاية في المعيشة.

فالزكاة إذن تحدّ، و تقلل من فوارق الطبقات بين الأغنياء، و الفقراء، بإعادة توزيع الثروات، و الدخول من الأغنياء إلى الفقراء.

و الزكاة أيضا عامل هام في إعادة توزيع الثروات في المجتمع.

ج- و بالنسبة للأهداف السياسية: فالزكاة استخدمت لتحقيق أغراض سياسية، حماية، و قوة للدولة الإسلامية كاستمالة المؤلفة قلوبهم.

د- و بالنسبة للأهداف المالية: فالزكاة تساهم بدرجة كبيرة في توفير الأموال لخزينة الدولة لمواجهة سبل الإنفاق العديدة، و أهمها: السبل الاجتماعية: كالإنفاق في مصارفها الثمانية، و منها: الإنفاق على الفقراء، و المساكين، و ابن السبيل، و الغارمين، و كذلك سبل الإنفاق الإدارية، و منها: الإنفاق على العاملين عليها. و كذلك سبل الإنفاق في سبيل اللّه، و الذي يتسع لكل ما فيه مصلحة، و خير للدعوة الإسلامية و منها: الدعوة إلى اللّه، و بناء المساجد، و التعليم، و غيرها.

ه- و بالنسبة للأهداف الإنسانية: فالزكاة تساهم في إنقاذ ابن السبيل، و هو المنقطع عن أهله، و لا مال له؛ و كذلك الغارمين، و هم الذين فقدوا أموالهم في الإصلاح بين الناس، و سداد ديونهم، و مغارمهم؛ و كذلك إعتاق الرقاب.

و نخلص إلى القول: بأنّ سمو الزكاة عن الضريبة إنّما يتمثل في تحقيقها الأمثل و الأجدى، و الأكثر إنسانية للأهداف العديدة، ممّا يجعلها أكثر تفوقا من الضريبة في مجال فرضية تحقيق مقتضيات السياسات العامة للدولة؛ حيث إنّ الضريبة حصرتها في أوجه الإنفاق العام فقط، و في بعض الأغراض الاجتماعية، و الاقتصادية فقط.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۸۷

المطلب الثاني المفاهيم الذاتية للزكاة

اشارة

و هذه مفاهيم ذاتية هي في حدّ ذاتها سمات لصيقة بالزكاة تجعل منها فرضية شرعية، و عبادة مالية، و تكليفا أخرويا، تبعدها عن الضريبة كفريضة عقلية، و تكليف مالي وضعي. و نوصلها ضمن ستة مفاهيم هي:

المفهوم الأول:

سمو الدّلالة على المعنى: سواء فيما يتعلق بالإنسان المزكّى، أو المال المزكى.

فدلالة الزكاة تتناول معنى: النمو، و الزيادة، و البركة.

يقال: زكا المال: أي نما، و زكا الزرع: أي زاد، و كثر، و زكت النفقة: أي بورك فيها.

و ذلك مصداق قوله تعالى: يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِي الصَّدَقاتِ البقرة آية ۲۷۶.

و تتناول معنى: الطهارة. فالمال المزكّى: يطهر من دنس الحرام، بإخراج الجزء المستحق فيه لأصحابه من المصارف الثمانية. و الإنسان المزكّى: تطهر نفسه أيضا من الشح.

و هذا مصداق قوله تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها سورة التوبة آية ۱۰۳.

و تتناول معنى: الفلاح. مصداق قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها سورة الشمس آية ۹.

و قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (۱) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ (۲)

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۸۸

وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (۳) وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ سورة المؤمنون آية ۱- ۴.

و تتناول معنى المضاعفة في الرزق. مصداق قوله تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ سورة البقرة آية ۲۶۱.

و قوله تعالى: إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقاتِ وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ سورة الحديد آية ۱۸.

و تتناول معنى الإيمان. مصداق قوله تعالى: تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ سورة السجدة آية ۱۶.

و تتناول معنى التقوى. مصداق قوله تعالى: وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (۱۳۳) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ سورة آل عمران ۱۳۳- ۱۳۴.

و تتناول معنى الثواب، و الأجر. مصداق قوله تعالى: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ سورة البقرة آية ۲۶۲.

و تتناول دلالة الزكاة أيضا معنى: الحصانة من الدنس، و النقص، و الأذى، و الحرام، و الشح.

مصداق قوله (صلّى اللّه عليه و آله و سلم): «حصّنوا أموالكم بالزكاة». رواه الشهاب.

و تتناول أيضا معنى: عدم النقصان: مصداق

قوله: (صلّى اللّه عليه و آله و سلم): «ما نقص مال من صدقة». رواه الترمذي.

و تتناول معنى: استنزال الرزق. مصداق

قوله (صلّى اللّه عليه و آله و سلم): «استنزلوا الرزق بالصدقة». رواه البيهقي

.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۸۹

و تتناول معنى: الحماية، و الظل للمؤمن المزكّى. مصداق

قوله (صلّى اللّه عليه و آله و سلم): «ظل المؤمن يوم القيامة صدقته». رواه أحمد.

و تتناول معنى: دفع السوء، و الشر. مصداق

قوله (صلّى اللّه عليه و آله و سلم): «الصّدقة تسدّ سبعين بابا من السوء». رواه الطبراني.

و تتناول معنى: تفريج الكرب، و استجابة الدعوى.

مصداق

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «من أراد أن تستجاب دعوته، و أن تكشف كربته، فليفرّج عن معسر». رواه أحمد.

و تتناول معنى: حسن الخلافة على التركة.

مصداق قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «ما أحسن عبد الصّدقة إلّا أحسن الله الخلافة على تركته». رواه أحمد.

و هكذا، فإنّنا نرى أنّ مفهوم الزكاة في الدلالة يتناول معاني السمو في الطهارة، و البركة، و الحصانة، و الفلاح للمال، و الإنسان.

فالمسلم الذي يخرج الزكاة تطهر نفسه من الشح، و إثم الحرام، و يبارك له في ماله و أهله و تركته. و كذلك المسلم الذي تدفع إليه الزكاة تطهر نفسه من إثم الحرام باكتساب المال من الحرام، و تطهر نفسه من إثم الحقد، و الغل، و الحسد، و السرقة، و الثأر، و يحل محلها الرضا و القناعة في نفسه.

و لنا التساؤل هنا: إذا كانت هذه دلالات الزكاة فأين دلالات الضريبة من مثل هذه المعاني السامية؟!!.

إنّ دلالة الضريبة على النقيض من دلالة الزكاة. فدلالة الضريبة تعني: المغرم، و النقص، و العبء، و الذل، و المهانة، و الصغار، مصداق قوله تعالى: حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ سورة التوبة آية ۲۹.

و لنا القول أيضا: إنّ الاختلاف في دلالات المعنى بين الزكاة

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۹۰

و الضريبة يجد أساسه أيضا في الاشتقاق اللفظي، و اللغوي: فالزكاة:

لفظ مشتق من الفعل زكا يحسن وقعه على الأذن، و ترتاح له النفس.

أمّا الضريبة: فهي لفظ مشتق من الفعل ضرب يثقل وقعه على الأذن، و يصعب على النفس، و يوحي بالعقوبة و المغرم و الصّغار.

مصداق قوله تعالى: وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ سورة البقرة آية ۶۱.

و سموا بلفظ الزكاة فقد أشار إليه المشرع الإسلامى أحيانا بلفظ الحق بدلا من لفظ الضريبة. مصداق قوله تعالى: وَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ سورة الذاريات آية ۱۹. و قوله تعالى: وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (۲۴) لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ سورة المعارج آية ۲۴- ۲۵.

المفهوم الثانى:

الزكاة عبادة: بينما الضريبة التزام مدنى محض، و تكليف دنيوى لا- غير، فالزكاة على عكس ذلك فهى التزام شرعى، و تكليف أخروى.

فالزكاة عبادة ماليه، و هى خالصة لوجه اللّه تعالى يؤديها المسلم كغيرها من العبادات، و الفرائض الأخرى: كالصلاة، و الصيام، و الحج، يؤديها المؤمن امتثالا لأمر اللّه تعالى طوعا، و كرها.

و كون الزكاة عبادة، فهى أيضا الركن الثالث من أركان الإسلام، لا يكتمل إيمان المسلم إلّا بأدائها.

قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا اللّه، و أنّ محمدا رسول اللّه، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، و صوم رمضان، و حج البيت من استطاع إليه سبيلا». رواه البخارى و مسلم.

و كون الزكاة عبادة، فقد قرنها القرآن الكريم، و فى أكثر من آية، بعماد الدين، و هى الصلاة. قال تعالى: وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ سورة المزمل آية ۲۰.

و كون الزكاة عبادة، فموقعها من الفقه الإسلامى هو ركن العبادات.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۹۱

و لذلك فهى لا تجوز إلّا بالنيّة حيث لا عبادة إلّا بنيّة. مصداق

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «إنّما الأعمال بالنيّات و إنّما لكلّ امرئ ما نوى». رواه البخارى و مسلم.

و كون الزكاة عبادة فوجوبها على المسلم فقط، و هى لا تجب على الكافر، و لا تنفق على الكافر.

و حكم الزكاة فى الوجوب يوجب التحصيل الجبرى لها إذا لم يخرجها المسلم المكلف من ماله مصداق

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «من أدّاها مؤتجرا فله أجره و من أباها فإنّى آخذها منه، و شطر ماله عزمة من عزمات ربنا». رواه أبو داود، و النّسائى.

و كون الزكاة عبادة، يقتضى محاربة مانعها جحودا، و اعتباره مرتدا، و يقتضى مقاتلة مانعها كسلا، و إهمالا، و لو كان مسلما.

و كون الزكاة عبادة، يجعلها على النقيض تماما من الضريبة. فهى- أى الضريبة- لا- تجب فيها النيّة، و هى التزام مدنى دنيوى، و تكليف مالى وضعى لا معنى للعبادة، و التقوى فيها. و الصالح فى المجتمع قد يكون المتهرب منها، و الطالح فى المجتمع قد يكون المحافظ على أدائها. و كم من أفراد لا يؤدونها، و مع ذلك لهم شأنهم فى مجتمعهم و ذلك لانتمائهم إلى حزب الحكومة الحاكم، أو لتقديمهم خدمات شخصية لرؤسائهم. و الضريبة قبل كل شىء لا علاقة لها بمعايير العبادة و التقوى، و الصلاح، و الاستقامة مما يجعلها دائما أدنى مرحلة فى ميدان التكاليف، و الفرائض المالية من فريضة الزكاة.

المفهوم الثالث:

الزكاة فريضة إلهيّة: أوجبها اللّه على عباده المسلمين المكلفين، و وجوبها محل استقطاعها، أى أنّها من العباد للعباد يثاب مؤديها، و يأثم مانعها، و هى من واجبات الإيمان، لا يتم، و لا يصلح إلّا بأدائها.

و الزكاة كونها فريضة إلهية، فهى لا تخضع لمعايير التلاعب فى

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۹۲

أحكامها، فرضها القرآن الكريم، و فصّلتها السنة النبوية: كمقاديرها، و أنصبتها، و أوعيتها، و أوقاتها، و مستحقيها، و مصارفها ... الخ.

و كون الزكاة إلهية، فقد أحيلتها الآيات القرآنية ضمن معايير الإيمان و الفلاح مصداق قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (۱) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ (۲) وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (۳) وَ الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ سورة المؤمنون الآيات ۱- ۴.

و فى الحديث الشريف قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «ما منع قوم الزكاة إلّا ابتلاهم اللّه بالسنين». رواه الطبرانى.

عقوبة إلهية لمن ترك هذه الفريضة الإلهية.

و كون الزكاة فريضة إلهية، فوجوبها على سبيل التأكيد، و الفور.

و وجوبها جامع للإيمان مانع للآثام. و أحكامها فى الجمع و الصرف محدّدة من قبل الشارع من ربع العشر إلى نصف العشر. و كذلك الإعفاء دون أى حق أو عذر فى الترك، أو التغيير فيها فى حالة وجوب استحقاقها.

و كلّ هذا بخلاف الضريبة: فهى فريضة مالية وضعية، و مؤديها معياره المصلحة الشخصية. و قد يرى فى السداد الحصول على مآرب شخصية ينتفى السداد بانتفائها.

و تبعا للمعايير الوضعية فى التكليف قد يكون الصالح هو المتهرب من الضريبة له التجاوز فى السداد.

المفهوم الرابع:

الثبات و الاستمرار: فالزكاة على النقيض من الضريبة تتصف بالثبات و الاستمرار فى أحكامها، فلا تخضع لتقنين التعديل، و التحويل، و التبديل، و الالغاء. و هى فريضة أبدية لا تخضع لقاعدة: «لا ينكر تغيّر الأحكام بتغيّر الأزمان».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۹۳

و إنّما تخضع لقاعدة: «لا مساغ للاجتهاد فى مورد النص».

و كلّ هذا بخلاف الضريبة، و التى تبعا لكونها فريضة وضعية، اقتضت فرضيتها مسايرة الظروف، و الأحوال، ممّا جعل ثباتها ينتفى مع تغيّر تلك الظروف و الأحوال، ممّا يسبغ عليها صفة التقنين فى التعديل و الإلغاء تبعا لأهواء السلطة أو الحزب الحاكم، و تحت شعار الديمقراطية الزائف.

فالضريبة على خلاف الزكاة، فهى تكليف زمانى تتحدّد أحكامها تبعا لمشيئة الوضع الحكومى. و أمّا الزكاة فهى تكليف إلهى يبقى فى منأى عن مشيئة الوضع، أو هوى الحاكم، أو متطلبات الظروف و الأحوال. و هى إلهية فى وجوبها، و وقتها، و مقاديرها، و أنصبتها، و أوعيتها، و إعفاءاتها، و شروطها، و بقية أحكامها؛ تتصف بصفة الديمومة، و الثبات، و الاستمرارية، و الاستقرار.

المفهوم الخامس:

تحديد سبل الإنفاق: فالزكاة محدّدة أوجه مصارفها فى الإنفاق من قبل القرآن الكريم، و السنة النبوية، و الإجماع. مصداق قوله تعالى: إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ سورة التوبة آية ۶۰.

و من أجل هذا تخصص لمصارف الزكاة ميزانية خاصة مستقلة عن الميزانية العامة للدولة تنفق حصائلها فى مصارفها كما هى محدّدة فى القرآن الكريم دون تعد أو تحد.

و هذا كله على خلاف الضريبة، فمصارفها غير محدّدة، و تحكم فرضيتها المشاركة فى تحمّل الأعباء العامة، و تغطية أوجه الإنفاق العام المحدّد، و المرسوم.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۹۴

المفهوم السادس:

سمو الأهداف و المقاصد: فالزكاة تسمو على الضريبة فى روحانية أهدافها و مقاصدها، و هى تسمو على الضريبة فى شمولية أهدافها و تنوّعها. فهى لا- تنحصر فقط فى تحقيق الأغراض المادية لتغطية أوجه النفقات العامة، أو تغطية بنود الميزانية لتحقيق الأغراض و الأهداف الاقتصادية و الاجتماعية المحضة، و بالمعنى الجامد لها. فالزكاة تتعدى فى روحانية أهدافها الأغراض المادية فى الاقتصاد، و الاجتماع، و الإنفاق إلى كل الأهداف الإنسانية الأخرى: الروحية، و الأخلاقية، و الإنسانية، و الاجتماعية الحقة.

و تتعدى نوعية روحانيتها جميع أوجه الإنفاق العامة التقليدية إلى كل ما يعتبر لازما لحياة الفرد، و المجتمع الإسلاميين.

فالزكاة تتمثل روحانية أهدافها، و سمو أغراضها فى تحقيق المثل الإنسانية الرفيعة، و المثل الأخلاقية النبيلة، و القيم الروحية العالية، و ذلك تأكيدا لشواهد الهداية فى العبادة، و بعيدا عن شواهد الجباية فى الفريضة.

فالزكاة تتعدى عوامل الجباية من الأغنياء و الإنفاق على الفقراء، إلى شواهد و عوامل العلو فى الرفعة، و الرعاية بالإنسانية، و الاهتمام

بالروح، و التعالى على المادة، و الخضوع للدّين، و الصّغار للدنيا؛ و هى بذلك عامل تهذيب، و تدريب للنفس البشرية على السخاء، و البذل، و المعاونة، و المساعدة، و التطهّر. فالزكاة تطهّر المزكى، و المزكّى عليه فى آن واحد.

فهى تطهر المزكى من دنس الشح، و البخل، و تحرّره من عبودية المادة و تنقله إلى عبودية اللّه. مصداق قوله تعالى: وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ سورة الحشر آية ۹ و سورة التغابن آية ۱۶.

فالزكاة تهذب نفس المسلم، و تدربها على البذل، و العطاء؛ تأكيدا

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۹۵

لمعانى الثناء، و الشكر للخالق، اعترافا بفضله، و منّه، و رزقه؛ ممّا يرفع بالتالى النفس عن الهوى، تزهدا فى الدنيا، و ابتغاء للآخرة فتعف نفسه، و يطهر ماله، و يحصن فى نفسه، و ماله، و يبارك له فى ورثته، و تحسن الخلافة فى تركته.

و هى أيضا تطهر المزكّى عليه من دنس الضغينة، و الحسد، و البغضاء، و الحقد؛ و تنقله إلى الارتفاع بنفسه عن الهوى، و التحدث بالثأر و الانتقام؛ و تخلصه من كفر الفقر، و العوز، و ذلّ المسكنة، و المسألة و الانقطاع؛ و تؤهله لاسترجاع أهليته فى العبادة، و العمل، و لما فيه خيره، و خير مجتمعه.

هذه أهداف و شواهد فردية توصلها روحانية الزكاة، فما بالك فى سمو الأهداف العامة، و التى تتسع فى مضمونها عن مضامين الأهداف العامة للتشريعات المالية الوضعية.

و يكفى القول فى هذا المقام: إنّ سمو الأهداف الاجتماعية للزكاة يتسع ليشمل هدف التكافل الاجتماعى بنواحيه المتعدّدة المادية منها و المعنوية: كالتكافل الأدبى، و التكافل العلمى، و التكافل السياسى، و التكافل الدفاعى، و التكافل الأمنى، و التكافل الجنائى، و التكافل الأخلاقى، و التكافل العبادى، و التكافل الحضارى، و التكافل المدنى ...

الخ.

و يكفينا القول أيضا: إنّ سمو الزكاة فى تحقيق أهدافها الاجتماعية يتناول أيضا جميع نواحى الضمان الاجتماعى: كالتأمين الاجتماعى للمعوزين، و الضمان الاجتماعى للمعوقين، و الضمان الاجتماعى لكبار السن، و الشيخوخة، و التأمين الاجتماعى لإصابات العمل، و الضمان الاجتماعى للمرضى ... الخ.

و يكفينا القول أيضا: إنّ سند تسيير عوامل الضمان الاجتماعى و التكافل بأنواعها، و مجالاتها إنّما يتمثل فى تخصيص ميزانية مستقلة

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۹۶

تعرف بميزانية الضمان، و التكافل الاجتماعى مواردها حصائل الزكاة، و عطاءات الدولة و المحسنين من المسلمين، و الجمعيات الإسلامية، تلك الحصائل و الموارد المستمرة، و ذلك عوضا عن الصدقات الفردية غير الثابتة ممّا يجعله ضمانا شاملا للمعوزين من المسلمين، و غير المسلمين؛ أو الزمنى، أو المقعدين، أو ذوى العاهات، أو المسجونين، أو العزاب المستكحين. و هذا الضمان قديم بقدم الإسلام ذاته تنبهت إليه الدول حديثا حيث لم يكن أمام المحتاجين عندهم سوى الاستجداء، أو الموت «۱».

ناهيك عن الاعتبارات الاقتصادية للزكاة فى حفز الهمم على الاستثمار، و الاتجار، و التنمية، تعويضا للاستقطاع بالزكاة من رأس المال، أو الدخل، أو الربح.

المطلب الثالث المبررات و النظريات الذاتية للزكاة

اشارة

يحصر التشريع المالى الإسلامى أسس فرضيّة الزكاة فى نظريات تختلف فى مفهومها، و شرعيتها، و مبرراتها، عن نظريات التشريع المالى الوضعى فى فرضه للضريبة. فالنظريات الوضعية لا تصلح أساسا تبنى عليه فرضية الزكاة فى الإسلام.

ففرضية الزكاة أساسها التشريع الإلهى الإسلامى المستمد من القرآن و السّنة النبوية؛ و قسريتها أساسها التطبيق الكامل لأحكام القرآن، و السنة.

و تستند الدولة الإسلامية فى أحقيتها، و سلطتها فى فرضية الزكاة،

---

(۱) هذا ما تفوه به المستشرق دانيل حيرج. أنظر حلقات الدراسات الاجتماعية التى انعقدت بدمشق سنة ۱۹۵۲ دورة ۳، ص ۲۱۷. موضوع تطور التكافل الاجتماعى.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۹۷

و جبايتها من المسلمين إلى كونها المكلّف الفعلى لتنفيذ الأحكام الشرعية المتعلقة بالأموال؛ و ذلك لما لها من حق السيادة على رعاياها أولا، و إلى كونها المكلف الفعلى لضمان تطبيق أحكام الشرع فى تطبيق مبادئ التكافل و الضمان الاجتماعى فى المجتمع الإسلامى ثانيا.

و من هنا فإنّنا نرى أنّ التشريع أو الفكر المالى الإسلامى أصّل عدّة نظريات، و مبرّرات يستند إليها فى فرضية الزكاة، و هذه النظريات نوجزها فى أربع هى:

أولا: نظرية الاستخلاف

- و منشأ هذه النظرية أساسه: أنّ المال للّه وحده؛ و الإنسان مستخلف فيه، و عليه أن يقوم بأعباء الخلافة من تصرف و إنفاق و غيره، و هذا مصداق قوله تعالى: وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ النجم آية ۳۱.

و قوله تعالى: لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى سورة طه آية ۶.

و قوله تعالى: وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ سورة الحديد آية ۷.

و قوله تعالى: وَ آتُوهُمْ مِنْ مالِ اللَّهِ الَّذِي آتاكُمْ سورة النور آية ۳۳.

و قوله تعالى: أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ سورة البقرة آية ۲۵۴.

فكلّ ما فى الكون ملك للّه تعالى حتى الذرة فى السموات و الأرض و ما بينهما. و ما المال فى يد الإنسان إلّا نعمة من نعم اللّه، و فضل منه على عبده. و اللّه تعالى استخلفه على ما رزقه، و الإنسان مؤتمن على ما استخلف عليه، و عليه أن يحسن الخلافة؛ فلا يتصرف بمال اللّه إلّا بأوامر اللّه و تشريعه. فالإنسان المستخلف على مال اللّه يجمعه، و ينفقه، و يتصرف به حسب شرع اللّه، فينمّيه، و يزكّيه كما أمر اللّه.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۹۸

و اللّه تعالى هو الذى يعطى و يهب، و يمنح و يرزق. و العبد يتصرف بمال اللّه كوكيل بالتصرف على مال اللّه، و الوكيل عليه أن يلتزم بقواعد الوكالة فى الإنفاق للأموال.

يقول الإمام الرازى فى تفسيره: «الفقراء عيال اللّه، و الأغنياء خزّان اللّه، لأنّ الأموال التى فى أيديهم أموال اللّه، فليس بمستبعد أن يقول المالك لخازنه: اصرف طائفة ممّا فى تلك الخزانة إلى المحتاجين من عيالى» «۱».

فإذا ضمن الخازن أى الغنى بمال موكله- و هو اللّه- على عياله- و هم الفقراء- استوجب نكال اللّه.

و فى الحديث القدسى يقول تعالى: «المال مالى، و الفقراء عيالى، و الأغنياء وكلائى؛ فإذا بخل وكلائى على عيالى، أذقتهم وبالى، و لا أبالى» «۲».

و تؤكد الدلائل الشرعية رسوخ نظرية الاستخلاف فى مال اللّه، و توجب التزاما ماليا على المستخلف لهذا المال بالتصرف، و الإنفاق ضمن الحدود و الأوجه التى شرعها اللّه.

ثانيا: نظرية التكاليف العامة

- و منشأ هذه النظرية أساسه: حقّ اللّه فى التكليف لعباده، و بما يشاء من تكاليف شرعية: بدنية، أو مالية، عبادة خالصة لوجهه تعالى حمدا و ثناء على خلقه، و نعمائه، و تأصيلا لحكمته فى خلقه لعباده، و هى العبادة. مصداق قوله تعالى: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ سورة الذاريات آية ۵۶.

---

(۱) أنظر: الإمام فخر الدين الرازى- لكتاب: التفسير الكبير المسمى: مفاتيح الغيب. المطبعة المصرية سنة ۱۹۳۸ ج ۱۶ ص ۱۰۳.

(۲) أنظر: دكتور يوسف القرضاوى. كتاب: فقه الزكاة. ج ۳ ص ۱۰۱۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۳۹۹

فأساس الخلق الربانى للإنسان هو العبادة، و العبادة تكليف؛ فمن عبد اللّه، و قام بالتكليف، فقد ربح و فاز، و من نكص عن عبادة اللّه طاح و خسر.

قال تعالى: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى سورة النجم آية ۳۱.

فالإنسان يسأل عن عمله ساء أم حسن، فهو مكلف، و لم يخلق عبثا.

قال اللّه تعالى: أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً سورة القيامة آية ۳۶.

فمن قام بالتكليف فحقّه على اللّه مضمون، و من لم يقم بالتكليف، فحقّه على نفسه مرهون. قال تعالى: كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ سورة المدثر آية ۳۸.

فالتكليف عبادة، و القيام به طاعة. فالصلاة تكليف، و هى عبادة.

و الزكاة تكليف، و هى عبادة يؤديها المسلم المكلّف، استجابة للأمر الالهى بالتكليف، طهرة للمال، و تزكية للنفس. و أساس فرضيتها الأوامر الإلهية فى التكاليف العامة لعباده المسلمين، و المسلمون هم المكلّفون.

ثالثا: نظرية الإخاء

- و منشأ هذه النظرية أساسه: قواعد الإخاء فى العقيدة، و الأخوة فى الإيمان. و هذه القواعد تؤصل تنظيما روحيا شواهده الترابط، و التلاحم، و التضامن، و التعاطف بين أخوة العقيدة، و أخوة الإيمان. مصداق قوله تعالى: إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ سورة الحجرات آية ۱۰.

و صدّقت السّنّة النبوية قواعد الأخوة فى الإيمان، و شيدتها بشواهد البنيان المشدود كل عضو فيه حقّه على العضو الآخر فى مديد المعونة، و بذل المساعدة مصداق

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا». من حديث أبى موسى الأشعرى.

متفق عليه.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۰۰

و قد صدّقت السّنّة النبوية قواعد الأخوة فى الإيمان، و شيدتها بشواهد الجسد الواحد تكفل أعضاؤه بعضها بعضا. مصداق

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «مثل المؤمنين فى توادّهم و تراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمّى، و السهر». من حديث النعمان بن بشير. متفق عليه.

و قد ربطت السّنّة النبوية بين شواهد الإيمان، و بين واجبات الأخوة فى المساعدة، و الإغاثة، و الإنفاق. مصداق

قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم: «ما آمن بى من بات شبعانا و جاره جائع إلى جنبه، و هو يعلم»، رواه البخارى، و مسلم، و أبو داود «۱».

و قد وضع القرآن شواهد و أسس قواعد التلاحم، و الترابط، و التعاطف، و التضامن بين أفراد المجتمع الإنسانى أيضا، مصداق قوله تعالى: يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ سورة الحجرات آية ۱۳.

فالإسلام فى وضعه لقواعد الترابط، و التلاحم، و التعاطف و التضامن بين أفراد المجتمع الإنسانى، فقد حرص بالتالى على تأصيل شواهد تلك القواعد من خلال فريضة الزكاة، تطبيقا لهذه القواعد فى التلاحم و التعاطف، و فى النصرة و الإغاثة بين أفراد المجتمع الإسلامى؛ سدا لرمق الفقير، و قضاء حاجة المسكين، و إغاثة المنكوب الغارم، أو ابن السبيل تأكيدا لحق هؤلاء، و غيرهم فى الحياة الأمثل و تطهيرا لأموال الأغنياء، و تزكية لأنفس المزكين من دنس شرورها و حرام بخلها، و إثم مكسبها. و مبرر ذلك كله مبدأ الأخوة فى اللّه؛ و سنده معالم الروحية فى بذل المساعدة و العطاء، و حب البذل، و الإيثار، و بلا مقابل مرجو تعبيرا عن شواهد مبدأ الأخوة فى التعاطف، و التراحم، و تطبيقا لمعالم الإيمان فى حب الأخ المسلم لأخيه المسلم.

---

(۱) المنذرى. كتاب: الترغيب و الترهيب ج ۳. ص ۳۸۹. طبعة محمد الحلبى.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۰۱

رابعا: نظرية التكليف الاجتماعى

- و منشأ هذه النظرية أساسه:

حقّ المجتمع الإسلامى فى مشاركته أموال أفراده، و هم أعضاؤه. و حقّه عليهم أن يدعموه، و يحموه، و يعينوه، و أن يخففوا من عنائه، و أن يقلّلوا من أعبائه، و أن يساهموا فى خدماته فرضا مستحقا عليهم لا منّة أو إحسانا منهم عليه.

فالمجتمع المسلم يوفر لأفراده العيش الرغيد، و المكسب الوافر فى المادة، و العلم، و الثقافة، و الروحانية. و أفراده يحيون فيه حياة تضامن، و تكافل، و تكامل. فالفرد الإنسانى مدنى بطبعه يألف الحياة مع بنى جنسه، و ما يكسبه فى مجتمعه هو بفضل الجماعة، و ماله من مالها، و حياته من حياتها، و بقاؤه من بقائها. و من هنا فالفرد فى المجتمع لا يتصرف بالمال مكسبا و إنفاقا إلّا ضمن مصلحة مجتمعه. فكلّ إساءة فى التصرف إساءة لمال الجماعة. و من هنا فالإسلام نظّم التصرف. فالإسلام يقرر مبدأ الفصل بين مالية الحاكم، و مالية الدولة.

و يقرر الإسلام مبدأ الاستقلال المالى للزوجة عن زوجها:

قال تعالى: وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً سورة النساء آية ۴.

و قال تعالى: وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً سورة النساء آية ۲۰.

و يقرر الإسلام حرمة أكل أموال اليتيم ظلما:

قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً سورة النساء آية ۱۰.

و يقرر الإسلام مبدأ التصرف بالمال ببلوغ الرشد:

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۰۲

قال تعالى: وَ ابْتَلُوا الْيَتامى حَتّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ سورة النساء آية ۶.

و يقرر الإسلام الأخذ على يد السفهاء بمنعهم من التصرف بأموالهم: وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِياماً سورة النساء آية ۵.

و يقرر الإسلام مبدأ عدم تبذير الأموال:

قال تعالى: وَ لا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (۲۶) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ الإسراء آية ۲۶- ۲۷.

و يقرر الإسلام عدم أكل أموال الناس بالباطل: قال تعالى:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ سورة النساء آية ۲۹.

فالقرآن الكريم يوحد أموال الجماعة. و اختار تعبير:

أَمْوالَكُمْ «۱» و تعبير أَنْفُسَكُمْ للتأكيد على أنّ مال البعض هو مال الكل، و أنّ النفوس واحدة، و التكافل بينهم عام، و شامل. فأعضاء المجتمع المسلم يعيشون وحدة تضامنية متكافلين متضامنين، مالهم مال الجماعة، و مال الجماعة مالهم. و للجماعة حقّها فى أموال أفرادها دون تعد أو سلب أو حرمان بل مساهمة منهم لضمان استمرار جماعتهم، و بقائها، و قيامها بأعبائها، و واجباتها، و المالية على وجه الخصوص.

---

(۱) يقرر الإمام محمد رشيد رضا صاحب المنار تعليقا على الآية: لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ: أنّ هذه الآية قررت قاعدة الاشتراك التى ينادى بها دعاة الاشتراكية فى هذا العصر، و لم يهتدوا إلى سنة عادلة لها، و لو التمسوها فى الإسلام لوجدوها، حيث إن الإسلام يجعل مال كلّ فرد مالا لأمته كلّها مع احترام الحيازة و الملكية، و حفظ حقوقها، فهو يوجب على كل ذى مال كثير حقوقا معيّنة للمصالح العامة.

أنظر: دكتور يوسف القرضاوى- كتاب: فقه الزكاة- ص ۱۰۸.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۰۳

خلاصة القول: استنادا إلى ما سبق من تفنيد عناصر الاشتراك بين الزكاة، و الضريبة، و مفاهيم الزكاة، و نظرياتها يمكننا القول: بأنّ الزكاة ليست ضريبة، و لا يجوز تصنيفها ضمن الضرائب، فمدلول الضريبة الوضعى بمعنييه القديم، و الحديث لا يتناول مدلول الزكاة.

و يكفينا القول: بأنّ الزكاة عبادة مالية، و فريضة إلهية شرعية و ليست ضريبة نقدية. و هى ركن من أركان الإسلام الخمسة لا يكتمل إسلام المسلم إلّا بها، و حكمها حكم الفرائض، و العبادات الأخرى: كالصلاة، و الصوم، و الحج، يستحق مؤديها الأجر، و الثواب؛ و مانعها الإثم، و العقاب.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۰۵

الباب الثانى عشر شبهات حول صلاحية القرآن و تفنيدها.

[الشبهة]

اشارة

و نجملها فى شبهة واحدة للعلمانيين و هى: فصل القرآن عن الحكم. أى عدم صلاحية القرآن للحكم.

و تمثل شبهتهم فى أن القرآن لا تصلح تعاليمه، و لا يصلح أن يكون دستورا للمحكم هذه الأيام. و دليلهم على ذلك: أنه لا يوجد إسلام مثالى، أو حكم إسلامى مثالى حكم الأفراد، و الدول. اللهم إلّا فى فترة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم و عمر بن الخطاب. و يدعم هذا القول فشل التجارب المعاصرة لتطبيق الشريعة الإسلامية. و كما يقول أحدهم، و هو فؤاد زكريا: «أمّا التجارب التاريخية، فلم تكن إلّا سلسلة طويلة من الفشل؛ إذ كان الاستبداد هو القاعدة، و الظلم هو الأساس فى العلاقة بين الحاكم و المحكوم. و أمّا العدل، و الإحسان، و الشورى، و غيرها من مبادئ الشريعة لا تعدو أن تكون كلاما يقال لتبرير أفعال حاكم يتجاهل كل ما له صلة بهذه المبادئ السامية. و لا جدال فى أنّ لجوء أنصار تطبيق الشريعة- مهما اختلفت آراؤهم فى الأمور التفصيلية- إلى الاستشهاد

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۰۶

الدائم بعهد الخلفاء الراشدين، و بعمر بن الخطاب بوجه خاص، هو فى حدّ ذاته دليل على أنّهم لم يجدوا ما يستشهدون به طوال التاريخ التالى الذى ظل الحكم فيه يمارس باسم الشريعة. أى أن التطبيق الذى دام ما يقرب من ثلاثة عشر قرنا كان فى واقع الأمر نكرانا لأصول الشريعة و خروجا عنها. إنّ أنصار تطبيق الشريعة يركزون جهدهم كما قلنا على الاستشهاد بأحداث، و وقائع تنتمى إلى عصر الخلفاء الراشدين، و لا سيما عمر بن الخطاب. و لكن ألا يعلم هؤلاء الدعاة الأفاضل أنّ عمر بن الخطاب شخصية فذة فريدة ظهرت مرة واحدة، و لن تتكرر!! و إذا كانت تجارب القرون العديدة، و كذلك تجارب العصر الحاضر، قد أخفقت كلها فى الإتيان بحاكم يدانى عمر بن الخطاب، فلم يداعبون أتباعهم بالأمل المستحيل فى عودة عصر عمر بن الخطاب؟!! و إذا كان الخط البيانى للحق، و العدل، و الخير، قد ازداد هبوطا على مرّ التاريخ، و بلغ الحضيض فى التجارب المعاصرة لتطبيق الشريعة، فعلى أى أساس يأمل هؤلاء فى أن تكون التجربة المقبلة التى يدعون إليها فى مصر هى وحدها التجربة التى ستنجح، فيما أخفقت فيه الأنظمة الإسلامية على مر القرون؟!!».

و يعقب دكتور فؤاد زكريا فى مقدمة كتابه «الحقيقة و الوهم» على تباشير الصحوة الإسلامية، و اتّساع نطاق المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية هذه الأيام مقللا من شأنها حيث يقول: «إنّ الدعوة إلى تطبيق الشريعة- التى تعلو أصواتها فى الآونة الراهنة- ترتكز بلا شك على قاعدة جماهيرية واسعة. و كثير من أنصارها يتخذون من سعة الانتشار هذه حجة لصالحها؛ و يستدلون على صحة اتجاههم من كثرة عدد أشياعهم، و أنصارهم». و يعقّب أيضا فى ختام كتابه المذكور بالتهوين و التقليل من شأن المناداة بتطبيق الشريعة حيث يقول: «و لم تكن صيحة المطالبة بتطبيق الشريعة إلّا صيحة خافتة، لا تأثير لها على المجرى العام لحياة النّاس. هذه هى صورة الدين كما عرفه شعبنا طوال أجيال عديدة».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۰۷

أمّا الموجة الحالية، فإنّها- برغم انتشارها الواسع- ظاهرة جديدة و دخيلة على التدين المصرى العاقل الهادئ. و كأى ظاهرة دخيلة ينبغى علينا أن نتعقب أسبابها إلى عوامل طارئة».

و يبرّر ظهور القاعدة الجماهيرية العريضة، و المطالبة بتطبيق الشريعة بمعسول القول، و هناته، حيث يقول: «و فى رأيى أنّ اتّساع القاعدة الجماهيرية التى تنادى بمبدإ معين لا يمكن أن يكون مقياسا لنجاح هذا المبدأ إلّا فى حالة واحدة فقط هى التى يكون فيها وعى هذه الجماهير ناضجا كلّ النضج. و أستطيع أن أقول من وجهة نظرى الخاصة: إنّ الانتشار الواسع للاتجاهات الإسلامية بشكلها الراهن إنّما هو مظهر صارخ من مظاهر نقص الوعى لدى الجماهير ...، و ذلك لغلبة الطابع الشكلى على فهمها للدين، و تركيز جهده على الجانب الشعائرى من الدين، و على التحريمات الجنسية، و شكل الملبس ... الخ. و تصور أن أوّل جوانب تطبيق الشريعة و أهمها هو تطبيق حدود الخمر، و السرقة، و الزنى؛ و تتجاهل كلية مشكلات الحياة الاقتصادية، و السياسية بتعقيداتها التى لا تنتهى. هذا الانقياد لا يمكن أن يكون علامة صحة، و إنّما هو حالة شاذة طارئة لم تعرفها مصر إلّا فى ظل عهود الحكم الفردى المتلاحقة، و فى العهد الذى فتح الباب لتسرب الفكر المتخلّف الوافد من مجتمعات بترولية تستخدم الدين أداة للحفاظ على مصالحها فى الداخل، و نشر إيديولوجيتها الهابطة فى الخارج». و فى الندوة التاريخية التى أقيمت فى دار الحكمة للحوار بين «الإسلام و العلمانية» منذ سنتين، و الذى دعت إليه نقابة الأطباء بالقاهرة يذكر د. فؤاد زكريا تأييدا لشبهته فى عدم صلاحية تطبيق الشريعة، و صلاحية العلمانية فى الحكم ما يسميه بواقع التعصب الطائفى كما هو الحال فى لبنان، و الهند، و بأن كثرة وجود الأديان يتعارض مع التفرد فى تطبيق دين الإسلام.

تفنيد هذه الشبهة:

أولا: إنّ أصحاب هذه الشبهة أمثال فؤاد زكريا، و جماعة

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۰۸

العلمانيين يتناقضون مع أنفسهم، و يقعون فى أشر تناقضاتهم. فهم بنكرانهم لصلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق هذه الأيام، و العودة إلى الحل الإسلامى، يعترفون فى قرارة أنفسهم بصلاحية القرآن للحكم الإسلامى.

و دليل ذلك أنّهم يستشهدون على تلك الصلاحية بالحكم على عهد النبى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و عهد عمر بن الخطاب «رضى اللّه عنه». فهم ينكرون على الشريعة الإسلامية صلاحيتها فى التطبيق، و هم فى الوقت نفسه يعترفون بهذه الصلاحية، و إن حصروها فى فترة من الفترات. و اعترافهم هذا حجة عليهم؛ لأنّ ما صلح تطبيقه، و لو فى فترة من فترات الزمن، يصلح لكل الفترات الأخرى إذا ما أحسن تطبيقه، و أخلص فى استخدامه. و بالعقلانية السليمة تمكن المحاجة: إنّ الصالح يبقى صالحا إلّا إذا انتفضت صلاحيته بفقدان بعض شروطها، و على رأسها حسن التطبيق. و بالمنطق الصحيح أيضا تمكن المحاجة: أنّ الإساءة فى تطبيق الشريعة الإسلامية أحيانا لا يجب، بل، و لا يجوز أن ينفى عنها صلاحيتها فى الأحيان الأخرى. فالصالح دوما صالح إلّا إذا أسىء استخدامه. و بذلك فإن فؤاد زكريا يقع فى شر تناقضاته عند ما يستدل بإساءة التطبيق على عدم إمكانية التطبيق. و هو عند ما يذكر أن إساءة تطبيق الشريعة- و الذى دام طيلة ثلاثة عشر قرنا- يعتبر نكرانا لأصول الشريعة، و خروجا عنها، فإنّ قوله هذا يوحى باعترافه بأنّ حسن تطبيق الشريعة لا يعتبر نكرانا لها، أو خروجا عنها، و هو بالتالى يقر بأصالتها، و نجاعتها إذا لم يسأ استخدامها و حسن تطبيقها. و إذا سلّمنا جدلا أن واقع المسلمين لم يعرف تطبيقا مثاليا للإسلام طيلة ثلاثة عشر قرنا كما يقول العلمانيون- و هذا لم يحصل البتة- و اعتبروا ذلك نكرانا لأصول الشريعة، و خروجا عنها، فلنا أن نتساءل: متى كان الواقع حكما على الإسلام؟!! و متى كان الإسلام يقاس على الواقع؟! و متى كانت شواهد الحكمة تقتضى منا، أو من البشرية جمعاء، أن نستند فى حكمنا على شريعة اللّه تبعا للواقع البشرى حتى و لو كان مثاليا؟!! أ ليس فى هذا نكران لأصول الشريعة الغراء، و خروج عن أصالتها، و مثاليتها؟!! و من البداهة بمكان- و هذا يعرفه العلمانيون- و هم

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۰۹

الذين لا يقرون بالإلحاد كما يزعمون- أنّ الإسلام دوما كان حجة على المسلمين، و ليس العكس. لقد أسلم قسيس مدينة أسيوط فى الستينات من هذا القرن- و كان رئيسا للكنيسة القبطية، و أستاذا لعلم اللاهوت و الشريعة المسيحية، قاده إلى ذلك تجرده من التعصب الدينى أولا، و جهاده فى الحكم على صلاحية الأديان ثانيا، فعاتبه أهل دينه، و عيّره اثنان من زملائه القساوسة على تغيير دينه، و نعيا عليه انحطاط تفكيره الذى قاده إلى اعتناق دين يمثل واقع أهله المسلمين أدنى، و أكثر مراحل المجتمعات الإنسانية تخلفا سواء فى علومهم أو أخلاقهم. فهداه اللّه إلى قوله لهم: إنّى لا أتّخذ من المسلمين حجة على الإسلام، و لكننى أتّخذ من الإسلام حجة على المسلمين. هذا هو قولنا لأكابر العلمانيين فى جدالهم، و مناقشتهم.

و مشكلة العلمانيين هذه الأيام أنهم لم يفهموا دينهم، و لم يحسنوا عرض دينهم للآخرين؛ و لم يهتدوا إلى مقاييس السلامة فى الحكم على دينهم إن بقيت فى قلوبهم ذرة من دين.

ثانيا: إنّ أصحاب الشبهة من العلمانيين يغالطون أنفسهم، و يقعون فى شرّ مغالطاتهم. إنّهم ينكرون مثالية التطبيق الفعلى للإسلام طيلة عهود الدولة الإسلامية. و كما يقول أستاذ العلمانيين فؤاد زكريا: «أمّا التجارب التاريخية فلم تكن إلّا سلسلة طويلة من الفشل، و هم يدّعون أنّ الإسلام لم يطبق على حقيقته على مر القرون» و كما يقول فؤاد زكريا أيضا:

«فعلى أى أساس يأمل هؤلاء أن تكون التجربة المقبلة التى يدعون إليها فى مصر هى وحدها التجربة التى ستنجح فيما أخفقت فيه الأنظمة الإسلامية على مر القرون؟!!».

و هو بدوره يتخذ من عمر بن الخطاب شخصية فذة فريدة ظهرت مرة واحدة، و لن تتكرر. و ذلك حتى يقنط الدعاة المسلمون، و يستكينوا، و يقلعوا عن الدعوة إلى اللّه، و تطبيق شريعة الإسلام. فهو يئسهم بقوله:

و إذا كانت تجارب القرون العديدة، و كذلك تجارب العصر الحاضر قد

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۱۰

أخفقت كلها فى الإتيان بحاكم يدانى عمر بن الخطاب، فلم يداعبون أتباعهم بالأمل المستحيل فى عودة عصر عمر بن الخطاب؟!!.

و هكذا ديدن العلمانيين فى اقتراءاتهم يبنونها على ظواهر الأمور و جزئياتها؛ و أوهى الأمثلة، و أضحلها. و كما يقول ربنا فى كتابه الكريم:

وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ سورة العنكبوت آية ۴۱.

و هكذا ديدنهم فى الحكم على الأمور، و عن هوى، و بعد عن كل حقيقة، و تجرد عن كل برهان أو دليل، و يصدق فيهم قول ربنا دوما:

قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ سورة النمل آية ۶۴. و هكذا الأدلة العلمية، و النقلية، و التاريخية، و التطبيقية، تسعف حقيقة الرد المفند لزعمهم المزعوم. و التى تثبت دوما أن الشريعة الإسلامية طبقت أحكامها و تعاليمها، و أن الدين الإسلامى سادت نظمه، و قوانينه، و أن راية الإسلام ظلت خفاقة طيلة عهود الدولة الإسلامية منذ نشأتها على عهد النبوة إلى انتهاء الدولة العثمانية بإلغاء الخلافة الإسلامية رسميا سنة ۱۹۲۴ م، و من قبل رييب الماسونية، و ساحر العلمانية، مصطفى كمال أتاتورك.

و خير شهادة لنا فى هذا المقام قول شهيد الحق سيد قطب فى مقدمة كتابه: «مقومات التصور الإسلامى»: «و ارتفع لواء الإسلام عاليا، و ظل مرفوعا أكثر من ألف عام بل حوالى مائتين و ألف عام ممثلا فى النظام الإسلامى فى ظل الأقطار الإسلامية. و هو النظام الذى يرجع النّاس فيه إلى شريعة اللّه وحدها. و لا يحكم قضاة هذه الأمّة إلّا بالشريعة الإسلامية فى كل أمر من أمور الحياة، و لا يتحاكم النّاس إلى غير هذه الشريعة فى شأن واحد من شئون المعاش» «۱».

---

(۱) الشيخ محمد الغزالى- كتاب: مائة سؤال عن الإسلام. ج ۲ ص ۳۵۲. ۳۵۴.

القاهرة.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۱۱

و لعل ما يبرز شرور مغالطات العلمانيين فى تبرير شبهتهم أنهم يحكمون على حقيقة الكلية بجزئياتها، و على سلامة الأمور بهناتها. و هم يحكمون على ديمومة حكم الإسلام بقلائل هفوات حكامه. و هم يعلمون أن شواهد عصمة الإسلام فى صلاحيته، و استمراريته ليس من الضرورة أن تمتد لتتناول شواهد تنفيذه، و معالم تطبيقه، و أعمال الحكام فى تطبيق أنظمته، و تعاليمه. فالفكر البشرى، و العمل الإنسانى صنوان فى الفهم للفكر الإسلامى، و كلاهما يدور فى حلقة عدم العصمة لكل منهما. و كما يقول شيخنا محمد الغزالى: «نعرف الفرق بين الإسلام، و الفكر الإسلامى، و بين الإسلام، و الحكم الإسلامى ... فالإسلام وحى معصوم لا ريب فيه. أمّا الفكر الإسلامى، فهو عمل الفكر البشرى فى فهمه، و الحكم الإسلامى هو عمل السلطة البشرية فى تنفيذه؛ و كلاهما لا عصمة له».

و ليس من الضرورى بأى حال من الأحوال- و العلمانيون يعرفون ذلك- أنّ عدم العصمة للعمل البشرى يجب أن تبقيه دائما فى حلقة الأخطاء أو تقوده دائما إلى مجافاة الصواب. فالحاكم المسلم قد يخطئ، و هو غير معصوم من الخطأ. و لكن لا يطول خطؤه، فيندم، و يعود إلى صوابه.

و قد يزلّ، و لكن لا يستمر زلله؛ فيقومه أصحابه، و أمته. و الأمة الإسلامية لا تجتمع على خطأ. و هذا هو التصور العقلانى السليم للحكم فى الإسلام حيث جعل- و هو معصوم- فى متناول أيدى الحكام المسلمين- و هم غير معصومين- و هذا هو الابتلاء الحقيقى لمن استخلفهم اللّه فى حكمه؛ و من فشل فى هذا الابتلاء من الحكام المسلمين، فقليل ما هم، و لو كره العلمانيون، يقول أستاذنا محمد الغزالى: و عند ما يخطئ مفكر فإن خطأه لا يبقى طويلا حتى يستدرك عليه مفكر آخر. و عند ما يخطئ حاكم، فإنّ زلته لن تطول حتى يصوبها ناقد راشد، و الأمة الإسلامية- بفضل اللّه- لا تجتمع على خطأ، و جهاز الدعوة بها حساس. و هو عن طريق التعليم، و الأمر و النهى ينصف الحق. و لما كانت هذه الأمّة حاملة الوحى الخاتم، فإنّ القدر يؤدبها لذا استرخت، أو فرطت حتى تلزم الصراط المستقيم، و يتعهدها بالمجددين الذين يغارون على حقائق الوحى، و سبل

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۱۲

فقهه، و أساليب حكمه. قال تعالى: وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ سورة الأعراف آية ۱۸۱.

و أيضا كما يقول شيخنا محمد الغزالى: «يظهر أنه لا غرابة فى وجود أخطاء فى تاريخنا الثقافى، و السياسى؛ و إنما الغرابة فى التستر على هذه الأخطاء، أو الاستحقاق فى معالجتها، و التعمية على آثارها» «۱».

و لنا القول: و استنادا إلى معايير الموضوعية فى الحكم على الأمور، فنحن نعترف بحدوث تجاوزات فى تجارب الحكم الإسلامى، و لكننا فى نفس الوقت نعى على الفيلسوف المثقف فؤاد زكريا فى خروجه عن كل موضوعية عند ما يحكم على جميع التجارب التاريخية للحكم الإسلامى بأنها فاشلة، و يحصر المثالى الناجح منها فقط فى عصر عمر بن الخطاب «رضى اللّه عنه»، و دون أى دليل، أو مستند تاريخى سليم، أو مسوغ عقلانى صحيح.

و نحن بدورنا أيضا نعى عليهم أن يتخذوا تجربة واحدة، أو من تجارب قليلة خاطئة، مسوغا لهم للخروج عن حدود الموضوعية؛ و يحكمون على عدم صلاحية التطبيق المثالى للإسلام قديما، و حديثا.

و هم بذلك يتجاوزون كل حدود المنطق العقلانى السليم. و هم يتوجون تجاوزهم فى حكمهم هذا بشواهد سوء النيّة المبيتة للطعن فى الإسلام.

و دليل ذلك أنهم لا يطبقون حكمهم هذا على تجاوزات التجارب العديدة و الفاشلة فى الرأسمالية، و الاشتراكية. بل و يتمادون أكثر من ذلك فلا يصفونها بالفاشلة، و حتى و قد يلتمسون الأعذار لها. و هم كما يقول شيخنا يوسف القرضاوى «إن العلمانيين، و الماركسيين يتعاملون بمنطقين مختلفين: منطق مع الإسلاميين، و منطق مع أنفسهم. فهم مع الإسلاميين يحمّلون الإسلام كل الأخطاء، و الانحرافات فى التاريخ، و كل الأخطاء و الانحرافات فى التطبيق المعاصر. فالإسلام عندهم هو مجموع

---

(۱) الشيخ محمد الغزالى. كتاب: مائة سؤال من الإسلام. ج ۲. ص ۳۵۲- ۳۵۴- القاهرة.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۱۳

الانحرافات القديمة، و الجديدة معا. و لا يقولون يوما: إنّ الإسلام شىء و التطبيق شىء آخر؛ و إنّ المسئولية مسئولية المسلمين، و ليست مسئولية الإسلام نفسه. على حين تراهم مع المذاهب الأخرى يفرقون بين صلاحية المبدأ فى ذاته، و بين سوء التطبيق له. أجل، تراهم إذا دعوا إلى الاشتراكية الماركسية مثلا، يبرءونها من الشوائب، و الانحرافات التى صاحبت تطبيقاتها المختلفة من اعتداء على الحقوق، و وأد للحريات، و انتهاك للحرمات، و إهدار لكرامة الإنسان، و قتل للديمقراطية، و تصفية طبقة لتحل محلها طبقة جديدة. و كذلك الذين يدعون إلى الديمقراطية لا يحملونها مسئولية ما يشوبها من انحرافات، و تحريفات. حتى ارتكبت باسمها عظائم الجرائم. و حتى قال رئيس مصرى: إنّ الديمقراطية لها أنياب، و مخالب، و إنّها أشرس من الديكتاتورية. و كم زورت باسمها انتخابات، و استفتاءات كانت نتيجتها التسعات الخمس ۹۹۹. ۹۹ فضلا عن شكوى كثير من الغربيين فى بلاد الديمقراطية الأم من زيف الديمقراطية التى توجهها قوى ظاهرة، و خفية لمصالح فئات معيّنة» «۱».

و لعل من شواهد سوء نية الفيلسوف فؤاد زكريا أنّه- و هو الذى لم يلتمس عذرا واحدا لتجربة أو تجارب قليلة خاطئة للحكم الإسلامى- نجده يلتمس الأعذار لفشل جميع تجارب الاشتراكية، و الرأسمالية فى البلدان العربية. فهو يعتذر لفشل تجربة الاشتراكية فى مصر بقصر المدة، و ذلك بقوله: «و خلال هذه الفترة القصيرة لم تكن هناك جديّة كافية فى التطبيق. و يكفى أنّها كانت اشتراكية بغير اشتراكيين، و أن المكلفين بحراسة التجربة، و رعايتها كانوا فى معظم الأحيان يختارون على أسس شخصية تضمن ولاءهم للحاكم لا على أساس إيمانهم بالمبدإ نفسه و استعدادهم للتضحية فى سبيله» «۲». و هو أيضا يعتذر لفشل تجربة

---

(۱) د. يوسف القرضاوى كتاب: الإسلام و العلمانية ص ۱۸۶.

(۲) د. يوسف القرضاوى. المرجع المشار إليه آنفا ص ۱۸۷. و د. فؤاد زكريا:

كتاب: الحقيقة و الوهم. ص ۱۷۱.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۱۴

الرأسمالية الديمقراطية الليبرالية فى مصر بقصر المدة أيضا. فهو يقول:

«إنّها لم تستمر أكثر من ثلاثين سنة ۱۹۲۳- ۱۹۵۲ م» «۱». و يحاسب تجربة باكستان على بضع سنين، و تجربة السودان على سنة، أو ستين. ألا بئس الذنب الكفر بعد الإيمان.

ثالثا: إنّ أصحاب هذه الشبهة من العلمانيين يخطّئون أنفسهم، و يقعون فى شرّ أخطائهم عند ما يقصرون مثالية الحكم الإسلامى فى التطبيق على عمر بن الخطاب فقط. و من الخطأ الفاحش القول: بأنّ عمر بن الخطاب شخصية فذة فريدة لا تتكرر. و هذا القول- و كما يعلم العلمانيون أنفسهم- يجافى الحقيقة، و يجانب الصواب فيما يتعلق بالحقائق التاريخية للحكم الإسلامى. و لعل حقد هم الأعمى على الإسلام أنساهم حقيقة تكرار الشخصية العمرية طيلة عهود الدولة الإسلامية.

و لعل ضغينة مكرهم أفقدتهم الرؤية الصحيحة حتى عن أجلاء صحابة عمر بن الخطاب نفسه، و هم الخلفاء الراشدون: و كما يقول دكتور محمد حسين هيكل فى كتابه «الصديق أبو بكر»: «أ ليست هذه بعض معجزات التاريخ؟!! فى سنتين و ثلاثة أشهر تطمئن أمم ثائرة، و تصبح أمّة متحدة قوية، مرهوبة الكلمة، عزيزة الجانب حتى لتغزو الامبراطوريتين العظيمتين اللتين تحكمان العالم، و توجهان حضارته، لتنهض بعبء الحضارة فى العالم قرونا بعد ذلك. هذا أمر لم يسجل التاريخ مثله، فلا عجب أن يقتضى من أبى بكر مجهودا تنوء به العصبة أولو القوة ... و قد تخطى السنتين يوم بويع» «۲».

و تجاهلهم كذلك لمثالية حكم عثمان بن عفان- رضى اللّه عنه- ذو النورين و الذى نال رضا اللّه، و رضا رسوله، و كما ورد فى الحديث الشريف: «اللهم ارض عن عثمان، فإنى عنه راض»

و ذلك على أثر شرائه

---

(۱) د. يوسف القرضاوى: المرجع المشار إليه آنفا. ص ۱۸۷. و د. فؤاد زكريا: كتاب: الحقيقة و الوهم. ص ۱۷۱.

(۲) د. محمد حسين هيكل: كتاب الصديق أبو بكر. ص ۹۴۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۱۵

لبئر «رومه» و هبته لها للمسلمين، و الذى نال بمثاليته حسن مروءة الكرم و السخاء. و كما

ورد فى الحديث الشريف: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»

على أثر تجهيزه لجيش العسرة فى سبيل اللّه. و الذى نال مكارم الحياء، و الأخلاق، كما

ورد فى الحديث الشريف: «أ لا أستحى من رجل تستحى منه ملائكة الرحمن».

عثمان بن عفان الحيى البكّاء، و الذى وصلت مثالية حكمه بقاع الأرض من أدناها إلى أقصاها. و تجاهلهم كذلك لمثالية حكم على بن أبى طالب العالم الورع، و الذى

قال فيه الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «أنا مدينة العلم، و على بابها»

، و الذى

قال فيه الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «أ لا ترضى أن تكون منى كمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبى بعدى»

، على بن أبى طالب- رضى اللّه عنه- و الذى تمثلت مثالية حكمه بالشجاعة، و القضاء، و كما

ورد فى معنى الحديث الشريف: «لأعطين الراية غدا إلى رجل يحب اللّه و رسوله، و يحبه اللّه، و رسوله.

فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما كان الصباح، اجتمع الناس بباب خيمة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» كلهم يرجو أن يعطها. يقول عمر:

ظننت أنّه يبحث عنى، فأخذت أتطاول على رءوس أصابعى. فنظر إلى ثم حول بصره عنى، فعلمت أنّه لست أنا. فقال «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أين على بن أبى طالب؟!! قالوا: هو مريض يشتكى عينيه. فقال: أرسلوا له. فلما جاء تفل الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» فى عينيه، و دعا له، و سلمه الراية، و قال له: اذهب، فقاتل. ففتح اللّه على يديه الحصن»

و كان ذلك أثناء غزوة خيبر.

هؤلاء الخلفاء الراشدون، و الذين تجاهلهم العلمانيون، و انفرد كبيرهم الذى علمهم السحر فؤاد زكريا الطبيب الفيلسوف بأحدهم، و هو عمر بن الخطاب، و الذين وردت الأحاديث الشريفة بتزكيتهم، و سمو مثاليتهم، و علو شخصياتهم، فكانوا أعلاما فريدين أيضا. و كما

ورد فى الحديث الشريف ما يفيد: «أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، و أقواهم فى دين اللّه عمر، و أشد امتى حياء عثمان، و أعلمهم بالفرائض على بن أبى طالب، و أعلمهم بالحلال و الحرام معاذ بن جبل، و أقرؤهم لكتاب اللّه عبد اللّه بن مسعود. و لكل أمّة أمين، و أمين هذه الأمّة أبو عبيدة»؛

و تجاهل

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۱۶

العلمانيون لصحابة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» أوقعهم فى شرّ أخطائهم، و مغالطاتهم.

و هؤلاء الذين

قال فيهم حبيبنا المصطفى «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «دعوا لى أصحابى، فو الذى نفسى بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم، و لا نصفه».

و الذى

قال فيهم أيضا: «أصحابى كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم».

و هؤلاء الصحابة النجوم منهم الفريد الفذ بحكمه، و الفريد الفذ بقضائه، و الفريد الفذ بجهاده، و الفريد الفذ بعلمه، و الفريد الفذ بأخلاقه، و الفريد الفذ بحسن سياسته. هؤلاء الصحابة النجوم الذين بأيهم اقتدينا، اهتدينا.

و لنا القول فى هذا المقام: إنّ التكرار للشخصية العمرية فى مثالية الحكم الإسلامى- و العلمانيون يعلمون ذلك- يفند زعمهم بعدم تكرارها.

و الأمثلة الحية للعديد من الحكام المسلمين فى عدالتهم- و العلمانيون يفتكرون ذلك- تؤكد فحش افترائهم، و طيلة عهود الدولة الإسلامية، يملئون الأرض بمعالم عدالتهم، و حسن تفكيرهم، و صفاء مثاليتهم؛ بدءا من عصر الخلفاء الراشدين، و مرورا بالعصر الأموى، و العباسى، و الطولونى، و الإخشيدى، و الفاطمى، و الأيوبى، و المملوكى، و العثمانى، و الأندلسى. فالواقع التاريخى- و العلمانيون يستندون إليه تجاهلا لحقيقته- يكذّب أخطاءهم. و أمثلته العديدة شاهد عيان يملأ الآفاق على عدالة و مثالية حكام المسلمين. و منهم: خامس الخلفاء الراشدين «عمر بن عبد العزيز» الذى مكن دين اللّه فى أرضه، و ملأ الأجواء فى عدله، و غمر الأصقاع بحسن سيرته، و سلوكه.

و قد روى البيهقى عنه فى الدلائل عن عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال: «إنما ولى عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرا. لا و اللّه، حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول:

اجعلوا هذا حيث تروه فى الفقراء فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذاكر من يضعه فيه، فلا يجده، فأغنى الناس عمر». هذا الخليفة العادل، و الذى قال واليه على صدقات إفريقيا يحيى بن سعيد: كنت أجمع الصدقات و لا أجد أحدا من أصحابها، فكنت أشترى به الرقاب، و أعتقها.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۱۷

و هكذا شخصية فريدة أخرى تتكرر أيضا، و رغم جهالة الجاهلين، و رغم نكران العلمانيين. و هكذا أيضا شخصية معاوية بن أبى سفيان- مؤسس الدولة الأموية- و الذى خاض فى سيرته الخائضون سواء من المستشرقين أو العلمانيين. فبالرغم من خطئه، و انحرافه فى نظام توليه الحكم من مبدأ الشورى، و الاختيار إلى مبدأ التعيين، و الوراثة، فإنّ هذا الخطأ لم يثنه أبدا عن مبدأ الحكم بالإسلام، و تطبيق الشريعة الإسلامية، و الاحتكام إلى نظام الإسلام فى جميع شئون الحياة، و تنفيذ قواعد العدالة فى حكمه بين الأفراد. و نحن نتحدى أن يثبت أحد أن معاوية لم يحكم بالإسلام؟!! أو لم يكن حكمه مثاليا فى تطبيق أحكام اللّه على العباد؟!! أو أنّه احتكم إلى غير نظام الإسلام فى الاقتصاد، أو الاجتماع، أو السياسة، أو الإدارة، أو الجهاد؟!!.

و معاوية بن أبى سفيان- هذا الخليفة العادل- و الذى شوهت حسن سيرته الضغائن، و الأحقاد- هو القائل: لو كان بينى، و بين الناس شعرة، ما قطعتها. و الكل من حكام الاشتراكية، و الرأسمالية قطعوا هذه الشعرة بينهم و بين الناس، بل و جعلوها سيوفا على رقابهم يقتلون بها، و يبطشون بها.

و معاوية هذا- الخليفة اللين السمح العافى عن الناس- هو الذى يروى عنه الحافظ الذهبى فى «سير الأعلام» عن ابن عون قال: «كان الرجل يقول لمعاوية: و اللّه، لتستقيمن بنا يا معاوية، أو لتقومنّك.

فيقول: بما ذا؟! فيقولون: بالخشب. فيقول: إذن، أستقيم. و الخشب:

جمع خشيب، و هو السيف الصقيل. و يدخل عليه أبو مسلم الخولانى، فيقول: «السلام عليك أيّها الأجير. و يرد عليه من حول معاوية مصححين عبارته: السلام عليك أيها الأمير. و يصر أبو مسلم على قوله. فيقول معاوية: دعوا أبا مسلم، فهو أعلم بما يقول. فقال أبو مسلم: أنت أجير المسلمين استأجروك على رعاية مصالحهم». و معاوية بن أبى سفيان هذا هو الذى تنازل له عن الإمامة حفيد رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» الحسن بن على. شبهات حول القرآن و تفنيدها ۴۱۸ تفنيد هذه الشبهة: ..... ص: ۴۰۷

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۱۸

حيث قال فيه جدّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»: «إنّ ابنى هذا سيد، و سيصلح اللّه به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» رواه البخارى.

و لو كان معاوية على مثل هذا الانحراف عن العدل فى الحكم، و السوء فى الإدارة، لما تنازل عن الإمامة له الحسن بن على «رضى اللّه عنه». و هل يعقل أن يتنازل له عن الإمامة لو كان يحكم بغير الإسلام؟! أو لم يكن مثاليا فى حكمه لشريعة الإسلام؟! و هكذا كان معظم الحكام الأمويين، و منهم عبد الملك بن مروان، و الوليد بن عبد الملك؛ شخصيات فذة، ملأت إصلاحاتهم آفاق الميادين الإسلامية، و حروبهم فى سبيل اللّه آفاق البلدان المجاورة. و هكذا الحكام العباسيون- و منهم أبو جعفر المنصور، و هارون الرشيد- أصحاب شخصيات فذة، ملأت الآفاق أعمالهم و جهادهم، و غمرت البلدان سيرهم فى العدالة، و حسن القضاء، و التعبد، و الورع. و هذا هارون الرشيد- الذى لم يسلم حكمه من شواهد التشويه، و فساد الإدارة، و هو من كل ذلك براء كبراء الذئب من دم يوسف. و حيث دافع عنه العلامة ابن خلدون دفاعا رصينا فى مقدمته.

و هو الذى تتناقض روايات المستشرقين، و العلمانيين عما عرف عنه بتقسيم وقته بين الحج، و الجهاد، و القضاء.

و هكذا الحكام الحمدانيون- و منهم سيف الدين الحمدانى- الذى تفنن فى قتال الروم، و منعهم من تجاوز حدود الدولة الإسلامية.

و هكذا الحكام الزنكيون و على رأسهم نور الدين زنكى- و الملقب بالشهيد- و الذى شبه بالخلفاء الراشدين فى سيرته، و عدله، و قضائه، و جهاده.

و هكذا الحكام الأيوبيون رباتب الزنكيين- و على رأسهم صلاح الدين الأيوبى- الذى ملأ صيته الآفاق، و الأمصار نقاء فى الحكم، و عدلا فى القضاء، و جهادا فى القتال. و تكفيه شخصيته الفريدة الفذة فخرا أنّه هو الذى قهر الصليبيين فى فلسطين، و أخرجهم منها، و خلص بيت المقدس من جبروتهم، و بعد أن ألحق بهم هزيمة منكرة فى معركة حطين

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۱۹

بشمال فلسطين سنة ۱۱۸۷ م. و هكذا الحكام المماليك- و على رأسهم قطز، و الظاهر بيبرس- الذين خلّصوا البلاد الإسلامية من هجمات التتار و المغول، و هزموهم فى معركة عين جالوت بشمال فلسطين سنة ۱۲۶۰ م.

و هكذا الحكام الأندلسيون- و على رأسهم الملك الناصر- الذى يشهد له التاريخ جهاده ضد الصليبيين، و عمارته لكثير من المدن الأندلسية، و التى ما زالت آثارها قائمة إلى اليوم تشهد له حنكته فى إدارته، و عدله فى قضائه، و إخلاصه فى جهاده. و هذا قائد الجيوش الإسلامية عبد الرحمن الغافقى، و الذى يشهد له المستشرقون جهاده و إخلاصه لقيادته، و مثاليته فى حروبه، و هو الذى ما يزال التاريخ الفرنسى يذكر دخوله جنوب فرنسا، و استشهاده فى معركة بلاط الشهداء فى سهل «تور». و حيث تدرس سيرته فى المدارس الفرنسية الآن. و هكذا حكام المرابطين، و الموحدين فى الشمال الإفريقى المسلم، و منهم يوسف بن تاشفين الذى اعترفت بشخصيته الفذة الفريدة كتب التاريخ، و سير الأبطال، و هو الذى وحد الأندلس بعد تفرق حكامها، و أخّر سقوطها حوالى مائتى سنة، و بعد أن هزم الصليبيين فى معركة الزلاقة.

و إنّ مثل هذه الأمثلة لهؤلاء الحكام المسلمين كفيلة لتدحض افتراءات أصحاب هذه الشبهة و غيرها من العلمانيين، و المستشرقين الذين يدعون أنّه لم يكن هناك حاكم مثالى إلا عمر. و ما عمر- و نحن نشهد معهم على مثاليته- إلّا واحدا يأتى ذكره على رأس هرم هؤلاء الأفذاذ من الحكام.

و نحن بدورنا نناشد كل هؤلاء العلمانيين أن يحتكموا حكمهم على التاريخ إلى شواهد الحقيقة من التاريخ؛ و أن يستقوا أخبارهم من كتب الثقة، و ضمن شواهد التحرى المحكم السليم للأخبار. و لكن، و للأسف الشديد أن بعض مصادر المسلمين تناولتها شواهد التحريف، و عدم الثقة ككتاب: الأغانى للأصفهانى. و الذى سماه البعض «بالنهر المسموم».

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۲۰

و مثل هذا الكتاب، و غيره لا يصلح مستندا أو حجة قوية يستند إليها فى روايات التاريخ؛ و كثير منها ما لا تقبله العقول السليمة، مثل أنّ الوليد بن يزيد قد شرب الخمر من فوق الكعبة، و أنّه مزق القرآن، و قال فيه:

إذا ما جئت ربك يوم حشرفقل يا رب مزقنى الوليد و لكن، و لا نبالغ فى القول: بأن شبهات هؤلاء العلمانيين- و الكثير منهم لا يجاهر بالكفر، أو الإلحاد- إنّما مصدرها الحقد على الإسلام؛ و مستندها الأباطيل فى الروايات؛ و شواهدها سوء التية المبيتة على الحكام؛ و معالمها الكذب على التاريخ؛ و مظاهرها المغالطة فى الوقائع و الحقائق. و إلّا فنحن نتساءل: أى مستند نقلى أو علمى، أو تاريخى يستند إليه أديب العربية طه حسين عند ما يحكم على فشل المنهج الإسلامى فى الحكم، و الإدارة ابتداء من أواخر عهد عمر بن الخطاب إلّا الحقد، و الضغينة على الإسلام؟!! و كذلك دعوته إلى انتهاج الثقافة الغربية دون مبالاته بتناقضها مع الثقافة الإسلامية؟! و كذلك الدوافع التى تجعل من عبد الرحمن الشرقاوى- المعروف بماركسيته العلمانية- أن يبحث فى سير الصحابة «رضوان اللّه عليهم»، و بمنهجية التفسير المادى للتاريخ؟!! و منها رواية: «الحسين شهيدا» إلّا التية السيئة المبيتة للإسلام؟!! هذه الرواية التى قال عنها العلماء أبو زهرة، و النجار، و الشرباصى: إنّ الشرقاوى كان حريصا على تصوير المجتمع الإسلامى بعد وفاة الرسول «صلّى اللّه عليه و آله و سلم» بنصف قرن فقط بصورة بشعة. و كان هذا المجتمع قد تداعى، و تهاوى، و صار مجتمع عربدة و فجور، و مجتمع شقاق و نفاق؛ و مجتمع جبن و ضعف؛ و مجتمع خيانة و نكث للعهود، مع أنّ المجتمع كان لا يزال فيه عدد كبير من صحابة رسول اللّه «صلّى اللّه عليه و آله و سلم»، و فيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان. و كذلك، الأسباب التى دفعت بالعلمانى المجاهر بعدائه للإسلام حسين أحمد أمين أن يهاجم السلف الصالح، و منهم أبو ذر الغفارى تشويها لسمعته. و عمر بن عبد العزيز الذى يصفه بالتسبب فى الإدارة، و الاقتصاد. و عبد الحميد الثانى آخر

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۲۱

سلاطين الدولة العثمانية، و غيرهم، و ميزا لاهتماماته بثورة الزنج، و تاريخ القرامطة، و غيلان الدمشقى؟! و ما أسباب هذا النهج المشوه فى البحث، و الاهتمام إلّا حقد متكامل، و عنفوان باطل تمتلئ به قلوب هؤلاء على الإسلام؛ تشويها لنقائه، و تمويها لحقائقه، و نيلا من حكامه، و طمعا فى رضا أساتذتهم، و على رأسهم ساحر العلمانية مصطفى كمال أتاتورك؛ و الذى يسير حسين أحمد أمين على هديه، و خطاه. و أتاتورك هذا هو الذى يلخص منهجه العلمانى فى محاربة الإسلام بقوله: «إنّ الأمة التى تصر على التمسك بأساطير لا أساس لها من الواقع، من الضعف بل من المستحيل أن تتقدم».

و نحن بدورنا نتساءل بعجالة: أيّة أساطير هذه التى يتكلم عنها عميل الماسونية أتاتورك؟!! أ هى تعاليم الإسلام التى أوجدت الأتراك، و أقام بها عثمان أوّل، و أقوى دولة تركية على الإطلاق؟!! أ هى أحكام الإسلام التى استند إليها سلاطين بنى عثمان- و على رأسهم سليم الأوّل- و الذى حكم الشرق، و الغرب بها فى يوم من الأيام؟!! و سجد للّه شكرا على توفيقه له فى فتح مصر، و الشام؟!! أ ليست تعاليم الإسلام هى التى أنجبت محمد الفاتح من بين سلاطين عثمان جعل منها دستوره فى تحطيم قوى الظلم، و الطغيان، و سار على هديها فى فتح القسطنطينية، و جاءت سيرته و فتوحاته تصديقا للسنّة النبوية، و بأنّ القسطنطينية ستفتح من قبل أحد القواد المسلمين. و ذكر الحديث الشريف: نعم الأمير أميرها، و نعم الجيش كذلك؟!! أ ليست أنظمة الإسلام التى سار على هديها سلاطين بنى عثمان فى حكمهم، و عدلهم، و جهادهم، و استشهادهم فى سبيل اللّه، و على رأسهم السلطان محمود الذى نال الشهادة، و هو يتفقد قتلى إحدى معاركه فى المجر؟!! و أخيرا أ ليست شريعة الإسلام التى تربّى على هداها سلاطين بنى عثمان فى إخلاصهم و تفانيهم فى خدمة الإسلام، و المسلمين، و منهم آخرهم السلطان عبد الحميد الذى يذكر له التاريخ تمسكه ببلد الإسراء و المعراج، بلد بيت المقدس فلسطين، و عدم تفريطه بها للصهاينة، و الصليبيين؟!!.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۲۲

رابعا: إن أصحاب هذه الشبهة من العلمانيين يفترون الكذب على دين الإسلام، و تاريخه. و يجترون الباطل على الشريعة الإسلامية، و نقائها.

فالعلمانيون- و أكثرهم ملحدون، و إن ادعوا أنّهم مسلمون- حاقدون على الإسلام، أعمت بصائرهم معالم، و ظواهر اقتدائهم الأعمى بنهج أسيادهم مفكرى الكفر فى المشرق الشيوعى الملحد، أو الغرب الرأسمالى الكافر.

و تتجلى شواهد ضغائنهم على الإسلام جلية واضحة فى بحثهم الدءوب عن مخالفات، و تجاوزات الحكام المسلمين مستندين إليها، و جاعلين منها مدخلا صالحا يدخلون منه ليبثوا سمومهم، و قاذوراتهم، و بأن الشريعة الإسلامية غير صالحة كمنهج للحياة. و هم بذلك كما وصفهم العلامة أبو الحسن الندوى فى مؤتمر: «الإسلام و المستشرقون» الذى عقد منذ سنوات فى الهند: «بأنهم أشبه شىء بمفتشى القمامة؛ لا تقع أعينهم إلّا على القاذورات، و أكبر همهم هو البحث عنها. و هل يعقل أن تتخذ تجاوزات بعض الحكام على الشريعة حكما قاطعا على عدم صلاحيتها؟!! و الأنكى من ذلك أنّهم يتخذون من بعض المخالفات السياسية لبعض الحكام المسلمين سندا قويا للحكم على عدم صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق. و هم يعلمون تمام العلم أن الشريعة الإسلامية شىء، و تطبيقها شىء آخر. فقد يحسن تطبيقها، و قد يسوء. و لكن هذا السوء فى التطبيق لا يصلح أن يستند إليه فى الحكم على عدم صلاحية هذه الشريعة، و التى دامت و امتدت حوالى أربعة عشر قرنا. و الأغرب من ذلك جرأة العلمانيين فى الحكم على الأمور لا يضبطهم ضابط، و لا يحفزهم حافز إلّا شهوة التتبع لعورات الحقائق الدينية، و التاريخية.

فكبيرهم الفيلسوف العلمانى فؤاد زكريا يحكم، و بكل جرأة، على الشريعة الإسلامية بقوله: «التطبيق الذى دام ما يقرب من ثلاثة عشر قرنا كان فى واقع الأمر نكرانا لأصول الشريعة، و خروجا عنها». و هو يقول أيضا:

«إنّ الخط البيانى للحق، و العدل، و الخير، قد ازداد هبوطا على مر التاريخ، و بلغ الحضيض فى التجارب المعاصرة لتطبيق الشريعة». و لا عجب أن يصدر مثل هذا الافتراء من أناس أغمضوا عيونهم حتى عن

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۲۳

حقائق التاريخ فى التجارب و التطبيق، و ساروا على هدى، بل عمى أسيادهم من دعاة الكفر الصليبى الحاقد، أو الشيوعى الملحد. و نحن نتعجب من هذا القول!! و هل شريعة يدوم تطبيقها ثلاثة عشر قرنا يحكم عليها، و بكل بساطة، أنّها لا تصلح للتطبيق؟!! و لنا التساؤل أيضا:

فكيف، و أنّى لمثل هذه الشريعة هذا الدوام، و الاستمرار، لو لا أنّها فعلا صالحة، و ناجحة للحياة؟!! و لنا أن نتساءل ما الذى يدوم، و يضمن استمراريته: الصالح أم الطالح؟!! و هل جميع من حكم بها من الولاة و الحكام المسلمين كانوا على درجة كبيرة من الغباء، فلم يعلموا صلاحها فتجاهلوا تطبيقها؟! أم كانوا على درجة كبيرة من الفسق، فأساءوا تطبيقها؟!! و الجواب: لم يكن هذا، و لم يكن ذاك، و لكن هو الصلاح دوما للشريعة، و الدين، و الحاكم بهما، و لو كره المشركون، مصداق قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ سورة الصف آية ۹.

و الصلاح دائما للدين فى حكمه، و تعاليمه، و تكاليفه، و فروضه، و حدوده، و لا دين غيره؛ و ليظهره اللّه على كل دين غيره، و كفى باللّه شهيدا. مصداق قوله تعالى: هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً سورة الفتح آية ۲۸.

و إننا بدورنا لنؤكد أن ما استند إليه العلمانيون للطعن فى الشريعة الإسلامية، و منها مقولة فيلسوفهم فؤاد زكريا: «بأنّ الخط البيانى

للحق، و العدل، و الخير قد ازداد هبوطا، و بلغ الحضيض فى التجارب المعاصرة لتطبيق الشريعة» لا، و لم، و لن تسعفهم أبدا فى تأييد شبهتهم- سواء بالنسبة لصلاحية الشريعة الإسلامية، أو عدالة حكامها من المسلمين.

و لا نبالغ فى القول: بأنّ معالم الألوهية، و مظاهر الربانية للشريعة الإسلامية ستظل تسمو بها عن أية شبهة، حتى و لو سيئ تطبيقها.

و لا نبالغ القول أيضا: إنّ ما صاحب تطبيق الشريعة الإسلامية على

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۲۴

مر العصور لم يكن أبدا نكرانا لها أو خروجا على أصولها، حتى و بالنسبة عمن اشتهر بظلمه من الحكام المسلمين: كالحجاج بن يوسف الثقفى. و هو فى ظلمه لم يتنكر للشريعة الإسلامية أبدا، و لو تجاوز فى حكمه السياسى تثبيتا للحكم الأموى، و هذا الحاكم فى ظلمه لأشد عدلا من عدل أى حاكم علمانى، أو نصرانى، أو يهودى، أو شيوعى ملحد.

و لا نقول هذا على عواهنه. فشريعتهم وضعية، فهى تبقى ظالمة، و شريعتنا إلهية فهى تبقى عادلة. فالحجاج- و نحن نقر أنه قتل عبد اللّه بن الزبير بن أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين- كان من أتقى النّاس، و قرّاء القرآن، و البكائين من خشية اللّه فى الليالى الطوال.

و الحجّاج- و نحن نعترف أنه قتل الكثيرين، و سجنهم فى العراق- كان قد أصلح رسم القرآن فى أحد عشر موضعا؛ فأصبح أوضح قراءة، و أيسر فهما. كما ذكر أبو داود فى كتابه المصاحف، و كما ذكر أيضا: أنّ الحجاج أمر بتشكيل، و تعجيم المصحف.

و كما ذكر أيضا أبو أحمد العسكرى فى كتابه التصحيف: أن نصر بن عاصم الليثى هو أوّل من نقّط القرآن بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفى حين سأله كتابه أن يضعوا علامات على الحروف المتشابه «۱».

و كما ذكرت كتب التفاسير و علوم القرآن أن الحجّاج بن يوسف الثقفى كان أغير النّاس على الدين، و أشدهم تطبيقا للشريعة الإسلامية؛ و أكثرهم حرصا على سيادة أحكامها سواء بالنسبة للمسائل المدنية، أو العسكرية. و حروبه للخوارج تشهد له على جهاده. و قد ذكرت تلك الكتب أيضا أن الحجاج بن يوسف الثقفى من أكثر الحكام خدمة للقرآن الكريم، و إصلاحا لكتابته، و رسمه، و تجزئته، و تحزيبه، و تعشيره، و إحصاء آياته، و كلماته، و حروفه. و هى تذكر أنّ سلامة أبا محمد

---

(۱) ابن خلكان. كتاب: وفيات الأعيان. طبعة ۱۳۱۰ ه- ص ۱۲۵.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۲۵

الحمانى روى: «أن الحجاج بن يوسف الثقفى جمع القرّاء، و الحفّاظ و الكتّاب، فقال: أخبرونى عن القرآن كله كم من حرف هو؟! قال:

- و كنت فيهم- فأجمعنا على أن القرآن ثلاثمائة ألف حرف، و أربعون ألف حرف، و سبعمائة حرف، و أربعون حرفا. قال: فأخبرونى إلى أى حرف ينتهى نصف القرآن؟! فإذا هو فى الكهف فى وَ لْيَتَلَطَّفْ فى الفاء. قال: فأخبرونى بأثلاثه؟ فإذا الثلث الأوّل- رأس مائة من «براءة»، و الثلث الثانى- فى رأس مائة و واحدة من طسم الشعراء، و الثلث الثالث- ما بقى من القرآن. قال فأخبرونى عن أسباعه؟ فإذا أوّل سبع فى «النساء»: فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ فى الدال، و السبع الثانى فى «الأعراف»: خَطِئْتُ فى التاء. و السبع الثالث فى «الرعد»:

أَكُلُها دائِمٌ فى الألف من آخر أكلها، و السبع الرابع فى: «الحج»:

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً فى الألف، و السبع الخامس فى «الأحزاب».

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ فى الهاء، و السبع السادس فى «الفتح»:

الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ فى الواو، و السبع السابع ما بقى من القرآن.

قال سلام: علمناه فى أربعة أشهر. و كان الحجاج يقرأ فى كل ليلة ربعا.

فأوّل ربعه- خاتمة الأنعام، و الربع الثانى- فى الكهف وَ لْيَتَلَطَّفْ، و الربع الثالث- خاتمة الزّمر. و الرابع ما بقى من القرآن» هذا هو الحجاج بن يوسف الثقفى حجة العلمانيين فى شبهتهم، و لا بينة واحدة لهم على انحرافه عن جادة الشريعة الإسلامية فى التطبيق لأحكامها و تعاليمها. و هو أظلم الحكام المسلمين ينصفه العلماء و المفسرون المسلمون، فيضعون حكمه بين أعدل التطبيقات؛ و يصنفون تطبيقه للإسلام- و هم يقرون بظلمه السياسى- من بين أحرص الحكام المسلمين على تطبيق شريعة الإسلام. و هذا هو مستند العلمانيين فى انحراف الحكام المسلمين؛ و هو بانحرافه لم يخرج أبدا عن حكم الإسلام، إفسادا أو تحريفا، أو إلغاء، أو تشويها. فسقطت بذلك شبهة العلمانيين، و بالنسبة لمستندهم فى الظلم. فما بالك، و أنى تستقيم إذا تعلق الأمر بالعادلين من الحكام المسلمين، و هم كثير، و ما أكثرهم. و إسقاطا

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۲۶

لشبهات العلمانيين فى عدم صلاحية الشريعة الإسلامية استنادا إلى حكم الظلم الحجّاجى، يورد الدكتور يوسف القرضاوى فى إحدى محاضراته على مسامع طلاب و طالبات جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية فى قسنطينة فى سبتمبر سنة ۱۹۸۹ م رواية تؤكد تقوى الحجاج، و خشيته من اللّه تعالى، فهو يذكر عنه أنّه اعتقل رجلا- و أدخله السجن، ثمّ أوتى به، فقال له: ما الذى جاء بك إلى السجن؟!! قال: أخذنى ولاتك. قال له:

و فيم أخذوك؟! قال: جنى جان من عرض العشيرة- أى من أقاربه فى العشيرة- فبحثوا عن الجانى، فلم يجدوه، فأخذونى بدله. فقال الحجاج: أ ما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يجنى عليكو قد تعدى الصّحاح مبارك الجرب أى أن قريبك الجانى هو الذى جنى عليك، كمثل الإبل الجرباء تعدى بالمرض الإبل الصحاح. و قال الحجاج: أ ما سمعت قول الشاعر أيضا:

و لربّ مأخوذ بذنب عشيرؤو نجا المقارف صاحب الذّنب و كأن الحجاج يريد أن يبرئ نفسه من ظلم هذا الرجل. فقال الرجل إنّى سمعت اللّه يقول شيئا آخر. فقال الحجاج: و ما ذا يقول؟؟ قال الرجل: إنّه يقول على لسان يوسف عند ما عرض عليه إخوته أن يأخذ أحدهم بدلا من أخيهم «بنيامين» أصغرهم الذى وجد المتاع المسروق فى رحله: قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظالِمُونَ سورة يوسف آية ۷۸- ۷۹.

و ما سمع الحجاج الآيتين، و قوله تعالى: إِنَّا إِذاً لَظالِمُونَ حتى صرخ قائلا: أطلقوا سراح الرجل، لقد صدق اللّه و كذب الشاعر.

خامسا: إنّ أصحاب هذه الشبهة من العلمانيين يتنكرون لأبسط

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۲۷

قواعد الحقيقة، و دلالتها فى حكمهم على تباشير الصحوة الإسلامية.

و هم ينكرون أن يكون اتساع المطالبة بتطبيق الشريعة حجة لصالحها؛ و هم يبررون ذلك الاتساع بنقص الوعى لدى الجماهير.

فأستاذهم دكتور فؤاد زكريا يقول فى مقدمة كتابه: «الوهم و الحقيقة» و بالحرف الواحد:

«إنّ الدعوة إلى تطبيق الشريعة- التى تعلو أصواتها فى الآونة الراهنة- ترتكز بلا شك على قاعدة جماهيرية واسعة، و كثير من أنصارها يتخذون من سعة الانتشار هذه حجة لصالحها؛ و يستدلون على صحة اتجاههم من كثرة أشياعهم و أنصارهم». و هو يقول أيضا مبررا هذا الانتشار الواسع:

«إنّ الانتشار الواسع للاتجاهات الإسلامية بشكلها الراهن إنّما هو مظهر صارخ من مظاهر نقص الوعى لدى الجماهير». و هو يعلق إيجابية، و فعالية، و حجية سعة المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية على تحقيق النضج الكامل عند الأفراد. فهو يقول بالحرف الواحد: «و فى رأيى أن اتساع القاعدة الجماهيرية التى تنادى بمبدإ معين لا يمكن أن يكون مقياسا لنجاح هذا المبدأ إلّا فى حالة واحدة فقط، هى التى يكون فيها وعى هذه الجماهير ناضجا كل النضج». و هكذا، يحكم، و يحلل، و يبرر العلمانيون مؤشرات الصحوة الإسلامية بعقليات مقفلة، و ذهنيات منحرفة، و ضلالات زائفة، فلنا أن نناقشهم قليلا.

۱- أى منطق عقلانى واع تنطلقون منه، و تحكمون، و تقررون أن سعة انتشار المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية لا يصلح أن يكون حجة لصالحها؟!! و هل عدم، أو ضيق، أو قلة المطالبة هو الحجة الصالحة لذلك؟!! إن عقولنا لا تستطيع أن تعى مثل هذا المنطق بالنسبة لمثل أنواع هذا التحليل و التبرير. و لنا التساؤل هنا: أ ليست شرائع الاشتراكية و الرأسمالية تتخذ من مبدأ سعة المطالبة- و الذى تسميه الأغلبية أو الأكثرية- معيارا للحكم على صلاحية السياسة، أو أهلية الحزب للحكم، و التى تستند دوما إلى اتساع القاعدة العريضة للجماهير؟!! أ لا- تتخذ سعة القاعدة العريضة للجماهير فى إضرابهم، و مظاهراتهم، و احتجاجاتهم معيارا سليما لا يمكن تجاهله فى الحكم على الأنظمة، و السياسات،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۲۸

و الخطط القومية، و القرارات و الأحكام؟!! و لما ذا عند ما يتعلق الأمر بالدعوة الإسلامية، أو تطبيق الشريعة الإسلامية ينتفى هذا المعيار، و تصبح السعة ضيقا و حجة على عدم الصلاحية، و ليس لها؟!!.

۲- أى دليل تستندون إليه فى قولكم: إن اتساع القاعدة العريضة للإسلاميين ينقصها الوعى؟!! و إن انتشارها الواسع بالشكل الراهن مظهر صارخ من مظاهر نقص الوعى لدى الجماهير؟!! و هذا افتراء كاذب لا يؤيده دليل، و لا يشهد له واقع. فالعلمانيون يعلمون، و فيلسوفهم فؤاد زكريا يعلم، أنّ جماهير الدعوة إلى الإسلام هذه الأيام نخبة شباب، و صفوة رجال الأمة العربية، و الإسلامية وعيا، و علما؛ و أكثرهم نضجا، فكرا؛ و سياسة؛ و أغلبهم ينتمون إلى فئات العلم، و الثقافة فى الجامعات و المعاهد، و المدارس، و كثير منهم ينتسبون إلى جمعيات، و نقابات و مؤسسات يتعلمون فيها شتى أنواع العلوم، و المصارف، و الثقافات، و يتدربون فيها على فهم مشاكل الحياة؛ و معظمهم يشاركون فى ملتقيات فكرية، و ندوات علمية، يناقشون فيها شتى أنواع الثقافات، فى السياسة، و الاجتماع، و

الاقتصاد.

و من يعنيهم العلمانيون بنقص الوعي هم الأقلية القليلة، و الشاذة؛ و الشاذ لا يؤخذ به كمعيار في الحكم على الأمور.

۳- إنّه لثالثة الأثافي أن يتناسى العلمانيون أنّ الأكثرية الإسلامية هي أكثرية مبدئية روحية قبل أن تكون أكثرية عددية زمنية. إنّها أكثرية دين نهلت من معينه تعاليم الألوهية، و الربانية في العبادة و التوحيد.

و من عقيدته تعاليم التوحيد في الإيمان، و الاقتداء؛ و من شريعته تعاليم التطبيق، و العمل بالأحكام. و من نظامه المنهجية في التعلم، و الدعوة إلى العلم. و من دستوره تعاليم الإخلاص، و الإتقان في العمل.

إنّ أكثرية المطالبين اليوم بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية هم خريجو المساجد بيوت اللّه في أرضه، يسارعون إلى حفظ قرآن ربهم، و تطبيق أحكامه، و فهم علومه، و تنفيذ علومه، و تدارس موضوعاته، و التحلي

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۲۹

بفضائله و أخلاقه؛ فتسودهم روح الإخاء و المودة في العلم، و حب الخير، و التعاون و الإحسان، و إسداء المشورة، و النصح في اللّه، و للّه يعايشون الناس، و يشاركونهم همومهم و مشاكلهم، و أحزانهم و أفراحهم، و يتدارسون معهم مشاكلهم الحياتية، و الدينية. فكيف يوصف هؤلاء أو من أوتي منهم مثل هذه الفضائل بالجهالة، و نقص الوعي؟!! تلك الجهالة أحرى أن تتصف بها جماهير الأحزاب، و الحركات العلمانية في كثير من البلدان الاشتراكية و الرأسمالية المتقدمة منها، و المتخلفة. و الأحرى أن يتهم بنقص الوعي جماهير اللامبدأ، جماهير المصالح و المنافع، جماهير العلمانية الدنيوية، لا جماهير الدينية الروحية، المبدئية الإسلامية.

۴- إنّ علمانية دكتور فؤاد زكريا تتناقض مع نفسها. فهو يهاجم جماهير المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية، و يتهمها بالعقم؛ ثم يعترف بإنجازاتها. فهو يقول في رده على دكتور حسن حنفي: «و تبقى بعد هذا كله نقطة جوهرية ينبغي أن نلتمس فيها العذر لأي كاتب يتعاطف مع هذه الاتجاهات؛ ذلك لأنّ الشباب المنتمي إلى هذه الجماعات المتطرفة هو وحده الذي استطاع أن ينجز شيئا بغض النظر عن دوافعه في هذا الإنجاز. و هو الذي تمكن من إزالة الجمود الذي بدا، و كأنه استقرّ، و سوف يستمر سنوات طويلة؛ و هو الذي ألقى في البركة الآسنة حجرا ضخما حرك مياهها، و أحدث فيها دوامات قد تتحول يوما إلى أمواج و عواصف عاتية. و في مقابل ذلك، فإن التقدميين، و الديمقراطيين، و العلمانيين لم يكن لهم دور في هذا التحريك المفاجئ للأحداث، بل كان يبدو في الوقت الذي حدثت المفاجأة، أنّهم و صلوا إلى طريق مسدود لا مخرج منه»[۱].

سادسا: إنّ أصحاب هذه الشبهة من العلمانيين، يجانبون الصواب، و يجافون الحقيقة عند ما يدّعون أن تطبيق الإسلام يتعارض مع واقع تعدد

---

(۱) د. يوسف القرضاوي- الإسلام و العلمانية. ص ۹۲.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۳۰

الأديان، و أن العلمانية هي الكفيلة بضبط الطائفية الدينية. و قولهم هذا لا يسعفه دليل، و لا يشهد له واقع.

۱- إنّ شبهة التعارض هذه تنتفي إذا علمنا أنّ التعددية المقصودة هنا هي التعددية المحلية، و ليس التعددية الدولية. فتعدد الديانات داخل المجتمع الإسلامي المعتبَر. و من ثم فمن الطبيعي جدا أن يسود دين هذا المجتمع دين الأغلبية، و أصحاب الديانات- و هي الأقلية- يقرون هذا المبدأ.

۲- إنّ شبهة التعارض هذه تنتفي إذا علمنا أن التعددية المقصودة هنا هي التعددية غير المتجانسة، إذ ليس كلها سماوية ربانية. و من الطبيعي أن يسود الدين السماوي، و الدين الإلهي، دين الإسلام، و في مجتمع إسلامي. فالديانات الأخرى: يهودية، أو نصرانية، أو هندوسية، أو بوذية، أو وثنية ليست سماوية إلهية، و إن لم يعترف أصحابها بذلك.

فنحن ما زلنا نتكلم عن تطبيق الإسلام في أرض الإسلام. فليس من المنطق أن تنافس هذه الديانات البشرية ديانة الإسلام السماوية، و في سيادته على مجتمعه، إذ لا مجال للمنافسة و التعارض بينها.

۳- إنّ شبهة التعارض هذه تنتفي إذا علمنا أنّ التعددية المقصودة هنا هي التعددية غير المتكافئة. فعدالة دين الإسلام تسمو شواهدها على معالم ظلم الأديان الأخرى. فلا مجال للمقارنة بين عدالة الإسلام، و بين جور الأديان.

۴- إن شبهة التعارض هذه تنتفي إذا علمنا أنّ التعددية المقصودة هنا هي التعددية غير المتنافسة. فالإسلام في سيادته، و تطبيق شريعته داخل المجتمع الإسلامي، لا- يعني بالضرورة أنّه منافس للأديان الأخرى في اعتناقها، أو العمل بأحكامها من قبل أهلها و معتنقيها. فالحرية الدينية مكفولة للجميع؛ و أهل الذمة في المجتمعات الإسلامية لا ينافسهم أحد، و لا يجبرهم أحد على عدم التمسك بديانتهم؛ و لا يمنعهم أحد أن يمارسوا شعائرهم الدينية؛ و لا يحرمهم أحد أن يطبقوا فرائض دينهم،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۳۱

و أن يعملوا بأحكامه، و تكاليفه. فلا تنافس، و لا تضاد، و لا تصادم؛ فكل يطبق شريعته؛ و كل يعمل بأحكام دينه. فكيف إذن يمكن أن يكون هناك تعارض بين المسلمين، و الذميين في الحياة، أو بين الإسلام، و الديانات الأخرى في التطبيق؟!! فكل له مجاله، و كل له دائرته.

۵- إن شواهد التجارب التاريخية تسعفنا، و تسعف كل من تحرى الحقيقة بعيدا عن الحقد، و الكفر، و العناد، أنّه- و بسبب فضائل الإسلام في شواهد ألوهيته، و سماويته، و معالم فضائله، و مكارمه، و أخلاقه، و تسامحه- ساد الوئام بين شرائح المجتمعات الإسلامية من مسلمين، و غير مسلمين، و ساد التسامح بين دين الإسلام، و بين الديانات الأخرى.

و بحيث يمكننا القول: ألّا تعارض البتة بين تطبيق الإسلام، و بين واقع التعددية للأديان، و طيلة عهود الدولة الإسلامية، و تجارب التاريخ، و شواهده تشهد على ذلك.

۶- إنّ ما يستند إليه العلمانيون من تجارب بعض الدول ذات الطوائف الدينية المتعددة كلبنان، و الهند، هو حجة عليهم، و ليس حجة لهم.

فإننا نقول، و بكل ثقة: إنّ مثل هذه البلدان عاشت التجربة الإسلامية طوال عدة قرون؛ و ساد الوئام بين جميع طوائفها من مسلمين و فرقهم؛ و من يهود و فرقهم؛ و نصارى و فرقهم؛ و هندوس و فرقهم؛ و بوذيين و فرقهم؛ و بين المسلمين جميعهم، و بين غير المسلمين جميعهم.

و عاش الجميع ينعمون برحابة الإسلام في سماحته و تسامحه، و في رحاب الإسلام بعدله، و عدالته، فلم يشكّ أحد، و لم يخرج أحد، و لم يتعصب أحد، و لم يقتل أحد.

و لا نبالغ في القول: بأنّ ما تتصف به بعض البلدان الآن مثل لبنان و الهند من ظهور شواهد التعصب الديني، و معالم الاقتتال الطائفي سواء بين المسلمين أنفسهم، أو بين المسلمين و غيرهم، إن هو إلّا بسبب غياب

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۳۲

الإسلام عن التطبيق. فلا- الديانات الأخرى حلت مشاكلهم؛ و لا العلمانية الكافرة منعت الاقتتال بينهم؛ و لا الاشتراكية أو الرأسمالية ضبطت التعصب الديني عندهم. و إنّي لأنعى على فيلسوف العلمانية في مصر فؤاد زكريا كيف لم يع هذه التجربة التاريخية لحكم الإسلام في مصر، و كيف عاش المسلمون مع الأقباط النصارى على خير وئام، و طيلة قرون عديدة. و كيف دبّ الخلاف بينهم في هذا القرن في غياب التطبيق للشريعة الإسلامية؛ و عند ما أخذت نظم الحكم في مصر بالعلمانية، و ساهمت في أحداث الفتن بين طوائف المجتمع المصري من مسلمين و أقباط. و الأنكى من ذلك أن يفاخر أصحاب هذه النظم بفصل الدين عن الدولة، و تطبيق العلمانية. ففي ندوة عقدت في إسرائيل في ۱۹- ۱۲- ۱۹۸۰ م قال دكتور مصطفى خليل رئيس وزراء مصر للإسرائيليين مفتخرا بعلمانيته: «أودّ أن أطمئنكم أنا في مصر نفرق بين الدين، و القومية، و لا نقبل أبدا أن تكون قيادتنا السياسية مرتكزة إلى معتقداتنا الدينية».

فيقول: و هو بذلك يكرس سياسة سيده فرعون مصر أنور السادات حيث أشعلت علمانية حكمه أقذر أنواع الصدامات الدموية بين المسلمين و الأقباط في مصر، و التي انطلقت من حي الزاوية الحمراء في تلك الفترة و التي راح ضحيتها العديد من الطرفين.

و نقول: و ما أن انتهى مصطفى خليل من كلامه حتى وقف البروفسور اليهودي «دافيد» يرد عليه مهنئا له قائلا: إنكم أيها المصريون أحرار في أن تفصلوا بين الدين، و السياسة، و لكنني أحب أن أقول لكم: «إننا في إسرائيل نرفض أن نقول: إنّ اليهودية مجرد دين فقط. بل إننا نؤكد لكم أن اليهودية هي دين، و شعب، و وطن». ثم قال البروفسور اليهودي «نفي يافوت»: أود أن أقول للدكتور مصطفى خليل: إنّه يكون على خطأ كبير إذا أصر على التفريق بين الدين، و القومية. و إننا نرفض أن يعتبرنا الدكتور خليل مجرد أصحاب دين لا قومية له. فنحن نعتبر اليهودية ديننا، و شعبنا، و وطننا. و أحب أن أذكر الدكتور خليل بأنّ الشرق

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۳۳

الأوسط كان موطن الديانات السماوية؛ المسيحية، و الإسلامية، و اليهودية، و لم يكن موطن قوميات. أمّا القومية: فقد كانت من ابتكار الأوروبيين الذين أزعجهم انتشار الحروب الدينية في أوروبا، فابتكروا الفكرة القومية؛ للتخفيف من حدة الصراع الديني في أوروبا. و من خلال هذا الشعار- شعار القومية- حاولوا الانتقام من شعوب الشرق الأوسط، فباعوا ابتكارهم إلى شعوب الشرق الأوسط. و هكذا أصبحت حياة الشباب في الشرق الأوسط تتوه في الحروب القومية»[۱].

---

(۱) د. يوسف القرضاوي: الإسلام و العلمانية- ص ۱۹۶.

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۳۵

خاتمة الكتاب

لقد أوضحت لنا هذه الدراسة أصالة قرآننا قرآن ربنا، معجزة رسولنا إلى أبد الآبدين، و كيف تتحطم دوما على صخرته في الإعجاز كل محاولات الهدم، و الدس، و الطعن، و النيل من فضائله، و هداياته، و أحكامه، و تطبيقاته. و أنه الكتاب الرباني الوحيد الذي تتلاشى أمامه بدع الضالين، و شبهات الحاقدين، سواء حول وحيه، أو جمعه، أو كتابته، أو تواتره، أو مكيه و مدنيه، أو سبعة أحرفه، أو محكمه و متشابهه، أو نسخه، أو ترجمته، أو إعجازه، أو تطبيقه، أو صلاحيته.

و هكذا أبانت لنا هذه الدراسة صموده بإعجازه أمام شبهات الباطل من أهل الكفر من صليبيين، و يهود، و مجوس، و شيوعيين، و ملحدين، و وجوديين، و بوذيين، و وثنيين. فما من شبهة كفر إلّا و قد فندها، و ما من حجة إلحاد إلّا أبطلها، و ما من دسيسة حقد إلّا رد كيدها، و ما من تفاهة علم إلّا سخر منها، و ما من دعوى كذب إلّا كشفها، و ما من سند علمانى إلّا أبطله و أفحمه. و هكذا مكر أولئك بيور.

و لقد أثبتت هذه الدراسة إعجاز قرآن ربنا في عقيدة التوحيد،

شبهات حول القرآن و تفنيدها، ص: ۴۳۶

و سلامة التطبيق، و صلاحية التنفيذ، و فعالية العمل بأحكامه. و بحيث يبقى مؤصلا لحقائق وجوده، و حكم الإله في إنزاله كقرآن دين، و كتاب دولة، و منهاج سياسة، و دستور مجتمع، و نظام حكم و أسلوب عمل، و منهاج اقتصاد، و أداة اجتماع، و طريقة حياة. و ما أحيط به من شبهات لم يكن عمل فكر بقدر ما كان معالم حقد و حسد، و مظاهر طعن، و قذف لا تصمد لأصالته البتة. و بحيث يمكننا القول: بأنّ هذه الدراسة لم تكن في حقيقتها دفاعا عن القرآن أعظم كتاب، بقدر ما كانت كشفا لصلاحيته و إعجازه، و بحيث يبقى دوما قرآن دين و دنيا، تتحطم عند صرحه جميع محاولات الفصل بينه و بين الدولة، أو بينه و بين السياسة، أو بينه و بين أركان الإسلام، و منها الزكاة.

و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين و به نستعين

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیُّ بْنُ موسَی الرّضا – علَیْهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النّاسَ؛ فَإنَّ النّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (یَنابِیعُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمع "القائمیّة" الثّقافی بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – "رَحِمَهُ اللهُ" – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتَهَرَ بِسَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرّضا (علیه السَّلام) و بِساحة صاحب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریف)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً وُ طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحها، بل تُتَبَّع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" "للتحرّی الحاسوبی – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدأ أنشِطتهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثقافة الثّقلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجّ العلوم الإسلامیّة، إبالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعیّة: التی یُمکن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی أکناف البلد - و نشرِ الثّقافة الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ أخری.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیّة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّة الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مواقع أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات الرقمیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدّعم العلمی لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائی و الیدوی للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد" "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "وُمُفترق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجم المتزاید و المتّسِع للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو من جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریف) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹